موسوعة

القدس

فاطمة محمود الجوابرة




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم



موسوعة القدس


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

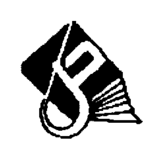
موسوعة القدس

تأليف

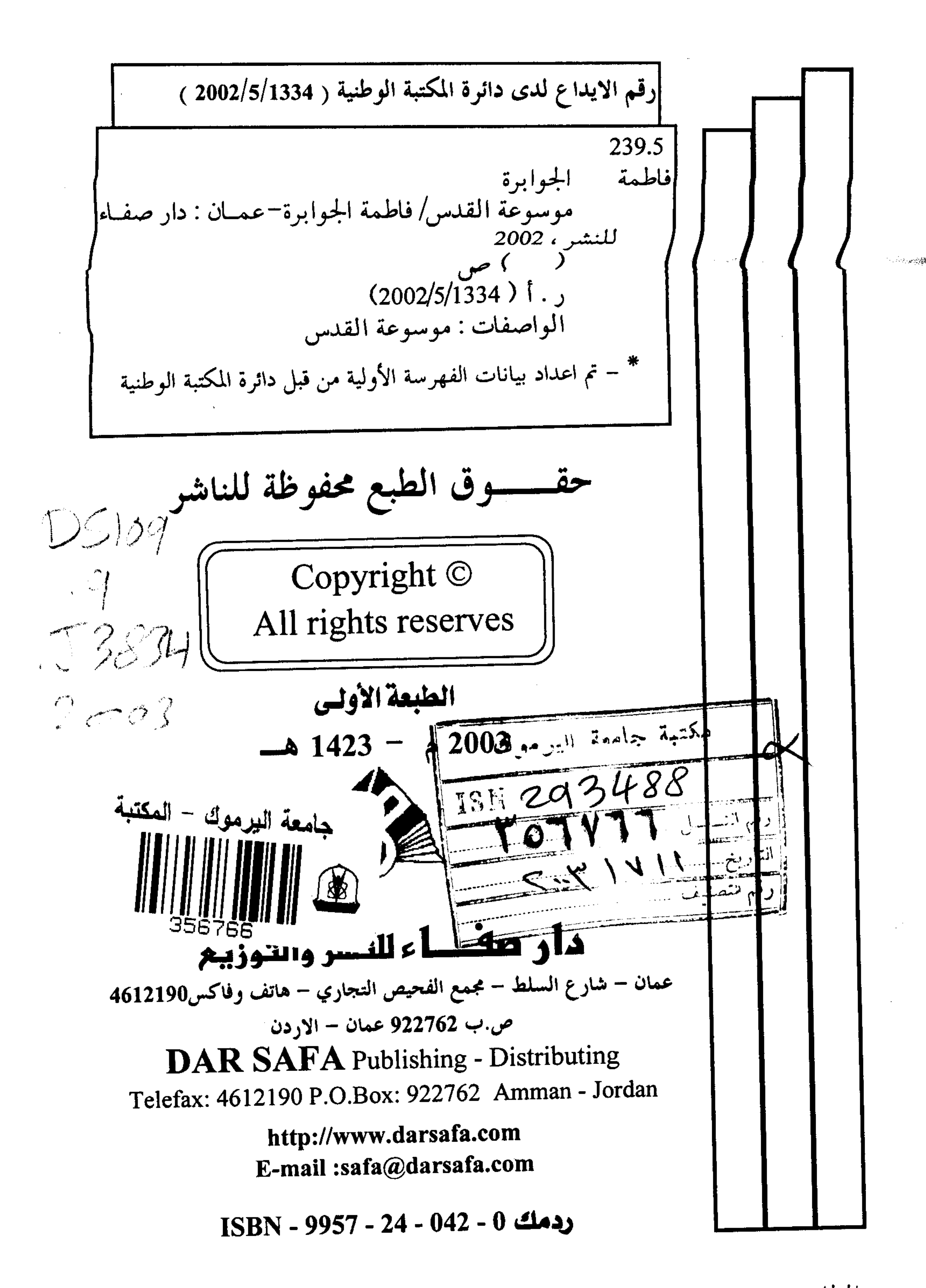
فاطمة محمود الجوابرة

الطبعة الأولى

2003م - 1423هـ



دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان



رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2002/5/1334)

239.5

فاطمة الجوابرة

موسوعة القدس/ فاطمة الجوابرة-عمان : دار صفاء للنشر، 2002

( ) ص

ر . أ (2002/5/1334)

الواصفات : موسوعة القدس

* - تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

2003 م - 1423 هـ

دار صفــــاء للنـشـر والتـوزيـع

عمان - شارع السلط - مجمع الفحيص التجاري - هاتف وفاكس4612190

ص.ب 922762 عمان - الاردن

DAR SAFA Publishing - Distributing

Telefax: 4612190 P.O.Box: 922762 Amman - Jordan

http://www.darsafa.com

E-mail :safa@darsafa.com

ISBN - 9957 - 24 - 042 - 0 ردمك

■ الطابعون :

مطبعة الأرز - تلفون 053610011

الإهــداء

إلى شهداء انتفاضة الأقصى المباركة . . . . . .

المؤلف

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال الله تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾

(الإسراء آية رقم1)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خذلهم -ناوأهم - أو عاداهم - (روايات مختلفة) حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) رواه البخاري.

وفي رواية أخرى :"قيل أين هم يا رسول الله قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" رواه الإمام أحمد.

مدينة القدس لؤلؤة، عبثاً حاول أعداء الله، أعوان الشيطان انتزاعها عنوة من أطراف العقد؛ لتنفرط اللآلئ الحسان بين المساجد الثلاث : المسجد النبوي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، منازل الأنبياء والمرسلين وحجيج المؤمنين ومقاصد المسلمين.

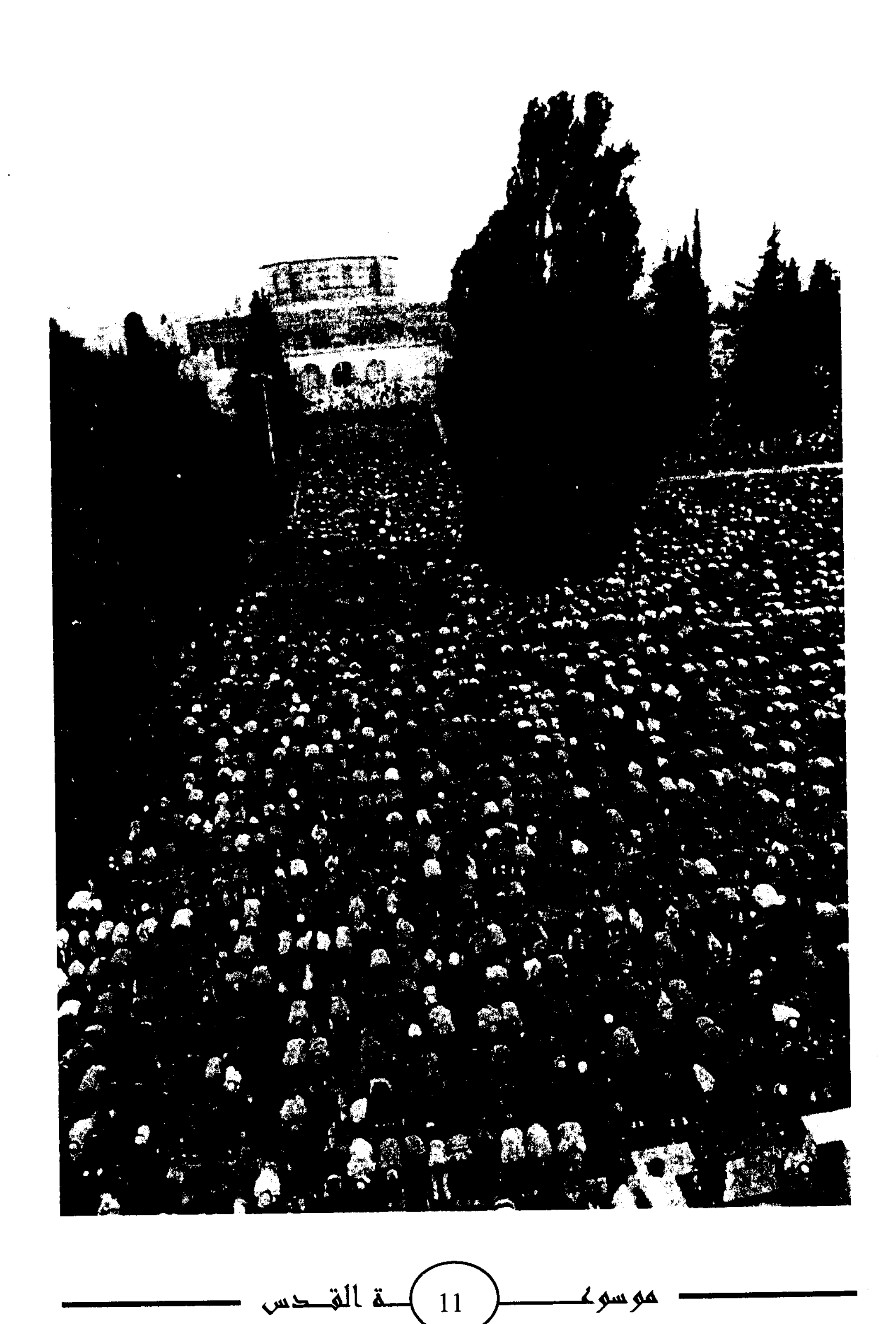
مدينة القدس لاقت ما لم تلاقيه غيرها من المدن، جراء ظلم البشر على مر الدهور، إذ كانت مطمح أنظار الغزاة والفاتحين فحوصرت مراراً حصاراً مراً، وهدمت تكراراً على نسائها وأطفالها، وسفكت دماء مواطنيها ليست لسبب إلا لأنهم من سكانها.

وهجرّت تهجيراً قسرياً، وأعيد بناؤها مرات حتى زاد على العشرات، ورغم هذا وذاك ظلت قائمة في هذا الوجود ترفض الموت أو الاندثار، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان، ومحفوراً في القلوب والوجدان.

مدينة القدس قدرها أن تسير فيها كل الاتجاهات والمعتقدات إنها مدينة المتناقضات، قدسيتها في نظر جميع الديانات هو سبب شقائها واضطراب أحوالها، وما انتابها من محن وأحزان.

يا مدينتي ومدينة كل المرابطين حول راية الجهاد، هذا فجرنا قد غزا العتمة، وسيبدد من سمائك الظلام ولن يبقى في أرضك أي رجس للشيطان، فافتحي أبوابك فنحن قادمون لنصلي في مهبط البراق ... في الأقصى... تحت قبة الصخرة - في كل مكان صلى فيه الأنبياء والمرسلين.

فاطمة محمود الجوابرة



جغرافية القدس (*)

تقع القدس الشريف[1] في المنطقة الجبلية التي تمتد وسط فلسطين، وتقع فلسطين في الغرب من قارة آسيا، بين خطي عرض/30°،29° و 15° ، 33 °وبين خطي طول 15°، 34°و 4 ،35°/ شرقي (غرينتش) وتتوسط مفارق الطرق بين آسيا وأفريقيا وأوربا، وتصل ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

ويحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سوريا والأردن، ومن الشمال لبنان وسوريا ، ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة.

وتبلغ مساحة فلسطين حوالي / 27009، كيلو متر مربع (10429 ميلاً مربعاً، وهي مستطيلة الشكل، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو /430كم/، أما عرضها فيتراوح في الشمال بين /15كم و 70كم / وفي الوسط يتراوح العرض بين /72 كم و 95/، بينما يتسع في الجنوب حتى يصل إلى نحو /117/كم[2] .

القدس القديمة:

القدس الشريف مدينة مقدسة فريدة في العالم ليس لها شبيه، فهي المدينة الوحيدة في العالم التي استمرت على حالها منذ حوالي آلفي سنة، إلى أن جاء العهد الإسلامي فوضع القسمات النهائية للمدينة المقدسة الخالدة.

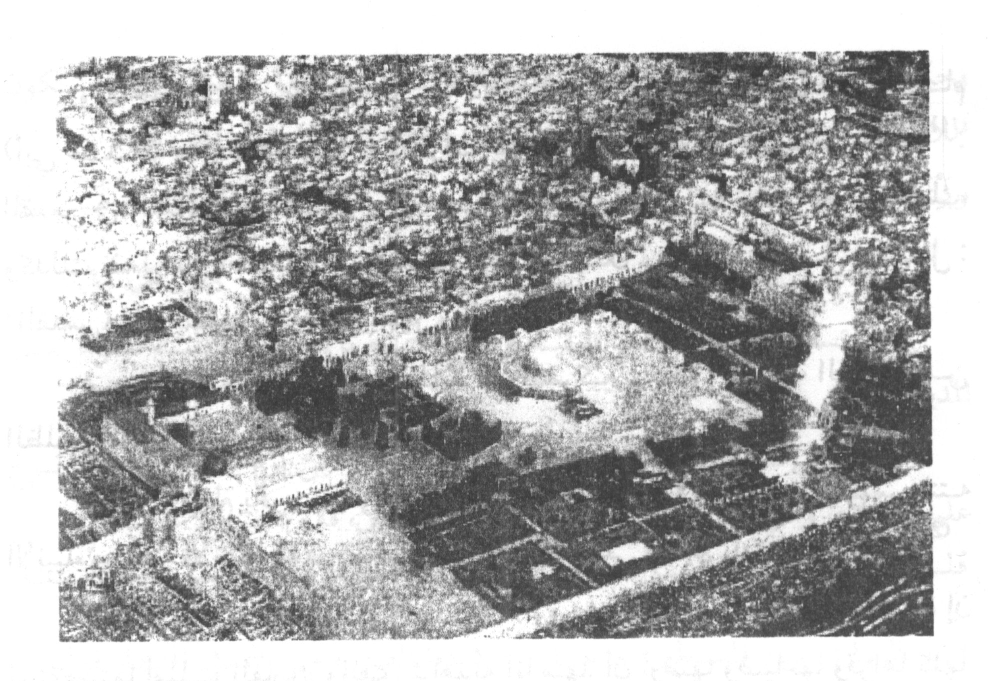
والمدينة المقدسة ذات أزقة ضيّقة، وممرات ملتوية، وطرق مرصوفة بالحجارة الصغيرة، ودرجات مخضرة، وأقواس مسقوفة، وهي بهذا القسمات ترسم ماضيها العريق القديم على مر الدّهور..

وبذلك يكون القدس الشريف يجمع بين أصالة القديم وجلاله، وبين حداثة الجديد وجماله، أي : بين العروبة القديمة والعروبة الحديثة.

(*) كامل العسلي، أثارنا في بيت المقدس.

(1) خالد عبد الرحمن العك، تاريخ القدس العربي، دمشق، مؤسسة النوري، 1986 .

(2) تاريخ فلسطين الحديث، للدكتور عبد الوهاب الكيالي ص 11-12 .



وقد جاء الكشف والبيان عن سرّ ذلك الجمال في (معجم البلدان) للإمام (أبي عبد الله ياقوت الحموي) فذكرها باسميها (المقدس) و (إيلياء)، فقال[1] :

المقدس في اللغة: المنّزه، قال الزجاج: معنى (نقدّس لك) أي: نطهر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه، أي: نطهّره، قال: ومن هذا قيل للسطل: (القدسُ) لأنه يتقدس منه، أي يتطهر، قال: ومن هذا بيت المقدس).

فبُيت المقدس مقُدسٌ من الشرك والمشركين، كما البيتُ العتيقُ من الظلم والظالمين.

ويروي الإمام ياقوت فيقول: (وعن أبن عباس قال: البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنه الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلاّ وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملكٌ)[2] .

ويقول في وصف مدينة القدس: (وقد وصفها القدماء بصفات إن استقصيتما أمللتُ القارئ، والذي شاهدتُه أنا منها: أن أرضها وضياعها وقراها كلها جبال شامخة، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة البتة، وزروعها على الجبال.. وأمّا نفس المدينة فهي على فضاء في سوط تلك الجبال، وأرضها كلها حجر من الجبال التي هي عليها، وفيها أسواق كثيرة وعمارات حسنة).

ثم يقول: (وهي أصغر من مكة وأكبر من المدينة، عليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خنلق، ولها ثمانية أبواب حديد: باب صهيون، وباب النيّة، وباب البلاط، وباب جب أرميا، وباب سلوان، وباب أريحا، وباب العمود، وباب محراب داود، عليه السلام، والماء بها واسع .. وبها ثلاث برك عظام: بركة بني إسرائيل، وبركة سليمان وبركة عياض، عليها حمّاماتهم لها دواع من الأزقة[3] .

وقد أورد الأمام ياقوت اسما آخر للقدس في كتابه هذا فقال[4] : (إيلياء: بكسر أوله واللام، وياء وألف ممدودة: اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله،

([1]) معجم البلدان ج5 / 166/.

([2]) معجم البلدان ج5 /167 .

([3])المصدر السابق ج5 / 169/.

([4]) معجم البلدان ج1 ص 293-294 .

وحكى الحفصي: فيه القصر، وفيه لغة ثالثة، حذف الياء الأولى، فيقال إلياء، بسكون اللام والمدّ ، قال أبو علي: وقد سُمي (البيت المقدس) إيليا بقول الفرزدق :

وبَيْتَان بيتُ اللهِ نحنُ وُلاَتُهُ   وقَصْر بأعْلىَ إيلياء مُشَرّقُ

وقد روى ياقوت بخصوص تسمية القدس ب(إيلياء) عن كعب أنّه قال :

(لا تسمُّوا بيت المقدس إيلياء ولكنْ سمُّوه باسمه، فإنّ إيلياء امرأة بنت المدينة[1].

(وقيل : إنّما سُميتْ إيلياء باسم بانيها، وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أخو دمشق وحمص وأردن وفلسطين، قال بعض الأعراب:

فلو أنّ طيراً كُلفت مثل سيره   إلى واسط من إيلياء لكلّت

سما بالمهارى من فلسطين بعدما   دنا الفيء من شمس النهار فولت

فما غاب ذاك اليومُ حتى اناخها   بميسان قد حلّت عراها وكلّت

كأنّ قطاميّاً من الرحْل طاويا   إذا غمْرة الظلماء عنه تجلت [2]

ولمّا سئل ياقوت : أي بلد أجل . قال : المقدس، قيل : فأيها أطيب؟ قال : المقدس ، قيل : فأيّها أفضل ؟ قال : المقدس، قيل : فأيها أحسن ؟ قال : المقدس، قيل : فأيها أكثر خيرات ؟ قال : المقدس، قيل : فأيها أكبر؟ قال : المقدس، فتعجب أهل المجلس من ذلك، وقيل : أنت رجل مُحصّل وقد أدعيت مالا يقبل منك، فقال : أما قولي : أجلُ : فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة، فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها، ومن كان من أبناء الآخرة فدعتهُ نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها، وأما طيب هوائها: فإنه لا سم لبردها، ولا أذى لحرها. وأمّا الحسن، فلا يرى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها، ولا أنزه من مسجدها، وأما كثرة الخيرات: فقد جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبل، والأشياء المتضادة، كالأترج واللوز والرطب

([1]) المصدر السابق ج5 ص 167 .

([2]) المصدر السابق ج 5 ص 167 .

والجوز والتين والموز، وأما الفضل: فهي عرصه القيامة ومنها النشـر وإليـها الحشـر، وإنّما فضلّتْ مكّة بالكعبة، والمدينة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويـوم القيامـة تزفّان إليها فتحوي الفضل كلّه . وأما الكـبر: فـالخلائق يحشـرون إليـها، فـأي أرض أوسع منها ؟؟!

قال ياقوت: فاستحسنوا ذلك وأقروا به).

ما قيل في أسمائها:

تقدم القول في أسمى القدس : (بيت المقدس، وإيلياء) فيما ذكره الإمام يـاقوت في معجم البلدان.

وهنا سنستعرض ما قيل فيها من تسميات أخر :

لقد أطلق القدماء على القدس أسماء أخرى، منها (مدينة اليبوسيين) لسـكانها الأقدمين، كما سميت بـ مدينة سالم) باسم الملـك اليبوسـي (سـالم اليبوسـي) الـذي أسهم إسهاماً كبيراً في بنائها وتحصينها ورعايتها، وهذا ما ذكرته التوراة بلفظ (شـالم) [1] والسّين في العبرية شيّن كما في قولهم في (موسى) (موشي) .

كما أطلق عليها (مدينة السلام) نسبة للملك (مليكيصـادق) الـذي اشـتهر بحبه للسلام، كما تذكر الروايات القديمة في تواريـخ الأمـم السـالفة أنّ مليكصـادق نزل بأرض بيت المقدس، وقطن بكهف من جبالها يتعبّد فيه، واشتهر أمره حتى بلـغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس وبالشام، فلما رأوه وسمعـوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حباً شديداً ، ودفعوا له مالاً ليعمر به مدينة القدس، فاختطـها وعمرها، وسميت (بروشلم)، ومعناه بالعبرانية (بيت السلام) [2] .

ومما تجدر الإشارة به هنا أنّ هذا الرجل الصالح لم يختَرْ هذا المكان الطـاهر، ولم يساعْده على بنائه الملوك المجاورون له، لمجـرد الـرأي ، وإنمـا كـان ذلـك لمـا عـهد عنـه بالقدسية والشرف والمكانة الرفيقة عن الأنبياء السابقين.

([1]) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح /14/ العدد 18 .

([2]) الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل: للقاضي مجبر الدين الحنبلي ج1 ص 8.

ويؤكد الدكتور فيليب حتى في كتابه (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين : بأن أصل الاسم من الكنعانيين (بأورشالم) بمعنى (دع شالم يؤسس) [1] .

والواقع أنّ هذه الأسماء المتعددة لا تخرج عن كونها نابعة أو صادرة عن اسم لشخص بنا أو شيد، كما مر في تسمية (إيلياء) في رواية كعب، بأنّه اسم امرأة بنت بيت المقدس بمالها[2] .

وعلى هذا .. فإنّ اسم (أورشليم) كان معروفاً وموجوداً قبل دخول بني إسرائيل هذه المدينة. ومن الواضح أنّ تسمية القدس (بأورشليم) ليس اسماً دينياً، إنما هو اسم دنيوي عارض لسبب من الأسباب التي ذكرت، ولكنّ اليهود أدخلوه في توراتهم المحّرفة، لإعطائه السمة الدينية اليهودية التي يتذرعون بها في دعواهم (الحق القديم).

فليس اسم (أورشليم) للقدس مستعملا من قبل اليهود، بل كان كباقي الأسماء التي أطلقت واستعلمت ، قال الأعشى :

قدْ طفتُ للمال آفاقه عمّان فحمص فأوري شلم [3]

ولما دخل الإسلام القدس كان يطلق عليها (إيلياء) كما ورد ذلك في نص وثيقة عمر بن الخطاب لبطريرك القدس آنذاك[4] . وكما جاء ذلك في بعض الأحاديث النبوية[5] ولكنه سرعان ما أعاد إلى القدس تسمية التي كانت في العهود الأولى عهود الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فكانت تسمية الإسلام (القدس أو المقدس) لتلك البلد الطاهر لتسمية الدينية ، التي يقصد منها (التنزه والتطهر والبركة) قال الشاعر :

لا نوم حتى تهبطي أرض القدس وتشبي من خير ماء بقدس

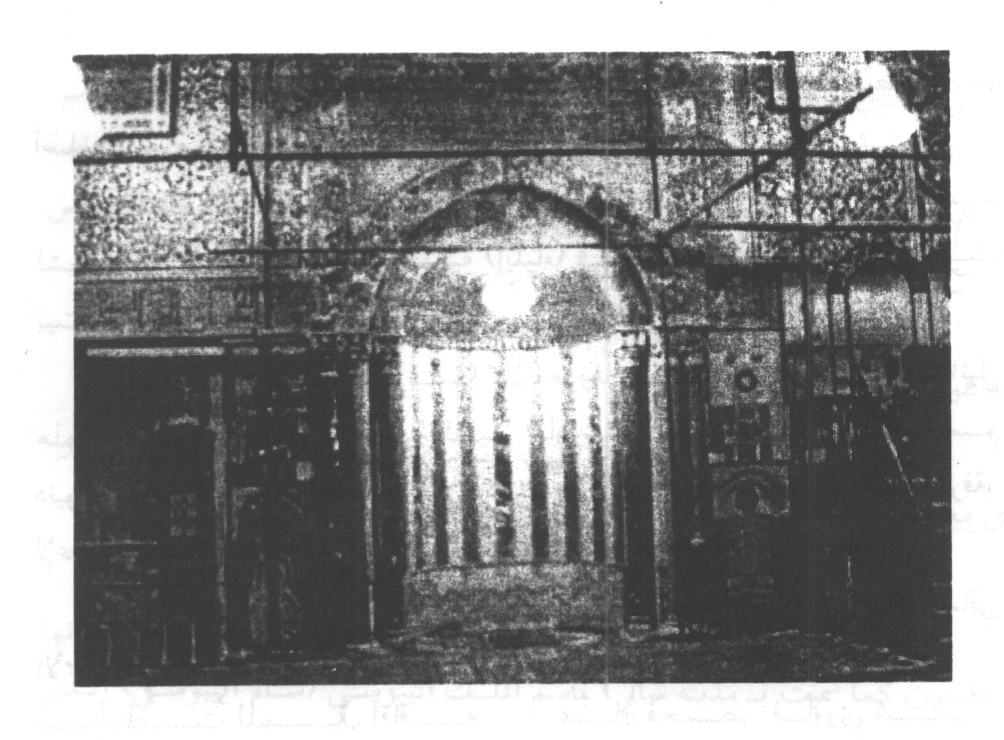
([1]) تاريخ سوريا ج1 ص 73، (58) معجم البلدان لياقوت ج5 /167/ .

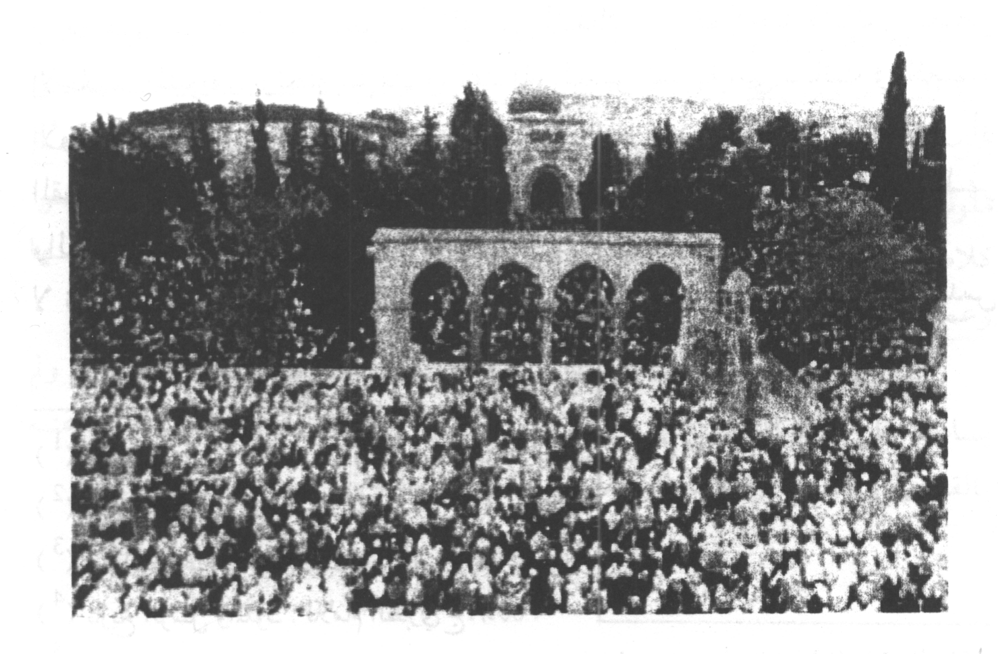
([2]) معجم البلدان لياقوت ج 5 /167/ 1

([3]) النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير ج1 /50/

([4]) تاريخ الرسل والملوك : للأمام الطبري ج609/1 .

([5]) وذلك في ذكر أحداث الإسراء والمعراج، كما ذكرها الحافظ بن كثير في تاريخه (البداية والنهاية ج 108/3 -117 .





وقد أراد بذلك الأرض المقدسة على ما ورد في معاجم اللغة العربية (لسان العرب، وتاج العروس).

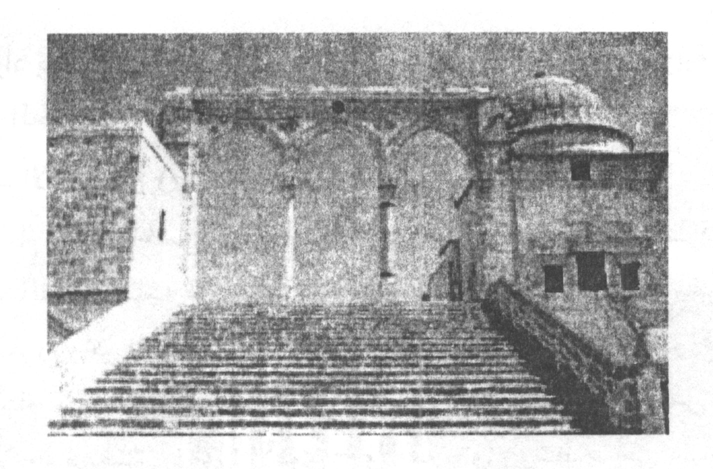
المسجد الأقصى في وصفه القديم:

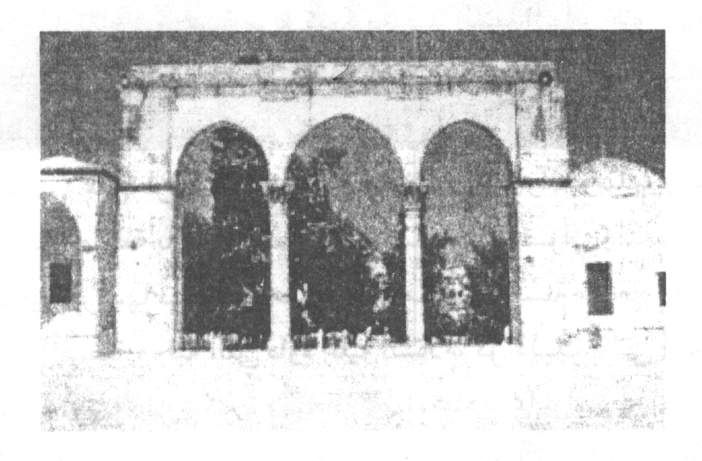
قال الإمام ياقوت الحموي[1] (وأما الأقصى : : فهو في طرفها الشرقي - أي : القدس - نحو القبلة، أساسه من عمل داود عليه السلام، وهو طويل عريض، وطوله أكثر من عرضه، وفي نحو القبلة ، المصلى الذي يخطب فيه للجمعة، وهو على غاية الحسن والإحكام، مبني على الأعمدة الرخام الملونة والفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها، لا جامع دمشق - أي : الأموي - ولا غيره، وفي وسط صحن هذا الموضع مصطبة عظيمة في ارتفاع نحو خمسة اذرع كبيرة يصعد إليها الناس من عدة مواضع بدرج، وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة على أعمدة رخام مسقفة برصاص منّمقة بالفسيفساء، مُطبقة بالرخام الملون قائم ومسطح، وفي وسط الرخام قبة أخرى، وهي قبة الصخرة التي تزار، وعلى طرفها أثر قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحتها مغارة تنزل إليها بعدّة درج مبلطة بالرخام قائم ونائم، يُصلى فيها وتزار، ولهذه القبة أربعة أبواب، وفي شرقيها برأسها قبة أخرى على أعمدة مكشوفة حسنة مليحة، وقبة المعراج أيضاً على حائط المصطبة ، وقبة النبي داود عليه السلام، كل ذلك على أعمدة مطبق أعلاها بالرصاص، وفيها مغاور كثيرة ومواضع يطول عددها مما يزار ويتبرك به).

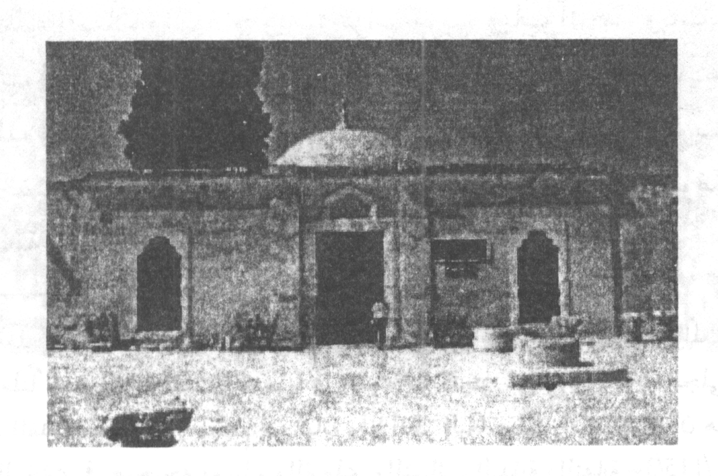
قال : (وفي المسجد عشرون جبّاً مشجرة، قلّ أن تكون حارة ليس بها جب مسيل.. ويدخل المسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً، منها : باب الحطة ، وباب النبي عليه الصلاة والسلام، وباب محراب مريم، وباب الرحمة، وباب بركة بني إسرائيل وباب الأسباط، وباب الهاشميين وباب الوليد وباب إبراهيم عليه السلام، وباب أم خالد، وباب داود عليه السلام، وفيه من المشاهد: محراب مريم وزكريا ويعقوب والخضر، ومقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجبرائيل، وموضع المنهل والنور والكعبة والصراط، متفرقة فيه).

---

(1) وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حين عودته من الإسراء والمعراج، حيث يقول معلناً اسم المدينة (بيت المقدس) في حديثه (لما كذبتني قريش في الحجر، فجلى الله ذكرها لي بيت المقدس، فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر إليه) ويذكر ابن كثير أن هذه الرواية ذكرها البخاري في صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي. البداية والنهاية ج115/3/ .







قال : (وطول المسجد ألف ذراع بالذراع الهاشمي، وعرضه سبعمائة ذراع، وفي سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود ورخام، وعلى السقوف خمسة وأربعون ألف شقة رصاص، وحجم الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعاً في سبعة وعشرين، وتحت الصخرة مغارة تزار ويصلي فيها تسعمائة وستين نفساً).

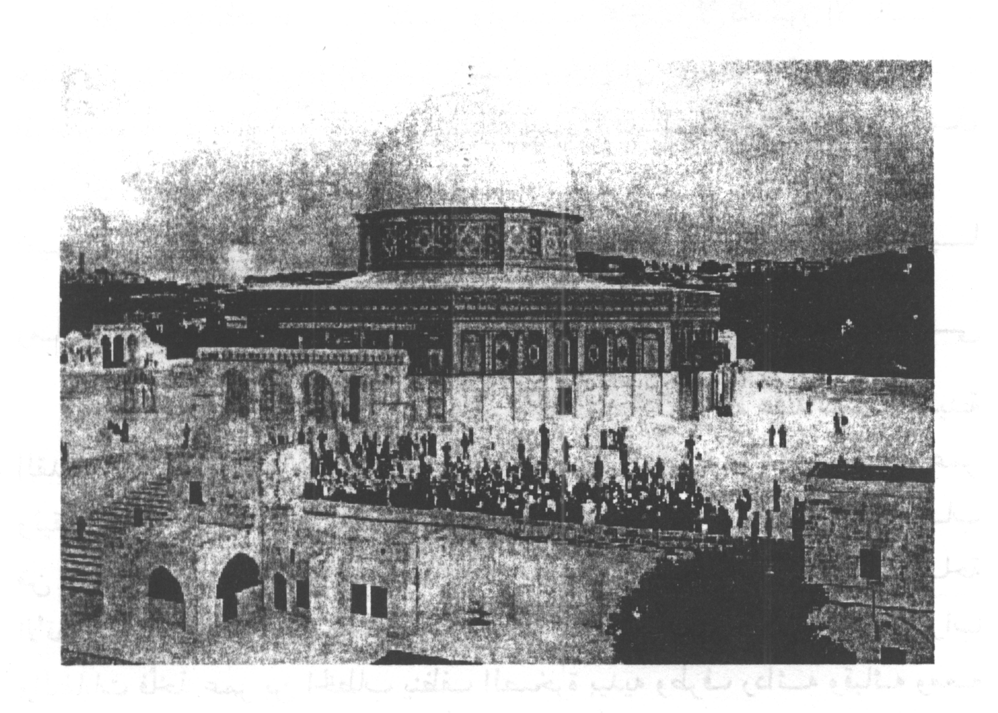
قال : (وفي المسجد أماكن كثيرة وأوصاف عجيبة لا تتصور إلا بالمشاهدة عياناً. ومن أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فيه في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها، ولذا قيل : (إن الله نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال)!

أهيم بقاع القدسِ ما هبّت الصبّا فتلكَ رباعُ الأنس في زمن الصبا

وما زلتُ في شوقي إليها مواصلاً سلامي على تلك المعاهد والرُّبى

وعندما حضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتسلم مدينة القدس، كما طلب صفرونيوس بطريرك الروم من أبي عبيدة بن الجراح وكتب عمر وثيقة الأمان التي سميت (العهدة العمرية) سنة 15هـ/636م طلب عمر بن الخطاب من صفرونيوس أن يدله على مكان الأقصى المبارك والصخرة المشرفة وكانت ساحة الأقصى وقتها مهملة مهجورة فدله على مكان الصخرة التي كان يعلوها التراب والنفايات فأخذ عمر بن الخطاب ينظف الصخرة بيديه وطرف ردائه وقبائه ومعه الصحابة يرفعون التراب حتى نظفت الصخرة تماماً. والتي لها منزلة خاصة في قلوب المسلمين حيث عرج الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء منها في ليلة الإسراء والمعراج وعلى طرفها الأيمن يبدو اثر قدمي الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

وقد أمر عمر بن الخطاب ببناء مسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين عند الصخرة . ومن الذين رأوا المسجد (الذين أقيم عند الصخرة – قبل مسجد الصخرة الحالي – وكان يسمى مسجد عمر) بأم أعينهم السائح. اركولف الذي زار القدس وكذلك السائح المؤرخ جيروم الذي زار القدس بعده بقليل وقالا أن ذلك المسجد كان مبنياً من الخشب وكان يتسع فعلا لثلاثة آلاف مصل لكنه لم يصمد وتهدم – فيما ب نتيجة لبعض الزلازل والعوامل المناخية الأخرى.



وعندما عزم عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية على بناء مسجد يليق بمكانة القدس في الإسلام وبمكانة قدسية الصخرة المشرفة ويتناسب مع عظمة الإسلام ولما لهذه الصخرة من منزلة دينية ومكانة روحية عند المسلمين كتب إلى ولاة الدولة الإسلامية ليأخذ مشورتهم ويقف على رأي بلادهم في الفكرة فأشاروا عليه بالإقدام على هذا العمل واثنوا على الفكرة وشجعوه على تنفيذها.

فشرع عبد الملك بن مروان في بناء مسجد قبة الصخرة المشرفة سنة 66/65هـ فوق وحول الصخرة المشرفة مباشرة وسط الحرم القدسي الشريف بتصميم فريد لم يعرف من قبل في عمارة المساجد الإسلامية ليتميز ببساطة التصميم وتناسق الأجزاء ودقة النسب وليتفوق على سائر المباني الإسلامية بجماله الأخاذ وفخامته، وروعته، وإبداع زخرفته، ورسومه. وقد عهد عبد الملك بن مروان في إدارة العمل والإشراف عليه اثنين من رجاله وهما : رجاء بن حياة الكندي من كبار علماء المسلمين في عصره، وكان نبيلاً كاملاً ويسمى (سيد أهل الشام) وهو عالم تقي مشهور ويزيد بن سلام من أهل القدس نفسها وهما من الخبراء فيما اسند إليهما. وبعد أن تم بناء المسجد الذي استغرق سبع سنوات في سنة 72هـ ، تبقى من المبالغ المخصصة للبناء والعمارة والزخرفة مائة ألف دينار وعندما أعادها للخليفة عبد الملك بن مروان أمر بمنحهما هذا المبلغ جائزة لهما على ما بذلاه من جهد متواصل في الإشراف على بناء مسجد القبة فاعتذر ابن حياة وابن سلام عن قبول المبلغ. قائلين للخليفة: - "أننا أحق وأولى أن نزيد في ذلك من حلي نسائنا فضلاً عن أموالنا ضع المبلغ حيث شئت في مصالح المسلمين).

وحول دوافع وأسباب عبد الملك بن مروان لبناء وتشييد مسجد قبة الصخرة المشرفة واهتمامه بإظهاره بهذا القدر الفريد من الروعة والأبهة والفخامة والجمال فقد تواردت روايات عديدة أهمها ما أورده المؤرخون المسلمون .

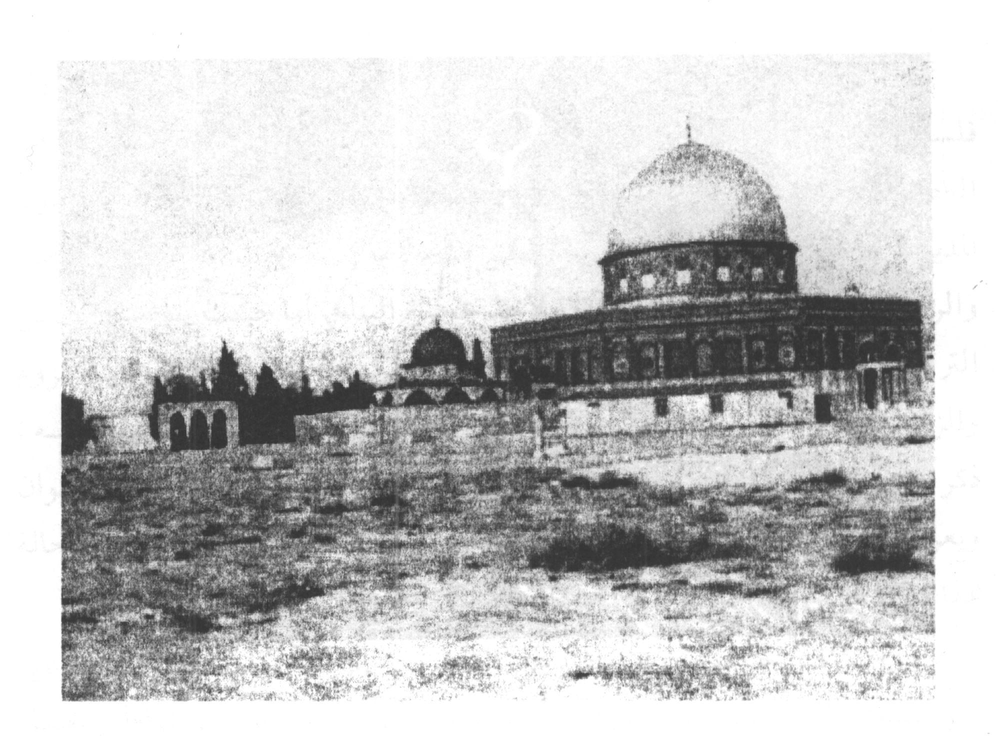
فأورد أبو عبد الله بن أحمد البشاري المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وأكد عليها معظم المؤرخين المسلمين (أن عبد الملك عندما رأى عظمة قبة القيامة وهيبتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى .. واتخذها للمسلمين مسجد شغلهم به عنها وجعله منه عجائب

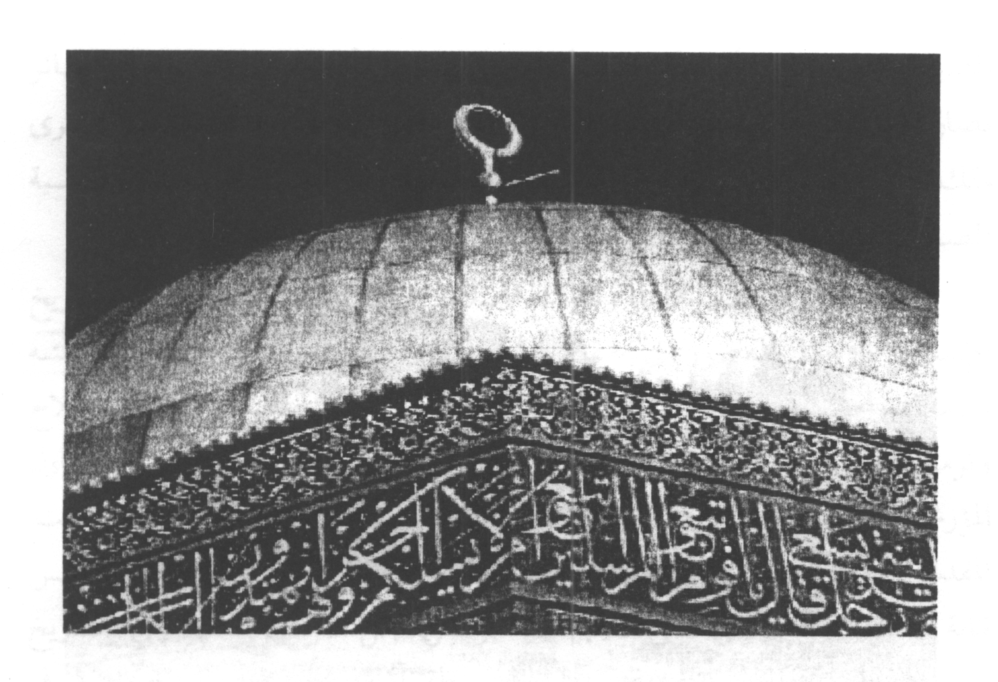
الدنيا). وليس غريبا أن يفكر عبد الملك بن مروان في أن يكون للمسلمين عمائر تضارع ولا تقل فخامة عن كنيسة القبر المقدسي التي جددت بعد أن دمرها كسرى ملك فارس قبل الإسلام وفي البهاء والعظمة وفخامة تليق بمكانة وقدسية الصخرة المشرفة.

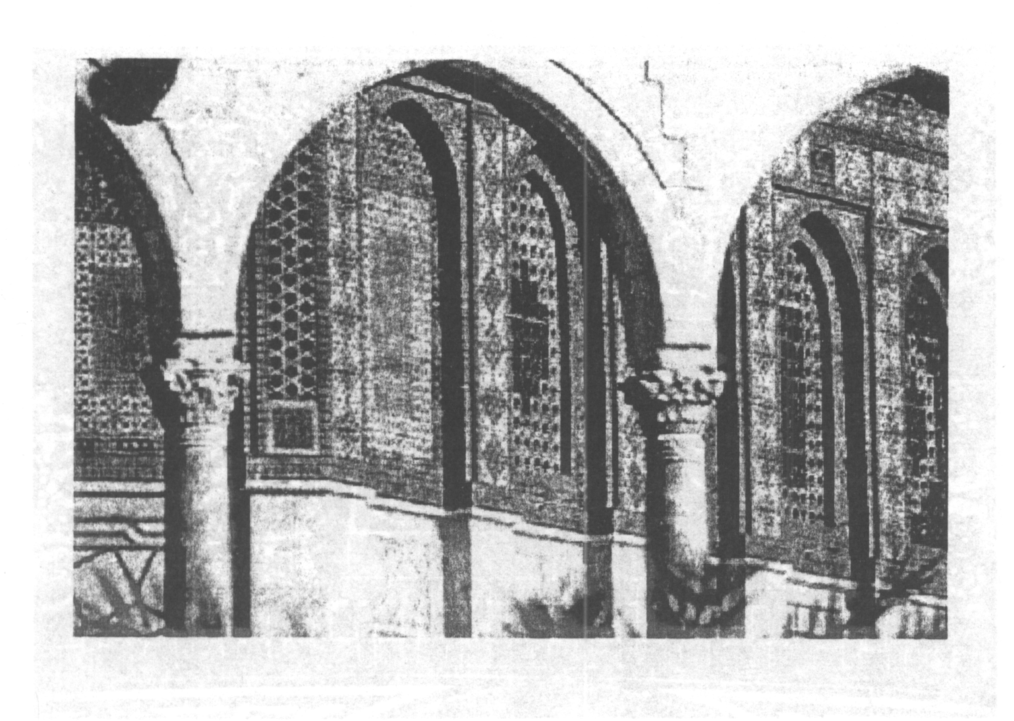
وقد تسابق معظم الخلفاء والحكام المسلمين والسلاطين على مدار التاريخ الإسلامي وفي كل العصور إلى الحفاظ على هذا الرمز الإسلامي الكبير وصيانته وترميمه وتحريره من كل غاصب وتقديم كل ما هو ثمين لخدمة وكسوة وإصلاح وترميم كل ما يصيب قبة الصخرة المشرفة. وكذلك المسجد الأقصى وتناول المؤرخون والكتاب وعلماء الآثار والفنون وحتى الرحالة والمستشرقون أوصاف بيت المقدس ودرته المكنونة الحرم القدسي الشريف بمسجده الأقصى وقبته المشرفة من كافة الأوجه . وقد اجمعوا على أن قبة الصخرة من اجمل الأماكن الشهيرة في التاريخ وهي أجمل الأبنية الموجودة فوق سطح البسيطة، أنها عبقرية في البناء وجمال في تناسب الأبعاد، ففي المعمار بنيت الأركان والأعمدة محروقة حتى لتظهر أمام الداخل إلى المسجد من أي جهة كل أطراف المكان فلا يقاطع بصره شيء من الأبنية هذا يظهر المكان أفسح وأكثر اتساعاً مما هو حقيقة. روعة في الكساء الداخلي والخارجي.. كسيت جدرانه بالرخام الرمادي المعرق، وبالقيشاني، والخزف المزين المرقش بالأبيض على خلفية زرقاء وفي الداخل كسيت الجدران بأبهى وأثمن أنواع الرخام الملون. وفسيفساء الزينة أنيقة دقيقة في نقوشها.

ما ذكره الرحالة عن بيت المقدس

وصف الرحالة العربي الإدريسي المتوفى عام 560 هـ : 1165 م بيت المقدس بقوله : [مدينة جليلة ، قديمة البناء ، وكانت تسمى إلياء . وهي على جبل يُصعد إليها من كل جانب ، وهي بذاتها طويلة . وطولها من المغرب إلى المشرق . وفي طرفها الغربي باب المحراب . وهذا الباب عليه قبة داود . وفي طرفها الشرقي باب يسمى " باب الرحمة " . وهو مُغلق لا يفتح إلا من عيد الزيتون لمثله . ولها من جهة الجنوب باب صهيون ، ومن جهة الشمال باب " عامود الغراب " .







وفي سنة 1172 م : (567هـ) ، أي قبل معركة حطين بمدة قصيرة زار فلسطين الحاج تيودوريتش ، الألماني . وهو كما يقول صاحب رواد الشرق العربي في العصور الوسطى " أول كاتب أوروبي في القرون الوسطى يعني بوصف حول المدينة المقدسة . وهذه الجبال صخرية ، لكن صخورها جميلة ، فيها الأبيض والأحمر والرخام المتعددة الألوان وكلها صالحة لأخذ حجارة البناء . أما حيث يتجمع بعض التراب بين الصخور فتنمو جميع أنواع الفواكه ، وتكون الجبال مكسوة بالكروم والزيتون والتين. وأما الأودية فتملأها الحبوب والبساتين . وفي أحد فصول كتابه : ذكر جبال القدس وأوديتها ويوضح ، علاقتها بعضها ببعض . ويذكر عين سلوان ويعرض لأسطورة تقول إن ماء هذه العين يأتي من شيلوه ثم ينقذها ذاكراً استحالة هذا الأمر من ناحية طبوغرافية] . [1]

وفي موقع آخر قال تيودوريتش عن القدس ما يأتي : [يغلب على شوارعها أنها مبلطة بألواح كبيرة من الحجارة وأنها مسوقة بعقود حجرية . فيها نوافذ يدخل منها النور وبيوتها مبنية من الحجر الجميل النقش ، وأسطحتها مستوية ، ليست كأسطحة بيوتنا المنتهية بمخروط ويجمع السكان ماء المطر في آبار لأنه لا يوجد أي ماء آخر في بلدهم . والخشب غالي الثمن في بلاده لبعد مورده) [2]

(بالقرب من كنيسة يوحنا المعمدان يقوم مستشفى ، يقيم فيه عدد كبير من الرجال والنساء المرضى ، وينالون العناية التي تكلف نفقات باهظة . وقد بلغني لما كنت هناك ، أن عدد المرضى أولئك بلغ الألفين ، وقد بلغ عدد الموتى منهم الخمسين في اليوم الواحد . وقد يعالج في العيادة الخارجية مثل عدد المرضى المقيمين في المستشفى هذا فضلاً عن أعمال الإحسان التي لا تقدر إذ يتصدق يومياً على السائلين وأبناء السبيل بالخبز ...) .

---

(1) رواد الشرق العربي ص 84 .

(2) رواد الشرق العربي في العصور الوسطى 136 . وفي هامش هذا المصدر : جاء وصف لمدينة القدس لمؤلف مجهول من القرن الثاني عشر أن أسواقها كان يباع فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان . ويصف الكاتب أسواق اللحامين والعطارين بعناية خاصة ويقول أن الحوانيت التي يباع فيها الطعام المطهو كثيرة .

وبعد أن نقل وصف البشاري للقدس نقلاً عن كتابة " أحسن التقاسيم " تحدث عن تاريخ القدس منذ دخول عمر بن الخطاب إليها حتى أيامه . ومما ذكره : (ولم تزل (أي بيت المقدس) على ذلك بيد المسلمين ، والنصارى من الروم والإفرنج والأرمن وغيرهم من سائر أصنافهم يقصدونها للزيارة إلى بيعتهم المعروفة بالقُمامة (القيامة) وليس لهم في الأرض أجل منها حتى انتهت إلى أن ملكها سُكمان بن أرتق وأخوه ايلغازي جدّ هؤلاء الذين بديار بكر صاحب ماردين وآمد ، والخطبة تقام فيها لبني العباس ، فاستضفهم المصريون وأرسلوا إليهم جيشاً لا طاقة لهم به ، وبلغ سكمان وأخاه خبر ذلك فتركوها من غير قتال . وانصرفوا نحو العراق. وقيل : بل حاصروها ونصبوا عليها المجانيق ثم سلموها بالأمان ورجع هؤلاء إلى نحو المشرق وذلك في سنة 491 هـ .

ثم ذكر ياقوت خروج الفرنج من بلادهم واستيلائهم على القدس إلى أن يقول : (ولم يزل في أيديهم حتى استنفذه منهم الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة 583 هـ بعد إحدى وتسعين سنة أقامها في يد الإفرنج . وهي الآن في يد بني أيوب ، والمستولي عليهم الآن منهم الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب . وأنهى حديثه بقوله : (من أعظم محاسنه (أي الحرم الشريف) أنه إذا جلس إنسان فيه في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها. ولذا قيل إن الله نظر إليه بعين الجمال ونظروا إلى المسجد الحرام بعين الجلال :

أهيم بقاع القدس ما هبّت الصبا	فتلك رباع الأنس في زمن الصبا
وما زلتُ في شوقي إليها مواصلاً	سلامي على تلك المعاهد والربى

والحمد لله الذي وفقتني لزيارته [1]

وذكر ياقوت الساهرة بقوله : (موضع ببيت المقدس . وقال أبو عباس : الساهرة أرض القيامة أرض بيضاء لم يسفك فيها دم [2] .

---

(1) معجم البلدان 166/5 - 171 بتصرف .

(2) نفس المصدر 3 / 102 .

وتحدث القزويني المتوفى عام 682 هـ : 1283 م في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) عن القدس ومما جاء قوله : " بيت المقدس هي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائط ومهبط الوحي . بناها داود وفرغ منها سليمان ... والتي عليها الآن أرضها وضياعها جبال شاهقة ، وليس بقربها أرض وطيئة وزروعها على أطراف الجبال بالفؤوس لأن الدواب لا عمل لها هناك .

وأما نفس المدينة ففي فضاء في وسط ذلك وأرضها كلها حجر ، وفيها عمارات حسنة ، وشرب أهلها من ماء المطر . وليس فيها دار إلا وفيها صهريج . مياهه تجتمع من الدروب ، ودروبها حجرية ليست كثيرة الدنس لكن مياهها رديئة . وفيها ثلاث برك : بركة بني إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض " [1]

ذكر " أبو الفداء المتوفى سنة 732 هـ : 1331 م بيت المقدس في مؤلفه تقويم البلدان (ص 241) بقوله : [بيت المقدس : بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وفي الآخر سين مهملة ، وبيت المقدس بناه سليمان بن داود . وبقي حتى خربه بختنصر . ثم بناه بعض ملوك الفرس . وبقي حتى خربه طيطس ملك الروم . ثم بني ورمم مع الطول . وبقي حتى قسطنطين وأمه هيلانة . وبنيت القيامة " على القبر الذي يزعم النصارى أن عيسى دُفن فيه . وخربت البناء الذي كان على الصخرة [2] وألقت على الصخرة زبالة البلد عناداً لليهود . بقي كذلك حتى فتح عمر القدس . فدله على موضع الصخرة بعضهم. فنظفه وبنى على الصخرة مسجداً . وبقي حتى تولى الوليد بن عبد الملك فبنى فيه قبة الصخرة على ما هي عليه اليوم] .

ونزل القدس الرحالة الشهير ابن بطوطة المتوفى عام 779 هـ : 1377 م ذكرها برحلته بقوله : ثم سافرت من هذه المدينة (الخليل) إلى القدس فزرت في طريقي إليه تربة يونس [3] عليه السلام ، وعليها بنية كبيرة ومسجد ، وزرت أيضاً

---

(1) 159 - 161 .

(2) أي (الهيكل) .

(3) حلحول .

بيت لحم موضع بلاد عيسى عليه السلام ، وبه أثر جذع النخلة ، وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد تعظيم ، ويضيفون من نزل به .

ثم وصلنا إلى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ، ومعرجه إلى السماء . والبلدة كبيرة منيفة بالصخر المنحوت ، وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب جزاه الله عن الإسلام خيراً ، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض [1] الملك الظاهر هدمه خوفاً من أن يقصدها الروم فيمتنعوا بها ، ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم ، وجلب لها الماء في هذا العهد سيف الدين تنكر أمير دمشق [2] .

ثم وصف الرحالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

واتبع ابن بطوطة أقواله بذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف . قال: فمنها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على تل مرتفع هنالك بُنية يقال إنها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء ومنها أيضاً قبر رابعة البدوية منسوبة إلى البادية وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة .

وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى ، ويقولون إن قبر مريم عليها السلام بها [3] ، وهناك أيضاً كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون أن قبر عيسى عليه السلام بها وهنالك موضع عيسى عليه السلام يتبرك به [4]] .

ثم تطرق الرحالة إلى ذكر بعض فضلاء القدس في رحلته فقال : [منهم قاضية العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزي وهو من أهل غزة وكبرائها ، ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ، ومنهم مدرّس المالكية وشيخ الخانقاه

---

(1) استنقضه ، طلب نقضه أي هدمه .

(2) الرحلة ص 57 .

(3) أي كنيسة مريم.

(4) الرحلة ص 59 .

الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس ، ومنهم الشيخ الزاهد أبو علي حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصلحين ، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمل الدين المراغي ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرز الروم ، وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعي ، صبته ولبستُ منه خرقة التصوف] [1] .

وفي زيارته لبيت المقدس عام 749 هـ : 1348 م قال : [ثم سافرت إلى عجلون ، ثم إلى بيت المقدس ، ووجدت الوباء [2] قد ارتفع عنه ، ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضي القضاة بمصر ، وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبه على الخطابة ألف درهم في الشهر] [3] .

ورأيت صبياناً جالسين على الأرض في صفوف وكانوا كلهم يرددون مجتمعون نفس الكلمات بصوت عال ويهزون رؤوسهم أماماً وخلفاً ، وقد استطعت أن أحفظ الكلمات التي رددوها مع موسيقاها ، وهي أول ما يعلمون صبيانهم لأنها أصول عقيدتهم] . [4]

وفي عام 1487 م جاء إلى القدس الرحالة اليهودي " عوبد يا جارية " واستقر بها إلى وفاته عام 1500 م . ومن أقواله عنها : [رغم أن القدس قد تهدمت ، فإنه لا يزال فيها أربع أسواق جميلة ، مما لم أرَ له من قبل شبهاً . كلها مسقوفة بالقباب ، وتحوي جميع أنواع المتاجر . وهذه الأسواق الأربع هي ، سوق التجار وسوق العطارين وسوق الخضار وسوق الأطعمة المطبوخة والخبز .

وقد كانت موجة من القحط تجتاح البلاد لما هبطت القدس . فقد كانت حصة الشخص الواحد من الخبز لا تتجاوز بضعة دراهم للوجبة الواحدة لكن الجوع لم يدم لأن المحصول كان جيداً في الموسم التالي .

---

(1) الرحلة ص 59 .

(2) وهذا الوباء هو " الموت الأسود " أو الفناء الكبير الذي اجتاح أوروبا بين سنة 1348 و 1349 م وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً وهو الوباء الذي سماه ابن خلدون بالطاعون الجارف .

(3) الرحلة : 65 .

(4) رواد الشرق العربي 120 و 198 – 200 بتصرف قليل.

والبيت الذي أقيم فيه تقيم فيه خمس نساء كرجل أعمى . والحمد لله الذي منّ عليّ في حلّي وترحالي فإن أكثر الأغراب الذين يأتون إلى القدس يصيبهم مرض ما بسبب تغير الجو المستمر إذ الرياح على اختلاف أنواعها تهب على هذه المدينة . ويقال أن كل ريح يجب أن تمر بالقدس ليباركها الرب قبل اتمام اتجاهها وسبحان الذي يعلم الحق] .(1)

ووصف العليمي مدينته في مؤلفه (الأنس الجليل) الذي انتهى من تأليفه عام 901 هـ : 1496 م وصفاً مسهباً نقتطف ، بتصرف ، منه ما يلي :

[وأما مدينة القدس في عصرنا فهي مدينة عظيمة محكمة البناء . وهي بين جبال وأودية وبعض بناء المدينة مرتفع على علو وبعضه منخفض في واد وغالب الأبنية التي في الأماكن العالية مشرفة على ما هو دونها من الأماكن المنخفضة وشوارع المدينة بعضها سهل وبعضها وعر وفي غالب الأماكن يوجد أسفله أبنية قديمة وما قد بنى فوقها فهي بنا مستجد على بنا قديم والبناء مشحون لو تفرق على حكم غالب مدن مملكة الإسلام لكان حجم المدينة ضعف ما هو الآن وهي كثيرة الآبار المعدة لخزن الماء لأن مائها يجتمع من الأمطار .

بنايات المدينة : وأما بناء بيت المقدس فهو في غاية الأحكام والإتقان جميعه بالأحجار الفص النحيت وسُقفه معقودة ليس بناية لبن ولا في سقفه خشب . وقد ذكر المسافرون أنه لم يكن في جميع المملكة أتقن عمارة ولا أحسن رؤية من بناء المقدس وفي معناه بناء بلد سيدنا الخليل عليه السلام لكن بناء القدس أمثل وأتقن ويقرب منه بناء مدينة نابلس فهذه المدن الثلاث بناؤها متقن لكونها في الجبل والأحجار فيها كثيرة متيسرة . وأما رؤية بيت المقدس من بعد فمن العجائب في نورانيتها وحسن منظرها وأحسن رؤيتها من الشرق إذا كان الإنسان على جبل طور زيتا وكذلك من جهة القبلة وأما من جهتي الغرب والشمال فلا يرى منها من بعد إلا القليل لموارة الجبال لها . فإن بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام في جبال كثيرة الأوعار والأحجار والسير فيها مشق والمسافة فيها بعيدة فإن الجبال المحيطة

---

(1) رواد الشرق العربي ص 198 وص 199 .

بالبلدتين مسافتها تقريباً ثلاثة أيام طولاً ومثلها عرضاً سير الأثقال ولكن إذا منّ الله على قاصد الزيارة بالوصول إلى المسجد الشريف الأقصى وإلى المقام الشريف الخليلي فمن رؤيته لتلك الأماكن المشرفة يحصل له من الأنس والبهجة لا ما يكاد يوصف ويسلو ما حصل له من المشقة والنصب .

أسواقها : فمن ذلك سوق القطانين المجاور لباب المسجد من جهة الغرب وهو سوق في غاية الإتقان لم يوجد مثله في كثير من البلاد . وأيضاً الأسواق الثلاثة المتجاورة بالقرب من باب المحراب المعروف بباب الخليل وهي من بنا الروم ممتدة قبله بشام ومن بعضها البعض منافذ فالأول منها هو الغربي سوق العطارين وقف الملك صلاح الدين رحمه الله على المدرسة الصلاحية والذي يليه وهو الأوسط لبيع الخضروات والذي يليه لجهة الشرق لبيع القماش وهما وقف على مصالح المسجد الأقصى الشريف وقد ذكر المسافرون أنهم لم يروا مثل الأسواق الثلاثة في الترتيب والبناء في بلد من البلاد وأن ذلك من المحاسن التي لبيت المقدس .

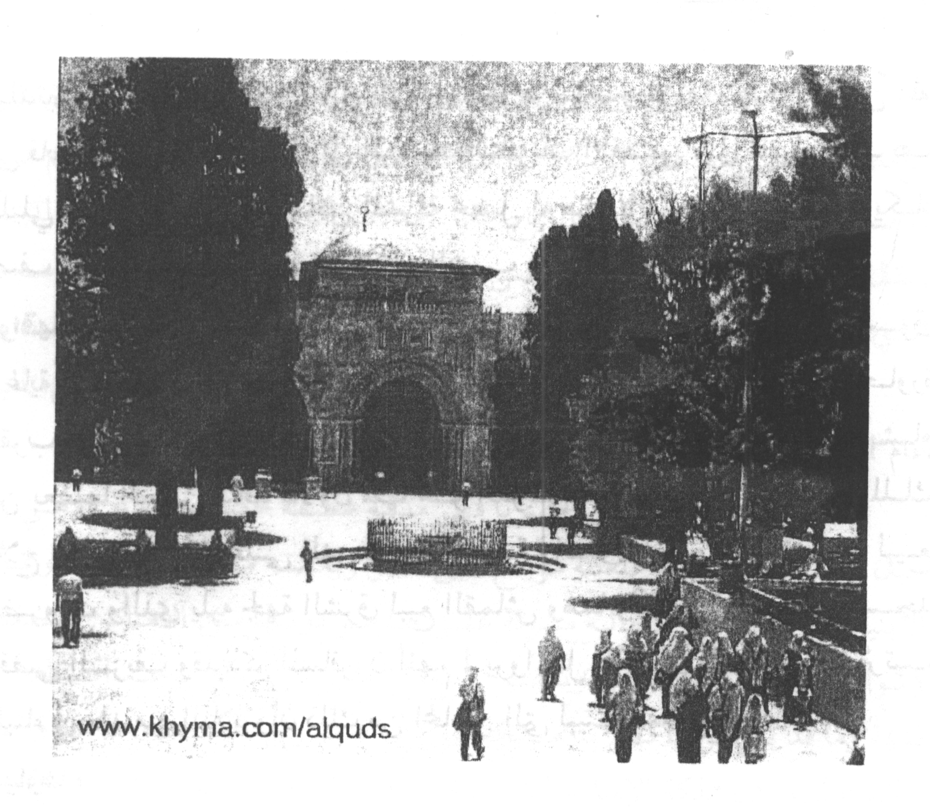
أحياؤها :

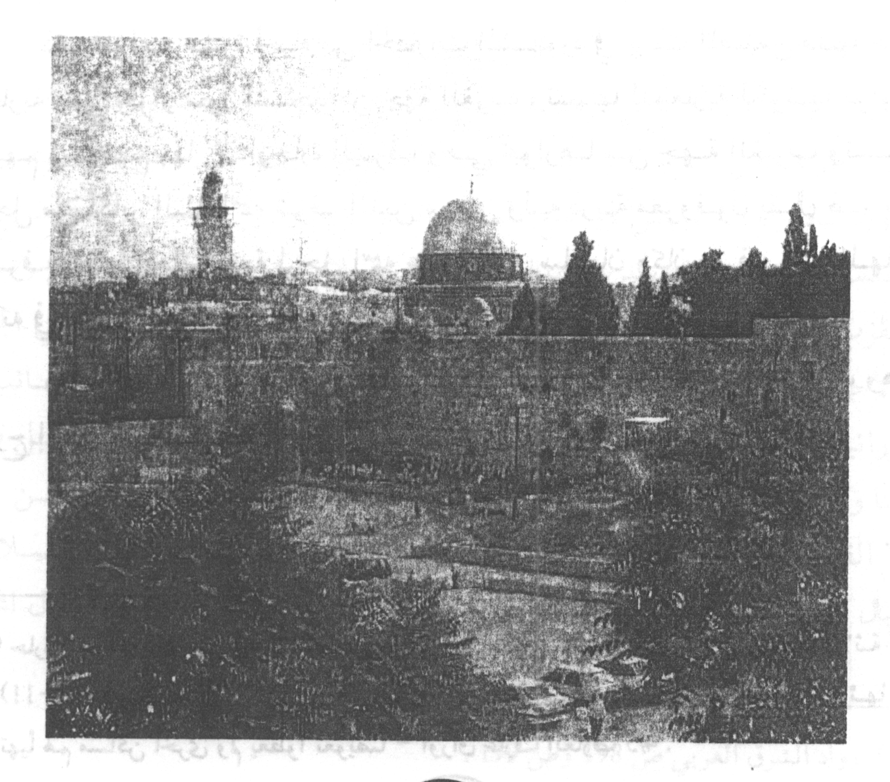
ذكر المؤلف عشرة أحياء من الحارات المشهورة في بيت المقدس منها حارة المغاربة وهي بجوار سور المسجد من جهة الغرب ونسبتها للمغاربة لكونها موقوفة عليهم وسكنهم بها [1] . وحارة الشرف وهي بجوارها من جهة الغرب ونسبتها لرجل من أكابر البلد اسمه شرف الدين موسى وله ذرية معروفون يقال لهم بنو الشرف وحارة العَلم نسبة لرجل اسمه علم الدين سليمان وكان يعرف بابن المهذب وفاته في حدود السبعين والسبعمائة .

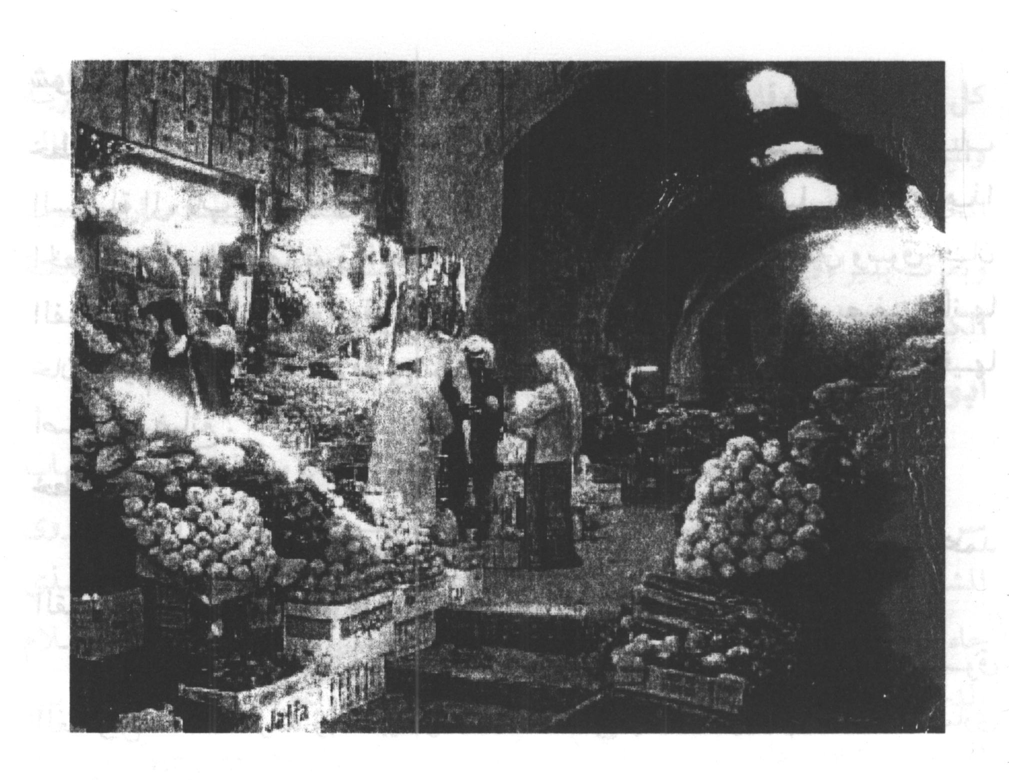
وتابع المؤلف ذكر بقية أحيائها منها حارة الصلتيين وحارة بني حارث وهي خارج البلد عند القلعة .

---

(1) حارة المغاربة وقف أبي مدين الغوث وبها زاويته . هدم العدو الإسرائيلي في مدة ثلاثة أيام (11-13 حزيران 1967) 135 بيتاً من بيوتها . ولم يمهل ساكنوها سوى يوم واحد لإخلائها ولما تهيأ لهم مساكن أخرى ولم يعطوا تعويضاً - أوراق عارف العارف 4/5 .


www.khyma.com/alquds




Jaffa

شوارعها :

خط داود : وهو الشارع الأعظم وابتداؤه من باب المسجد الأقصى المعروف بباب السلسلة إلى باب المحراب وهو باب المدينة المعروف الآن بباب الخليل . ويضم هذا الخط ثمانية أسواق منها سوق الصاغة وسوق القشاشين وسوق المبيضين وسوق خان الفحم وسوق الطباخين وسوق الحريرية وسوق الغلال والوكالة التي يصفها بأنها خان عظيم وقف المسجد الأقصى تؤجر في السنة بنحو أربعمائة دينار يباع فيها أصناف البضائع .

خط مرزبان :

ومن أقسامه : عقبة الفطانين وحارة حمام علاء الدين ، شارع حارة الشيخ محمد القرمي وشارع حارة الحصرية وشارع حارة ابن الشنتير لسكنه بها.

وبجوار حارة مرزبان من الغرب سوق القماش ويليه سوق الخضر فسوق العطارين فخط الدركاه وبه البيمارستان الصلاحي والقيامة ويليها حارة النصارى من جهة الغرب .

خط وادي الطواحين :

وهو الشارع العظيم الممتد من قبله بشام من درج العين إلى باب العمود أحد أبواب المدينة . وفي هذا الخط عدة شوارع وأحياء نذكر منها سوق الزيت وبه زقاق من جهة الشرق يعرف بأبي شامة وحارة الغوانمة المجاورة للمسجد من جهة الغرب نسبتها لسكن بني غانم وسوق الفخر نسبة لفخر الدين صاحب المدرسة الفخرية وبه المصابن التي يعمل بها الصابون وحارة بني مرة وحارة باب العامود وهي انتهاء خط وادي الطواحين وآخر المدينة من جهة الشمال إلى الغرب وضمنها حارة بني سعد وحارة بني زيد وحارة باب حطة وهي من أعظم الحارات وأكبرها وهي شمال المسجد وحارة الطورية .

كنائس بيت المقدس :

فيها عدة من الكنائس والأديرة من زمن الروم نحو عشرين أهمها كنيسة القيامة . فإنه عندهم بمكان عظيم وبناؤها في غاية الأحكام والإتقان ويقصدونها في

كل سنة في عدة أوقات من بلاد الفرنج ومن بلاد الأرمن ومن الديار المصرية والمملكة الشامية وساير الأقطار . وحجهم إليها . ويليها كنيسة صهيون [1] ، المختصة بالفرنج وهي في آخر مدينة القدس من جهة القبلة ثم كنيسة مار يعقوب وتعرف بدير الأرمن وهي بالقرب من صهيون وكنيسة المصلبة المختصة بطايفة الكرج وهي بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب.

أبواب بيت المقدس :

فأولها من جهة القبلة باب حارة المغاربة وباب صهيون ومن جهة الغرب باب سر صغير بلصق دير الأرمن وباب المحراب وهو المسمى الآن بباب الخليل وروى المشرف بسنده عن علي بن سلامة وقال سمعت أبي يقول سمعت أن باب لد الذي جاء عن النبي صلى اله عليه وسلم أنه يَقتل عليه عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ليس هو باب الكنيسة التي عند الرملة (اللد) وإنما هو باب داود الغربي الذي عند محارب داود يسمى بباب (لد) . يعرف بباب الرحمة ، ومن جهة الشمال باب دير السرب وباب العامود وباب الداعية المتوصل منه لحارة بني زيد وباب الساهرة. ومن جهة الشرق باب الأسباط.

فهذه عشرة أبواب لمدينة القدس الشريف .

في ظاهر مدينة القدس :

وبظاهر مدينة القدس من كل بساتين كروم بها أنواع الفواكه من العنب وغيره.

---

(1) ذكرها الإدريسي (548 هـ : 1154) بقوله : [وأما ما يلي بيت المقدس في ناحية الجنوب فإنك إذا خرجت من باب صهيون ، وسرت مقدار رمية حجر ، وجدت كنيسة صهيون . وهي كنيسة جليلة ، حصينة . وفيها العلية التي أكل فيها السيد المسيح مع التلاميذ وفيها المائدة باقية إلى الآن. ولها ميعاد في يوم الخميس] . بلدانية فلسطين العربية ص 200 .

مصادر المياه ومنشآتها في القدس [1]

- العيون والآبار والصهاريج والبرك والقنوات:

كان نقص المياه من المشاكل الكبرى التي واجهت سكان القدس منذ آلاف السنين. وفي الأزمنة السحيقة في القدم كانت القدس تعتمد على مصدرين وحيدين للماء هما المطر، وعيون الماء الكائنة في وادي سلوان(وادي قدرون أو وادي النار) ، واشهر هذه العيون هي عين جيحون.

ومن الطبيعي أن تكون القدس الكنعانية قد بنيت على سفح جبل أوفل (عوف أيل) – الظهور– الذي ينتهي بوادي سلوان حيث كانت عين الماء الرئيسية.

ومنذ أقدم العصور أيضاً كان سكان القدس يجمعون ماء المطر في حياض وصهاريج وبرك وأبار ، كانت وفيرة العدد ومنتشرة في كل مكان في المدينة. ومع ذلك فقد أتى على القدس ردح من الزمان لم تعد فيه مياه الينابيع (العيون) ولا مياه الأمطار كافية بعد أن ازداد السكان وتوسعت المدينة. فسحب الماء إلى القدس في قناة تبدأ بوادي العروب، الكائن بين القدس والخليل. فازداد رصيد القدس من الماء، ومع ذلك فقد كانت تمر على سكان المدينة فترات من الكرب الشديد تشح فيها المياه لسبب أو لآخر. وفي القرن الحالي فقط سحب الماء للقدس من مصادر أخرى كعين فارة ورأس العين فتوفرت المياه فعلاً في المدينة.

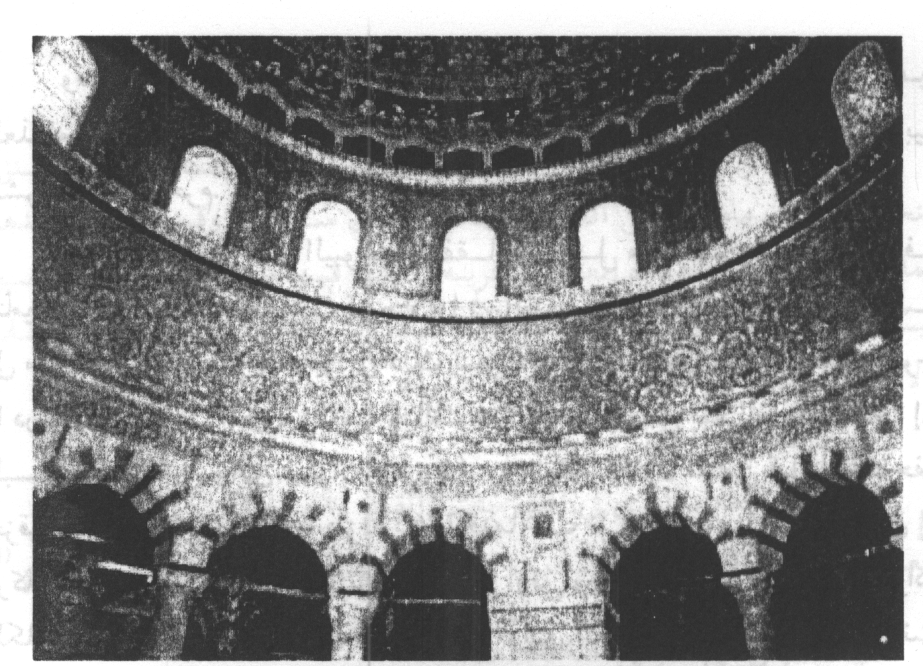
هذا اجمال شديد لتاريخ مياه القدس، سنحاول تفصيله في الصفحات التالية بذكر مصادر المياه والمنشآت الرئيسية في المدينة وما حولها.

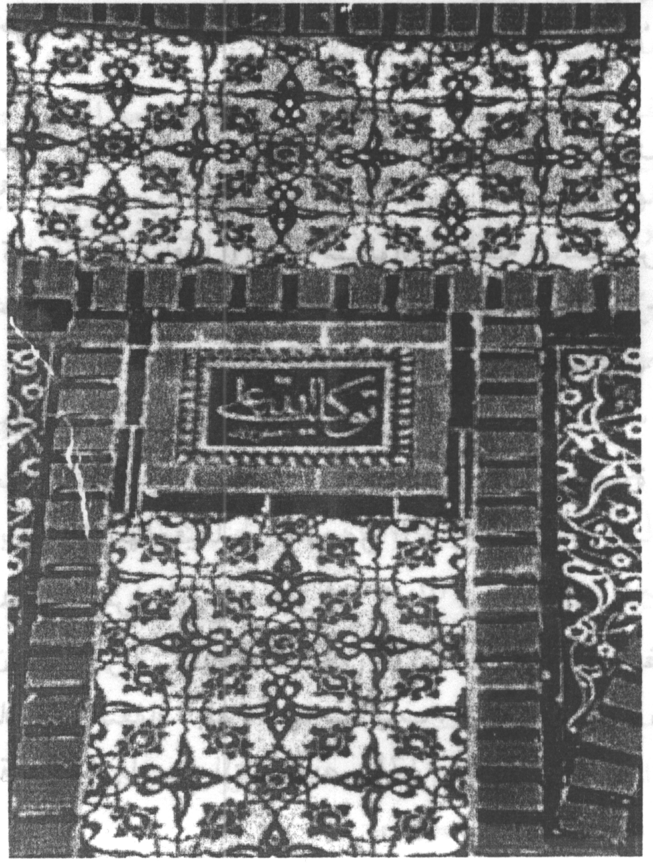
عيون سلوان وقنواتها:

كانت عيون سلوان هي المورد الوحيد الذي ورده آباؤنا الأولون في القدس. واشهر هذه العيون وكبراها هي عين سلوان أو عين جيحون القديمة، التي كانت تزود السكان بما يتراوح بين 7000و 40.000 قدم كعب من الماء يومياً، حسب مواسم السنة [2].

([1]) كامل جميل العسلي، من أثارنا في بيت المقدس، عمان، الجامعة الأردنية ، 1982 .

([2]) Jerusalem , (Keter Books , Jerusalem, 1973)





وقد عرفت هذه العين بأسماء مختلفة هي عين جيجون وعين سلوان وعين العذراء وعين أم الدرج. وتبعد هذه العين حوالي 300 متر عن الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الحرم.

ومن هذه العين حفر اليبوسيون نفقاً إلى داخل مدينتهم على جبل أوفل لتأمين المياه في أوقات الحصار. وقد حاولوا في البداية أن يحفروا نفقاً عامودياً يصل إلى مياه العين لكنهم لم ينجحوا في ذلك بسبب صلابة الصخر فحفروا نفقاً متعرجاً ذا درج كان ينزل إلى العين. وكانت هنالك عدة قنوات توصل مياه العين الفائضة إلى البساتين الكائنة في وادي سلوان (قدرون). وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد حفر حزقيا ملك يهوذا نفقاً جديداً طوله 1765 قدما تحت تل اوفل يوصل مياه العين إلى بركة سلوان القديمة التي كانت تقع بين جبل اوفل وجبل صهيون، وفي آخر الوادي الكائن بينهما والمعروف بوادي صناع الجبن (وادي الطواحين، الواد اليوم) . وكانت هذه البركة داخل المدينة وقد اكتشفت آثار قنلة اليبوسيين سنة 1833 ، وقناة حزقيا سنة 1890.

وفي العهد الروماني (ابتداء من القرن الأول ق.م) كانت القدس تعتمد على مياه الأمطار، لأن عين جيحون الأصلية كانت قد سدت، ولم يكن مكانها معروفاً. غير أن القناة التي كانت تنقل مياهها إلى بركة سلوان القديمة كانت معروفة. وتقول التقاليد المسيحية أن المسيح عليه السلام استعمل هذه المياه لشفاء الرجل الأعمى (يوحنا 9: 7) ، ولذلك فقد أصبح المكان مقدساً عند المسيحيين. وقد بنت الإمبراطورة بيودوكيا البيزنطية كنسية ومستشفى فوق البركة.

وفي العهد الإسلامي الأول كانت عين سلوان معروفة ومشهورة ، وقد حفلت كتب التراث بالإشارة إليها وفيما يلي نماذج من الإشارات :

قال المقدسي (القرن الرابع الهجري):

(سلوان محلة في ربض المدينة تحتها عين عذبة تسقي جنانا عظيمة أوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد . تحتها بئر أيوب . ويزعمون أن ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة). (أحسن التقاسيم ص 171).

وقال ناصر خسرو (القرن الخامس):

(وحين يسير السائر من المدينة (القدس) جنوبا مسافة نصف فرسخ وينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى (عين سلوان). وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة. ويمر ماء هذه العين في قرية شيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا البساتين. ويقال أن من يستحم في ماء هذه العين يشفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة . وقد وقفوا عليها مالاً كثيراً).

(سفر نامة ص 21).

وقال أبو العلاء المعري في اللزوميات (القرن الخامس):

وبعين سلوان التي في قدسها   طعم يوهم إنها من زمزم [1]

وقال الإدريسي المتوفى سنة 560هـ :

(وفي هذا الخندق (وادي جهنم) عين سلوان[2]

كما حفلت كتب التراث بالإشارة إلى عين سلوان بعد الفتح الصلاحي لبيت المقدس 583هـ

قال ياقوت الحموي المتوفى سنة 626 (معجم البلدان 125/3)

(وعين سلوان عين نضاحة يتبرك بها ويستشفى منها بالبيت المقدسي)

وقال شيخ الربوة الدمشقي المتوفى سنة 727 :

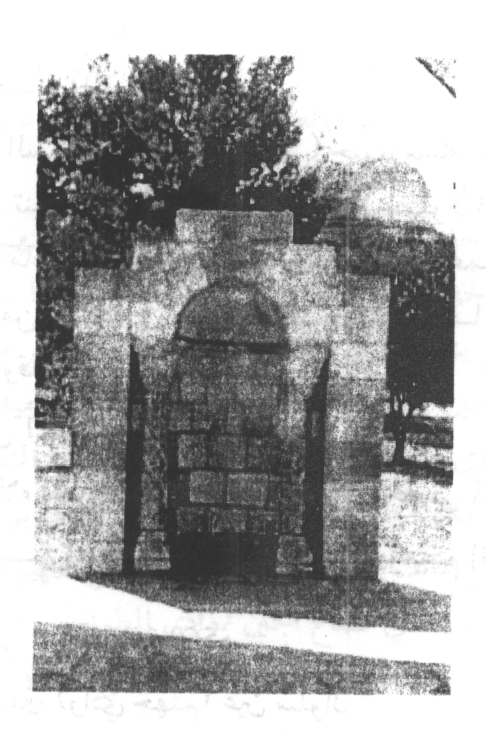
(وعين سلوان بالبيت المقدسي تجري بمقدار معلوم، وبعد مضي كل ثلاث ساعات وأكثر تمد حتى يرتفع ماؤها في مجراه نحو ثلاث قامات عما كان يجزر. ثم يرجع ويعود إلى الأول نحو ست ساعات ثم تمد وتجزر كذلك أبد الدهر) [3] .

وقال مجير الدين الحنبلي (القرن العاشر):

([1]) أبو العلاء المعري – لزوما ما لا يلزم – المجلد الثاني، بيروت 1961 ص 468 .

([2]) أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ، ص 42 .

([3]) المصدر نفسه ص 42 .





(أما عين سلوان فهي بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بالوادي يشرف عليها سور المسجد القبلي ، وعن خالد بن معد أنه قال :

(زمزم عين سلوان التي في بيت المقدس من عيون الجنة)[1]

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي سنة 1101 :

(ثم مررنا في الطريق في وسط ذلك الوادي الذي تظهره أنواره للصادر والغادي بظاهر القدس من جهة القبلي على العين المشهورة بعين سلوان ذات الماء العذب اللذيذ للظمآن فوجدنا العين ينزل إليها بدرج نحو العشرين المبني بالحجر المنحوت والقبو المتين يشرف عليها سور المسجد القبلي . وفوق تلك العين مسجد لطيف بمحراب وحول تلك العين بساتين القرية المعروفة بقرية سلوان مشتملاً من الثمار على أنواع وألوان)[2].

ومن هذه الأقوال نفهم أن عين سلوان كانت لها شهرة ومكانة عند المسلمين، وكان لديهم اعتقاد بأن لها قدرة على شفاء الأمراض، وأنها قرينة مياه زمزم. وقد وقف عثمان بن عفان عين سلوان على فقراء البلد.

ويستفاد من قول ناصر خسرو أن المسلمين وقفوا على العين مالا كثيراً لصيانتها وتعميرها.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) ، وفي وقت الحروب الصليبية، قدس المسيحيون عين سلوان باعتبارها المكان الذي غسلت فيه السيدة مريم ملابس الرضيع عيسى المسيح وأقمطته، ولذلك فقد سموها (عين العذراء) وفي القرون الأخيرة وحتى اليوم، كانت عين سلوان تسمى عند أهل القدس (عين أم الدرج) لأنه ينزل إليها بدرج. وهي ما تزال قبلة السياح المسيحيين بشكل خاص.

([1]) المصدر نفسه ص 42 .

([2]) المختار في كتاب الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي . اختصار وشرح إحسان النمر (1973)

بركة سلوان :

ذكرنا بركة سلوان القديمة التي ورد ذكرها في التوراة، والتي كان يمتد إليها النفق الذي حفره حزقيا ملك يهوذا. ولدى انتقال القدس من موقعها القديم على جبل اوفل إلى جبل صهيون غربا أهملت بركة سلوان هذه. ويبدو أنه أعيد بناؤها في العصر البيزنطي، ثم أهملت مرة أخرى وملأها الطمي، وتدعى هذه البركة اليوم بالبركة التحتاتية أو البركة الحمراء. أما البركة التي تدعى باسم بركة سلوان اليوم فتقع بالقرب من عين أم الدرج، ويقال أن هذه البركة هي التي أمر السيد المسيح الرجل الأعمى أن يغتسل بمائها بعد أن طلى عينيه بالطين المصنوع من التفلة فاغتسل وأبصر. وهذه البركة تقع قبلي عين أم الدرج (عين سلوان) مباشرة. وتصل إليها مياه العين أيضاً من قناة تمتد بينهما .

بئر أيوب:

تقع بئر أيوب في أسفل وادي سلوان على بعد حوالي 400 متر من بركة سلوان. وهي بئر بركة كبيرة يتفجر ماؤها بغزارة أيام الشتاء. وهذه البئر منسوبة إلى النبي أيوب الذي قيل انه استحم بها وشفي . ويعتقد المستشرق والعالم الآثاري الدكتور بونار Bonar أن اسم بئر أيوب اسم إسلامي، وانه يرجع إلى زمن صلاح الدين الأيوبي الذي عمر هذه البئر وأطلق عليها هذا الاسم [1].

وينقل مجير الدين الحنبلي عن كتاب (الأنس في فضائل القدس) ما رواه مؤلف هذا الكتاب[2] عن بئر أيوب فقال (أي المؤلف) ما يلي :

(قرأت بخط ابن عمي محمد القاسم[3] وأجازه لي قال : قرأت في بعض التواريخ : أنه ضاق الماء في القدس بالناس فاحتاجوا إلى بئر هناك فنزلوها. طولها ثمانون ذراعا وسعة رأسها بضعة عشر ذراعا وعرضها أربعة أذرع، وهي مطوية

---

(1) عارف العارف، المفصل ص 437 .

(2) وهو القاضي أمين الدين احمد بن محمد بن الحسين بن هبة الله الشافعي (542-610هـ)

(3) عمه كان مؤرخ دمشق الكبير أبو القاسم بن عساكر، والحافظ أبو محمد القاسم - الذي يشير إليه هنا - وهو مؤلف (الجامع المستقصي) كان ابن عمه .

بحجارة عظيمة كل حجر منها خمسة أذرع وأقل وأكثر في سمك ذراعين وذراع فعجبت كيف نزلت هذه الحجارة إلى ذلك المكان . وماء العين بارد خفيف ويستقي منها الماء طول السنة من ثمانين ذراعاً، وإذا كان في الشتاء فاض ماؤها وفار حتى يسبح على وجه الأرض في بطن الوادي وتدور عليه ارحية تطحن الدقيق.

(فلما احتيج إليه وإلى عين سلوان نزلت إلى قرار البئر ومعي جماعة من الصناع لأثقبها فرأيت الماء يخرج من جحر يكون قدره نحو ذراعين في مثلها وبها مغارة فتح بابها ثلاثة أذرع في ذراع ونصف يخرج منها ريح شديد البرد وأنه حط فيه الضوء فرأى المغارة المطوية السقف (أي مبنية) بحجر ودخل إلى قريب منها ولم يثبت له الضوء فيها من شدة الريح الذي يخرج منها، وهذه البئر في بطن الوادي والمغارة في بطنها، وعليها وحولها من الجبال العظيمة الشاهقة ما لا يمكن لإنسان أن يرتقي عليها إلا بمشقة وهي التي قال الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام : (أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) [1] انتهى كلامه[2] .

وبئر أيوب كانت تسمى قديماً عين روجل . وكانت المصدر الثاني للماء بعد عين سلوان. وكانت مياه عين سلوان وبئر أيوب تباع في قرب الجلد في شوارع القدس طيلة العصر العثماني وما قبله.

عين اللوزة:

تقع هذه العين عند اتصال وادي ياصول بوادي سلوان. على بعد 534 متراً جنوبي بئر أيوب ويجري فيها الماء الفائض من بئر أيوب وهو ماء عذب[3] .

الآبار:

لم يكن أهل القدس يعتمدون اعتماداً كلياً على عيون سلوان لأن مياهها لم تكن تكفيهم على أية حال. بل اعتمادهم الأساسي كان على مياه الأمطار يجمعونها في الآبار والصهاريج والبرك.

---

(1) الآية رقم 242، (سورة ص رقم 38).

(2) الأنس الجليل ج 2 ص 58 .

(3) عارف العارف، المفصل ص 437 .

وقد كانت الآبار في القدس كثيرة على الدوام، ففي كل بيت من بيوت المدينة تقريباً كانت هنالك بئر ماء، وفي بعض البيوت كان هنالك أكثر من بئر واحدة. وقد قال المقدسي في القرن الرابع الهجري(قل دار ليس بها صهريج واكثر .. وقل حارة إلا وفيها جب مسبل[1] كانت هذه الآبار والصهاريج مصدراً رئيسياً للماء في جميع فترات التاريخ السابقة. وفي أواسط القرن التاسع عشر كان هنالك 950 بئراً في بلدة القدس القديمة. وبلغ عدد الآبار في نهاية العصر العثماني في القدس وضواحيها خارج السور 6600 بئر سعتها الكلية 17.000.000 قدم كعب من الماء (500.000 متر مكعب) وفي سنة 1919 قدرت سعة البرك والآبار والأحواض في القدس، بما فيها آبار الحرم ، ب،53 مليون قدم مكعبة (1.500.000 متر مكعب)[2] .

وكانت أكبر الآبار في ساحة الحرم الشريف. كان يستعمل مياهها أهالي البلدة القديمة وكذلك المصلون للوضوء داخل الحرم. وهذه الآبار (تتصل بعضها ببعض بمجاري تحت أرضية ساحة الحرم وتبليطاته ومغطاة ببلاطات حجرية بها ثقوب تتسرب منها مياه الأمطار إلى هذه المجاري وتتجمع في الآبار . ولكل بئر فتحة وأكثر على كل منها خرزة ذات باب معدني. ولكل منها اسم خاص يعرف به[3] .

ويبلغ عدد هذه الآبار 26 بئراً تسع منها في حرم الصخرة المشرفة والباقي في ساحة الحرم الشريف[4].

ويرى ذكر آبار الحرم في المصادر العربية ابتداء من القرن الثالث الهجري، غير أن المصادر اختلفت في تحديد عددها فابن الفقيه يقول عن الحرم (وفيه خمسة وعشرون جبا للماء[5] ، وأبن عبد ربه يحدد العدد بأربع وعشرين[6] ، بينما يقول

([1]) احسن التقاسيم ص 167 .

([2]) Jerusalem (Keter Books , Jerusalem 1973)

([3]) مباني الحرم القدسي ، المجلد الثاني، ص22 المكتب المعماري الهندسي لاصلاح واعمار قبة الصخرة المشرفة – تقرير على الستنسل 1971 .

([4]) المصدر السابق نفسه والصفحة ذاتها.

([5]) مختصر كتاب البلدان (سنة 290هـ) ص 100/ليدن 1302 هـ

([6]) العقد الفريد لابن عبد ربه (246-328) هـ ج 6 ص 246 .

المقدسي أن عددها عشرون[1]، ويذهب بن فضل الله العمري إلى أن عدد الآبار هو اثنتان وعشرون [2]. بينما يذكر مجير الدين أن عدد الآبار في عصره كان 34[3]، ويقول عارف العارف أنه أحصى آبار الحرم عام 1947 فوجدها 27 بئراً. وذكر إحصاء للمجلس الإسلامي الأعلى في القدس، فوجدها 27 بئراً. بينما ذكر إحصاء للمجلس الإسلامي الأعلى في القدس، وفي العام نفسه، أن عدد الآبار في الحرم يبلغ31 [4]. وربما يرجع الاختلاف في الأرقام إلى أن بعض الآبار كانت لها أكثر من فتحة واحدة ، البئر الأسود شرقي المسجد الأقصى مثلا كانت لها أربع فتحات – كما أن هذه الإحصاءات جرت غالباً في قرون وعصور مختلفة. كان يتغير عدد الآبار طولها بسبب خراب بعض الآبار أو إنشاء آبار جديدة.

وتتراوح مسطحات الآبار بين 300 متر مربع و 2000 متر مربع. وتبلغ سعتها جميعاً نحو أربعين ألفا من الأمتار المكعبة (أربعون مليون لتر وتتراوح أعماقها بين ثمانية أمتار وعشرة أمتار[5] .

يتحدث كل من ناصر خسرو وأبن فضل الله العمري بشيء من التفصيل عن آبار الحرم. ففي القرن الخامس الهجري يقول ناصر خسرو:

(وقد حفرت في أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة، فإن المسجد مشيد كله على صخرة ، فمهما يهطل من المطر لا يذهب خارج الأحواض ولا يضيع سدى، بل ينصرف إلى الأحواض وينتفع الناس به، وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها، وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج، بواسطة قنوات بينها، غير ملوث أو عفن).

وفي المنازل كلها أحواض لجمع ماء المطر، إذ لا يوجد غيره هناك ويجمع كل انسان ما على سطح بيته من مياه، فإن ماء المطر هو الذي يستعمل في الحمامات وغيرها).

---

(1) احسن التقاسيم ص 167 .

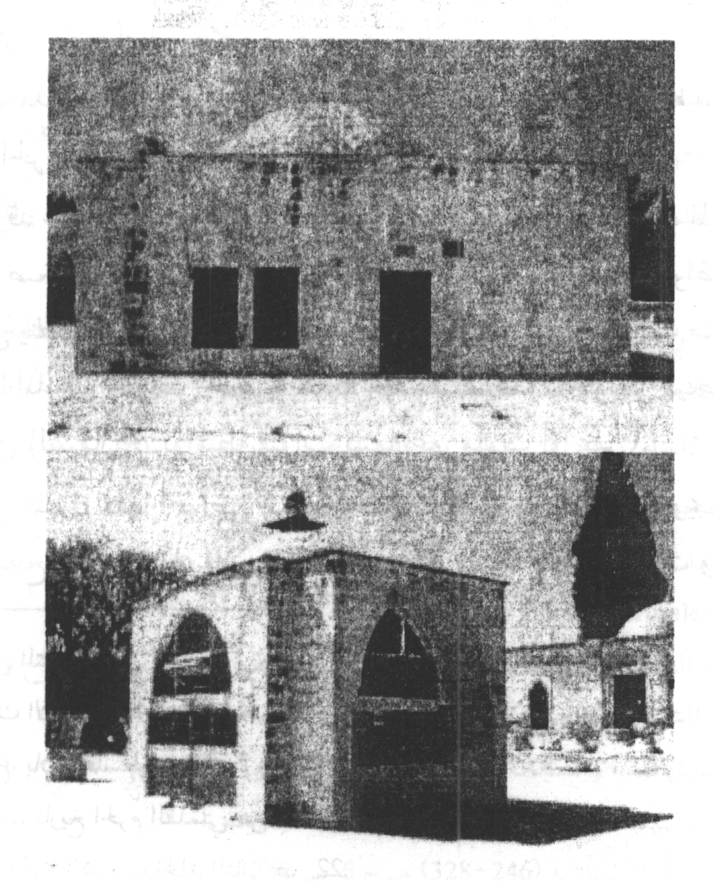
(2) مسالك الأبصار (748هـ) ج1 ص 150 .

(3) الدباغ، بلادنا فلسطين ج10/ق2 ص 489 .

(4) العارف، تاريخ الحرم القدسي ص 94 .

(5) مباني الحرم القدسي، المجلد الثاني ص 22.





(والأحواض التي بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبداً، لانها من الحجر الصلب، فإذا حدث بها شق أو ثقب أحكم اصلاحه حتى لا تتخرب .. وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شيء)[1].

أما ابن فضل الله العمري المتوفي سنة 748هـ .فيتحدث عن الآبار تفصيلاً ويذكر انه كان منها في صحن الصخرة سبع، وفي ساحة الحرم أسفل الصخرة خمس عشرة، ست بالجهة القبلية وثلاث بالجهة الشرقية وثلاث بالجهة الشمالية وثلاث بالجهة الغربية (كما كانت هنالك ثلاث آبار أخرى خربة). ويذكر كثيراً من اسمائها يقول العمري :

وبظاهر هذا الصحن (صحن الصخرة) من الصهاريج المركب على فوهة كل منها خرزة رخام أو حجر منحوت سبعة . لهن تسعة أبواب. منها بالجهة القبلية بئر تعرف بالرمانة له بابان (هذا الباب الذي هو الصحن وباب بأسفل الحرم أمام الجامع) وبالجهة الشرقية بئران يعرف احدهما بالشوك ويعرف الآخر ببئر الورد. له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية بئر يعرف ببئر الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار . إحداهما يعرف بالكاس، لأن فوهتها كأس رخام طويل والآخر له بابان من الصحن والآخر بفرد فم.

واذا ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج . فنذكر ما في سفل الحرم من الصهاريج فنقول: في سفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً. بالجهة القبلية ستة: بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وباب الجامع واحد، وداخل باب الجامع الشرقي واحد ويسمى ببئر الورقة . وله بابان احدهما هذا الذي داخل الجامع والآخر في مكان يعمل فيه نجارة الحرم. والبئر الأسود له ثلاث ابواب أحدهما ينزل إليه بدرج . وبئر يعرف بالبحيرة له بابان . وبئر في الحاكورة التي عند الباب الشرقي وله بابان: واحد في الحاكورة وباب خارج عنها. وبالجهة الشرقية ثلاث آبار منها بالقرب من باب الرحمة واحد له بابان. وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر بركة بني

---

[1] ناصر خسرو، سفرنامة ، ص 57-70 ، بيروت 1970 .

اسرائيل ، وبئر باب شرف الانبياء وبئر الرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوي وخانقاه الاسعودي. وبالجهة الغربية ثلاثة أحدهما بباب الغوانمة والاخر عند باب الرباط المنصوري وله بابان في الحاكورة وباب خارج عنها يعرف بابن عروة، وبئر عند الباب الحديدي مغطى بحصر الأروقة.

وهذه الآبار الاثنان والعشرون معمرة بالمياه وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة ، واحد عند درج الميزان، والثاني عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم[1] .

وهنالك احصاء لآبار الحرم وصهاريجه يزودنا به الكابتن وارن في كتابه (استرجاع القدس)(الفصل السابع ص 206-217) حيث يورد معلومات مختصرة عن اربع وثلاثين بئراً ويحدد مستواها بالمقارنة مع سطح البحر واعماقها واشكالها ويورد قياسات مختلفة لها[2] .

وفيما يلي قائمة بأسماء اثنتين وعشرين بئراً من آبار الحرم – من أصل 26 أو 27 بئراً، مستخلصة من كتاب عارف العارف (تاريخ الحرم القدسي) ص 94 و 95 .

أ - في صحن الصخرة :

بئر باب الجنة	شمال مسجد الصخرة
بئر الشيخ الخليلي	شمال غربي صحن الصخرة .
بئر الصخرة	غربي مسجد الصخرة
بئر العصافير	شمال شرقي مسجد الصخرة .
بئر الرمانة	جنوب شرقي مسجد الصخرة .

ب- في ساحة الحرم :

1-غربي الساحة :

بئر باب الغوانمة	امام دار الصلاحي عند الباب

(1) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، ج1 ص 150 و 151 .

(2) The Recovery of Jeruslaem by Capt. Wilson and Capt Warren, Lond., 1971.

بئر باب المجلس أو بئر السبيل	عند باب علاء الدين البصير (الناظر)
بئر سبيل شعلان	بين باب المجلس ودرج صحن الصخرة.
بئر الخلوة	تجاه باب القطانين
بئر قايتباي	بين باب القطانين ودرج الصخرة
بئر القبة	تجاه باب القطانين

2- جنوبي الساحة

بئر ابو السعود	بين درج المالكية والمسجد الاقصى
بئر السروات	شرقي الكأس
البئر الأسود	إلى الشرقي من باب الأقصى القديمة، من أكبر آبار الحرم 45×42م
بئر البحيرة	شرقي البئر الأسود
بئر الخضر	بين المسجد الأقصى والسور الشرقي
بئر البلاط	قبلي بئر الخضر وبلصق السور القبلي
بئر الورقة	شمالي الاقصى

3- جنوبي الساحة

بئر سليمان	عند باب التوبة
بئر الزيتونة	عند غرفة الغزالي
بئر الصوانة	غربي بئر الزيتونة

4- شمالي الساحة

بئر الست اكرامية	بين باب الاسباط وباب حطة

البرك

كان في القدس في الماضي عدد كبير من البرك غار معظمها وتلاشت آثاره. وكثير من هذه البرك لا نعرف عنه إلا قدراً ضئيلاً من المعلومات. غير أن بعض هذه البرك كان ذا أهمية دينية أو تاريخية وتردد ذكره بعض الكتب المقدسة، كما أن

بعضها كان كبيراً وهاما من وجهة اقتصاديات الماء في المدينــة، في حـين كـان بعضـها الآخر صغيراً وقليل الأهمية .

غير أن البرك كلها كانت بصورة عامة من شرايين الحيـاة للمدينـة في الأزمنـة الغابرة، ولذلك فإنها كانت تحظى بالصيانة والعناية .. وأكثرها كـان يسـتعمل مـاؤه بانتظام منذ القرن الأول الميلادي على الأقل . أما اليوم فلم يعد لمعظــم هـذه الـبرك وجود. ولا يزيد عدد البرك التي بها مـاء حاليـا عـن اثنتـين أو ثـلاث، ومـاء هـذه لا يستعمل في الغالب لاستغناء المدينة عنه، بعد أن جلب الماء إليها من مصادر خارجيـة بعيدة، أهمها الآن – ينابيع رأس العين الواقعة على الطريق بين القدس ويافا.

يذكر المقدسي أسماء ثلاث برك عظيمة في القدس هــي : بركـة بـني إسـرائيل وبركة سليمان وبركة عياض [1]. ويكرر ذكر هذه البرك الثلاث بعــد المقدسـي عـدد من المؤرخين منهم يـاقوت وشمـس الديـن السـيوطي ومجـير الديـن الحنبلـي، ينقـل وأحدهم عن الآخر دون أن يحاول أكثرهم تحديد موقعي الـبركتين الأخـيرتين، وهمـا بركة عياض وسليمان ، لأنه ليسـت هنـالك في القـدس بركتـان بـهذا الاسـم منـذ الحروب الصليبية، بينما بركة بني إسرائيل هي بركة السراي المعروفـة عنـد الـرواق الشمالي للحرم. يقول مجير الدين: أن بركتي عياض وسليمان غير معروفتين (ولكــن بداخل القدس بركتان إحداهما بخط مرزبان وهي لجمع الماء المتحصــل لحمـام عـلاء الدين البصير، وهي بجواره والثانية بحارة النصارى لجمع الماء المتحصل لحمام البطرك وقف الخانقاه الصلاحية فيحتمل انهما البركتان المذكورتان والله أعلم[2].

ويحاول جي لي سترانج تحديد موقعي هاتين البركتين فيقــول ان بركـة عيـاض ربما كانت هي بركة حمام البطرك الكائنة في حارة النصارى .. ويضيف بلهجة الجزم : أما بركة سليمان فهي بلا شك بركة (بيت حســدا ، المكتشـفة مؤخـراً عنـد كنيسـة الصلاحية[3] .

([1]) احسن التقاسيم ص 168 .

([2]) الانس الجليل ج2 ص 59 .

([3]) G.Le Stragne,

A History of Jerusalem under the Moslems (repinted from Plalestine under the Moslems) no piace of publication , no date p 121.

أما كليرمون جانو، الآثاري الفرنسي، فيقول أن بركة عياض أو بركة سليمان ربما كانت احداهما تقع تحت الدرج الرئيسي المؤدي إلى صحن الصخرة[1] .

1- بركة السيدة مريم

تقع هذه البركة بباب الاسباط خارج السور قرب المقبرة اليوسفية . البركة جافة الآن ، ولكنها كانت تستعمل إلى ما قبل بضع عشرات من السنين فحسب . وبعض مائها كان يذهب إلى حمام السيدة مريم المجاور داخل السور. والبركة كانت صغيرة الحجم في القرن الماضي. ولم يكن موقعها يتيح لها الاستفادة من المياه السطحية ولذلك فإنها كانت تزود بالماء من قناة[2] . ولا يعرف تاريخ انشاء هذه البركة.

2- بركة الحج

هذه البركة كانت واقعة خارج سور القدس الشمالي، عند السور مباشرة، ومقابل متحف الآثار الفلسطيني (روكفلر) والمدرسة الرشيدية الآن. ليس لها اثر في الوقت الحاضر.

3- بركة السراى (بركة بني اسرائيل)

هذه البركة قديمة. يسميها أهل القدس بركة السري لقربها من قصر الباشا أو حاكم القدس في العصر العثماني ، (برج انطونيا القديم، كلية الروضة أو المدرسة العمرية الآن). أما قبل ذلك فكانت تسمى بركة بني إسرائيل.

تقع البركة شمال سور الحرم بين باب الأسباط وباب حطة. وهي مطمورة تماماً اليوم، وقد أصبحت الآن موقفاً للسيارات لكنها كانت في القرون الماضية من برك القدس المشهورة. وفي القرن العاشر الهجري كانت مملوءة بالماء، وقد وصفها مجير الدين الحنبلي فقال (ومنظرها مهول، وهي من العجائب)[3] وقد وقد أصبحت البركة بعد ذلك بقرنين خالية من الماء.

---

(1) Archeological Researches in Plaestine Vol. London 1899 , p 164, 165 .

(2) The Recovery of Jeruslaem p 22.

(3) الانس الجليل .

فقد وصفها هنري مونديل H. Maundrell السائح الانجليزي ، سنة 1697م (ويسمها بركة بيت حسدا) فقال : أن طولها مائة وعشرون خطوة وعرضها أربعون خطوة، وعمقها ثمان على الأقل ولكنها خالية من الماء[1] .

وهناك لوحتان للبركة أحداهما رسمت حوالي سنة 1800 بقلم لودفيع مانرز، وتظهر فيها جدران البركة سليمة، تحيط بها الاشجار ، كما يظهر باب البركة وعليه حارس. غير أن البركة كانت خالية من الماء ، وفي أرضها بعض الشجيرات . كما أن البيوت التي حول البركة سليمة ومسكونة.

أما البركة اليوم فهي كما ذكرنا مطمورة تماماً وتستعمل موقفاً للسيارات.

4- بركة الغنم (بركة بيت حسدا)

وهي في الواقع بركتان اثنتنان تقعان داخل باب الاسباط قرب كنسية القديسة حنة (المدرسة الصلاحية) إلى الغرب . وقد ورد ذكر هاتين البركتين في العهد الجديد (يوحنا 5:2-4) حيث سميتا Bthesda. ولهاتين البركتين مستويان مختلفان. والبركة الشمالية أصغر من البركة الجنوبية.

وينسب العهد الجديد إلى بركة بيت حسدا قدرة على شفاء الأمراض. ويذكر أن المسيح عليه السلام أبرأ فيها المقعد الذي ظل ينتظر دوره ثمانية وثلاثين سنة للاغتسال في مياهها. وقد اكتشفت هذه البركة سنة 1871م. وبرزت كثير من معالمها اثر اعمال التنقيب التي كانت قد بدأت سنة1856 .[2] ودلت الحفريات على أن البركة كانت تستعمل معبدا لشفاء الأمراض عند الرومان[3] . وربما بقيت كذلك إلى أوائل القرن الرابع الميلادي ، وكان لها خمسة أروقة لاستقبال المرضى. وفي القرن الرابع أو بعده بقليل أصبحت من الأماكن المسيحية المقدسة ، وظلت تستعمل كبركة في العهد البيزنطي . وكانت تسمي : Piscine Probatique , Probatic Pool - بركة الغنم – ثم سدت واندثرت مع الزمن ولم يعد يعرف مكانها حتى أواخر

---

(1) H. Maundrell- A Jouney from Aleppo to Jerusalem- Beirut 1964 P 145 .

(2) Jerusalem and its Environs Hoade p. 14.

(3) ومن هنا جاء اسمها، فان بيت حسدا Behtesda معناها (بيت الرحمة).

القرن الماضي . أما اسم بركة الغنم فربما جاء من استعمال البركة لغسل الغنم قبل بيعها وذبحها كأضحيات، وربما سميت كذلك أيضاً لقربها مما كان يسمى باب الغنم أو سوق الغنم.

5- بركة البراق

هذه البركة تقع بجوار حائط البراق الشريف إلى الشمال وتحت باب السلسلة خارج ساحة الحرم وسوره الغربي. وقد أشار إلى وجودها ووصفها العالم الأثري البريطاني ولسون وقال انها بركة كبيرة يلفها ظلام دامس تحت الأرض. وقد وجد فوق البركة لدى زيارته لها قوسا مبنية بحجارة كبيرة طولها (أي القوس) 42 قدماً، دعيت فيما بعد باسم قوس ولسون (عند المدرسة التنكزية) وهذه القوس، كما قدر العالم الأثري وارن، واحدة من سلسلة الأقواس التي كان يعبر فوقها طريق يمتد من الحرم إلى قصر هيرود بباب الخليل[1] .

6- بركة حمام الشفا

حمام الشفا الكائن وسط طريق باب القطانين كان تحته بركة وبئر يستقي منهما الناس، منذ قديم الزمان، حتى قبل أن يبني الحمام المذكور . وكان عمق البئر حتى يصل إلى الصخر الطبيعي 80 قدماً[2] كما كانت مياه البئر ملوثة في القرن الماضي.

7- بركة بين سبيل قايتباى ودرج الصخرة

يتحدث[3] العالم الأثري الفرنسي كليرمون جانو الذي نقب في أواخر القرن الماضي في القدس عن وجود بركة كبيرة للاستحمام في ساحة الحرم الغربية، ويشير إلى وصف ثيوديرش Theoderich الذي زار الحرم سنة 1172م ووصفه وتحدث عن بركة كبيرة للاستحمام واقعة تحت الدرج وليس المؤدي إلى صحن الصخرة. وقال ان

---

(1) The Recovery of Jerusalem by Willson and Warren / London 1971,P 16.

(2) Cl. Ganneau / Archeological Researches in Plalestine.
Vol. I (London 1899) p 164- 165

(3)

المرء كان ينزل إلى البركة خمسا وعشرين درجة وأكثر .. وقيل له أن البركة متصلة بممر مع كنيسة القبر المقدس . ويتساءل جانو : هل هذا هو الممر التحت أرضي الذي وصفه ولسون في مذكراته[1] وكان يمتد من الحائط الغربي للحرم ويشكل بحيرة تحت الأرض طولها 84 قدما من الشرق إلى الغرب وعرضها 18 قدماً وعمقها قدم؟. وكان ينزل إلى هذه البركة بدرج كانت نهايته الشرقية تقع أمام الدرج الرئيسي المؤدي إلى صحن الصخرة، وعلى بعد 60 قدماً منه.

8- بركة النعامة (الستروثيون)

تقع هذه البركة تحت ساحة المدرسة العمرية (كلية روضة المعارف الوطنية سابقاً) إلى الشمال الغربي من ساحة الحرم حيث كان يقوم برج انطونيا الذي بناه هيرود الكبير. وهي في الواقع حوض مزدوج كبير، يعرف باسم ستروثيون Struthion (من الكلمة اليونانية Strouthos معناها النعامة). ويبلغ طول البركة 160 قدما (49 متراً) وعرضها 23 قدما (7 أمتار) وعمقها 56 قدما (17 متراً) [2].

9- بركة حمام البصير

البصير هو علاء الدين أيدغدي، الأعمي. وكان أميراً من أمراء المماليك، تولي نظارة الحرمين الشريفين في عهد الملك الظاهر بيبرس وتوفي سنة 688هـ وكان من منشآته في القدس رباط البصير بباب الناظر. وكذلك الحمام المعروف بحمام علاء الدين البصير بخط مرزبان (عند ملتقي عقبة الخالدية بطريق القرمي اليوم في حارة الواد). كان الحمام يتغذى من هذه البركة المجاورة له. وقد ورد ذكر البركة في السجل 187 من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس ص 57 لسنة 1096 [3] والحمام والبركة غير موجودين اليوم.

---

(1) In the Jeruslaem vol of his Memoirs no. 30 . on the pian in froci of p 116 .

(2) Jerusalem- Keter Books

Jerusalem 1973, po 255.

(3) يقول السجل ان كمال الدين بك العسلي استأجر من وقف الشيخ لولو غازي حاكورة بخط مرزبان يحدها غرباً المدرسة اللؤلؤية وقهوة ولي الله تعالى الشيخ علاء البصيري والبركة الجارية في وقفه.

10- بركة حمام البطرك

هذه البركة كائنة في حارة النصارى غربي طريق حارة النصارى وشمالي سويقة علّون، أي بين كنسية القيامة وباب الخليل . ويبلغ طول البركة 80 ياردة وعرضها 48 ياردة وعمقها 10 أقدام. وكانت البركة، شأنها شأن حمام البطرك، وقفا على الخانقاه الصلاحية. كانت مياه البركة تأتي من المطر، وتصريف المياه من المنطقة المحيطة بها، وكذلك من بركة (ما ملا) الآتي ذكرها والواقعة خارج السور، فقد كانت هناك قناة تصل ما بين البركتين وتدخل القدس من تحت السور شمالي باب الخليل.

يقال ان هذه البركة كانت تدعى في عهد الرومان بركة الابراج (اشارة إلى أبراج هيرود المجاور بباب الخليل Pool Amygdalon .والبركة مهملة اليوم، وما يزال فيها كمية ضئيلة من الماء غير أنها مليئة بالقمامة.

ومن البرك الكائنة بظاهر القدس أربع برك منها بركتان مشهورتان هما بركة ماملا وبركة السلطان، وبركتان غير مشهورتين . أما البركتان غير المشهورتين فهما بركتان لا نعرف لهما اسما، واحداهما يعرف موقعها اليوم باسم :

11- ارض البركة

وتقع هذه بجوار باب العامود، إلى الشمال، خارج السور، وكان الصليبيون يسمونها :Lacus Legeril

12- بركة قرب قبور السلاطين

وتقع إلى يسار طريق نابلس بعد قبور السلاطين بقليل. وذكر ولسون في القرن الماضي أنها كانت مملوءة تقريباً بالتراب وقال : أنها كانت، فيما يبدو، أكبر البرك في ضواحي المدينة، وفيها كانت تتجمع مياه أعالي وادي سلوان ولا نعرف كيف كانت مياهها تنقل إلى مدينة القدس[1] .

13- بركة ماملا

تقع بركة ماملا وسط مقبرة ماملا، كبرى المقابر الإسلامية في القدس، على بعد حوالي ميل واحد من باب الخليل إلى جهة الغرب. وهذه البركة بركة تاريخية

---

(1) Wilson and Warren op. cit. p22.

ذكرت لاول مرة في المصادر البيزنطية . وهي بركة واسعة يبلغ طولها نحو 89 مترا وعرضها 59 وعمقها 6 أمتار. ومعظمها منقور في الصخور وجدرانها وقعرها مكلسة بالحجر والطين. وماؤها صاف ويضرب لونه إلى الزرقة. وتجمع البركة مياه الشتاء لترسلها إلى بركة السلطان الآتي ذكرها، في قناة تمر في (جورة العناب). وهذه البركة هي جزء من الصدع الذي يدعى وادي الربابة (أو وادي هنومHinnom) ويمتد عبر جورة العناب ثم بركة السلطان ثم أسفل وادي الربابة الذي يفصل بين جبلي النبي داود (صهيون) إلى بير أيوب وادي سلوان.

ومما هو جدير بالذكر أنه كانت هناك قناة تحت الأرض توصل مياه بركة ماملا إلى بركة حمام البطرك في حارة النصارى بالقدس [1]. وقد عثر بالفعل على قناتين رومانيتين بباب الخليل وقناة ثالثة عند بناء كنيسة المسيح قرب قلعة القدس[2] .

اقترن اسم بركة ماملا بكثير من الأحداث التاريخية في القدس. ومن ذلك فتح الفرس للمدينة سنة 614م. وفتح الصليبين لها سنة 1099م واسترداد القدس بقيادة صلاح الدين سنة 1187 م. وفيما يتعلق بالحدث الأول اقترن فتح الفرس للمدينة بأعمال النهب والقتل والتدمير التي اشترك فيها اليهود مع الفرس. وقدر عدد القتلى من سكان المدينة المسيحيين بأكثر من ستين الف نسمة دفن عدة آلاف منهم ببركة ماملا. وقد ذكرت بركة ماملا في المصادر الأموية[3] .

وعندما فتح الصليبيون بين المقدس سنة 492هـ/1099م. ألقوا في ماملا بجثث عشرات الآلاف من المسلمين الذين ذبحوهم عندما فتحوا المدينة. وعندما فتح صلاح الدين القدس وقف بركة ماملا على الخانقاه الصلاحية، وفي العهود الإسلامية اللاحقة رممت بركة ماملا وأصلحت عدة مرات، وكانت المقبرة كذلك موضع اعتناء كبير، في عهد الأيوبيين وعهد المماليك وأوائل العهد العثماني.

---

(1) تؤكد ذلك وقفية صلاح الدين الأيوبي على الخانقاه الصلاحية.

(2) Guide to Holy Land by Barnabas Meistermann , English translation , London 1923, p 289 .

(3) Jerusalem, Keter , Books Jerusalem 1973, p 259 .

ما تزال البركة تحتوي على كمية من الماء. وهناك تحت طرف البركة الاسفل ترتيب بارع لتنظيم تصريف المياه إلى المدينة. ولا يستفاد من مياه البركة اليوم.

14- بركة السلطان

بركة السلطان تقع مقابل جبل صهيون إلى جهة الغرب، مقابل الزاوية الجنوبية الغربية لسور القدس وعلى بعد حوالي100 متر من السور. وهذه البركة هي أكبر برك القدس اذ يبلغ طولها 170 متر وعرضها في المعدل 80 متراً ومساحتها حوالي 14.000 متر مربع. وتقع البركة في وسط وادي الربابة وقد أقيم عند حدها الجنوبي سدان من التراب أو حائطان، وبين الحائطين جسر وطريق تسير عليه السيارات المتجهة من باب الخليل إلى بيت لحم. ويبلغ ارتفاع الحائط السفلي الذي يشكل جداراً استنادياً للجسر والطريق زهاء ثمانية عشر متراً. وفي الجهة الشمالية من البركة وفوقها في الوادي كانت هنالك في الماضي بركة صغيرة كانت تتجمع فيها مياه الأمطار وتترشح كمصفاة إلى البركة الكبيرة. وموقع البركة الصغيرة الآن مغروس بالاشجار أما البركة الكبيرة فهي خالية من الماء، وكانت تتجمع فيها المياه ويسبح فيها الفلاحون إلى ما قبل عشرات قليلة من السنين.

وفي حوالي سنة 1890 أصلحت الطريق التي تمتد فوق الجسر ورفعت مسافة قدمين، ووسعت، بحيث أن البناية القديمة الصغيرة جنوبي الطريق والتي كانت مسجداً في السابق اختفت بعد ذلك[1] وكانت هذه البناية مقابل السبيل الذي بني زمن السلطان سليمان القانوني في الجانب المطل على البركة من جهة الجنوب.

يلاحظ المرء في حائط البركة الواطئ طبقات مختلفة من البناء تدل على تجديد البركة في ثلاثة أو أربعة عصور، وهناك دلائل تشير إلى أن البركة كانت في الماضي أصغر مما هي عليه الآن.

ويقول الحنبلي أن البركة كانت في زمنه خرابا لا ينتفع بها[2] . وهذا ما قاله شيك أيضاً نقلا عن الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري الذي زار القدس 889

---

(1) Sultan.–P.E.F. Quarterly Satatment Oct. 1898P 224- Birket Es Jerusalem , by Conrad Schick.

(2) نفس المصدر والصفحة.

(1484) وقال فابري أيضاً أنه كانت تجري في ذلك الوقت أعمال تعمير في منشأت المياه في القدس. وقد تمت هذه التعميرات بعد نصف قرن (1537م) (أي في زمن السلطان العثماني سليمان القانوني) كما هو ظاهر من النقش العربي على سبيل بركة السلطان. وفي هذه التعميرات أعيد بناء الجدران الاستنادية بحجارة صغيرة، وكذلك السبيل وقناة الماء الواصلة إلى السبيل وإلى المسجد. وفي سنة 1616 يذكر ديلا فالي Della Valle أن المياه كانت جارية إلى السبيل. وفي سنة 1658 كانت البركة والسبيل في حالة جيدة. وكذلك كان الأمر سنة 1673 . ولكن بعد خمسين سنة من ذلك التاريخ وفي سنة 1723 ذكر السائحون ان البركة كانت خربة.

ويقول شيك أخيراً أن البركة صارت منذ 12 سنة (أي منذ 1886) سوقاً لبيع الماشية، وأخذ وسطها يستعمل بيدرا لدرس الحبوب. ويذكر ايضاً أن البركة كانت تستعمل مكاناً لما كان يسمى بسوق الجمعة لبيع المواشي حتى سن 1948. وهو تاريخ الاحتلال الإسرائيلي للقدس الغربية. والبركة في الوقت الحاضر لا ماء فيها.

قناة السبيل (وبرك سليمان)

أن مصادر المياه التي مر ذكرها : العيون والآبار والحياض والبرك - أصبحت مع الوقت لا تفي بحاجة القدس من المياه، ولذلك كان لا بد من البحث عن مصادر جديدة. وقد عثر الأقدمون على مصدر مناسب في الوديان والينابيع والبرك الواقعة جنوبي مدينة بيت لحم، بين القدس والخليل، وعلى بعد 13 ميلا من القدس.

وهذه الوديان والينابيع هي : وادي العروب وفيه سبع عيون هي : فريديس، وعد المزرعة، والفوار، وعين البص، وعين البرادة، وعين قوزيبا، وعين الدلبة.

وادي البيار، من أراضي الخضر وفيه خمسة ينابيع غزيرة. والبالوع ويسمونه أيضاً عين الخضر.

وهذه الينابيع الكائنة في وادي العروب ووادي البيار والبالوع يصب، ماؤها في برك سليمان، ومن هذه البرك يخرج الماء ويلتقي بمياه عيون أرطاس وتسيل كلها في قناة واحدة إلى القدس. وعيون ارطاس هي أربع أعين : عين عطاف، عين الفروجة،

عين صالح وعين البرك[1] .

أما البرك المعروفة اليوم باسم برك سليمان فهي ثلاث:

البركة الفوقا وترتفع 797م عن سطح البحر.

والبركة الوسطى وترتفع 783م عن سطح البحر

والبركة التحتا وترتفع 768 عن سطح البحر [2].

وقد بنيت هذه البرك التي تقع عند رأس وادي أوطاس بإقامة سدود من الحجارة بعرض الوادي بحيث تسيل مياه البركة الفوقا إلى البركتين الأخريين الأدنى منها. والبركة التحتا غريبة الشكل. وربما كانت مدرجا للرياضات البحرية. وهناك عدة صفوف من الدرج تؤدي إليها.

وفي سنة 1101 نزل البرك الرحالة الصوفي الشيخ عبد الغني النابلسي ووصفها فقال:

(ثم لم نزل سائرين حتى أشرفنا على (البرك) التي يجتمع فيها الماء ويجري إلى مدينة القدس فنزلنا هناك وهي ثلاث برك كل واحدة أعلا من الأخرى ملآنة من الماء المجتمع من الأمطار والسيول ومن عين هناك لطيفة المجرى. ومقدار كل بركة منها نحو المائة ذراع في الطول وقريب ذلك في العرض. والعمق لم نعلمه لامتلائه بالماء وظننا أنه نحو العشرة أذرع في الأرض. وهناك قلعة مبنية بالأحجار مؤسسة على الصخور الكبار وفيها رجل من الفلاحين يسكنها بأهله وأولاده وأعوانه وأجناده لاجل الحراسة تلك البرك من الإفساد) (الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية ص 70/ الدباغ بلادنا فلسطين ج5، ق2، ص 192).

وبعد زيارة عبد الغني النابلسي بثماني سنوات أي في سنة 1109هـ/ 1697 زار البرك السائح الانجليزي هنري موندريل H. Maundrell فوصفها بقوله :

انها ثلاث برك تقع في صف واحد. الواحدة فوق الأخرى، بحيث أن مياه البركة العليا تصب في البركة التي تحتها، ومياه البركة الثانية تصب في الثالثة،

---

(1) المفصل في تاريخ القدس لعارف ص 438/437 .

(2) المصدر السابق نفسه .

والبرك رباعية الزوايا، وعرضها جميعاً واحد ويبلغ حوالي 90 خطوة. ولكن هناك اختلاف في أطوالها . فطول الاولى حوالي 160 خطوة، والثانية 200 خطوة، والثالثة 220 خطوة. وكلها محاطة بالجدران ومقصورة وفيها مياه عميقة. وقرب البرك قلعة جميلة ذات بناء حديث. وعلى بعد 120 خطوة من البرك يقع النبع الذي تستمد منه البرك مياهها[1].

وبرك سليمان لا علاقة لها بالملك سليمان بن داود وإنما جاء اسمها من السلطان سليمان القانوني الذي عمر البرك في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. وقد اكتسب اسمها الحالي ابتداء من هذا القرن أما قبل ذلك فكانت تسمى برك المرجيع. وهذا الاسم يرد في مجير الدين وسواه من مؤرخي العصر المملوكي.

في البرك كانت تتجمع أولاً مياه العيون والوديان المجاورة عن طريق قنوات تصل بين الينابيع والوديان وبين البرك. وكانت القنوات تمتد بعد ذلك إلى القدس وقد ذكر أنه كان هنالك في الماضي ما لا يقل عن ست قنوات أطولها القناة التي تمتد من وادي العروب إلى القدس[2] .

غير أن المشهور أنه كان هناك في قديم الزمان خطان رئيسيان للماء احدهما يدعى القناة الواطئة والآخر القناة العالية، لكن مجرى الاولى وحدها التي دعاها العرب والمسلمون قناة السبيل ما تزال بقايه ماثلة داخل المدينة.

ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الذي بنى هذه القناة من وادي العروب إلى القدس هو بونتيوس بيلاطس Pontius Pilate ، الوالي الروماني في القدس، في القرن الأول الميلادي. ويذكر المؤرخ يوسفوس أن بيلاطس بنى هذه القناة من أموال القربان، أو الأموال التي كانت محفوظة في خزينة الهيكل ..[3] كانت القناة مكشوفة لكنها كانت تمر تحت أربعة أنفاق قرب بيت لحم. ولضمان سيلان المياه فيها إلى

---

(1) H. Moundrell- A Journey from Aleppo to Jerusalem , Beirut Khayats 1963 (p.118-119).

(2) Mr. Tyrwhitt Drakes Reports XV. P.E.F Quarterly Statement 1874 p. 24.

(3) Josephus, Antiq . XVIII, 3.2. Wars ii, 9,4

القدس جعلت القناة متعرجة بحيث بلغ طولها من العروب إلى القدس 42 ميلاً، مع أن المسافة المباشرة بينهما 13 ميلاً. أما القناة الثانية (العليا) فقد بنيت زمن الإمبراطور الروماني سبتميوس سيفيروس Septimius Severus [1] (146-221 ب.م) الذي حكم روما من (193-211 ب.م) ، أي أنها بنيت حوالي سنة 200 ب.م وكانت هذه القناة تمتد من برك سليمان إلى القدس. كانت مياهها تجمع في نفق محفور في الصخر طوله أربعة أميال تحت وادي البيار، على طريق الخليل ثم تسير في قناة فوق رأس البركة الفوقا من برك سليمان ثم تلتف من هنا حول تلال أرطاس فوق الوادي أرطاس إلى قرب بيت لحم، ثم تمر بحذاء قبة راحيل. وكانت هذه القناة مبنية من الحجارة (وقطرها 15 انشا). وآخر ما نشاهده منها في سهل البقعة. ولا نعرف بالضبط النقطة التي كانت تدخل منها إلى القدس[2] . لكن المرجح أن القناة كانت تدخل إلى القدس من جهة باب الخليل. ووصف هذه القناة بـ (العليا) يدل على أنها كانت تصل إلى الجزء العلوي من المدينة (أي جهات باب الخليل وحارة النصارى ودير الأرمن الخ) ولما كان يسكن هذه المنطقة في العهد الإسلامي عدد كبير من غير المسلمين فقد كانت هذه القناة تسمى (قناة الكفار) أما القناة الدنيا، فكانت هي القناة الأقدم والأكثر شهرة، وهي القناة التي كانت المسلمون يسمونها (قناة السبيل). كانت هذه القناة تبدأ من وادي العروب وتستقي من عيونه المختلفة وتسير متعرجة حتى تصل إلى برك سليمان وعيون أرطاس وتستقي منهما ثم تسير إلى بيت لحم ثم إلى قبة راحيل فصور باهر فالثوري إلى أن تصل إلى بركة السلطان وتسير بمحاذاة البركة في طرفها الغربي ثم تلتف حولها من الشمال وترجع بمحاذاتها من الغرب ثم ترتقي جبل النبي داود (جبل صهيون) ثم تدخل المدينة بين باب المغاربة وباب النبي داود . وتسير القناة إلى طريق باب السلسلة (قرب درج العين)، ومن هنا تدخل إلى الحرم وتمتد منها قنوات إلى الاسبلة والحمامات والمدارس.

وهذه القناة ظلت تستعمل في عهود مختلفة. ويدل على استعمالها في العصر البيزنطي نقش يوناني يمنع حراثة الأرض على بعد أقل من 15 ذراعاً من جانبي

---

(1) Jerusalem (Keter Books) 1973 p 259 .

(2) Wilson and Warren, The Recovery of Jerusalem, London 1871, p 24-24 .

القناة. وقد كانت القناة تستعمل في العصر الإسلامي الأول : فالمقدسي في القرن الرابع الهجري يذكر القناة التي كانت تمتد من البركتين وتدخل إلى البلد فتملأ صهاريج الجامع وغيرها[1] . وناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (11 الميلادي) يتحدث عن البرك والقناة فيقول : (وقد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجاً كبيراً تنحدر إليه المياه من الجبل وتتجمع فيه، وقد أوصلوه بقناة إلى مسجد المدينة حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة[2] .

وقد كانت قناة الماء الحيوية هذه تتعرض للخراب باستمرار كما كانت تتعرض للاعتداء عليها من قبل قطاع الطرق، وقد بذل الحكام المسلمون في العصور المختلفة جهوداً كبيرة في سبيل المحافظة على القناة في حالة سليمة كما بذلوا جهودا كبيرة في سبيل أعمار برك سليمان وبركة السلطان وعادة بناء أجزاء منهما أو بنائهما من جديد بصورة كلية تقريباً. والآثار البقية من قناة السبيل ومن البرك معظمها آثار إسلامية لا ريب فيها. وفيما يلي بعض التفاصيل في هذا الشأن:

تعمير القناة والبرك زمن المماليك:

القرن السابع الهجري (زمن الظاهر بيبرس) : يقول المقريزي:

(وفي ذي الحجة من عام 665هـ نزحت بئر السقاية التي بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها، فنزل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلم نائب القدس، فاحضر بنائين وكشف البناء فأفضي بهم في قناة إلى تحت الصخرة، فوجدوا هناك باباً مقنطراً قد سد ففتحوه فخرج منه ماء كاد يغرقهم. فكتب بذلك إلى السلطان ، وأنه لما نقص ماء السقاية، دخل الصناع فوجدوا سدا نقب فيه الحجارون قدر عشرين يوماً، ووجدوا سقف مقلفط فنقب فيه قدر مائة وعشرين ذراعاً بالعمل فخرج الماء وملأ القناة[3] .

(1) احسن التقاسيم ص 168 .

(2) سفرنامة – ترجمة يحيى الخشاب ص 26.

(3) السلوك 560/1

القرن الثامن الهجري :

جرت تعميرات شاملة في البرك والقناة ومنشآت المياه الأخرى في عهد الملك الناصر محمد بن قلاون وبهمة الأمير تنكز نائب الشام. فـ (في عام 727هـ قل الماء بالقدس حتى بلغ شرب الفرس مرة واحدة نصف درهم فضة. اهتم تنكز بالأمر فأمر بتعمير قناة السبيل وندب قطلوبك الجاشنكير[1] . لمباشرة العمل والنفقة عليه. وفي عام 728هـ كمل العمل وبني هناك حوض ماء سعته نحو مائتي ذراع، وركب في الجبل مجاري نقب لها في الحجر حتى دخل الماء إلى القدس وكان لها يوم مشهود[2].

ويقول أبن فضل الله الـ مري في مـ الك الأبصار : (وساق نائب السلطان بالشام (أي تنكز) إلى مدينة القدس قناة بسطها إلى بركة هو مجتمع يرفدها بالماء زمن قلة الماء ويجري إلى مدينة القدس ويدخل إلى مسور المسجد الأقصى ويجري به) (فان برشم Jerusalem Ville p. 245).

ويقول صاحب (الأنس الجليل) أن الناصر محمد (عمر قناة السبيل التي عند بركة السلطان من جهة الغرب)[3] ووصل ماء القناة إلى المسجد في أواخر ربيع سنة 728 حيث عملت البركة الرخام (التي تعرف اليوم باسم الكاس) بين الصخرة والأقصى.

ويؤكد هذه المعلومات الخاصة بتعمير القناة بأمر من تنكز، وفي عهد السلطان الناصر محمد، النقش الذي أورده ماكس فان برشم في كتابه :

Corpus Inscriptionum Arabicarum, Jerusalem Ville p 241 .

وكان قد اكتشفه كونراد شيك على لوحة من الجير في الجانب الجنوبي من الجسر الذي يمر فوق بركة السلطان. ويتألف النقش من سطرين من الخط النسخي المملوكي بأحرف كبيرة. وهذا نصه:

---

(1) في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 254. الأمير قطلوبك بن قراسنقر مهندس الري ، وقد عمر قناة بالقدس ..

(2) الدباغ، بلادنا فلسطين 2/9ص 368. عن السلوك ج2/ق ص 302.

(3) الأنس الجليل 92/2 .

"بسم الله الرحمن الرحيم .. أمر بعمارة هذه القناة المباركة مولانا السلطان الملك الناصر سلطان الإسلام والمسلمين محمد بن السلطان المنصور قلاوون في شهور سنة عشرين وسبعمائة عز لمولانا الملك الناصر عز لمولانا الملك الناصر[1]".

القرن التاسع الهجري :

وفي القرن التاسع الهجري جرت تعميرات للقناة زمن السلطانين حشقدم وقايتباي.

يقول صاحب الأنس الجليل (واستقر أبو سعيد خشقدم في السلطنة سنة 865. ومن حسناته في القدس عمارة قناة السبيل الواصلة إلى القدس من عين العروب، وعمارة البركة الشرقية من بركتي المرجيع . وكانت العمارة على يد الأمير دولات. وكان بأي الخاصكي جهزه إلى القدس فاهتم بعمارته وقام في ذلك أعظم قيام[2] ويظهر مع ذلك أن العمل لم يتم في عهد الملك الظاهر خشقدم. اذ يقول صاحب (الأنس الجليل) في مكان آخر[3] : وكان الملك الظاهر خشقدم قد شرع في عمارة العين الواصلة من العروب إلى القدس ومات وهي بحاجة إلى إكمال العمارة ، فلما ولي بعده الملك الظاهر يلباي ثم الملك الظاهر تمربغا رسم كل منهما بإكمال العمارة، فلم تطل مدة واحد منهما، فكتب أهل القدس والمشايخ والقضاة والأعيان استدعاء للسلطان الملك الإشراف (قايتباي) يتضمن سؤال صدقاته في إكمال عمارته فبرز مرسومة الشريف فعمرت ووصل الماء إلى القدس).

ويبدو أن تعمير القناة عند بركة السلطان تم في سنة 873[4] . وقد جرى تعمير آخر للقناة عند عين العروب والبرك في سنة 888هـ كما يتضح من النصين التاليين:

([1]) مقاس اللوحة هو 200×600سم. وكانت اللوحة قد اختفت عند زيارة فان برشم للقدس سنة 1914.

([2]) الأنس الجليل 99/2 .

([3]) ج2 ص 248 .

([4]) الأنس الجليل 285/2 .

ففي سنة 888 (ورد المرسوم الشريف إلى الأمير قانصوه اليحياوي بعمارة قناة العروب وعمارة بركة المرجيع وجهز له من الخزائن الشريفة خمسة آلاف دينار منها ألف نفقة للأمير قانصوه وأربعة آلاف دينار للعمارة فتوجه في عاشر صفر للعمارة وصحبه مائتا فاعل، ونصب خيمه وشرع في العمارة إلى أن أكملها. وتوجه إليه أعيان بيت المقدس وأكبرها. وكل من توجه إليه يصحب معه شيئا من أنواع المأكول كالعسل والسمن والغنم وغير ذلك[1] .

وأكمل العمل في القناة في اليوم العشرين من شهر رجب من سنة 888 و (دخلت عين العروب إلى القدس وخلع الأمير قانصوه اليحياوي على المعلمين وزينت المدينة ثلاثة أيام. وكتب الأمير قانصوه محاضر عليها خطوط الأعيان لتعرض على المسامع الشريفة، وجهزها على يد ولده الشهابي أحمد دواداره. وكانت مدة عمارتها خمسة أشهر وخمسة عشر يوماً. وقد أنفق السلطان في عمارتها مبلغاً كبيراً[2].

وكان من حق أهل القدس أن يحتفلوا كل هذا الاحتفال بتعمير القناة بعد سنوات من العطش.

ولم يقتصر أمراء المماليك على تعمير قناة السبيل والبرك . بل إنهم وقفوا الأوقاف للصرف على مصالحها أيضاً. وتفيدنا الوثيقة رقم 311 من وثائق الحرم القدسي[3] أن الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المملوكي وقف أوقافا على قناة السبيل وعلى مرضى المسلمين والفقراء وذرية الواقف. ومن هذه الأوقاف قرية (مجدل فضيل) من أعمال مدينة الخليل ، والوثيقة مؤرخة في سنة 745هـ وإذ كنا نعلم أن الأمير بكتمر كان كافل المملكة الشريفة الشامية في السنوات الأولى لسلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة التي امتدت من سنة 709 إلى سنة 741، وأنه (أي بكتمر) رمم قلعة القدس وجددها وحصنها وكذلك بنى جامع القلعة سنة 710 (1370م) فنقدر أنه وقف قرية (مجدل فضيل) والأوقاف الأخرى على قناة السبيل في حوالي ذلك التاريخ.

([1]) المصدر السابق نفسه 330/2 .

([2]) المصدر السابق نفسه 331/2 .

([3]) اكتشفت هذه الوثائق في سنتي 1974، 1976 في المتحف الإسلامي بالقدس.

تعمير القناة زمن العثمانيين:

في بداية العصر العثماني وفي عهد السلطان سليمان القانوني (926-974هـ 1520-1566م) جرت أعمال عمرانية كثيرة في القدس، شملت السور وتكيه خاصكي سلطان، وكذلك منشآت المياه: واخصها برك سليمان، وقناة السبيل، وبركة السلطان (وبير أزبك المجاور لها)[1] كما أنشأ سليمان عددا من الاسبلة في المدينة .

كانت برك سليمان وكذلك قناة السبيل وبركة السلطان في حالة سيئة فلم يكتف السلطان بتعميرها بل وقف عليها الأوقاف للإنفاق من ريعها على تعمير القناة والبرك. وقد جرى تعمير القناة سنة 943 . ويبدو أن السلطان وقف عليها الأوقاف قبل ذلك التاريخ، فإن الدفتر رقم 602 من دفاتر الأراضي العثمانية Tapu Tahrir Defteri، وهو مؤرخ في حوالي سنة 945هـ يشير إلى (وقف قناة القدس الشريفة[2] .

(ومع ذلك فإن هذا الدفتر قد يشير إلى وقف الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الذي سبقت الإشارة إليه أو إلى وقف السبيل نفسها هي من جملة الأوقاف الإسلامية الخيرية الصحيحة. ولدينا في سجلات المحكمة الشرعية في أواسط القرن العاشر الهجري وثائق تؤكد ذلك : (ففي سنة 948هـ عقد مجلس شرعي في قبة السلسلة القائمة شرقي قبة الصخرة المشرفة حضره جمهور غفير من قضاة المسلمين وعلمائهم وأمرائهم وعليه القوم من سكان القدس في ذلك التاريخ. منهم جعفر بك كاتب الولايات الشريفة السلطانية وصالح أفندي ابن القزويني وآلي

---

(1) يقع بير ازبك إلى الجنوب الغربي من بركة السلطان . وكانت تصل إليه قناة السبيل وهي في طريقها إلى الحرم. ويرجع تاريخ أعمار بير ازبك إلى زمن السلطان الناصر محمد ابن قلاون سنة 1310 م (710هـ) كما عمره سليمان القانوني هو وبركة السلطان وسبيل بركة السلطان المجاور سنة 1536 (934هـ). وكانت فوق البئر مدرسة ابتدائية للبنين زمن الانتداب البريطاني هدمها اليهود سنة 1948 كما هدموا البئر (رفيق وفا الدجاني - مقال: أثارنا الإسلامية بين التهويد والضياع - نسخة ستنسل).

(2) ويشير إلى وقف السلطان سليمان القانوني على القناة أيضاً السجل رقم 349 من سجلات المحكمة الشرعية في القدس لسنة 1281 هـ . ص 123 .

القدس الشريف في ذلك الزمان ودرويش جلبي كاتب الدفتر الشريف وأحمد جلبي كاتب الدفتر السلطاني وسيدي أبو بكر الجماقي ترجمان كانت الولاية والقاضي صنع الله ابن البدري والقاضي شمس الدين المصري والعلامة القاضي بدر الدين الشافعي والعلامة الكمالي والشيخ أبو الفتح بن فتيان والشيخ أبو السعود العزي وغير هؤلاء الإجلاء.

وفي ذلك المجلس الشرعي قرر السيد محمد جلبي النقاش وأشهد على نفسه أنه قد عمر قناة السبيل من برك سليمان إلى القدس وأنشأ بها القساطل وأجرى فيها ماء العيون وأنه قد وقفها على عامة المسلمين وعلى أوقاف عامة المسلمين .. وأن الواقف السيد محمد جلبي – قد جعل جميع ما أنشأه – مما سبق ذكره بعضه – وقفاً شرعيا من أوقاف المسلمين العامة وصدقة جارية عن السلطان سليمان القانوني – ومنذ ذلك التاريخ نسبت البرك إلى سليمان وأنه قد وقف على ذلك عدة قرى منها: كفر طاب ومغلس وجنداس وترقومية ونصف قرية القباب وغيرها ..

(وفي الحق أن أقرر بأن لأهالي بيت لحم حصة معينة معلومة في مياه هذه البرك منذ مائتين وخمسين عاماً أو تزيد . وقد ورد ذكر ذلك في فرمان تركي مؤرخ في أوائل محرم سنة 1122 هـ) [1] .

وكانت قناة السبيل عرضة للتلف بصورة مستمرة إذ يفيدنا فرمان صادر إلى مراد باشا والي دمشق في 26 صفر سنة 976 [2] أن أهالي القدس كانوا يعانون من تلك السنة صعوبة بالغة من شح المياه. ويشير الفرمان إلى اقتراح يوصل جدول ماء في قرية أرطاس بقناة السبيل التي كانت تبعد عن الجدول مائة ذراع. ويتساءل السلطان عن النفقات اللازمة للمشروع وعن كمية الماء التي يمكن جلبها بهذه الطريقة.

ولا يعلم أن كان مشروع وصل مياه أرطاس بقناة السبيل قد نفذ في ذلك الوقت، بيد أننا لا نرجح ذلك لأننا نعرف أن حسين باشا المحافظ بغزة، عندما لاحظ

([1]) من مقال الشيخ محمد أسعد الإمام الحسيني المقدسي كتبه في 1955/3/17 بعنوان: (برك سليمان وقف إسلامي خيري صحيح). وقد نشر المقال في جريدة الجهاد المقدسية .

([2]) مهمة دفتر لرى، مجلد 7 رقم 1955، بتاريخ 26 صفر 976 (20 أب 1568).

شح المياه في القدس ومعاناة السكان بسبب ذلك عند زيارته للمدينة سنة 1067 ، تعهد بأن يقوم بتنفيذ مشروع وصل مياه أرطاس بقناة السبيل وبأن يدفع لرجل من رجال الأعمال يدعى الحاج محمد بن إبراهيم الغزي المعروف بالمصري الفي قرش أسدي من ماله الخاص من أجل القيام بهذا العمل[1] .

ويبدو أن كثيراً من الأموال التي كانت ترسل للإنفاق على تعمير القناة ومشاريع الري كانت تذهب في غير ما جعلت له. فقد خصص في هذه الفترة 6500 قطعة ذهبية لبناء قناة من عين العروب (5ونصف ميل جنوبي برك سليمان) ولكن المشروع لم ينفذ لأن بعض هذا المال قد صرف في غير حقه [2] . وقد حدث أمر مشابه سنة 1064 هـ . عندما تصرف أمير الأمراء سنان باشا بالأموال التي دفعتها والدة السلطان لتعمير القناة[3] .

وتشير مصادر كثيرة إلى أن الحكومة العثمانية كانت تبذل جهودا متوالية لتعمير القناة وبرك سليمان سواء من الخراب الطبيعي الذي كان يطرأ عليها أو من

([1]) حجة شرعية مسجلة في سجلات محكمة القدس الشرعية ومؤرخة في شهر ذي القعدة سنة 1067 (من كتاب المنهل الصافي في الوقف وأحكامه للشيخ محمد أسعد الإمام الحسيني ، القدس 1982 ص 113 -115).

([2]) مجلد 6 من مهمة دفتر لري رقم 49، تاريخ 1564/1972.

([3]) جاء في السجل 167 من سجلات المحكمة الشرعية في القدس من 277 لسنة 1077. شهر رمضان ، ما يلي :

أمير الأمراء سنان باشا محافظ القدس سابقاً المتوفى من قبل .. قبض سنة 1094 بالأمر السلطاني جميع المبلغ الوارد لمصالح الماء الجاري من البركة السليمانية إلى القدس الشريف لمرمة قناة السبيل وعمارتها من والدة السلطان مبلغ وقدره 2500 سكة حسنة شريفية ، كل سكة بمعدل غرشين وربع غرش أسدى تعادل كلها 5625 غرشا أسدياً، وأن سنان باشا صرف في حالة حياته 133 سكة ومرة أخرى لمرمتها وعمارتها 2044 غرشا أسدياً.

ولما عزل عن إمارة القدس وأراد أن يذهب إلى الشام طلب منه قاضي القدس بقية المبلغ ليصرف في عمارة القنوات فقال أنه تصرف بالباقي ودفع ديونا لدائنيه، واستهلك المبلغ، وطلب من القاضي أن يصرف من ماله لعمارة قناة السبيل ليدفع له نظير ما صرفه وأن القاضي (محمد زاده) صرف من ماله 2670 غرشاً أسدياً لهذا الغرض الخ. وعاد إلى الورثة لأخذ ما صرف من تركة سنان باشا بعد وفاته.

الاعتداءات التي كانت تتعرض لها القناة من قطاع الطرق والأشقياء. ويتضمن السجل 66 من سجلات المحكمة الشرعية في القدس كشفا بالتعميرات التي تمت في سنة 994 في برك المرجيع[1] . وينقل عارف العارف قول السائح التركي أوليا جلبي أن قطاع الطرق والأشقياء في القرن الحادي عشر (السابع عشر) كانوا (يخربون ينابيع المياه الواقعة على الطريق (يقصد طريق القدس – الخليل) .. الأمر الذي حدا بفاتح بغداد السلطان مراد[2] إلى إقامة حرس قوي عند برك سليمان. وقد أنشأ لهم هناك قلعة أسماها على اسمه (قلعة مراد) يقوم على حراستها دزادار وأربعون جنديا مزودون بالمدافع والأسلحة والذخائر الحربية الكافية. ولم يأت سلطان بعده إلا أولاها جانباً من اهتمامه. وبهذه الطريقة تمكن الجميع من صون الينابيع والطرق) [3]. وقد أنشأ السلطان في داخل هذه القلعة مسجداً وخمسين منزلا صغيرا للجند[4] .

وقامت القلعة بدور هام في حفظ الأمن وحراسة ينابيع المياه وقناة السبيل لمدة طويلة. ويبدو أن القلعة كانت مهملة في القرن الثالث عشر (التاسع عشر) فعمرها إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا في أواسط ذلك القرن [5].

وفي القرن الحادي عشر الذي بنيت فيه قلعة البرك جرت أيضاً تعميرات لقناة السبيل (وكان ذلك سنة 1077) بعد أن انقطعت مياهها عن القدس عشر سنوات كاملة ورفع أهلها شكوى إلى الحكومة المركزية في استانبول[6] .

---

(1) وقد عين (الوزير المعظم والمشير الفخم) مسيح باشا سليمان جاويش للإشراف على ذلك والإنفاق عليه.

(2) السلطان مراد الرابع (1032-1049هـ/ 19622-1639).

(3) المفصل ص 269.

(4) المصدر نفسه ص 67.

(5) المصدر نفسه ص 281.

(6) يقول السجل 205 ص 24 (ذو الحجة 1119هـ) من سجلات المحكمة الشرعية في القدس: الصدر الأعظم علي باشا انفذ لعمارة قناة السبيل 3000 غرش أسدي وعين إسماعيل اغا مباشرا لعمارتها ونصب محب الدين أفندي نقيب السادة الإشراف بالقدس الشريف ناظراً على ذلك، وحضر إسماعيل اغا إلى القدس فوجد القاضي عمر بعضها فشرع إسماعيل اغا في تكميل التعمير بمعاونة الناظر والقاضي. وزود العاملين على العمارة بالقواديس والكتان

وفي بداية القرن الثاني عشر / الثامن عشر بني أنبوب من الفخار داخل قناة السبيل. وقد اقتضى تشغيله مشكلات هندسية صعبة. فإن الأنبوب كثيراً ما كان ينسد ويتعطل. وبذلن في ذلك محاولات كثيرة لتسحين القناة في القرن الثالث عشر / التاسع عشر. وتمت آخر محاولة في العصر العثماني في نهاية القرن التاسع عشر (سنة 1898) وجرى فيها إعادة بناء أنبوب الفخار حتى مدينة بيت لحم. ومن بيت لحم إلى القدس مد انبوب حديدي كان يحمل كمية من الماء لا تتجاوز 180 مترا مكعباً يومياً إلى القدس[1].

وظل النفقان اللذان يخترقان الأرض تحت كل من بيت لحم وجبل المكبر على حالهما القديم، أي أن الماء ظل يسير بهما في قناة حجرية[2].

وقد أقيم احتفال شائق عند بركة السلطان بمناسبة وصول مياه عين ارطاس إلى بركة السلطان والحرم. وحضر الاحتفال كبار رجال الحكومة وجمع غفير من وجوه المدينة ورجالاتها[3].

أن الأوقاف التي وقفت على قناة السبيل، والتي اشرنا إليها سابقاً كانت مضمحلة في أوائل القرن الثالث عشر، ويبدو أن ريع الأوقاف كان عاجزاً عن تعمير القناة منذ البداية، أي من القرن العاشر. بدليل أن الحكومة المركزية كانت تخصص أموالاً طائلة لتعميرها. كما كانت الحكومة تتلمس سبلاً مختلفة للإنفاق

=والزيت وسائر اللوازم وأتم عمارتها ووصل الماء إلى القدس سنة 1077 ، ووصل إلى المسجد الأقصى والكاس وبركة النارنج التي بالمسجد والمحكمة ولعين باب السلسلة وبقية السبل.

وكان أهالي القدس قد رفعوا عريضة شكوا فيها من أن الماء قد انقطع عن القدس منذ عشر سنوات قبل ذلك التاريخ.

(1) Jerusalem Keter Books 1973, p 260 .

(2) استبدل القسم الممتد بين بيت لحم وبرك سليمان بمواسير حديدية اثناء الحرب العالمية الثانية سنة 1940، وكذلك النفق الذي يمر تحت مدينة بيت لحم .

(3) يذكر عارف العارف في كتابه (المفصل) ص306 أن الاحتفل جرى (حوالي سنة 1901) بينما يذكر في تاريخ الحرم القدسي ص100 أن الاحتفل تم سنة 1898. ويقول الدباغ أن الاحتفال أقيم سنة 1899 (بلادنا فلسطين 49/2/10)

على مصالح القناة. ففي سنة 1227هـ مثلاً كان حمام العين في القدس في حالة خراب وكانت اجرته (مع الدكاكين التابعة له) 30 فضة كل يوم، إذا لم يكن الحمام دائراً بقناة السبيل، واذا كان دائراً بماء قناة السبيل فأجرته مع الدكاكين مائة فضة، أربعون منها كانت تخصص لجهتي وقف الحمام (وهما الصخرة المشرفة والمدرسة التنكزية) وستون فضة كانت تصرف في مصالح قناة السبيل لاضمحلال وقفها[1].

وفي نهاية الحديث عن قناة السبيل نود أن نذكر أن مدينة القدس (والحرم القدسي) كانت تتغذى بالماء من قناة أخرى غير قناة السبيل. وهذه القناة هي قناة ماملا. وقد مر معنا لدى حديثنا عن بركة حمام البطرك ان هذه البركة كانت تستمد مياهها جزئياً في وقت من الأوقات من قناة تسير تحت الأرض تصل إليها من بركة ماملا وتدخل المدينة قرب باب الخليل. ويعتقد فان برشم أن هذه القناة كانت تمتد بعد ذلك من بركة حمام البطرك تحت طريق باب السلسلة حتى تلتقي مع قناة السبيل درج العين عند المدرسة الجالقية. ويورد فان برشم نص نقش مكتوب على لوحة مثبة على الجدار الجنوبي لهذه المدرسة ترتفع عن الأرض حوالي أربعة أمتار ويبلغ طولها 130 سم وعرضها 54 سم. وعليها ستة أسطر من الخط النسخي المملوكي، محيت منها عدة كلمات، وعليها ستة أسطر من الخط النسخي المملوكي، محيت منها عدة كلمات، خصوصاً من الجهة اليمنى. ويفيدنا هذا النقش أن الملك ألاشرف قايتباي قد جدد عمارة مجاري المياه الواصلة إلى البيت المقدس سنة 874هـ. ويعتقد فان برشم أن الإشارة في هذا النص هي للقناة الواصلة من بركة ماملا.

وفيما يلي نص النقش، كما ورد في فان برشم[2]:

1- الحمد لله الذي افاض النعمة و .. جميل توفيقه تجديد عمارة مجاري المياه الواصلة إلى البيت.

2- المقدس .. مولانا وسيدنا .. لك بايد سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قامع البغاة.

([1]) السجل 295 من سجلات المحكمة الشرعية في القدس لسنة 1927 ص 106 .

([2]) C.I.A Jerusalem Ville, p 338 .

3- (... الملك) الأشرف أبو النصر قايتباي لا زالت دولته العزيزة تنصر الاسلام.

4- .. اضاف المثوبات صحائفه المكرمة مخلدة وذلك على يدي العبد الفقير إلى

5- الله تعالى الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبي .. بجميل افضاله وبلغه من كل خير منتهى آماله بمباشرة الزيتي قاسم كريم السكر إليه (؟) اسبغ الله تعالى .

6- .. العشر الأول من جمادى الآخر عام أربعة وسبعين وثماني مائة الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

ونحن نعتقد ان الإشارة في هذا النقش هي إلى قناة السبيل التي عمرها قايتباي غير مرة لا إلى القناة الواصلة من ماملا.

حمامات القدس

كانت الحمامات من المرافق العامة المعروفة في القدس منذ القدم. وتحدثنا أساطير شعبية أن بلقيس ملكة سبأ قد استحمت في حمام بباب الأسباط في المائة العاشرة قبل الميلاد [1]. ويقال أن السيدة مريم العذراء استحمت مرة في هذا الحمام[2] . ويذكر المؤرخون أن هيرود (شاد في القدس عدداً من الأبراج والهياكل والقلاع والتماثيل والحمامات[3]في القرن الأول قبل الميلاد . وقد بنيت بعد ذلك حمامات رومانية وبيزنطية كان يدعوها المسلمون بالحمامات (الرومية). وقد اهتم المسلمون ببناء الحمامات بعد الفتح العمري مباشرة. يقول الأنس الجليل أن (عياض بن غنم رضي الله عنه ابن عم أبي عبيدة دخل بيت المقدس وبنى فيها حماما[4]. وقد كان عياض من الصحابة المرموقين وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد توفي سنة 20 من الهجرة .

([1]) يذكر هذه الأسطورة مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل 129/1 -139 . وبالطبع فكل ما يمكن أن يستنتج منها واقعة وجود حمام أو حمامات في القدس منذ ذلك الزمن البعيد.

([2]) T. Canaan / Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine Jerusalem, 1927 P.66

([3]) العارف . المفصل ص 42.

([4]) ج1 ص 261 .

وكان في القدس في القرن الرابع الهجري عدة حمامات بدليل قول المقدسي (وبها (أي القدس) ثلاث برك عظيمة عليها حماماتهم، لها دواع من الأزقة . ويستفاد من أقوال المقدسي أيضاً أن شخصاً يدعى أبا الفتح الشيرازي بنى حماما في القدس في أوائل القرن الرابع الهجري[1] .

وما لدينا من معلومات عن حمامات القدس منذ زمن المقدسي وحتى اواخر القرن السادس قليل للغاية. وما نسمعه عنها مرة أخرى للحمام مخططا والتقط له عدة صور. وكان الحمام اذاك ما يزال يقدم خدماته للزبائن.

أما حمام السيدة مريم فقد كان ضمن الأوقاف التي وقفها السلطان صلاح الدين الايوبي على المدرسة الصلاحية . فدفتر الأراضي العثماني (طابو تحرير دفتري رقم 522ص 21) الذي يعدد أوقاف صلاح الدين على المدرسة.

([1]) احسن التقاسيم، ص 140.

السبيل في اللغة هو الطريق، بمعنى حقيقي أو مجازي. المعنى الحقيقي ورد في الآية الكريمة : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (آل عمران ، الآية 96) والمعنى المجازي في قولنا (سبيل الله) أو في سبيل الله . وسبيل الله الجهاد وطلب العلم والحج وكل ما أمر الله تعالى به من الخير.

أما السبيل بمعنى عين الماء فهو تعبير استعمل في وقت متأخر ولم يرد في أصل اللغة (بدأ استعماله في أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الهجري).

وهناك في أصل اللغة الفعل (أسبل) .. وأسبل الماء بمعنى صبه. وقد يغري وجود هذا الفعل بهذا المعنى على استنتاج أن السبيل بمعنى عين الماء مشتق من هذا الفعل غير أن هذا الاستنتاج غير صحيح. والأرجح أن استعمال كلمة سبيل لعين الماء إنما جرى على الألسن بناء على أن إقامة السبيل أو الأسبلة كانت عملا خيرياً مجعولاً في (سبيل الله) . وسبيل الله كلمة أطلقها المسلمون على أي فعل يقصد به وجه الله ومنها تيسير الماء لمن أراد الحصول عليه. جاء في (الخطط التوفيقية) لعلي باشا مبارك : (السبل جمع سبيل، وفي القاموس أن السبيل هو الطريق، وسبيل الله هو الجهاد وكل ما أمر الله به من الخير وسبله جعله في سبيل الله. انتهى . والمراد هنا: المواضع الموقوفة المعدة لأن يوضع فيها الماء المسبل أي المجعول في سبيل الله. وتارة يكون لخصوص الشرب، وتارة للنفع العام على حسب شرط الواقف، وهي من الأعمال الخيرية الجاري ثوابها على أربابها حتى بعد الموت) .[1]

وكلمة سبيل بمعنى عين ماء بدأ استعمالها في آخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الهجري. وكان ذلك في عصر المماليك. أما الكلمة التي كانت مستعملة في العصر الأيوبي وما قبله فهي كلمة (سقاية) أو (مساقة) أو (صهريج) أيضاً، كما يظهر من النقوش في مدينة القدس وسواها. والواقع أن ماء السبيل كان يستخرج عادة من صهريج كائن تحت السبيل. (وهو - أي الصهريج- المصنع المبنى تحت

(1) الخطط التوفيقية ج6 . الطبعة الأولى ، بولاق 1305هـ ، ص 57.

الأرض لخزن الماء فيه. فكلما فرغ ماء السبيل يملأ منه حتى ينفذ ماؤه على ميعاد ملئه من السنة الثانية[1].

وكان يقام عند السبيل عادة (حانوت) يخصص لوضع الأواني المعدة لتسبيل الماء واستقراره به من الابار والكيزان وغير ذلك[2] .وكان يجلس في الحانوت (السقا) [3] الذي كان يقوم على رفع الماء وتسبيله وخدمة قصاد السبيل جمالا. وكان يشترط في السقا - الذي كان يعينه ناظر وقف السبيل - أن يكون (حسن الخلق ذا قوة وأمانة وجودة) [4] . وتحدد وقفية السلطان فرج بن برقوق بدقة واجبات السقا الذي كان يجلس في حانوت السبيل عند فوهة الصهريج فتقول أنه كان يتولى (نشل الماء من الصهريج ووضعه في الأواني لسقيه الناس وغسل الأواني المذكورة وتنظيفها وصونها من الدبيب والهوام وخشاش الأرض بالتغطية وتنظيف المكان المذكور وكنسه ومسحه وإزالة أوسلخه وملي الأنية والكيزان ووضعها بمواضعها المعمولة لها وارصادها للشاربين واعادة ملي ما يتفرغ منها وتسهيل الشرب على الناس ويعاملهم بالرفق وحسن الخلق ليكون أبلغ في ادخال الراحة على الواردين[5].

وكانت للسبل عادة أوقات عمل محددة في الأيام العادية، وفي شهر رمضان . وتبين وقفية السلطان فرج بن برقوق أن أوقات العمل في سبيله - وهي في الغالب أوقات العمل الشائعة للسبل كلها - كانت (من وقت الضحى إلى الغروب في كل يوم . وفي رمضان من قبل الفطر إلى عشاء الآخرة.

---

(1) المصدر السابق، ص 58 .

(2) نص حجة وقف الملك الناصر فرج بن برقوق 812هـ/1409م الواردة في مقال :

Ulrich Haarmann,

Mamluke Endowment Deeds as a Source for the History of Education in Late Medieval Egypt. (Al- Abhath Vol. XXVIII, 1980, P 43)

(3) ويدعى أيضاً في اللهجة في مصر (المزملاني)

(4) حجة فرج بن برقوق في المقال المشار إليه اعلاه ص 46 .

(5) المصدر اعلاه ص 46 و 47 .

وفيما يلي قائمة باسم كل سبيل وسنة الانشاء وموقعه العام:

السبيل	سنة الإنشاء	الموقع العام
- سبيل تكية خاصكي سلطان	959	عقبة التكية
- سبيل درج الواد	959	الواد
- سبيل باب حطة	959	ساحة الحرم
- سبيل باب خان الزيت	959	باب خان الزيت
- سبيل الشوربجى	1097	داخل باب العامود
- سبيل البديري	1153	ساحة الحرم
- سبيل باب الخليل	1325هـ	باب الخليل

سبيلان غير معروفي التاريخ

- سبيل غير معروف الاسم	ساحة الحرم
- سبيل سعد وسعيد	حارة سعد وسعيد خارج البلد

وفيما يلي عرض موجز لبعض السبل في مدينة القدس.

1- السقاية أو المتوضأ أو المطهرة:

هذه هي الأسماء الثلاثة التي أطلقت على هذه المنشأة: أطلق أولها في العصر الأيوبي، وثانيها في أواخر العصر المملوكي، وثالثها في العصر العثماني وما بعده حتى اليوم .

تقع السقاية فيما يعرف بباب المطهرة اليوم. وما كان يعرف بباب السقاية، في القرن السابع والثامن وأوائل التاسع الهجري، وبباب المتوضأ في أواخر القرن التاسع الهجري. ويقول مجبر الدين الحنبلي عن هذا الباب : (باب المتوضأ الذي يخرج منه إلى متوضأ المسجد كان قديماً وستهدم ثم جدد عمارته علاء الدين البصير كما عمر المتوضأ)[1].

([1]) الانس الجليل 31/2 .

وعند آخر زقاق باب المطهرة تقع السقاية وكان فيها بئر وبركة وسقاية (سبيل) يستقى منها أهل القدس ويتوضأ المصلون بمائها. وفيها اليوم، ومنذ أجيال كثيرة، مغاسل ومنافع عامة.

كانت السقاية منشأة هامة لمد أهالي القدس بالمياه. وقد أنشأها الملك العادل الأيوبي أخو صلاح الدين الأيوبي سنة 589 . ويؤكد ذلك نقش في زقاق المطهرة فوق بوابة صغيرة (محاطة بعامودين فوقهما قوس) تفضي إلى المطهرة. وقد أورد فان برشم الوصف والنص التاليين للنقش :

(على لوحة من الرخام فوق قوس البوابة مقاسها 74×48 هناك ثمانية أسطر من الخط النسخي الأيوبي القديم وبأحرف صغيرة (سنة 1893) هذا نصّها :

"في ساحة الحرم وشمال القناطر الشمالية الغربية بالضبط بناء من الحجر يستند إلى الزاوية الجنوبية الشرقية من مسطبة (أو مصلى) مكشوفة وعليها محراب. ولهذا البناء إفريز عال جميل وعليه قبة. ويمتد الإفريز. والجزء الداخلي منه (الغربي) على هيئة رواق مفتوح من الشمال والغرب والجنوب وعليه ثلاثة أقواس في كل من هذه الجهات. وفي هذا الجزء، صهريج.

ما يزال الصهريج مستعملاً وفي جداره حنفيات معدنية . ويستقى منه الناس ويتوضؤون وكذلك تسقى منه أشجار ساحة الحرم الشريف.

وعلى اللوحة الكائنة في الزاوية الغربية النص التالي:

1- وسعى في عمارته العبد الفقير إلى الله.

2- تعالى الحاج إبراهيم الرومي غفر الله.

3- له ولجميع المسلمين واشرط ان لا يسقى

4- منه سقاء الا الفقراء والمساكين ولا يباح لأحد.

5- يملأ بقربه بتاريخ جمادى الآخر سنة تسع وثلاثين وثمان مائة.

أن الفعل (جدد) يعنى أن البناء كان قائماً من قبل. وربما كان البناء السابق هو الذي بناه علاء الدين البصير الناظر ، غير أن طراز البناء الحالي يشبه بناء القرن التاسع الهجري.

سبيل خان السلطان

سبق أن تحدثنا، في الفصل المتعلق بخانات القدس عن خان السلطان الذي انشأه السلطان برقوق بباب السلسلة سنة 788هـ .

وهنالك في صحن الخان من الجهة الشمالية، أي أمام الداخل إلى الخان مباشرة، سبيل ماء بقي منه بئر ما تزال موجودة . وهناك لوحة من الجير مثبتة في جدار صحن الخان الشمالي وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار من أرض الصحن قياس 65×35 سم وعليها ثلاثة أبيات مكتوبة بالخط النسخي العثماني بحروف صغيرة غير واضحة.

سبيل تربة بركة خان

تربة بركة خان – المكتبة الخالدية اليوم –[1] الكائنة بباب السلسلة ، والتي تضم رفات الأمير الخوارزمي حسام الدين بركة خان المتوفي سنة 644 هـ وولديه، بناها ووقفها الأمير بدر الدين بن حسام الدين بركة خان المتوفى سنة 687. كما تفيدنا الوثيقة رقم 26 من وثائق الحرم القدسي. غير أن مبنى التربة جدده بل أعاد بناءه فيما بعد حفيد بدر الدين ويدعى محمد بن احمد العلائي. وكان ذلك في سنة 792 . وكان من ضمن أعمال التجديد بناء سبيل (أو مسقاة) كما يتبين من الأسطر التالية المنقوشة على نافذة التربة، وهي :

(انشأ هذا الشباك والقبة بقبة المرحوم الشهيد الملك حسام الدين بركة خان والقنطرة وعلوها والبوابة المباركة والمسقاة والحوانيت وعلوهم وخمسة بيوت بدار الوقف الفقير إلى الله تعالى محمد بن احمد بن نمر العلائي لطف الله به في مستهل ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

والسبيل ما يزال ماثلاً حتى اليوم عند مدخل المكتبة الخالدية، على يمين الداخل من الباب المطل على الجانب الجنوبي من طريق باب السلسلة ويرتفع حوض السبيل زهاء متر واحد أو أكثر قليلاً عن أرض الشارع. وهو مغطى الآن بداربزين حديد. وشكله اليوم بسيط للغاية ولا يقارن بما كان عليه في غابر الأيام.

([1]) معاهد العلم في بيت المقدس، ص 385.

12- سبيل قايتباي

سبيل قايتباي هو أشهر سبل القدس وأجملها، حيث يقع سبيل قايتباي في الساحة الكائنة بين باب السلسلة وباب القطانين، وعلى بعد خمسين متراً من جدار الحرم الغربي بين درج صحن الصخرة الغربي الأوسط والمدرسة العثمانية (دار الفتياني) وهو يقوم على مسطبة مكشوفة وفيها محراب (في الزاوية الشمالية الغربية من المسطبة).

والسبيل بناء ساحر لاقى اهتمام الكثيرين من علماء الآثار ونقاد الفن والمؤرخين.

وهو يتألف من ثلاثة طبقات (أو أجزاء) :

1- قاعدة مستطيلة ارتفاعها 7.65 متر.

2- منطقة انتقال ارتفاعها 2.18 متر.

3- قبة ارتفاعها 3.45 متر، والارتفاع الكلي للسبيل هو 13.28 متر.

والجوانب الجنوبية والغربية والشمالية منه فيها نوافذ (3.42×1.94 متر) عليها درابزين . اما باب السبيل فهو في الجانب الشرقي. والطابق السفلي ليس مربعاً تماماً فأحد ضلعيه طوله 4.60 سم والضلع الآخر طوله 4.80، وزيادة هذا الضلع ناشئة عن كثافة الحائط الشرقي الذي يفتح فيه باب السبيل.

16- سبيل باب السلسلة

في الميدان الصغير المعروف بساحة باب السلسلة ومقابل الباب من جهة الغرب، وعلى الحائط الخارجي الشرقي لدار سكن (وهي دار الخالدي - التربة السعدية سابقاً) يقع هذا السبيل الذي يتميز بفن معماري جميل.

واجهة السبيل، شأنها شأن واجهات السبل الأخرى التي أنشأها السلطان سليمان القانوني، تشبه البوابة المستطيلة. وهناك في أعلى البوابة قوس عليه إفريز متعرج. تشبه البوابة المستطيلة . وهناك في أعلى البوابة قوس عليه إفريز متعرج. وعلى جانبي الواجهة أعمدة مجدولة رفيعة جداً. وفي وسط الواجهة تحت القوس

خمس وردات متفتحة لها تسعة برانق (أوراق) بـارزة. وكـانت في الأصـل 13 برنقـا. وعلى الجانبين في أعلى الواجهة تاجان بارزان.

ويلتف حول الواجهة كورنيش ينتـهي بثنيـة حلزونيـة مـن الأسـفل. وتحـت الوردات المتفتحة لوحة رخامية أطوالها 150×50سم. عليها ثلاثـة أسـطر مـن الخـط النسخي التركي بحروف كبيرة هذا نصها:

1- أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملـك الأعظـم والخاقـان المكـرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم.

2- والعرب والعجم عز الإسـلام والمسـلمين ظـل الله في العـالمين حـامي الحرمـين الشريفين السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان.

3- خلد الله ملكه وسلطانه وأدام عدله وإحسانه بتاريخ ثاني وعشرين شهر رجـب المرجب من شهور سنة ثلاثة وأربعين وتسعمائة.

17- سبيل سليمان

يقع سبيل سليمان في ساحة الحرم على بعد حـوالي عشـرين مـتراً مـن بـاب العتم (باب الدوادارية قديماً) . وتشبه واجهة السبيل واجهة سبيل بـاب السلسـلة وغيره من سبل السلطان سليمان. وفي سوط واجهة السـبيل وفـوق الحـوض لوحـة قياسها حوالي 120×50 . أسطر من نوع الكتابة علـى السـبل السـليمانية السـالفة الذكر وهذا نصها :

جدد هذا المحراب الشريف في أيام مولانـا السـلطان سـليمان ابـن السـلطان سليم خلد الله ملكه).

سبيل باب الخليل

في سنة 1907 [1]، وفي عهد السـلطان عبـد الحميـد الثـاني العثمـاني أنشـئ سبيل تجاه باب الخليل وعلى بعد بضعة أمتار من الباب، وفي الجهة الأخرى المقابلـة للباب من الطريق المعبد الذي فتح بعمل ثغرة في السور بمناسـبة زيـارة الإمـبراطور غليوم للقدس سنة 1899 . وكان يقوم فوق باب الخيل في أوائـل هـذا القـرن بـرج

([1]) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 298 .

الساعة، وكان السبيل إزاءه في الجهة الجنوبية من الطريق. كان للسبيل باب وكذلك شبابيك عليها أسيجة من الحديد من مختلف الجهات. كما كان له قبة عليها هلال ونجمة ، والبناء كله من الحجر الذي رص في مداميك من حجارة مختلفة الألوان.

وقد هدم السبيل بعد الاحتلال البريطاني للقدس بناء على قرار اتخذته الجمعية المسمة (بجمعية محي القدس) The Pro Jerusalem Society كما هدم برج الساعة. وكانت الجمعية قد دعت إلى هدم جميع المباني اللاصقة للسور.

وهناك بالإضافة إلى هذا السبل التي تحدثنا عنها سبيلان آخران في القدس إحداهما :

سبيل غير معروف الاسم

أو على الأقل لا يعرف اسمه كاتب هذه السطور. ويقع هذا السبيل في ساحة الحرم أمام باب المتحف الإسلامي. وهو بناء مربع القاعدة ارتفاعه حوالي أربعة أمتار وعلى جدرانه نوافذ مغطاة بسياج حديدي وفوقه قبة لا رقبة لها، وبداخله حوض ماء.

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن السائح التركي أوليا جلبي الذي زار فلسطين بين سنتي 1059 و 1071 هـ تحدث عن السبل القائمة في هذه الجهة الجنوبية الغربية من ساحة الحرم فقال :

(مقابل قبة سليمان وباب المحكمة[1] وقرب حوض الإمام الشافعي تقع قبة موسى[2] وسبيل الإمام الأكبر أبى حنيفة وسبيل الإمام على، وهذه أعاد بناءها دانيال باشا تكريما للإمام علي[3].

وهكذا فإننا نقرأ في كلام أولياء جلبي أسماء سبل هي : حوض الإمام الشافعي، وسبيل الإمام أبي حنيفة وسبيل الإمام علي فلعل أحد هذه السبل الثلاثة يكون هذا السبيل الذي نتحدث عنه .

---

(1) قبة سليمان التي نعرفها اليوم قريبة من باب العتم في شمل ساحة الحرم وبعيدة جداً عن باب المحكمة الكائن عند باب السلسلة .

(2) قرب سبيل قاسم باشا إلى جهة الغرب.

(3) Evliya Tschelebi`s Travel`s in Palestine translated by H. St. Stephan Q.D.A.P. Vol. Ix



تاريخ القدس القديم

القدس موطن اليبوسيين العرب:

شهد التاريخ القديم أنّ القدس وما حولها من بلاد فلسطين والشام، قد تعرضت لموجة عربية ساميّة كبيرة، وهي الموجة الساميّة الثانية التي خرجت من الجزيرة العربية، وهي موجة الكنعانيين التي يمت بلاد الشام[1] ، وكان الذين يمّموا مدينة القدس اليبوسيون من الكنعانيين ، فاشتهرت المدينة بهم حتى أطلق عليها في ذلك العهد (يبوس) تسمية باسم قاطنيها.

ولقد أكسب موقع يبوس (القدس) الشأن الكبير لليبوسيين من الناحية الحضارية والتجارية ، لمكانته الاستراتيجية ، حيث تقع المدينة على طريقين من أهم طرق التجارة، واحدة تربط البحر بالصحراء، والأخرى تربط الخليل (حبرون) من أعمال (رام الله) ببيت (إيل) ، وفي بيت إيل كانت الطريق تسير في اتجاهين : واحد نحو (شكيم) نابلس، والآخر إلى أريحا ووادي الأردن[2] .

فكان لا بدّ أن تزدهر الحضارة في يبوس (القدس) بسبب حركة التجارة و الصناعة بين البلاد المجاورة القاصية والدانية، حيث كان مصيرها مرتبطاً دوماً بأوضاع الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر[3].

وبالنظر لموقع (يبوس) الجغرافي، وكونها واقعة على مرتفعات مطّوقة بالأسوار المنيعة التي بناها ملوكها دفاعاً عنها، فقد أصبحت ذات منعة عسكرية فائقة، كما أصبح قوادها وملوكها يحسنون السياسة، فقد أورد المؤرخون أخباراً كثيرة تتعلق بحسن سير السياسة اليبوسية، وما عثر عليه من الآثار من عقود ومعاهدات بين ملوك يبوس والملوك المجاورين ، في تحسين علاقات بعضهم ببعض، زيادة في توثيق حسن الجوار والدفاع المشترك[4] . لدلالة واضحة على تأكيد ذلك ..

([1]) تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي ، للدكتور شوقي ضيف ص 24 .

([2]) تاريخ القدس: عارف العارف ص 12 .

([3]) تاريخ فلسطين الحديث: للدكتور عبد الوهاب كيالي ص 13 .

([4]) تاريخ مدينة القدس، لمعين أحمد محمود ص 28 .

والراجح أنّ معظم سكان الضياع والقرى المجاورة (ليبوس) كانوا من الكنعانيين الذين لا يكاد أحد يميزهم عن اليبوسين ، لاتحاد الأصل والعنصر، فكلاهماساميّان ، وكلاهما هاجر في أوقات متقاربة، إن لم تكن واحدة.

وكانت لغة اليبوسيين لغة أصلهم الكنعانيين، ولم تتغّير إلاّ حين تداخلت فيها اللغة البابلّية عند استيلاء البابليين على يبوس، وظلت اللغة البابليّة هي اللغة القائمة إلى أن دخلها الفرس وسيطروا عليها[1] .

وتفيد الآثار التي نقّب من خلالها الباحثون أن الفراعنة قد نازعوا اليبوسيين في الاستيلاء على المدينة المقدسة، وذلك فيما وجدوه من النقوش والكتابة في الآثار المصرية أنّ القدس كانت في عهد استيلاء الفراعنة عليها، محفوفة بالغابات الكثيفة التي تمتّد من الجبال حتى البحر. وما من شك أنّ المدينة المقدسة قد اكتسبت من الحضارة الفرعونية شيئاً غير قليل..

وبعد اليبوسين جاء العموريون ، وهم قبيلة عربية أيضاً خرجت من الجزيرة العربية، وكانوا أول من بنى الأسوار للقدس والأبراج لحمايتها.

وفي سنة /1450/ قبل الميلاد أحاطت بالقدس بعض القبائل المهاجمة التي استنجد أمراؤها العموريون بفرعون مصر (تحوتمس) الثالث الذي هبّ لنجدتهم، وأنقذ القدس من الأخطار المحدقة بها، وكانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي اتجه فيها المصريون لنجدة القدس[2] .

ولم يأت الإسرائيليون إلى القدس إلا بعد ثلاثة آلاف سنة من إنشائها على أيدي اليبوسيين. ففي سنة ألف قبل الميلاد تجمعت القبائل الإسرائيلية وهاجمت القدس، ولكنها فشلت في الاستيلاء عليها وصدتها القوى المدافعة عنها من أبنائها المنحدرين من القبائل العربية التي استقرت على بقاعها منذ آلاف السنين.

ولكن المغيرين الإسرائيليين فشلوا في دخول المدينة المقدسة عنوةً واقتداراً ، فلجئوا إلى أسلوب المكر والخديعة. وكانت طرق سرّية خاصة تصل بين النبع خارج السور وقلب المدينة، فاستطاع الإسرائيليون أن يجدوا بعض الخونة الذين أرشدوهم إلى ذلك.

---

(1) المصدر السابق ص 28 .

(2) المصدر السابق 15 .

القدس العربية قبل العبرانيين

لقد أجمعت المصادر التاريخية على أنّ دخول اليهود أرض القدس كان حوالي ألف سنة قبل الميلاد أو أكثر [1].

جاء في كتاب (التاريخ اليهودي العام) [2] عن تاريخ القدس قبل العبريين ما هذا نصه : (أقدم النقوش التي ورد فيها ذكر هذه المدينة موجودة عندنا في (المتحف المصري) بالقاهرة، في مجموعة اللوحات المكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية (لغة العراق القديم)، تتخللها شروح باللغة الكنعانية (لغة فلسطين القديمة). وهذه النقوش تسمى (لوحات تل العمارنة) ، وقد عثر عليها في أوائل القرن العشرين في هذه المنطقة من محافظة أسيوط، وهي وثائق دبلوماسيّة ترجع إلى عهد الفرعون (أمنوفيس) الثالث، من /1411إلى 1375 قبل الميلاد/ وابنه (اخناتون) / 1375−1350 ق.م/ .

تسمى أورشليم (القدس) في هذه النقوش (أوروسالم) ، ففي رسالة كتبها (عبد يحيبا) إلى (أمينوفيس الثالث) نجد أنّ الأول هو حاكم القدس (أوروسالم) ، من قبل فرعون ، وأنّه يستنجد بمدد عسكري لصد غارات شراذم من الغجر الرحل اسمهم (حبيرو) أتفق البلحثون أنّهم (العبريون) كما ذكر ذلك الأثري (بندلبوري) الذي أشرف زمناً طويلاً على الحفائر في هذه المنطقة وآلف كتابه المشهور (حفائر تل العمارنة)، يقول المؤلف نفسه : أنّ معبد (أتون) في تل العمارنة بخطته المعمارية المتميّزة ، وبالخلفية الدينية التي جعلته قبلة الناس كافة، هو الذي ألهم بناة المعابد في بلاد النوبة والآسيويين في أورشليم، فكرة المعبد المركزي الذي يتجه إليه الناس جميعاً في صلاتهم، ويأتون إليه في حجّهم [3].

([1]) تاريخ فلسطين القديم: لظفر الإسلام خان ص 34/ وتاريخ مدينة القدس : لمعين أحمد محمود ص 15 .

([2]) تأليف صابر طعمية ج1 ص 136 .

([3]) المصدر السابق ج 1 ص 137.

(نجد اسم أورشليم بعد هذا التاريخ يتكرر في لغات أخرى، ففي نقوش الأمبراطور الآشوري (سنحاريب) حوالي /700 ق.م/ يرد اسمها هكذا (أورسليمو) وفي العبرية (يروشالايم) وفي النقوش اليونانية في عهد الإسكندر الأكبر حوالي /330ق.م، وردت بلفظ (خيروسوليما) أو (سوليما) باختصار ، وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العلام تقريباً.

أما اسم (القدس) فلا بدّ أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها، أي منذ ما قبل العبريين عندما أقيمت فيها لأول مرة أماكن مقدسة .. وعلى أية حال فإن المؤرخ اليوناني (هيرودوت) لم يذكر في تاريخه المشهور أسم (أورشليم) ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الجزء(الفلسطيني) من الشام، وسماها (قديتس) مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه. ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي (سالومون ونك) في كتابه (فلسطين) إنّ هذا الاسم الأرجح هو (القدس) محرّفاً في اليونانية عن النطق الأرامي (قديشتا) وحتى اليهود في الكتاب المقدس قد أطلقوا عليها أحياناً اسم (مدينة القدس) (اشيعا 48: 2، نحميا 11 : 1) و(جبل القدس) (أشيعا 27 :13) كما سميت (مدينة الله) (المزامير 48 :1) ومدينة الحق) (زكريا 8 :3) [1].

وأسم (أورشليم) ليس عبرياً أصيلاً، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبريين إليها بشهادة نص تل العمارنة، وبدليل أنّ اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية (يروشالايم)، فهذه الياء واقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تثبت في الكتابة العبرية، وقد كتبت بدونها في أسفار العهد القديم (656) مرة، وكتبت بها ست مرات فقط، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بلا ياء (التوسفتا. كتاب الصوم (تعنيت 16 :5) [2].

فمن خلال تدقيق المكتشفات الأثرية الحديثة، واستقراء سطور التاريخ، وتصفية ألوف من نظريات ومطالعات علماء ونقاد التاريخ، يتبينّ بوضوح أنّه قبل منتصف القرن العاشر قبل الميلاد لم يكن بين شعوب منطقة بلاد الشام أي أثر لشعب يدعى بالعبراني أو اليهودي، كما ثبت بصورة قاطعة أنّ اللغة المسماة اليوم

([1]) المصدر السابق ج 1 ص 138 .

([2]) نفس المصدر ج1 ص 138 .

باللغة العبرانية وهجائيتها كانتا في الأصل لغة وهجائية شعب كنعان، وليس لها أية صلة حقيقية بمن اصطلح التاريخ بعد القرن العاشر، قبل الميلاد بتسميتهم بالعبرانيين أو اليهود، وهؤلاء في الأصل ليسوا سوى أحفاد رعاة الشاة الذين انحدروا من مختلف شعوب آسيا الصغرى، وكانوا يتجهون في بوادي تلك البلاد بحثاً عن مساقط القطر ومنابت الكلأ لتربية إنعامهم[1].

(وكانت (أورشليم) من المدن الفلسطينية التي قاومت الغزو قروناً طويلة، فمثلاً نجد يوشع بن نون نفسه يجعلها في نصيب قبيلتي بنيامين ويهوذا من أسباط بني إسرائيل، ولكنهما لم يستطيعا - ولمدة طويلة جداً - طرد سكانها الأصليين (اليبوسيين) وهم إحدى القبائل الفلسطينية القديمة، (يوشع /15: 63) : (وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم) والمقصود :اليوم الذي يروي فيه الرواية هذه الوقائع عن يوشع، وبعد وفاته بمّدة علمها عند الله . وبعد موت يوشع بن نون أعاد سبط يهوذا الكرة على أورشليم (وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف، وأشعلوا المدينة بالنار) (سفر القضاة 8/1)، أمّا سبط بنيامين فإنّهم فشلوا كذلك في طرد اليبوسين وسكنوا معهم إلى هذا اليوم (قضاة 21/1)[2].

ولذلك بقيت أورشليم تسمى (يبوس) أو (مدينة اليبوسيين) كما جاء في (سفر القضاة) ، وفي هذا الموضع نجد نصاً يستحق الانتباه، حين يقول في سياق القصة التي يرويها : ....

(وفيما هم عند (يبوس) وقد انحدر النهار مداً، قال الغلام لسيده : تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده : لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا) .. إنّ المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليبوسيين، سكانها الأصليين من شعب فلسطين، ومعروف أنّ داود عاش حوالي سنة ألف قبل الميلاد، وبالتالي ظلت (مدينة السلام) من أول من لقيناها في التوراة على أيام

([1]) انظر كتاب (المفسدون في الأرض) فصل منشأ السامية وكتاب (زحف الطاعون) لسليمان ناجي ص 89 .

([2]) المصدر السابق ج1 ص 140 .

إبراهيم إلى تلك الفترة - نحو ألف سنة - تقاوم التسلل العبري، والمطامع اليهودية ، فلا ينال الإسرائيليون منها إلاّ بالتخريب والإحراق حيناً أو بالمساكنة والتعايش السلمي أحياناً[1]).

التوسيع الإسرائيلي القديم ومقاومة الفلسطينيين

بعد المعارك الوحشية التي أقامها الإسرائيليون بقيادة (يوشع خليفة موسى) الذي كان يوجههم - على حدّ تعبيره التوراة اليهودية - بالقتل والإبادة : (أحرقوا المدينة بالنار على كل من فيها ..) لم يستسلم العرب سكان فلسطين ، بل كانوا دائماً يدافعون كما تقول التوراة في الإصحاح التاسع من سفر (يوشع).

والذي في (سفر القضاة) عن هذه الحقبة هو ما يستفاد منه حتى من وجهة النظر التوراتية من أن بني إسرائيل حاربوا أهل تلك الديار من الذين كانت لهم قوّة في مناطقهم ومدنهم في غرب الأردن، ونجحوا في بعض حروبهم، إلاّ أنّهم لم يستقروا أبداً، فقد كانوا يتعرضون لغارات كثيرة لا تخمد، من سكان تلك البلاد، بسبب انحرافات بني إسرائيل الخلقية والاجتماعية والدينية[2] والتي كانت سبباً في تسليط الله تعالى عليهم المغيرين من الآراميين والمؤابيين والمديانيين والعمالقة وبني المشرق، ، فضلاً عن الفلسطينيين الذين استطاعوا في بعض الأجيال، قبل أن تدخل الجماعات الإسرائيلية الفترة التي أنقذتهم فيها حالات النبوة التي ظهرت في عهود متفرقة، وعلى الرغم من ذلك لم يستطيعوا الخلاص من محاصرة الفلسطينيين لهم، ولم يمارسوا حريتهم، ويطمئنوا إلى تحقيق مطامعهم كما تملي عليهم أمانيهم بالمصلحة والهوى.

([1]) المصدر السابق ج 1 ص 139 .

([2]) انظر ذلك في كتاب (تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام) ج1 للدكتور عبد الفتاح شحادة/ ط1/.

عروبة القدس

لقد أثبت التاريخ والمؤرخون قاطبة أن القدس خاصة وفلسطين عامة، جزءً من بلاد الشام، فإذا كان الشام من بلاد العرب، كان بالتأكيد القدس، وفلسطين عربية، من غير شك ولا ريب وبالتالي كان العرب هم الذين شّيدوا القدس وعمروا فلسطين كذلك ..

ذكر الإمام القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الانشا)[1] : (إن القدس من أعمال بلاد الشام).

وذكر صاحب كتاب الروضة الغناء في دمشق الفيحاء (نعمان أفندي قساطلي) [2]: (أن الشام سمّاها الأقدمون (سوريا) ، وقسموها إلى قسمين: الأول سوريا؛ والثاني فلسطين) ، ويقول (وقد قسم بعضهم الشام إلى خمس شامات : الأولى غزة والرملة وعسقلان وبيت المقدس. والثانية : الأردن وطبرية والغور واليرموك وبيسان ، ومدينتها الكبرى طبرية . والثالثة : الغوطة ودمشق وسواحلها، ومدينتها الكبرى دمشق. والرابعة : حمص وحماة وكفر طاب ...؟وقنسرين وحلب. والخامسة : إنطاكية والعواصم ومصيصة وطرسوس.

ويذكر أيضاً حدود بلاد الشام فيقول : (ويحدّ هذه البلاد شمالاً: آسيا الصغرى، وشرقاً: العراق والبادية، وجنوباً: جزء من بلاد العرب، ويقال تيه بني إسرائيل ، وغرباً بحر الروم) [3].

وذكر العلامة محمد كرد في كتابه (خطط الشام) [4]: (أنّ من مدن الشام القدس) ضمن ما ذكره من بلاد القدس ولبنان والأردن وسوريا.

وإن الجذور العميقة والأبعاد السحيقة والآثار القديمة تثبت وحدة شعوب بلاد الشام وأنهم أمة واحدة ولسانهم العربية فقط. وهذا ما أثبته العلامة محمد كرد

---

(1) تاريخ أداب العرب ، ص 72 –100 .

(2) ص 3.

(3) المصدر السابق ص 4.

(4) ج1 ص 13.

علي في كتابه (خطط الشام) [1]. فذكر أن (رنان) يقول : (من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حلّ سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معرفة بادئ بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسلة غنية وأي غنى، متفقة بحيث أنها من ذلك العهد إلى يومنا هذا لم يدخل عليها أدنى تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول أمرها تامة) ثم قال : (وما عُهدت فتوح قط أعظم من انبساط ظل العربية، ولا أشدّ سرعة منها، فإنّ العربية ولا جدال قد عمت أجزاء كبرى من العالم، لم ينازعها الشرق في كونها لغة عامة أو لسان فكر ديني أو سياسي، أسمى من اختلافات العناصر إلا لغتان اللاتينية واليونانية ، ولكن أين مجال هاتين اللغتين في السعة من الأقطار التي عم انتشار اللغة العربية فيها).

ثم يقول : (قلنا : وربّما ذهب الشام بفضل هذا الشرق الأعظم - أي : بعد بلاد الجزيرة العربية - ولعله سبق العراق ومصر في الأخذ بمذاهب العرب) [2].

وقال العلامة كرد علي : (إن اللغة العربية دخلت واسعة النطاق إلى الشام من الجنوب منذ خمسة وعشرين إلى ثلاثين قرناً، وزادت بالاسم رسوخاً وانتشاراً [3].

والذي يثبت ويؤكد أصالة عروبة بلاد الشام بعامة وفلسطين والقدس بخاصة، ما قرره الدكتور، شوقي ضيف في سلسلة (تاريخ الأدب العربي) [4].

حيث يقول : (وتساءل العلماء عن المهد الأصلي لأسلاف الناطقين بهذه اللغات السامية المختلفة .. ومهما يكن المهد القديم لاصل نشأتهم الذي يتعمق في عصور ما قبل التاريخ، فإنّ الباحثين يتفقون على أنّ موطنهم في العصور التاريخية هو الجزيرة العربية، فقد نزلوا بها واستقروا فيها، وعاشوا حياة مشتركة اكتسبوا خلالها هذا التشابه في لغاتهم).

---

(1) المصدر السابق، ج 1 ص 42 .
(2) المصدر السابق ج 2 ص 42 .
(3) المصدر السابق ج 1 ص 47 .
(4) العصر الجاهلي ص 22 .

ثم يذكر الموجات الساميّة التي خرجت من الجزيرة العربية واستوطنت بلاد الشام، فيقول:

(والموجة الساميّة الثانية التي خرجت من الجزيرة العربية هي موجة الكنعانيين، وقد بدات في خروجها منذ اوائل الألف الثاني (ق-م) ويممت الشام وسواحل البحر الأبيض الشرقية، وأسست هناك مُدناً تجارية مثل صيدا وصور وجبيل وبيروت)[1].

ثم يقول : (والأراميون هم ثالث الموجات الساميّة الكبيرة التي خرجت من الجزيرة العربية قبل الميلاد، وقد بدأ خروجهم منذ منتصف الألف الثاني (ق-م) والمظنون أنهم كانوا بدواً رحلاً، يتنقلون شمالي صحراء النفوذ في باديتي الشام والعراق، ويتغلغلون إلى خليج العقبة غرباً وجنوبي الفرات شرقاً، وقد استطاعوا أن يكونوا لهم إمارة بين بابل والخليج العربي، عُرفت باسم (كلد) ومنها أخذ اسم الكلدانيين[2].

وليست المسألة مسألة فرض واحتمال، وإنّما هي مسألة آثار ونقوش حملت إلى علماء الساميات الدليل القاطع الذي لا مطعن فيه على هذه الحقيقة.

هذا وترجع القدس في نشأتها إلى فترة الاستقرار والتحضر الأولى، لشعوب الأرض عامة والشام خاصة، حيث سكن القدس القبائل العربية التي نزحت إليها من أطراف بلاد الشام والجزيرة العربية، بدليل ما وجد المنقبون الأثريون من نماذج الفخار التي وجدت في قبر على منحدر تل (عوف أيل)، الذي سماه الرومان (أوفيل) جنوب المدينة المقدسة، وذلك التل الذي كان نواة للمدينة اليبوسية التي سبقت المدينة الإسرائيلة بقرون كثيرة. وقد أرجع العلماء هذا الفخار إلى العصر البرونزي القديم (3000-2100) (ق-م)[3].

([1]) المصدر السابق: العصر الجاهلي / 24 .

([2]) المصدر السابق / 24 .

([3]) قدسنا: للاستاذ محمود العابدي ص9 نشر معهد البحوث والدراسات العربية لجامعة الدول العربية، وراجع ما كتبه في ص 12-13 .

واليبوسيون هم الذين بنوا القدس، وكانوا رهطاً من بطون العرب الأوائل، نشأوا في صميم الجزيرة العربية، وترعرعوا في أرجائها، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية، واستوطنوا أرض فلسطين، وأغنب الظن أنّ ذلك قد حدث حوالي /3000 قبل الميلاد /[1]. فكان اليبوسيون هم أصحاب القدس .

والكنعانيون عرب من نجد، وهم ينسبون إلى سام بن نوح، كنسبة اليبوسيين ملوك القدس أنفسهم.

ومما يثبت كون سكان القدس كانوا من اليبوسيين العرب، ما اكتشفه المنقبون في مدينة القدس سنة 1833 م قناة ماء مكشوفة حفرت في الصخر أيام اليبوسيين [2].

ويستنتج المؤرخون في بعض الآثار ولا سيما الآثار المصرية في أيام الفراعنة إلى جانب الأخبار المروية بأن اليبوسيين ما لبثوا أن أصبحوا ذوي حضارة، وكانت (القدس) المسماة يومئذ بـ (يبوس) عنوان تلك الحضارة التي كانت تتجلى في عماراتها وأبنيتها. وكان من ملوك (يبوس) القدماء ملك اسمه (سالم اليبوسي) وقد بذل جهداً كبيراً في سعة عمران هذه المدينة، وأقام على جبل صهيون بجانب القدس، برجاً للدفاع عن المدينة[3].

ولعظيم جهوده التي بذلها في خدمة المدينة ورعايتها أطلق القدماء عليها اسمه فسموها (مدينة سالم) والذي يطلقه العبريون عليها (أورشليم) وهو التعبير الذي يعني (مدينة السلام) ، وهذا يثبت أصالة التسمية العربية القديمة للقدس، فلفظ (أور) بالعبرية معناه (مدينة) ولفظ (شليم) معناه (السلام)، أي : إنّ التسمية التي أطلقتها التوراة على القدس بالتعبير العبري، يدل دلالة واضحة أن لفظ (شليم) هو (سالم ، أو سليم ، أوسلام) والسين عند العبريين (ش) بدليل قولهم عن (موسى) (موشي).

---

(1) تاريخ القدس ص 11 ،عارف العارف.

(2) قدسنا للعابدي / 32.

(3) تاريخ مدينة القدس : معين أحمد محمود ص 27-28.

ولم يأت العبريون إلى القدس إلاّ بعد ثلاثة آلاف من إنشائها[1] . وإنّ ما كتبه المؤرخ الإغريقي (حيرودوت) في تاريخه القدم عن العرب، بأنّه كان لا يقصد بهم سكان المنطقة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب [2]. يؤكد أصالة سكان بلاد الشام، العربية من غير تطرق أي احتمال يعارض هذه الحقيقة.

وينقل أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة فؤاد الأول (محمد مبروك نافع) في كتابه (تاريخ العرب: عصر ما قبل الإسلام) [3]: عن بعض علماء العبرية أن كلمة (عبري) ترتبط بكلمة (عبر) العربية، ارتباطاً لغوياً متيناً، لأنّها مشتقة من أصل واحد، وتدل على معنى واحد، وأنّها مشتقة من الفعل الثلاثي (عبر) بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر، من (عبر السبيل إذا شقها) . وذلك أن العرب أبناء العرب العاربة، والمستعربة- أبناء إسماعيل - وأبناء اسحق، كانوا يعيشون في البادية، فالعرب استقروا في بلاد الشام والجزيرة العربية، وأمّا بنوا إسحاق هم أسباط يعقوب - الذي اسمه إسرائيل- فقد نزحوا إلى مصر، بعد أتى بهم (يوسف عليه السلام) حين أصبح (عزيز مصر) من بادية الشام، وفي هذا يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقل يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً،وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) [4].

فلو كان بنوا إسرائيل في فلسطين أو القدس، لما قال : (وجاء بكم من البدو) ، لأنّه لا يطلق على سكان المدن (بدو) ودلالة كلمة البدو بينّة ظاهرة على سكان الصحراء، من غير نزاع أو خلاف.

---

(1) المرجع السابق ص 15، 22.

(2) هيردودت: مؤرخ إغريقي بارع، أطلقوا عليه (أبو التاريخ) لأنه أقدم من عالج تاريخ الإنسان والحضارة – انظر الموسوعة العربية الميسرة، للدكتور محمد شفيق غربال، ج1926/1.

(3) ص 13 .

(4) الآية /99-100 من سورة يوسف.

وبعد مضي قرون بعث الله سبحانه (موسى) رسولاً في بني إسرائيل ، وأخرجهم من مصر لظلم فرعون لهم، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة، وهي بلاد الشام، فلما عبروا نهر الشريعة - نهر الأردن- سمو بالعبرانيين ، لعبورهم النهر، وهذه تسمية أطلقها عليهم سكان البلاد الاصليين الذين هم من العرب.

وفي هذا ما فيه الكفاية من الدلالة على ثبوت عروبة القدس وفلسطين وسائر بلاد الشام، وأنّ سكانها من العرب.

ويرى بعض المؤرخين المحققين، أنّ سكان قطر الشام الأول، يدعون (العمر واللودانو) وهؤلاء لا ندري متى كانت هجرتهم من جزيرة العرب، ولا نرى في الآثار ما يدل عليها، وأول ما عرفناه من سكان فلسطين بعدهم (الكنعانيون) وهم من القبائل السامية التي بارحت (نجد والعراق) منذ قرون يعسر تحديدها ، إلاّ أن هناك آثاراً تدل على وجودهم منذ ثلاثين الف عام [1]. وقد عرف بعض هذه القبائل السامية بالآراميين، وعرف بعضها ثلاثة وعشرين قرناً (الفينيقيين، وقد طال الأمد على إقامتها بفلسطين، فتفرعت إلى أفخاذ، وعمرت الأغوار والنجود، وأسست المدن والقرى، وأقامت القلاع والحصون، وعرفت بالشجاعة والجبروت، واستقلت كل قبيلة بأرضها، واتخذت لرئيسها لقب (ملك) .

وجميع القبائل نرى لها علاقة أو اسماً في العهد القديم، وهي نحو أربعين قبيلة تقيم بفلسطين كالأموريين ، والفرزيين، والجرجاشيين .. هي من هذا الأصل الكنعاني العربي النجدي [2].

والمؤرخ المحقق (الطبري) في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) يثبت جنسية الكنعانيين والعماليق بأنّها عربية، وأنّ لغتهم كانت اللغة العربية، فيقول (عمليق: أبو العماليق، كلها أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمان، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذي يقال لهم

([1]) للاطلاع على الموجات العربية عبر العصور، راجع كتاب (الإسلام والمسيحية في لبنان مطبعة الانصاف ببيروت.

([2]) محمد علي الزعبي في كتابه (اسرائيل بنت بريطانيا البكر) ص 34 .

(الكنعانيون) وكان أهل البحرين وأهل عُمان منـهم أمة يسمون (جاسم) وكان ساكني المدينة منهم .. وأهل نجد منهم .. وكان ملك الحجاز منها بتيماء اسمه (الأرقم) وكانوا ساكني نجد مع ذلك [1].

ويقول أيضاً[2]: (وعمليق- وهو عريب- وطسم وأميم بنو (لوذ بن سام بن نوح) وعمليق هو أبو العمالقة.

وحين يذكر الطبري تفرع اللغة العربية في القبائل يقول [3]: ففهم الله العربية: عاداً عبيل وثمود وجديس وعمليق وطسم وأميم وبني يقطن بن عامر بن شالخ بن أرفشد بن سام بن نوح)

ويقول عن الكنعانيين الذين هم من أبناء (عمليق الذي كان أول من تكلم العربية) ولحق قوم بني كنعان بالشام، فسميت الشام حيث تشاءموا إليها وكانت الشام يقال لها (أرض بني كنعان) ثم جاءت بنو إسرائيل فتقلوهم بها، ونفوهم عنها، فكانت الشام لبني إسرائيل ، ثم وثب الروم على بني إسرائيل فقتلوهم وأجلوهم إلى العراق إلا قليلاً منهم، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام [4].

ومن العماليق من سكن مكة المكرمة، كما ذكر ذلك الإمام البغوي في تفسيره[5] فقال (وفي زمن هود عليه السلام كان العماليق يسكنون مكة، كما قال ذلك ابن اسحاق).

وقال الإمم المسعودي في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) [6] (وطسم وجديس ابنا لاوذ بن إرم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين، وأخوهما عمليق بن لاوذ ابن إرم، نزل بعضهم الحرم، وبعضهم الشام، ومنهم العماليق، تفرقوا في البلاد).

([1]) تاريخ الرسل والملوك للإمام الطبري ج1 ص 203.
([2]) المصدر السابق جـ1 ص 207.
([3]) المصدر السابق ج 1 ص 208.
([4]) المصدر السابق ج1 ص 209 . وانظر ما جاء فيه من ص 439-442 .
([5]) ج 2 ص 205.
([6]) ج 1 ص 42 .

فمن تلك النصوص المتسفيضة التي بلغت حدّ الحقائق الثابتة ترسخ لدى العقلية العربية على مدى الدهر أنّ القدس وفلسطين عربية، وستظل عربية إلى أبد الدهر بإذن الله تبارك وتعالى.

فهي جزء من الوطن العربي الكبير، وشعبها جزء من الأمة العربية الكبيرة .. وذلك ما يثبت صدق القول بأن (العرب هم الذين شيدوا القدس وهم الذين بنوا فلسطين وعمروها).

وما زعم اليهود بحقهم في القدس وفلسطين إلا حديث سفاهة في خرافة، فلم يكن لهم - وكما أثبت التاريخ - من ملك أو دولة موحدة في تلك الأجزاء من الوطن العربي الكبير، إلاّ أقلّ من قرن واحد فقط (بين القرنين: الحادي عشر والعاشر ق، م).

وحين جاء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي لم يكن فيها جماعات يهودية تقطنها، ولهذا كان العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لبطريرك القدس مشروطاً بعدم السماح لليهود بالسكن في القدس [1]. واستمراراً لاقصاء اليهود عن فلسطين.

فلا حق لهم بوصية ولا شفاعة.. ولا حق لهم في الأرض المقدسة .. جزاء وفاقاً.

والحدث الأول في القدس كان ليلة السابع والعشرين عن شهر رجب الحرام قبل الهجرة بعام تقريباً حيث أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

الحدث الثاني : وهو (فتح بيت المقدس) على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، منعطفاً كبيراً في مجريات (تاريخ القدس)، تحقق فيه نبوءة رسول الله صلى الله وآله وسلم التي أخبر بها عمر رضي الله عنه : (أنك ستفتح بيت المقدس بلا قتال) !

ومجريات أحداث هذا الفتح العظيم الذي تمّ على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالذات، وبلا قتال كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. في

([1]) تاريخ الرسل والملوك للطبري ج 3 ص 609.

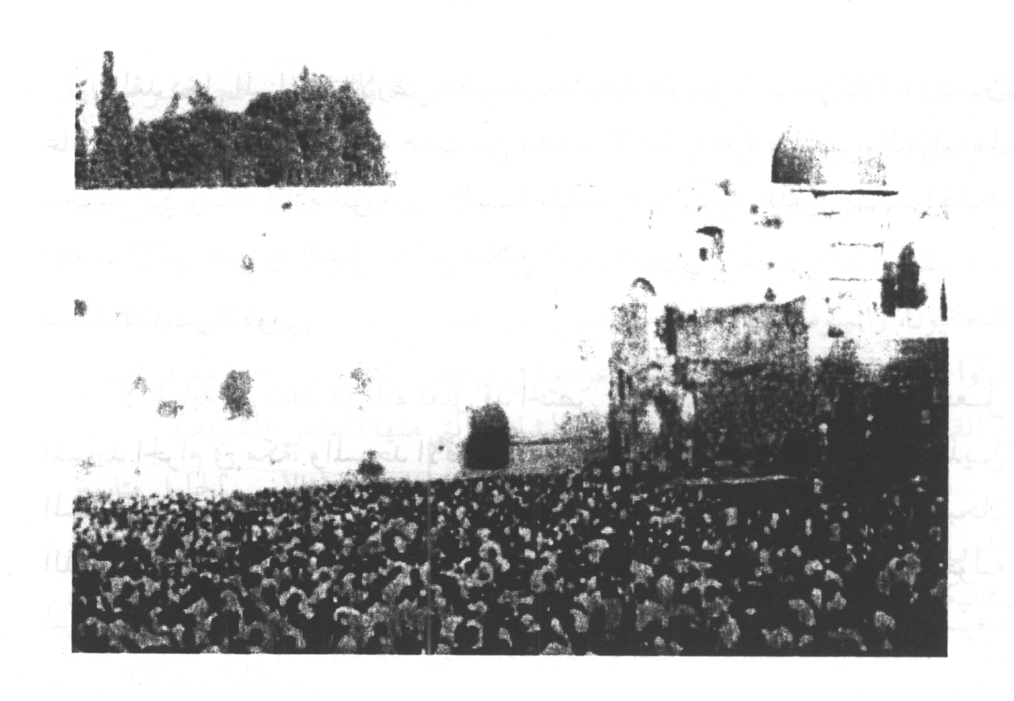
هذا الحدث الكبير هو ما تحقق في النبوءة وما جاء في نص وثيقة العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب لبطريرك القدس، حين سلّمه مفاتيح القدس، حيث كتب لهم :

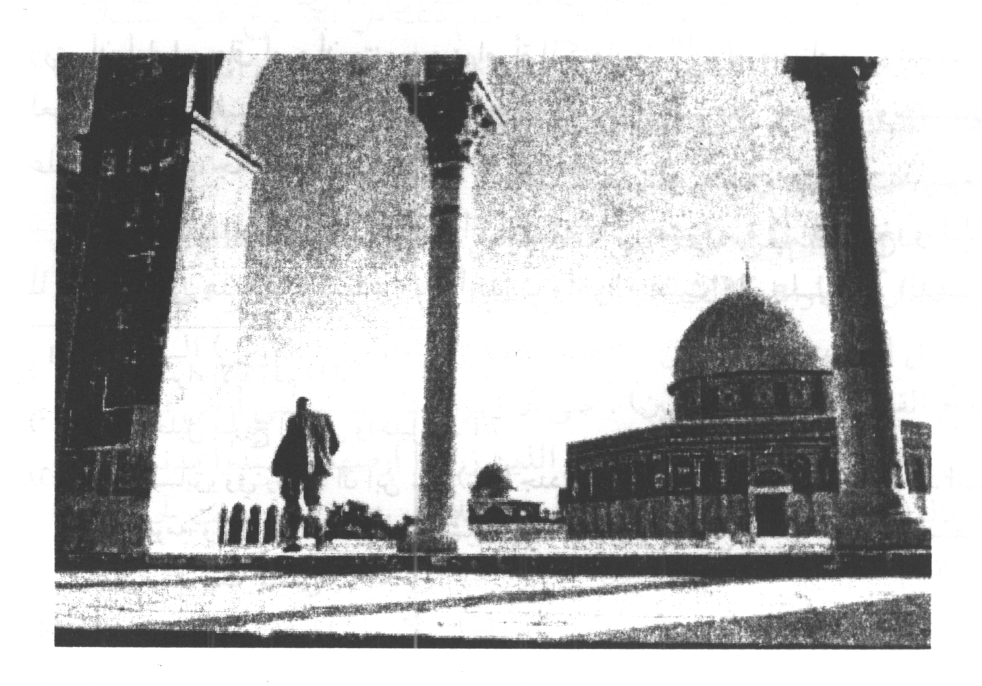
(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل (إيلياء) - يعني : القدس - من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها: أنّه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن (بإيلياء) معهم (أحد من اليهود) ..

لقد كان !! الشرط الأكبر على أهل إيلياء القدس أن لا يسكن معهم أحد من اليهود، والذي يستفاد من هذا الشرط .. أن اليهود لم يكونوا من أهل إيلياء، وأنّ على أهل إيلياء أن يمنعوا اليهود من استيطان القدس أو حتى السكنى فيها ولو لفترة من الزمن، وهذا ما يؤكد أن اليهود ولا حق لهم أبداً بالقدس، وأنهم كانوا مطرودون منها ومبعدين عنها، لفسادهم وبغيهم .. قال الله تعالى في بيان عقوبتهم وعاقبتهم : (فلّما عتوا عما نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إنّ ربك لسريع العقاب وإنّه لغفور رحيم، وقطعناهم في الأرض أمما ..) فكانت عقوبتهم (تشتيتهم) في الأرض، ومنعهم من إقامة كيان واحد لهم ..

ومن بعد الفتح: عاشت القدس مسلمة عربية، يعيش فيها المسلمون والنصارى بتسامح فيما بينهم حتى عصفت بتلك الديار فتنة الصليبيين، والتي استمرت اثنين وتسعين عاماً، ذهب ضحيتها ما ينوف عن مئة ألف ضحية وشهيد .. حتى جاء يوم السابع والعشرين من رجب الحرام عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة للهجرة، يوم الفتح الثاني.

الحدث الثالث : في يوم الجمعة /27/ من شهر رجب عام /583/ للهجرة، وهو اليوم الذي يوافق ذكر الإسراء والمعراج، يتحقق النصر الأعظم على قوى البغي والعدوان، وبعد صبر طويل ومصابرة أطول بالفتح العظيم الذي تحقق فيه تحرير القدس من براثين الصليبيين المعتدين !!





لقد دخل المسلمون الأرض المقدسة بعد جهاد طويل، استمر ثلاثة وثمانين عاماً وأكثر .. في لحظات تاريخية حملت من مشاعر الإيمان والعزّة والنصر والكرامة ما عجزت عن وصفه أقلام المؤرخين والسنة الشعراء والأدباء الذين شهدوا ذلك الحدث الأكبر على يد البطل الفاتح صلاح الدين الأيوبي.

نشأة القدس العربي

لا غرابة في ذلك فإنّ الله تعالى قد اختص بقعتين من أرضه بقدسيته، فجعل المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في المقدس، ولقد جمع الله سبحانه هذين المسجدين لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، فقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الإقصى، الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) [1] ، فكان ذلك دلالة ظاهرة على شرف هذين المكانين الطاهرين .

أن آدم عليه السلام قد شارك في عمارة القدس [2] ثم من بعده نوح عليه السلام بعد الطوفان الذي عمّ في زمنه [3]، ثم من بعده يعقوب عليه السلام، كما روي أن أباه اسحاق أمره أن يتزوج من امرأة الكنعانيين [4]، وأمره ببناء بيت المقدس لعبادة الله تعالى، فبناه على أساس نوح عليه السلام، ثم من بعده [5] وسليمان عليهما السلام، جاء أتمّ سليمان ما بدأ به أبوه داود [6].

ولقد ذكر المؤرخون أنّ القدس أعيد بناؤه ثماني عشرة مرة في التاريخ، وذلك لما توالت على هذا البلد المقدس من أحداث وأهوال، حيث كان على مرّ الدهور

([1]) سورة الإسراء الآية رقم (1).

([2]) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل جـ 7/1.

(3) المصدر السابق، وفي رواية : ان ابن نوح (سام) جدد البناء القديم، لأنه جاء ملكاً من بعد أبيه على قومه، وأنظر ص 21 من حيث تشير الرواية أن الله تعالى أطلع نوحاً وهو على السفينة على مكان بيت المقدس.

(4) المصدر السابق، جـ65/1، 13.

(5) المصدر السابق جـ113/1.

(6) المصدر السابق 117/1.

مطمع أنظار الأمم والشعوب، وهدفاً من أهداف الغـزاة والفـاتحين، فحوصـر مـراراً وهدم تكراراً.

كما وتجدر الإشارة إلى أن شعوب بلاد الشام شاركت بما فيـه الكفايـة في بنـاء المدينة المقدسة مشاركة فعّالة ، كما أثبـت ذلـك المؤرخـون، وتلـك الشـعوب هـي : الكنعانيون، واليبوسيون، وكانوا منحدرين من بطون القبائل العربية الأوائل، الذين أنشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها، ثم نزحوا عنها مع من نـزح من القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام، والتي منها القدس الشريف.

فقد روى القاضي مجير الدين الحنبلي في كتابه الشهير (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) [1] فقال : (ومما حكي في أمر بناء القدس في تواريخ الأمم السالفة: أن مليكيصادق- وهو سام بن نوح ملك اليبوسـيين - نـزل بـأرض بيـت المقـدس، وقطن بكهف من جبالها، يتعبد فيه، واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذيـن هـم بالقرب من أرض بيت المقدس وبالشام وسدوم وغيرهما، وعدتهم أثناء عشر ملكاً، فحضروا إليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حباً شـديداً، ودفعـوا لـه مـالاً ليعمر به مدينة القدس، فلختطها - أي : كما علم ذلك من أبيه نوح عليه السـلام- وعمّرها، وسميت ب(أورشليم) ومعناه بالعبرية (بيت السلام) فلما انتهت عمارتـها اتفقت الملوك كلها أن يكون (مليكيصادق) ملكاً عليها، وكنّوه بـأبي الملـوك، وكـانوا بأجمعهم تحت طاعته، واستمر حتى مات بها).

كما وأنّ أقدم من عرف على هذه الأرض بشكل عـام، وهـو الشـعب الـذي يعود انتشاره إلى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، والذي استمر حتى مطلع الألـف الأول قبل الميلاد، وهو قسم من الشعب العموري (السامي - العربي) الـذي عرفـه التاريخ القديم باسم (الكنعانيين) ، حتى أنّ التوراة ذاتـها تسـمي أرض فلسـطين : (أرض كنعان) ، وهؤلاء الكنعانيون هم الذين زرعوا أرضها وشـيّدوا مدنـها ألفـي سنة، فالقدس ، وأريحا، وعكا، ويافا، وغزةّ، وعسقلان، وبئر السبع ، وبيت لحم، كلـها من بنائهم.

وجماعة الكنعانيين الذين استوطنوا سواحل بلاد الشـام، وهـم الذيـن أطلـق

([1]) الأنس الجليل ج 1ص 8.

عليهم الرومان (بالفينيقيين)، أصحاب صور وصيدا وجبيل وعرقة وأوغاريت. والكنعانيون هم الذين منحو البلاد ثقافتها التاريخية الأولى من لغة وعلم ونظم وكتابة وفن وبناء وقيم حضارية أخرى ..

وبعد الكنعانيين كان التغلغل البشري في الشام للجماعة (السامية - العربية) الثانية للآراميين ، هم الذين منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، جدّدوا الدماء العريقة في هذه المنطقة، وأعطوها كرة أخرى مدناً جديدة، وحقولاً خضراء (تفيض لبناً وعسلاً) حسب تعبير التوراة ذاتها [1].

وضربوا فيها للثقافة (العربية السامية) الجذور والأبعاد، هؤلاء بدورهم كانت لهم البلاد أكثر من ألفين سنة، ويوم جاء عرب الإسلام في القرن السابع للميلاد، وجدوهم هناك ينتظرون الخلاص(السياسي والديني والاقتصادي على السواء) واندمج الشعبان الاخوان بسرعة اندماج اللبن والماء...

لقد أطلق المؤرخون على شعوب بلاد الشام والجزيرة والعراق وما حولها بالشعوب الساميّة، فما هو المقصود من هذه التسمية ؟ ويجيب على ذلك الإمام العلامة مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب) [2]: (العرب أحد الشعوب الساميّة، نسبة إلى سام بن نوح، وهي الأمم التي ذكرت التوراة أنها من نسله، وتسمى لغاتها اللغات الساميّة أيضاً كالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية والآرامية، وغيرها. وهي تسمية استحدثها بعض المتأخرين من علماء اللغات).

قال الدكتور شوقي ضيق في سلسلة (تاريخ الأدب العربي) [3]: (الساميّون كلمة تطلق على مجموعة من الشعوب في الشرق الأوسط، دلت القرابة بين لغاتها على أنها كانت في الأصل تتكلم بلهجات متقاربة، تطّورت إلى لغات سميت جميعاً باسم الساميّة، أخذاً من اسم (سام بن نوح) الذي ورد ذكره في التوراة، وهي تسمية اصطلاحية، فليس هناك أمّة تسمى بالأمة الساميّة ، إنما هناك صلات لغوية بين طائفة من اللغات ، تدلّ على أنها ترجع إلى أصل واحد).

([1]) مقتبس من مقال للدكتور المؤرخ شاكر مصطفى، في مجلة العربي عدد /290/ ص 40.
([2]) الجزء الأول ص 47 .
([3]) العصر الجاهلي ص 22.

القدس في عهد الإسرائيليين العبرانيين:

لقد عرف الإسرائيليين الذين دخلوا الأرض المقدسة بعد أن أخرجهم موسى عليه السلام من مصر لظلم فرعون إيّاهم: بالعبرانيين الذين عبروا نهر الشريعة (نهر الأردن)، وظاهر على التسمية أنّ الذين سمّوهم بالعبرانيين هم أهل تلك البلاد الذين كانوا من العرب، فإنّ لفظ (عبري) مشتق من الفعل الثلاثي (عبَر) الذي يفيد معنى (العبور) ، وهو معنى عربي بحت، كما أن لفظه لفظ عربي فصيح بدليل (ياء النسبة) فيه.

ولقد تقدم حادث العبور الإسرائيلي للأرض المقدسة أحداث وأحداث جرت بينهم وبين موسى وهارون عليهما السلام بعد خروجهم من مصر منتصرين ناجين من فرعون وملئه، من تمّرد وعصيان، فيعاقبهم الله تعالى بالتيه أربعين عاماً في صحراء سينا، ويتوّفى الله تعالى نبيّه هارون ثم موسى عليهما السلام، ويدفنان هناك. وبعد ذلك جعل الله تعالى طالوت ملكاً عليهم، وفي ذلك جاء القرآن الكريم يقّص على الأمم جميعاً قصتهم التي تحكي فظائعهم وشنائعهم التي فعلوها مع أنبيائهم وغير أنبيائهم[1] .

وأخيراً يدخل الإسرائيليون العبرانيون الأرض المقدسة، ويجعل الله تعالى عليهم داود ملكاً، وكان داود عليه السلام قبل أن يزحف بجيشه على القدس يقيم في الخليل (حبرون) ، فدخل القدس ملكاً عليها، وهذا أول حكم يقام على أرض القدس من الإسرائيليين.

وكما تشير الروايات أنّ المدينة المقدسة قد تعرضت في هذا الزحف العسكري عليها لدمار وخراب كبيرين، فأمر الله تعالى داود عليه السلام ببناء بيت المقدس، مكاناً خاصاً للعبادة. فلّما شرع داوود بذلك شغُل بأمور الملك والغزو، فلم يتيسر له إتمام بنائه.

([1]) انظر الآيات الكريمة من سورة البقرة من الآية 49 وحتى الآية 61/ ومن الآية 246 حتى الآية 251 من السورة نفسها. وانظر تاريخ الطبري ج1/ 467-475.

وقال الإمام الطبري : (ولما اجتمعت بنوا إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزّبور وعلّمه صنعه الحديد وألانهُ له) [1]، معجزةً له. وبعد وفاة داود مَلَكَ بني إسرائيل وخلف عليهم سليمان عليه السلام، وسخر الله تعالى له الجنّ والإنس والطير والريح، وآثاره الله مع ذلك النبوة، وسأل ربّه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب الله له، فاعطاه ذلك) [2].

وروي أنّ دواد عليه السلام قد أوصى ابنه سليمان بأن يعتني ببيت المقدس ويسعى لإتمام بنائه، فقام سليمان عليه السلام بتنفيذ ما أوصاه أبوه به، فبنى المسجد الأقصى، وقد أتى بالبنائين من أطراف مملكته التي يقطنها سكانها الأصليين المتبقين من اليبوسيين والكنعانيين، فكانوا من المشاركين في تشييد هذا الصرح الكريم، كما كانوا من قبل البناة والمعمرّين.

وروي أن آدم عليه السلام شارك في عمارة القدس، ثم من بعده نوح عليه السلام بعد الطوفان الذي عمّ الأرض في زمنه، ثم من بعده يعقوب عليه السلام كما روي أن أباه اسحاق أمره أن يتزوج من امرأة من الكنعانيين، وأمره ببناء بيت المقدس لعبادة الله تعالى، فبناه على أساس نوح عليه السلام، ثم من بعده داود وسليمان عليهما السلام، حيث أتمّ سليمان ما بدأ به أبوه داود [3]

واتسعت القدس في زمن سليمان، فبنى فيها الدور وشيّد القصور، واتّسع مُلكه وامتدّ من الفرات إلى تخوم مصر، فعمرت القدس في عهده بحيث ضاهت الحواضر والمدن الكبيرة، واشتهر سور سليمان لبيت المقدس ب (هيكل سليمان).

ولما رفع سليمان عليه السلام البناء وفرغت يده منه جمع الناس وأخبرهم بأنه مسجد الله تعالى، وهو الذي أمر به وباتخاذه بيتاً للعبادة، وإن كلّ شيء فيه هو لله تعالى، وإنّ داود عليه السلام عهد إليه ببنائه وأوصاه بذلك كما أمره الله تعالى[4] .

([1]) تاريخ الطبري ج 1 /478/.

([2]) المصدر السابق ج 1/ 486/

(3) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1 / 8، 65، 113.

([4]) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج1 /117-122/

وكان الذين شاركوا في بناء بيت المقدس ثلاثون ألف رجل، وعشرة آلاف يتراوحون عليهم قطع الخشب، وكان الذين يعملون بالحجارة سبعين ألف رجل، وعدد الأمناء عليهم ثلاثمائة، غير المسخّرين من الجن"[1].

وبهذا يكون سليمان عليه السلام من الأنبياء الذين قاموا بتشييد بيت المقدس، فقد ثبت أنّ الله تعالى أمر يعقوب بوضع الأساس له كما أوحاه إليه، ليقيم الناس بناءه ويتمّوه ويتخذوه للعبادة، وقد كان هذا المكان المقدس معهوداً لليبوسيين والكنعانيين بقدسيته وطهارته، فقد روي أنّ إبراهيم حين مر بهذه المدينة وجد رجلاً شيخاً كبيراً يقدس البقعة المباركة - ويقال : إنّه كان ملك المدينة، وكان كنعانياً عربياً[2] فاعترف إبراهيم عليه السلام بقداسة المكان الطاهر، وأقرّ الملك على ذلك.

وبعد أن توفّى الله تعالى سليمان عليه السلام، انقسمت البلاد إلى مملكتين :

(يهودا) وعاصمتها (أورشليم) وإسرائيل وعاصمتها (السامرة) ونشبت بينهما حروب ومنازعات كبيرة ولا سيما فيما يتعلق بالشؤون الدينية[3] .

وقد كانت هاتان المملكتان أشبه بالدويلتين الصغيرتين الناشئتين، فكانتا بالطبع خاضعتين في معظم حياتهما لنفوذ الدول القوية المجاورة في مصر والعراق، وكانت نهايتهما على يد الملك (بختنصر) الكلداني الذي استولى على القدس، وأحرق هيكل سليمان، وسبي خمسين ألف يهودي إلى بابل، عداما أفنى منهم وأباد، وذلك في عام /586 ق.م /[4].

([1]) المصدر السابق ج1 /119/

([2]) قدسنا: للأستاذ محمود العابدي /12-14/

([3]) تاريخ فلسطين الحديث: للدكتور عبد الوهاب الكيالي ص 15-16 .

([4]) المصدر السابق ص 16 .

القدس والهجمات الآشورية :

لم تهدأ المدينة المقدسة سنّي دهرها عن الهـزات العنيفة والهجمات المتعاقبة والأهوال المذهلة، متعاقبة عبر تاريخها الطويل الحافل بالسّموّ والرفعة رغم المفجعات النازلات ..

ولم تشهد المدينة المقدسة في تاريخها الطويل مثل ما شهدته في عهد العبرانيين الذين عاشوا في الأرض مفسدين، فقد ظهر منهم الظلم والعدوان فيما بينهم وعلى من جاورهم، فجّر ذلك الويل والثبور على بني إسرائيل أنفسهم، فقاسوا شتى أنواع القتل والدمار والسبي والتشريد، ولم يقّر لهم قرار على أية بقعة من الأرض (في مصر وفلسطين وبابل ويثرب).

وقبل التطرق لذكر الهجمات الأشورية على مملكة إسرائيل الشمالية، تجدر الإشارة على ما وقع لمملكة يهوذا من قبل أحد فراعنة مصر.

فتقول الرواية[1]: شهد عرش (يهوذا) عدداً من الملوك يشبه عدد ملوك إسرائيل الشمالية، وهو تسعة عشر ملكاً، غير أن هذه المملكة الجنوبية دامت أكثر من مملكة إسرائيل في الشمال. ومن الحوادث المشهورة في أول عهد المملكة غزو أحد فراعنة مصر لها .. فإنّ (شيشنق) وفي التوراة يدعى (شيشق) فقد اغتنم فرصة تقسيم المملكة اليهودية، ودخل البلاد حوالي /920 ق.م / وخرب المدن ونهب أورشليم، وحمل معه كنوز الهيكل والقصور كالغنائم[2] .

وبعد الغزو المصري هذا، تعرضت مدينة القدس إلى غزو آخر كان من قبل أحد ملوك (دمشق) حيث جعلها تحت سيطرته .

الهجمات الآشورية:

لقد اعتبرت الهجمات الآشورية من أقدم الغزوات ضد المملكة الشمالية للعبريين وقد سجل التاريخ لنا حادثتين مهمتين هما :

---

(1) تاريخ مدينة القدس ، لمعين أحمد محمود ص 35 .

(2) تاريخ سورية وفلسطين: لفليب حتي ج1 ص 215 / عن سفر الملوك الأول 14-25-26 .

1- محاولة (شيلمنصر الخامس) القضاء على يهود السامرة، الذين كانوا يقيمون المملكة الإسرائيلية الشمالية، ولكنه مات قبل أن تسقط تحت يده، وتولى متابعة الغزو من بعده (سرجون الآشوري)، وبعد أن استولى عليها أنهى وجود المملكة الإسرائيلية من فلسطين، وكان ذلك حوالي سنة /721ق.م/[1] كما أنه سبى رجالات إسرائيل إلى (ميديا) [2] .

2- هجمات الآشوريين المباشرة على المملكة (يهوذا) أو المملكة الجنوبية، وذلك بعد زوال مملكة إسرائيل في /721 ق.م/ حتى أصبحت هذه المملكة تدفع الجزية للآشوريين.. ونهج (حزقيا) سياسة معادية ضد الآشوريين ، مما أدى إلى قيام (سرجون) وخلفه (سنجاريب) /705- 681 ق.م/ بسلسلة من الحملات العسكرية ضد يهوذا وباقي المدن المجاورة، وقد بلغت ذروته عام /701 ق.م / في حصار(أورشليم) ، وقد استطاع (سنحاريب) أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية لسيطرته[3] .

([1]) المصدر السابق 18-20 وأخبار الأيام الثاني ، 16 :2

([2]) المصدر السابق عن سفر الملوك الثاني ، 17: 6.

([3]) المصدر السابق ج1 /213/.

القدس والهجمات الكلدانية :

ولمّا ملك الكلدانيين (بختصر) أو (نبوخذ نصر) قام بحملتين واسعتين على مملكة يهوذا الصغيرة، واستولى على مدينة (أورشليم) وسبى اليهود وشردهم ومزق جموعهم، وقد سميت هذه الحملة بالأولى [1].

السبيّ البابلي الأول :

وكان سببه أن مملكة يهوذا لعدم تأدية الجزية للكلدانيين فجرد (بختصر) حملاته التي لم تقو المملكة الصغيرة على مقاومتها، فسقطت (أورشليم) في عام 596 ق.م ، وأخذت بالقوة، أسر من أهلها سبعة آلاف مقاتل وعلى رأسهم ملكهم (يهوياقين) [2] غير انّه انصرف عنها.

السبيّ البابلي الثاني:

وكان بعد أن انضمت الغلول المتبقية من مملكة يهوذا بالثائرين على بابل، فعاجلهم (بختنصر) وحاصرهم في (أورشليم) وسقطت المدينة في السنة التالية، للمرة الثانية، وفيها دمر بختنصر أورشليم وأحرق الهيكل، وسلب الخزائن والكنوز ونقلها إلى بلاده، وقتل من سكانها خلقاً كبيراً، وأخذ أربعين ألف أسير إلى بابل، وكان هذا السبي المشهور في التاريخ [3].

ولقد نكلّ بختنصر بملك الإسرائيليين أشد التنكيل، وذلك أنّ الملك هرب عشية سقوط المدينة تحت جنح الظلام، فطلبه بختنصر، فأدركوه في سهل (أريحا) وحين قدموا به إلى معسكر بختنصر في (ربله) قتل أبناءه أمامه ثم سمل عينيه لكي يكون هذا آخر ما يرى في حياته، ثم قيّد بالسلاسل وحُمل إلى بابل. وأما المدينة فقد دمرت مع هيكل سليمان، وظلت كذلك عدة قرون [4].

وفي هذا السبي يقول المؤرخ (اليعقوبي) في تاريخه[5] : (ثم ملك (يوقيم) وهو أبو النبي (دانيال)، وفي عصره سار بختنصر ملك بابل إلى بيت المقدس، فقتل في بني

([1]) تاريخ مدينة القدس: للأعظمي ص 60-64 .

([2]) مقدمة في الحضارات القديمة: لطه باقر ج 209/1 .

([3]) عن المصدر السابق نفسه ج1 ص 209 .

([4]) تاريخ سورية: لفليب حتى ج1 ص 220 نقلاً عن أخبار الأيام الثاني : 17/36- 21 .

([5]) ج 1 ص 65 / طبع دار صادر.

إسرائيل ، وسباهم وحملهم إلى أرض بابل .. وأخذ بختنصر التوراة وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء، فصيّرها في بئر وطرح عليها النار وكبسها).

ويذكر المؤرخ القاضي (مجير الدين الحنبلي) في تاريخه[1] هذين السببين فيقول : (أما السبي البابلي الأول، فكان في عهد الملك (يهو ياقيم) ، فقد سار بختصر بالجيوش وغزا نبي إسرائيل، ولما حصل منهم من التغيير والتبديل - أي للتوارة - وفعل القبيح، فلم يحاربه (يهوياقيم) ودخل في طاعته فأبقاه بختنصر.

وأما عن الغزو البابلي الثاني، فيذكر القاضي الحنبلي، ذلك فيقول[2] : (ولمّا عصا (صدقيا) بختنصر، قصد بختنصر بيت المقدس بالجيوش، وكان معه ستمائة راية، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخربت بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملأؤه).

ولقد كان هذا العمل الذي قام به بختنصر بدعم من الفرس، بدليل أن بختنصر حمل أموالاً عظيمة من الشام والقدس إلى (الهراسف) ملك الفرس، وهذا ما يؤيده المؤرخ (ابن الوردي) في تاريخه (تتمة المختصر) فيقول: (والأصح أنّه كان نائب (لهراسف) [3] .

ومن النتائج البعيدة الأثر التي ترتبت على السبي البابلي: هروب الكثير من اليهود إلى شتى بقاع الأرض: مصر والحجاز وإيران وغيرها...

وبذلك قضي على بني إسرائيل فلم يكن لهم جامعة تجمعهم ولا وطن يضمهم ولا أمة توحدهم، وفي هذا ورد قول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : (وقطعناهم في الأرض أمماً) [4]، وذلك عقوبة دائمة باقية في هذا النسل المتمرد على خالقه ورسله، والخارج عن الإنسانية التي يتصف بها البشر، ومن قبل لم يجعلهم الله تعالى يهنؤون بوحدة الأمة الإسرائيلية من بعد موسى عليه السلام، وفي هذا قول الله سبحانه : (وقطعناهم اثنتا عشرة أسباطاً أمُماً، وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه

---

(1) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1 ص 148-149 .

(2) المصدر السابق ج1 ص 150 .

(3) تاريخ ابن الوردي ج1 ص 48.

(4) سورة الأعراف آية /168/.

أن أضرب عصاك الحجر، فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم[1] ، ثم يختتم الله تعالى الآية هذه بقوله (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)، إشارة إلى أن هذا التقطيع لبني إسرائيل كان نتيجة ظلمهم وبغيهم ...

وإنّ أنجح عقوبة وأنجح علاج لأمة لو اجتمعت كلمتها وتوحدت صفوفها أهلكت الحرث والنسل، وكانت خطراً كبيراً على أمن وسلامة باقي الأمم والشعوب، هو أن (يقطع في الأرض أمماً) لتذوق مرارة التشرد والضياع، وهذا هو واقع (دولة إسرائيل في الماضي والحاضر) وهو السبيل الوحيد لإقصاء الخطر الإسرائيلي عن الإنسانية قاطبة..

ولقد ترك التشرد في نفس الإسرائيليين أثره العميق، يظهر ذلك من الصلوات التي يقيمونها عند حائط المبكى في الأزمنة القديمة وحتى الآن، يؤيد ذلك ما ورد في سفر (أرميا 41:5) حيث قيل : (إن ثمانين رجلاً جاؤوا من مختلف أنحاء البلاد، وبيدهم تقدمات ولبان ليدخلوها إلى بيت الربّ، ولما كان الهيكل غير قائم في ذلك الحين ، فلا بدّ من أن التقدمات كانت توضع في المكان الذي كان الهيكل قائماً عليه).

وقد جاء في القسم التاريخي من دليل السياح عن فلسطين المعروف باسم (بيدكر) المطبوع سنة /1912/ أنّ اليهود كانوا يترددون للصلوات عند الحائط.

وهذا هو نص الصلاة الذي يحمل الاسى العميق في نفس كل يهودي من جراء التشتت والضياع:

يقول الشماس:	**ويجيب المصلون:**
من أجل الهيكل العظيم :	نقف بذلّة وحدنا وننوح
من أجل أسوار هذه المدينة المقدسة الساقطة:	نقف بذلة وحدنا وننوح
من أجل مملكتنا التى بادت :	نقف بذلة وحدنا وننوح
من أجل رؤسائنا الذين ماتوا :	نقف بذلة وحدنا وننوح
آه .. تحنّن يا ربّ على صهيون:	واجمع شتات أبناء أورشليم
آه .. أعد سابق مجدك لصهيون:	وانظر إليها راحماً[2]

([1]) سورة الأعراف أية 160 .

([2]) من كتاب (محنة بيت المقدس)ص 189وكتاب(قدسنا)للأستاذ محمود العابدي،منشورات جامعة الدول العربية.

استير: وعودة القافلة اليهودية الأولى:

أستير هذه امرأة يهودية قامت بعمل فريد من نوعه في تاريخ بني إسرائيل، مما جعلها تأخذ حيزاً من أسفار التوراة، حيث عقد لها اليهود في توراتهم سفراً خاصاً باسمها، وخلعوا عليها الهالة القدسية، وجعلوها رمز الإخلاص والوفاء للشعب المشّرد ..

كانت هذه المرأة اليهودية ذات لباقة ورشاقة وجمال لا نظير له في نساء عصرها، دفعها قومها لبلاط ملك الفرس[1] . لتكون الوسيلة المباشرة لخلاص بني إسرائيل من السبي البابلي، وتنجح الحسناء (أستير) بما أوكل إليها من مهام، بالوسائل والأساليب التي تقدر عليها الحسناء الفاتنة ..

ويصدر الأمر بإخلاء سبيل السبي الإسرائيلي ليعود إلى الأرض المقدسة، بعد أن طهرت منهم ردحاً من الزمن ..

تقول الرواية : بعد أن تخلّص اليهود من الأسر، انقلبوا عن الفرس يتآمرون عليهم مع البابليين، فشعر بمكائدهم الوزير (هامان) وأمر رجاله بمراقبتهم واعتقال كل يهودي يشتبه فيه. فجزع اليهود من تصدي هامان لهم، فسارعوا إلى تدبير مكيدة له على يد أميرة البلاط (أستير) اليهودية ذات الجمال البارع، فأوعزوا إليها أن توغر صدر الملك على وزيره، فكان لهم ما أرادوا بفضل مساعي المخلصة (أستير) التي أسرت قلب الملك بحسنها وبهائها، فأمر الملك بقتل وزيره هامان ومن يلوذ به، وكلف اليهود بتنفيذ هذا الأمر، فما كان منهم إلا أن صبوا جام غضبهم على الشعب البابلي، فاقتادوا سبعين ألفاً من الأبرياء، إلى ساحات الموت الجماعية، دون أي ذنب، اللهم إلا إرواء لتعطش اليهود لسفك الدماء[2].

يقول عبد الله التل في كتابه (خطر اليهود العالمية على الإسلام والمسيحية[3]:من يقرأ (سفر أستير) في التوراة ، وهو سابق على عهد الرومان في

([1]) اختلفت روايات التاريخ باسم الملك الفارسي الذي حظي باستير.

([2]) المفسدون في الأرض: جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، لناجي ص 78

([3]) ص 26-27 .

فلسطين، يجد كيف أنّ اليهود قد ذبحوا /75ألف/ نسمة في يوم واحد، بإيعاز من هذه اليهودية الجميلة التي استغلت جمالها عند ملك الفرس، وأذن لها بأن توعز إلى بني قومها بحمل السلاح والدفاع عن أنفسهم أمام مؤامرة وهمية اخترعتها. فما كان من اليهود إلا أن هبوا يفتكون بالناس الآمنين، وذبحوا منهم هذا العدد الذي يذكره اليهود أنفسهم، ويعتزون بذلك اليوم /14 آذار/ مارس، ويعتبرونه عيداً قومياً لهم[1].
وسبق أن أوضحنا كيف أنهم حينما دخلوا فلسطين لأول مرّة كان رائدهم الذبح والإبادة والتدمير، واستعباد سواهم من البشر، ويبدو أن الله سبحانه وتعالى قد منحهم الفرصة وأنقذهم من طغيان فرعون، قد عاد وصبّ عليهم غضبه وسخطه، بعد أن كفروا وخالفوا شريعة موسى، وأبوا أن يحيوا كبقيّة شعوب الأرض بأمان ووئام وتعاون لخير البشرية. فعادت أحقادهم وأخلاقهم الذميمة وطغيانهم عليهم بالويل والخراب والدماء، وسلّط الله تعالى عليهم من يسومهم سوء العذاب، ويبادلهم طغياناً بطغيان، وذبحاً بذبح، وإفناء بإفناء، وداستهم الأمم والشعوب تحت أقدامها طول فترات التاريخ، ومع كل ذلك لم يغيروا ما بأنفسهم من كيد وحقد وتعصب وغرور وهمجية .

فلما علم سكان فلسطين بخبر عودة اليهود إلى الأرض المقدسة، وقع عليهم كالصاعقة، فشرعوا يرسلون لملك الفرس الاحتجاج تلو الاحتجاج على سوء صنيعه بإعادة اليهود إليهم، وهم الذين قد استراحوا منهم زمناً طويلاً، ولكن دون جدوى، فقام زعيم الكنعانيين العرب (جشم)[2] بتنظيم الهجمات ضد اليهود القادمين، غير أن اليهود أوهموا ملك الفرس بأنهم سيكونون بجانب الجيوش الفارسية ضدّ الجماعات الموالية للنفوذ الفرعوني في مصر، وإزاء هذا دخلت قوافل اليهود أرض فلسطين بما يشبه الحماية الفارسية العسكرية.

وهنا يتحقق لليهود الحكم الذاتي تحت سيطرة ملوك الفرس، وبإمرة الملك اليهودي (زربابل) الذي ملكه الإسرائيليون عليهم[3].

([1]) ويسمونه (عيد البوريم) ويحيي اليهود في هذا العيد ذكر (استير) رمز الصهيونية في جرائمها الوحشية ضد الإنسانية . خطر اليهودية العالمية ص 80 .

([2]) انظر العهد القديم سفر (نحيا) 602 .

([3]) تاريخ اليعقوبي ج 1 ص 65 .

وتمتّع اليهود في عهد ملكهم (زرابابل) بامتياز الحكم الذاتي ، ولكن اللغة العبرية في عهدهم ذلك لم تعد تستعمل كلغة دارجة، وذلك ليس من سبب السبي فحسب، وإنما في بلاد يهوذا أيضاً قد حلّت محلّها اللغة الآرامية[1] ، غير أن اللغة العبرية ظلت تستخدم كلغة دينية، واستعمل اليهود اللغة الآرامية في مراسلاتهم الرسمية [2].

واستمر اليهود كذلك.. حتى الإسكندر المقدوني (ملك اليونان) الذي تغلب على الفرس، وبعد ذلك دخل اليهود تحت الحكم اليوناني[3] .

ولما دخل بنو إسرائيل تحت الحكم اليوناني أقام اليونان من بني إسرائيل ولاة عليهم ، وكان يقال للمتولي عليهم (هردوس) [4] .

وهنا يدخل عهد جديد على القدس في ظل الحكم اليوناني، وسنفرد له البحث التالي لسرد احداثه وذكر وقائعه وأخباره ..

---

(1) تاريخ سوريا: لفليب حتي ج 1 ص 245 / عن (نحميا) 13: 25 .

(2) المصدر السابق ج1 ص 245 / عن (عزرا) 4:7 .

(3) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل : للقاضي مجير الدين الحنبلي ج1 ص 153 .

(4) المصدر السابق ج1 ص 153 .

القدس في ظل الحكم اليوناني:

دخل الإسكندر المقدوني الكبير فلسطين بالقوة، وفرح اليهود بمقدمه، وخرجوا لاستقباله ، ظناً منهم أنّه سيكون المخلّص لهم من نير الفرس وطغيانهم، مع أنّ الفرس أعطوهم عن طريق (أستير) ما لا يعطيه أحد، وعلى الرغم من ذلك كانوا ينظرون إليهم تلك النظرة، نظرة المتمرد لا يقر بالجميل ..

وبعد وفاة الإسكندر أصبحت فلسطين بين جماعة السلوقيين – نسبة إلى (سلوق) ملك بابل – والبطالسة – نسبة إلى بطليموس ملك مصر – بين الأخذ والرّد ، وعادت البلاد مسرحاً للاضطرابات.

يقول المؤرخ المسعودي [1]: إن بطليموس الثاني بعد الإسكندر، غزا بني إسرائيل ببلاد فلسطين وإيلياء من أرض الشام، فسباهم وقتل منهم.

وفي رواية عند القاضي مجير الدين الحنبلي [2] : أنّ بطليموس الثاني وجد جماعة من الأسارى منهم نحو ثلاثين ألفاً من اليهود، فأعتقهم كلهم وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم، ففرحوا بذلك وأكثروا بالدعاء والشكر .

وبطليموس هذا أخو بطليموس الأول، لأنه حينما توالت ملوك اليونان بعد الإسكندر، كان يقال لكل واحد منهم بطليموس [3].

خبر التوراة اليوناني :

قال القاضي مجير الدين الحنبلي [4]: ولمّا تولى بطليموس الثاني تخت أخيه – المسمى عند اليهود (ثلملي) أرسل رسولاً وهدايا إلى بني إسرائيل المقيمين بالقدس الشريف – وذلك بعدما ردّ إليهم سبيهم – وطلب منهم أن يرسلوا له عدّة من علماء بني إسرائيل لنقل التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية، فسارعوا إلى امتثال أمره.

---

(1) مروج الذهب ج1 ص 334 .

(2) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ص 155 .

(3) المصدر السابق ج 1 ص 155 .

(4) المصدر السابق ج 1 ص 155–156 .

ثم إنّ بني إسرائيل تزاحموا على الرواح إليه، وبقي كل منهم يختار ذلك، واختلفوا ثم اتفقوا على ان بعثوا إليه من كل سبط من أسباطهم ستة، فبلغ من عددهم اثنين وسبعين رجلاً.

فلما وصلوا إلى بطليموس المذكور، أحسن قراهم، وصيّرهم ستاً وثلاثين فرقة، وخالف بين أسباطهم، وأمرهم فترجموا له ستاً وثلاثين من التوراة ،وقابل بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتّد به ، وفرق من النسخ المذكورة في بلاده .

وبعد فراغهم من الترجمة أكثر لهم الصّلات، وجهّزهم إلى بلادهم وسأله المذكورون في نسخة من تلك النسخ، فأسعفهم: بنسخة فأخذها المذكورون وعادوا إلى بني إسرائيل ببيت المقدس.

وفي عهد السلوقيين :

أصدر (أنطيوخس) أمراً بصهر اليهود تماماً في بوتقة المجتمع اليوناني والحضارة الهلينيّة ، كخطوة لتوحيد أجزاء الإمبراطورية ثقافياً ودينياً، ووضع عقوبة الإعدام لمن يعتنق اليهودية سراً أو علناً ، وبني لهم معبداً على شكل المعبد اليهودي في القدس. وقد جوبهت أعماله هذه من قبل اليهود بثورة عارمة من حزب (الحاسيديم) يترأسهم (جوداس المكابي) [1].

وقد نشبت هذه الثورة سنة 168 ق.م بزعامة (يهوذا) وهو ابن كاهن يدعى (ماتاتياس) من الأسرة الهاسمونية، واتخذ بعد ذلك لقب (المكابي) [2] وكان أول توجه الثورة ضدّ الطبقة العليا التي تستغل أفراد الشعب اليهودي، أكثر منها ضدّ السلطة المركزية، وقد نظم (يهوذا) عصابات تخوض معارك غير نظامية، وقد نجحت هذه الثورة بعد معارك كثيرة، وقد منح الملك السلوقي (دعيتروس الثاني) فيكاتور اليهود والاستقلال تحت حكم (سمعان) [3].

([1]) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، لسامي سعيد الأحمد ص 29 .

([2]) تاريخ سورية لفيليب حتي ج1 ص 268 وانظر سفر المكابين 2:4.

([3]) المصدر السابق ج1 ص 268 ، وسفر المكابين الأول /13 : 34 فما بعده.

وقد بقي اليهود متمتعين بهذا الاستقلال حتى مجيء الرومان بعد ثمانين سنة، باستثناء ما كان يقع بين اليهود والملوك والأنباط في هذه الفترة. ولقد كان للأنباط العرب دور كبير في ضعضعة اليهودية المكابية هذه[1] .

وتوالي ملوك الأنباط من بعد (الملك الحارث) الذي يدعى (ارتياس) في توجيه الضربات المتتالية لليهود، وفي حوالي سنة /87-62ق.م / قام الملك العربي (الحارث الثالث) لمملكة الأنباط، بإيقاع الهزيمة مراراً باليهود وحاصرهم في (أورشليم) [2].

([1]) المصدر السابق ج1 ص 419/ وسفر المكابين الثاني 5:8 .

([2]) تاريخ مدينة القدس للأعظمي ص 69-71 .

القدس في ظل الحكم الروماني

في سنة /63 ق.م / دخلت القدس ضمن النفوذ الروماني، وذلك عندما غزاها (بومبيوس) ودمرها ..[1]

وبعد أن دخل "بومبي" بلاد الشام جعل سوريا تحت حكم مباشر للسلطة الرومانية.

فمما فعله بالمملكة اليهودية تجريد كاهنها الأعظم (هيركانوس) الثاني من رتبته الملكية، وفرض على اليهود ضرائب ثقيلة، وقسم أقاليم مملكتهم إلى خمسة أجزاء، يحكم كل جزء منها مجلس ...[2]

وأعاد (غابنييوس) بناء المدن التي بناها اليونان في سورية ، وهدمها (المكابيون) مثل بيسان وغزّة [3].

وقد أدّت حالة الاضطراب في الدولة الرومانية إلى حالة اضطراب في سورية، وأثناء تقسيم الإمبراطورية الرومانية من قبل الحكومة الثلاثية ، أصبحت سورية ومصر تحت سلطة (أنطونيو) المعروف بعلاقاته مع حاكمة مصر (كليوبترا) وعندما عهد إليه بإدارة شؤون الشرق أهمل أمر الأسرة (المكابية)، ووضع مكانها الأسرة (الهيرودية) وقد برز من هذه الأسرة (هيردوس) الذي عرف فيما بعد (بالكبير) . وفي عام 37 ق.م أخذ (هيرودس) مدينة أورشليم، ووطدّ سلطته كملك، وبقي يدير الأمور لمدة ثلاث وثلاثين سنة بفضل روما[4] .

وأقام هيردوس في أورشليم ما لا يتفق مع اليهودية من ميدان لسباق الخيل ومسرح ومدرج، وأقام ألعاباً عامة، وزيادة على ذلك أعاد بناء المعبد. وقد اشتهر ابنه (هيرود) بأنه هو الذي قتل نبي الله (يحيى) المعروف بـ (يوحنا المعمدان) الذي كان يرعى السيد المسيح عليه السلام[5] .

---

(1) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه الباقر ج 2 ص 612 .

(2) تاريخ سورية لفيليب حتي ج1 ص 309-310 .

(3) المصدر السابق ج 1 ص 310 .

(4) نفس المصدر السابق ج1 ص 311-312 .

(5) راجع قصة الحادث في أنجيل حقي : 14.

وتوفي (هيردوس) ما بين سنة 6-2 ق.م[1] وقـد أطلـق (برنابـا) هـذا الاسـم على الابن كما سيأتي وتدخل القدس عهداً جديداً بولادة السيد المسيح عليه السلام.

القدس فيما بعد الميلاد وإبادة اليهود في عهد الرومان:

وقد تعرضت مدينة القدس لأحداث خطيرة وذلك خـلال التـاريخ الميـلادي ، وفي ظل الحكم الروماني، حيث كانت ردّ فعل لثورات اليهود المتكـررة الـتي جلبـت الخراب والدمار عليهم وعلى المدينة المقدسة، فعاد فيـهم القتـل والسبي والتشـريد والهوان، وذلك عقوبة لهم على ما فعلوه بالسيد المسيح.

ففي حكم (نيرون) قامت ثورة يهودية ما بـين عـام /66-70م/ فقضـى عليـها قائده (فسباسيان) الذي دمّر بلادهم وشتت شعبهم وحاصر القدس ..

وبعد موت (نيرون) تسلم العرش الرومـاني (طيطـوس) الـذي عـهده إليـه بالقضاء على أورشليم ، فحاصرها خمسة أشهر في عام /70م/ ، وأوقـع فيـها الرومـان مذبحة مريعة ذهب فيها مئات الألوف من اليهود، وخُرِّبـت المدينـة المقدسـة، وأحـرق الهيكل، وأزيل من الوجود، حتى أنّ اليهود فيما بعد لم يهتدوا إلى موضعه[2].

وقد قدر عدد اليهود الذين هلكوا في هـذا العـهد زهـاء المليـون يـهودياً، أمّـا الأسرى فقد صار الرومـان يتسـلّون بـهم بـأن جعلوهـم يقتـل بعضـهم بعضـاً، أو يجبروهم على مصارعة الوحوش الضارية التي تنتهي بحياة المصـارع .. وبعـد هـذا لم تقم لليهود قائمة، وزالت اليهود من الوجود[3]..

وفي هذا يقول المؤرخ القاضي مجير الدين الحنبلي[4] : إنّه في السنة الأولى مـن حكم (طيطس الرومي) قصد بيت المقدس، وأوقع باليـهود، وقتلـهم وأسـرهم عـن آخرهم إلاّ من اختفى، وخرّب بيت المقدس، ونهبه وأحرق الهيكـل، وأحـرق كتبـهم، وأخلى القدس من بني إسرائيل، ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم).

---

(1) تاريخ سورية لفيليب حتي ج1 ص 312 .

(2) تاريخ مدينة القدس: معين أحمد محمود ص 49.

(3) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر ج2 ص 324 .

(4) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1 ص 169 .

ويذكر المؤرخ المسعودي [1]: أن عدد قتلى اليهود في هذا الحادث هو /300ألف/ يهودياً، وأنّ الذي خرّب بيت المقدس هما : (طيطس وأسباسيانوس) وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر، وأزالا رسمه، ومحوا أثره.

وهكذا قضي على الكيان اليهودي من الناحية الذاتية والدينية في القدس خاصة وفلسطين عامة، ومن ضمن ذلك التنظيمات الإدارية الدينية لليهود، التي كانت تعرف بـ (السنهدرين) [2] .

وتلك سنة الله تعالى في هذا الشعب الخبيث الماكر، بحيث لا يمرُّ عليهم قرن من الزمان إلاّ ويسلط الله سبحانه من خلقه من يسومهم سوء العذاب، ويذيقهم مرارة الردى، ويجرعهم كؤوس المنايا، ويبيد جموعهم، ويستأصل شأفتهم، وذلك عقوبة لما فعلوه بالسيد المسيح عليه السلام.

اليهود بعد الإبادة:

لقد تمكّنت فئة من جماعة (الفريسيين) اليهود، من الفرار من مذبحة (طيطوس) واللجوء إلى مدن الساحل الفلسطيني، وكان من بينهم عدد من حاخامات (السنهدرين) فمكثوا بقرب حيفا ثم تحولّوا إلى طبريا، فاتخذوها مركزاً لهم [3].

وقد ساد الهدوء مدينة القدس وعامة بلاد الشام، حوالي نصف قرن، لاطمئنان الرومان بعد قضائهم على الكيان اليهودي، واستبعادهم قيام أية حركة يهودية متمرّدة في المنطقة [4].

([1]) مروج الذهب ج1 ص 346.

([2]) السنهدرين: هو المجتمع الديني الأعلى عند اليهود، والسنهدرين هو الذين عقد محاكمة الرجل الذي شبه لهم بأنه السيد المسيح عليه السلام، فحكموا عليه بالقتل صلباً، انظر كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ص 139-148 . لتقف على معلومات أوسع عن هذا المجتمع اليهودي.

([3]) تاريخ مدينة القدس: معين أحمد محمود ص 50-51 .

([4]) المصدر السابق ص 51 .

إلاّ أن شرارة عصيان جديد اعترضت هذا الهدوء، وذلك على أثر إصدار الأمبراطور (هادريان) سنة/117-138/ مرسوماً يقضي بمنع الختان بشكل عام وإصداره أمراً بإنشاء معبد بدل الهيكل المهدوم، فكان ذلك إيذاناً بانفجار جديد، فاشتعلت نيران الثورة بقيادة (باركوخبا) الذي كان يساند الحاخام الكبير (أكيبا)، واعتصمت جماعته في المواقع الجبلية الحصينة، وأخذوا يقومون بشنّ هجمات وإغارات على هيئة عصابات، وبقوا معتصمين بمواقعهم هذه ثلاث سنوات /132-135/، فجرّد لهم الرومان حملة عسكرية واسعة اجتاحت مواقعهم وأزالت قلاعهم وأحرقت قراهم، وحوّل (هادريان) مدينة أورشليم على مستعمرة رومانية، وحرّم على اليهود أن يسكنوها، وغيّر اسمها إلى (إيلياء كبتولينا)، و(إيلياء) اسم لـ (هادريان)[1].

وقد قدّر عدد الذين قتلوا في هذه المعارك (580ألفاً) عدا من هلك جوعاً ومرضاً وحرقاً [2].

وكانت هذه هي الضربة الأخيرة لليهود في فلسطين، وبعدها لم يقم لهم كيان فيها طوال العصور التالية [3].

اليهود في ظل الحكم الروماني :

تكونّت لدى الرومان قناعة كافية في فهم العقلية اليهودية، ومعرفة طباعهم، وعلى أساس ذلك أخذوا يسوسون البقية المتبقية من اليهود، وفق خطة جديدة تتمثل في تولية أمورهم لقائد غريب عنهم، حتى لا ينجرف خلف مناوآتهم ومؤامراتهم والنزوع إلى الغدر والخيانة المتأصلة في الجنس اليهودي..

وكان ذلك القائد هو (هيرود بن انتيباتير) الملك الجديد على اليهود، حيث اشتهر إبّان حكمه بولائه وحبه لروما وحضارتها، ظل حاكماً على اليهود طيلة حياته، والمصادر التاريخية غير اليهودية تذكر مناقبه ومحاسنه، ومن أهمها أنّ عهده كان

---

(1) المصدر السابق ص 51 .

(2) المصدر السابق ص 51 نقلا عن

(Thestoyof the Bibie voliip 932 Hitti , op , cit , p 340).

(3) المصدر السابق ص 51 .

عهد استقرار وأمان لم تعرف تلك البلاد مثيلاً له، غير أنّ المصادر التاريخية اليهودية تشوه سمعته وتذمه وتقدح فيه [1].

وبعد وفاة (هيرود) تجزأت مملكته بين أولاده الثلاثة، فسقط اثنان منهم من جراء حبائل اليهود ودسائسهم ، وسلم الثالث لكون شعب بلده كانوا غير يهود.. [2]

وعلى أثر سقوط أبنا (هيرود) وهما (أرشيلوس) و(آنتيبا) عادت المنطقة إلى الحكم الروماني مباشرة، وبعدها ذاق اليهود ويلات دسائسهم ومؤامراتهم [3].

([1]) المفسدون في الأرض : لناجي ص 87-88 .

([2]) المصدر السابق ص 88-89 .

([3]) انظر المصدر السابق ص 90-99 .

القدس في عهد المسيح عليه السلام

لقد كانت مدينة القدس في عهد السيد المسيح (عيسى بن مريم) ، وما جرى فيها من أحداث عظام، بدأ من عهد (النبي زكريا) ، وما كان منه من رعاية للعذراء (مريم بنت عمران) إلى أن نفخ فيها روح القدس (جبريل) فحملت (بعيسى) وما كان بعد ذلك من أمور هامة ومجريات خطيرة، كانت مدينة القدس في خضمها ذا شأن خطير وكبير.

قال المؤرخ: القاضي مجير الدين الحنبلي[1]: (إنّ سيدنا زكريا من ولد سليمان ابن داود عليهما السلام، وكان نبياً، وقد ذكره الله في القرآن[2]، وكان نجاراً، وهو كفل مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود، وكانت أم مريم اسمها (حنة) وكان زكريا متزوجاً بأخت حنة، واسمها (إيساع) وكانت زوجة زكريا خالة مريم، ولذلك كفل زكريا مريم).

(وأرسل الله جبريل عليه السلام، فبشّر زكريا بيحيى مصدقاً بكلمة من الله ، يعني : عيسى ابن مريم ، ثم أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب مريم، فحملت بعيسى عليه السلام، وكانت قد حملت خالتها (إيساع) بيحيى. وولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر، ثم ولدت مريم (عيسى) فلما علمت اليهود أن مريم ولدت من غير بعل- زوج - اتهموا زكريا بها، وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها. وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة، وكان قتله بعد ولادة المسيح . وكانت ولادة المسيح لمضي ثلثمائة وثلاث سنين للاسكندر وأما (يحيى) ابنه : فإنه نبيء وهو صغير، ودعا الناس إلى عبادة الله تعالى[3].

(وكان عيسى ابن مريم قد حرم نكاح بنت الأخ. وكان لـ (هردوس) وهو الحاكم على بني إسرائيل ، بنت أخ أراد أن يتزوجها، كما هو جائز في ملة اليهود، فنهاه (يحيى) عن ذلك. فطلبت أم البنت من (هردوس) أن يقتل يحيى، فلم يجبها إلى

([1]) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1 ص 158 .

([2]) في سورة آل عمران الآية 37-38 وفي سورة الانعام الآية /85/ وفي سورة مريم الآية 2-7 وفي سورة الأنبياء الآية 89 .

([3]) الأنس الجليل ج1 ص 159 .

ذلك، فعادوته ، وسألته البنت أيضاً وألحت عليه، فأجابهما إلى ذلك، وأمر (بيحيى) فذبح، ووضع رأسه بين يدي هردوس [1].

والنصارى تسمى سيدنا (يحيى) يوحنا المعمدان ، لكونه عمّد المسيح.. وأما (حنة) زوجة عمران كانت لا تلد، واشتهت ولد، فدعت بذلك ونذرت إن رزقها الله ولداً جعلته من خدمة بيت المقدس، فحملت حنة وهلك زوجها عمران وهي حامل، فولدت بنتاً وسمتها (مريم) ومعناه (العابدة)، ثم حملتها وأتت بها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار، وقالت دونكم هذه المنذورة . فتنافسوا فيها، لأنها بنت عمران – وكان من أئمتهم – فقال زكريا : أنا أحق بها لأنّ خالتها زوجتي، فأخذها زكريا وضمها إلى إيساع خالتها. ولما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة في المسجد، وأنقطعت في تلك الغرفة للعبادة، وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط، قال الله تعالى : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) . فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، (قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب) وأرسل الله جبريل فنفخ في جيب مريم، فحملت بعيسى، وولدته في بيت لحم، وهي قرية قريبة من بيت المقدس[2].

(ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها : (لقد جئت شيئاً فريّاً)، وأخذا الحجارة ليرجموها، فتكلم عيسى وهو في المهد معلّقاً في منكبها، (قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) [3]، فلما سمعوا كلام ابنها تركوها. ثم إنّ مريم أخذت عيسى وسارت به إلى مصر، وسار معها ابن عمها (يوسف بن يعقوب بن ماثان) النجار، وكان حكيماً . وهو أول من أنكر حملها، ثم علم وتحقق براءتها، وسار معها إلى مصر، وأقام هناك اثني عشر سنة[4].

([1]) المصدر السابق ج 1ص 159 .

([2]) المصدر السابق ج 1 ص 160– 161 .

([3])سورة مريم آية 30– 33.

([4]) الأنس الجليل ج 1ص 161.

(ثم عاد عيسى وأمه إلى الشام، ونزلا الناصرة وبها سميت النصارى، وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة. فأوحى الله إليه، وأرسله للنّاس، وسار إلى الأردن، وهو نهر الغور المسمى بالشريعة، فاعتمد وابتدأ الدعوة – وكان يحيى بن زكريا هو الذي عمّده كما تقدم – وأظهر عيسى عليه السلام المعجزات وأحيى ميتاً يقال له (عازر) بعد ثلاثة أيام من موته، وجعل من الطين طائراً، وأبرأ الأكمة والأبرص، وكان يمشي على الماء [1].

وأنزل الله عليه المائدة وأوحى إليه الإنجيل .. وكان الحواريون الذين اتبعوه اثني عشر رجلاً .. وهؤلاء الذين سألوه نزول المائدة). وفي ذلك أنزل الله تعالى قوله: (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنّي أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) [2].

وبعد أن صدع عيسى عليه السلام بدين الله تعالى بين بني إسرائيل أنكروا عليه دعوته وكذبوه وأتهموه بالسحر، ثم اشتدوا عليه بالإنكار والإيذاء، إلى أن أجمعوا أمرهم على قتله.

قال المؤرخ مجير الدين الحنبلي [3]: (وكان اليهود قد جدوا في طلبه، فحضر بعض الحواريين إلى (هردوس) الحاكم على اليهود ، إلى جماعة من اليهود ، وقال : ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلّهم عليه، فرفع الله عيسى إليه، وألقى شبهه على الذي دلّهم عليه. فإنّ اليهود لما قصدوه أظلمت الدنيا حتى صارت كالليل، فلذلك لم يتحققوا المشبه به من شدة الظلمة وحصول الإرجاف. ولما أمسك اليهود الشخص المشبّه به ربطوه وجعلوا يقودونه

([1]) المصدر السابق ج 1 ص 161 .

([2]) سورة المائدة آية 112–115 .

([3]) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1 ص 166 .

بحبل ويقولن له : أنت كنت تحيي الموتى، أفلا تخلّص نفسك من هذا الحبل ؟ وصلبوه على الخشب).

ولكن مريم ظنت أن اليهود أصابوا عيسى (فأنزل الله المسيح من السماء إلى أمّه مريم وهي تبكي عليه، فقال لها: إنّ الله رفعني إليه ولم يصبني إلا الخير، وامرها فجمعت له الحواريين ، فبثهم في الأرض رسلاً عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به، ثم رفعه الله إليه ، وتفرق الحواريون حيث أمرهم. وكان رفع المسيح من طور زيتا، جبل شرقي بيت المقدس [1].

وهذه الأخبار يقصها بدقة (إنجيل برنابا).

ظهور المسيحية في ظل الحكم الروماني وحتى الفتح الإسلامي

لقد مضى عهد طويل على القدس بشكل خاص وعلى فلسطين بشكل عام، والاضطهاد مستمر على المسيحين وحتى عام 306م حيث حدث بعد ذلك حادث غير مجرى التاريخ في الإمبراطورية الرومانية، وهو اعتناق الإمبراطور (قسطنطين الأول) المدعو (بالكبير) ، الديانة المسيحية، وبعد ذلك اتخذ (القسطنطينية) عاصمة له، وهو (استامبول) . وقد أصدر قسطنطين في سنة 313م مرسوماً يقضي (منح المسيحيين) حريتهم الدينية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ثم عقد في سنة 323 م اجتماعاً عاماً في نيسيا في آسيا الصغرى، حضره جميع الأساقفة، ومن ضمنهم أسقف القدس (مكاريوس) ، بحثت فيه الشؤون الدينية المسيحية. فثبتت الديانة المسيحية على أسس اتفق عليها من الجميع. وكانت أم الامبراطور (قسطنطين) أكثر تحمساً للعبادة على الديانة المسيحية، فكرست جهودها لخدمة المسيحيين وبناء الكنائس تذكاراً لها، وقامت بزيارة القدس سنة 326 وأقام قسطنطين كنسية في الموضع الذي صلب فيه (يهوذا) وعلى حدّ زعمهم (المسيح حسب التقاليد الموروثة، وهي كنسية (القيامة) حالياً.

وكان من الطبيعي أن هذا الحدث الكبير الذي كان نصراً كبيراً وفتحاً عظيماً للمسيحيين، لم يكن من صالح اليهود الذين لم يألوا جهداً في كيل الضربات

---

(1) المصدر السابق ج1 ص 166–167 .

القاسية للمسيحيين، وقد تمخض حادث اعتناق (قسطنطين) للدين المسيحي عن تطور اضطهاد جديد في كل أنحاء الامبراطورية الرومانية، التي أصبحت تدين بالمسيحية رسمياً.

إلاّ أن تغيراً حدث بعد مرور حوالي ربع قرن من الزمن على وفاة (قسطنطين) وهو اعتلاء الإمبراطور (جوليان) العرش الروماني سنة 361 م ، وقد سمي بالمرتد، لخروجه من المسيحية وعودته إلى الوثنيين [1].

وقد حاول (جوليان) إعادة بناء الهيكل ، ولكن الزمن لم يمهله لتحقيق مآربه ذلك، حيث مات بعد سنتين في حملته على بلاد الفرس عام 363م ، وبموت (جوليان) عاد فتغيّر الوضع لغير صالح اليهود الذين تمتعوا بشيء من الحرية في عهد (جوليان)، وعاد الاضطهاد عليهم إلى ما كان من قبل.

وفي عام 395 م حدث حادث مهم في تاريخ الإمبراطورية الرومانية حيث تم تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين: غربي وشرقي، فكانت بلاد فلسطين بصورة طبيعية من ضمن القسم الشرقي البيزنطي [2].

صراع الفرس والرومان حتى الفتح الإسلامي:

وقد شهدت فلسطين في هذا الدور الجديد بعض الاستقرار دام أكثر من مئتي عام ممّا ساعد على نمو الحالة الاقتصادية في البلاد ، وذلك من جراء تشجيع الزيارة إلى الأماكن المقدسة في القدس.

وفي عهد الامبراطور (جستنيان) 527-565 أقيمت العمارات الكثيرة في فلسطين والقدس، من ذلك باب الذهب في القدس، وهو ما زال يسمى بهذا الأسم حتى هذا الزمن. كما انشئ في القرب من المسجد الأقصى كنيسة، غير أنّه لم يكتب لهذه الفترة الهادئة الهانئة الدوام، ففي سنة 614م هاجم ملك الفرس (كسرى الثاني : أبرويز) سورية، وأمتدت فتوحاته إلى أن سيطر سنة 614م على القدس. وبعدها قام الفرس بأعمال التخريب في البلاد، فخرّبوا كنيسة القبر المقدس (كنيسة القبر الآن)

---

(1) المصدر السابق ص 54 .

(2) المصدر السابق ص 54 .

كما خرّبوا باقي الكنائس الأخرى، فهدموها هدماً كاملاً، وأخذوا بطريرك القدس سجيناً.

ومما يذكر أنّ اليهود انضموا إلى الفرس في حملتهم هذه رغبة منهم في الانتقام من مضطديهم المسيحيين. وهكذا فقد البيزنطيون سيطرتهم على البلاد المقدسة. غير أن هذا الاحتلال الفارسي لم يدم طويلاً، فقد عاد الامبراطور الروماني (هرقل) سنة 610- 641 م وفتح فلسطين سنة 628 م.

ثم قام (هرقل) بإعداد حملات عسكرية لحق بها الفرس إلى بلادهم، وقيل إنه استرجع حوالي سنة 630 (الصليب الأصلي) الذي كان استولى عليه الفرس بعد احتلالهم للقدس سنة 614 م. إلا أن هذا الانتصار لهرقل لم يكتب له الدوام أيضاً، حيث أعقبه مباشرة الفتح العربي الإسلامي الذي كان النصر فيه حليف العرب المسلمين في معركة (اليرموك) الحاسمة سنة 636م (1).

وفي عهد الصديق ابي بكر تتابعت الفتوحات الإسلامية، كما استمرت من بعده الفتوحات في عهد الفاروق عمر بن الخطاب، وفي عهده تم الفتح الإسلامي الكبير للقدس، وكان ذلك سنة 17هـ عام 638م ، وفي الشهر الذي أسرى الله تعالى برسوله محمد إلى بيت المقدس، وهو شهر (رجب).

وكان فتح القدس على يدي عمر رضي الله عنه، بناء على طلب بطريرك القدس، فحضر عمر شخصياً من المدينة المنورة عاصمة الخلافة الراشدة. ولمّا دخلها زار موضع الصخرة المشرفة التي عرج من عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السموات العُلى، وكانت الصخرة على حالة غير مرضية، فأمر بتنظيفها وجعل فيها المصلى المعروف الآن بمسجد عمر.

---

(1) المصدر السابق ص 54-55 .

مكانة القدس الدينية قبل الإسلام

لا يشك أحد أن دراسة مكانة القدس الدينية قبل الإسلام [1] غاية في الصعوبة والتعقيد لصعوبة احصاء ومعرفة الدول والمماليك التي غزتها أومرت بها أو سكنتها، فهي مهد الحضارات إذ ما من حضارة من الحضارات، أو شعب من الشعوب إلا وله وقفة مع القدس، أو مروراً بالقدس، أو حديثاً عن هذه المدينة العظيمة، لأنها تقع في متوسط الكرة الأرضية، فمكانها متوسط بين قارات العالم وآسيا وأفريقيا وأوروبا إضافةً إلى تضاريسها الطبيعية التي تجعل الإنسان يتعلق بها ويتشوق إليها.

والمعلومات الأثرية والأدبية التي اشتملت على الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة التي يرجع تاريخها إلى القرنين السادس والثامن عشر قبل الميلاد ذكرت أسماء ملوك كنعانيين وعموريين من خصوم المصريين الذين كانوا يحكمون دولة المدينة (أورشليم) [2]،فعلى هذا الافتراض يمكن أن تكون القدس قد دخلت التاريخ زمن نصوص اللعنة execration texts، لكن من جهة أخرى يمكن القول أن القدس دخلت التاريخ في فترة العمارنة كما تقول المكتشفات الأدبية، فيقال أنه كان هناك نوع من المراسلات في تل العمارنة الذي يقع في مصر الوسطى على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد حوالي (ثلاثمائة كم) جنوب القاهرة، حيث وجد ست رسائل بعث بها (عبد حيبا) ملك أورشليم في القرن عشر قبل الميلاد إلى فرعون مصر (اخناتون) الذي كانت فلسطين تحت سيطرته وكان في هذه الرسائل قد شكا من قلة عدد الحامية المصرية في المدينة ويحذر من غارات جماعات البدو الخابيرو أو البيرو واستفحال خطرهم على البلاد) [3].

ثم جاء ليسكنها اليبوسيون سكان القدس الأصليين الذين هم أول قوم بنوا مدينة القدس في حدود عام 3000 ق. م وهم الذين نزحوا من جزيرة العرب في

([1]) ياسين غازي، مكانة القدس والمسجد الأقصى، الكرك، جامعة مؤتة 1966، ص 29.

([2]) فرانكن، القدس في العصر البرونزي ، سلسلة منشورة الجامعة الأردنية، عدد 92/2.

([3]) المرجع السابق، ص 24-26.

سلسلة طويلة من الهجرات مع من نزح من القبائل الكنعانية السامية التي أطلق عليها الأمورية أو العمورية قبل 4500 سنة ليستقروا التلال المشرفة على المدينة القديمة، فهم الذين ينتسبون إلى يبوس أو مدينة اليبوسيين (أورشليم التي تلفظ بالعبرية (يروشالم) الذي هو أسم إله السلام عند الكنعانيين ولذلك تسمي التوراة القبائل التي عاشت غربي الأردن بالكنعانيين الذين انقسموا فيما بعد إلى سبع قبائل هم الآموريون (العموريون) والكنعانيون، والحيثيون Hittites، والحيويون Hivites، والغرغازيون Girgazites، والبرزيون Perizzittes، واليبوسيون Jubsites وكان الحثيون من هؤلاء غير ساميين [1].

والمدينة المقدسة أو أورشليم الذي اعتبره كثير من المؤرخين اسم عربي كنعاني لا دخل للإسرائيليين فيه سوى انهم نقلوه في توراتهم كما ان الاسم السابق شاليم أو ساليم أو مدينة السلام التي يوجد مكانها الآن خارج أسوار المدينة[2] ظلت القدس تحمله من عهد الكنعانيين إلى وقتنا الحاضر ولم يتغير اسمها حتى جاء داود بن عيسى فاحتلها وسيطر على الحصن العظيم الذي بناه اليبوسيون على الرابية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس واسموه حصن يبوس الذي أصبح يعرف فيما بعد بحصن صهيون وذلك حماية للمدينة من غارات العبرانيين والمصريين بزعامة ملكهم سالم اليبوس، حيث أن داود غير اسم حصن يبوس إلى مدينة داود سنة 997 أو 1000 ق.م .

وظل يسكنها متخذاً إياها مقراً لكرسي عرشه حتى طرده اليهود منها. هذا ما ورد في سفر القضاة 12:1 حيث جاء فيه (وبنو بنيامين لم يطروا اليبوسين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنامين أورشليم إلى اليوم، واستمر الحال كذلك إلى أن ثار اليهود على داود بعد أن أحصاهم وتفشى الطاعون بينهم [3].

أما عن النفوذ البابلي على القدس فيرجع إلى أواخر القرن الثالث ق.م في عهد الملك حمورابي بعد ان انقسمت إلى مملكتين متحاربتين فدخلها نبوخذ نصر

([1]) عارف العارف المفصل في تاريخ القدس ص 2-3 .
([2]) يحيى الفرحان قصة مدينة السلام ص 19، وكامل العس، القدس في التاريخ ص 32.
([3]) المصر السابق ص 19 .

(بختنصر) البابلي وسبى أهلها إلى بابل (السبي البابلي)، ولا شك أن النفوذ البابلي قد أثر تأثيراً كبيراً على فلسطين بما كان عندهم من حضارة تشهد بذلك ألواح تل العمارنة.

أما عن نفوذ الفرس على القدس فكما تحدثنا المصادر التاريخية فإن ملك الفرس كورش (قورش) أعاد سبي بابل الذي نفذه نبوخذ نصرّ بعد استيلائه عليها، ولم ينهج الفرس نهج من سبقوهم من الامبراطوريات السابقة في بسط سلطانهم عن طريق السبي، ثم أن كورش الفارسي سمح لمن أراد من اليهود العودة إلى القدس ويهودا سنة 538 ق. م تحت تأثير زوجته التي كانت من بني اسرائيل، ولكن بعض الروايات تقول أن سياسة كورش تجاه اليهود لم تكن بسبب زوجته إنما يعود لرأي كان يتبناه وهو ضرورة عودة كل الأجناس التي كانت في المنفى بما في ذلك اليهود، لكن اليهود زيفوا في صيغة المرسوم الملكي ليوهموا الناس أن حق العودة تخصهم وحدهم دون غيرهم [1].

ثم أمر كورش بإعادة بناء الهيكل وتم تسليم خزنة الهيكل التي كان نبوخذ نصر قد أخذها إلى شيشبصر رئيس يهودا الذي عينه الملك الفارس[2].

وكما جاء في بعض المصادر فإن العائدين من السبي كانوا بين سبع وثلاثين ألف إلى اثنين وأربعين ألف إلى خمسين ألف من السكان من مختلف الأصناف مع التسليم بأن القائمة العائدة ربما كانت تضم الكثير مما يعود إلى فترة أخرى [3].

ثم استعانوا (بزربابل) أخو الملكة استير ليقودهم إلى الرجوع إلى القدس وشرع (زربابل) باعادة إعمار المدينة وكذلك تشييد بناء الهيكل (مذبح الرب) [4].

أما من حيث سكان البلاد الأصليين فقد بدأوا يتحركون لمقاومة اليهود واتخذت مقاومتهم عدة صور وأشكال منها إرسال رسائل احتجاج لملوك الفرس،

([1]) سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر والرياض والسعودية 1986 ص 84.

([2]) كامل العسلي ، القدس في التاريخ ص 22-23 .

([3]) المرجع السابق .

([4]) إبراهيم الشريقي أورشليم وارض كنعان ، نشر في باريس ولندن، 1985 ص 143-144.

ومنها المقاومة بشن هجمات خاطفة على اليهود حتى يكفوا عن البناء للمدينة والهيكل. وقد ظل اليهود تابعين للفرس من غير أن يسمح لهم بأي شأن سوى الشأن الديني وذلك تبعاً للسياسة التي كان ينهجها الفرس بعدم تعيين أو إسناد أي منصب سياسي لليهود طيلة فترة حكمهم وبذلك لم يتم لهم الحصول على موطئ قدم في تلك البلاد الجديدة، وظل ذلك حتى الاحتلال اليوناني للقدس .

اما عن النفوذ المصري على القدس فقد أشرنا إلى أن ملوك فلسطين ومنهم ملوك القدس كانوا يراسلون ملوك مصر في فترة النفوذ المصري وكان ذلك باللغة البابلية، وكانت مصر تسعى من مد نفوذها إلى فلسطين تأمين مناجم النحاس في سيناء ، وحمايتها من اعتداءات بدو جنوب فلسطين، وقد أخذت بدايات ذلك النفوذ تظهر على عهد الملك المصري (بيبي الأول) .

غير أن حكم المصريين على القدس لم يدم طويلاً وذلك لقيام شعوب الهكسوس الذين كانوا من أجناس سامية من الكنعانيين والأموريين وقبائل الخابيرو وأجناس غير سامية من الحوريين والحثيين والميثانيين باحتلال سوريا وفلسطين ومنها القدس [1].

أما عن النفوذ الإسرائيلي العبراني على القدس على اعتبار أن الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر مع المصريين الذين سخطوا على السلطة الحاكمة آنذاك مع بقايا الهكسوس الذين بقوا في مصر بعد انتهاء دولتهم انصهروا ليشكلوا فيما يسمى بالتاريخ القديم اسم العبرانيين . هذا الخليط كما هو معلوم حاولوا أن يغزو مع موسى عليه السلام أرض فلسطين عندما تاهو في أرض سيناء أربعين سنة بسبب مخالفتهم لتعاليم أنبيائهم وبالأخص النبي موسى عليه السلام، وقد علل غوستاف لوبون الأسباب الكامنة وراء هذا الغزو الوحشي قائلاً: (إنّ عدد بني إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه مما جمع بينهم وأقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب المزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن) [2].

([1]) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين 172/1 –173 وبرستد تاريخ مصر ص 257 .

([2]) غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص 33 .

لكنهم لم يفلحوا بسبب هزيمتهم من قبل الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين فبذلك يكون ذلك الجيل من بني إسرائيل قد انطوت صفحته لأنه لم يكن جديراً بحمل رسالة السماء، ولكن مع هذا فإن قسماً منهم من الذين بقوا على قيد الحياة ظلوا في صراع مع الكنعانيين طيلة عهد يشوع حتى قتلوا من الكنعانيين واحداً وثلاثين ملكاً ثم توفي يشوع بعد ان دام حكمه في بني اسرائيل ثمان وعشرين سنة حتى تولى كبار شيوخهم زعامتهم ليقضوا بينهم فسمي ذلك العهد بعهد القضاة لكثرة عدد القضاة اذ بلغوا أربعة عشر قاضياً حتى تولى أمرهم طالوت (شاؤل) فصار ملكاً عليهم [1].

وعلى هذا ظل الإسرائيليون يحاولون دخول القدس حتى جاء داود عليه السلام سنة 799 ق.م فحكمها مائة وتسع وثمانين سنة حتى طرده اليهود مع أنهم كما تقول الروايات سكنوا جنباً إلى جنب مع اليبوسيين وذلك كما جاء في سفر القضاة 19: 11-12 .

أما عن النفوذ اليوناني على القدس فقد بدأ بالاسكندر المكدوني الذي فتحها بعد ان كانت ضمن المدن الفلسطينية الخاضعة لحكم اليونان وذلك على أثر هزيمة الفرس في موقعه أسوس، وهناك روايات كثيرة توضح كيف ان الاسكندر حاصرها إلى أن استسلمت.

أما عن النفوذ البطالسي أو البطالمي فقد وطد بطليموس الأول Prolemy نفوذه عليها سنة 320 ق.م بعد صراع مرير ومعارك عنيفة مع حكامها وخاصة القائد (أوميدون) الذي تمسك به اليهود والتفوا حوله، لكنه استطاع أن يدخلها أخيراً يوم السبت لتوقف اليهود في هذا اليوم عن أعمالهم ودك حصونها وسبى منها نحو مائة ألف إلى مصر وأثقل كاهل من تبقى منهم بالضرائب وعاملهم بالقسوة، لكنه تراجع عن سياسته هذه.

أما عن النفوذ السلوقي على القدس فقد تم بعد أن تصالح كل من ملك سوريا انطوخيوس الكبير وبطليموس الخامس ملك مصر سنة 203 -181 ق.م

([1]) ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، مرجع سابق، ص 29.

حيث آلت القدس إلى أنطوخيوس الكبير فدخل القدس ورحب به أهلها وعاملهم معاملة حسنة وأعفاهم من الضرائب.

وفي سنة 187-175 ق.م عندما تولى الملك سلوقس بن انطوخيوس حاول هذا الأخير زعزعة منصب رئيس الكهنة لاستئثاره بالأموال الطائلة التي كانت توضح في خزائن الهيكل بتحريض من رئيس الكهنة ولكن شيئاً من هذا لم يتم [1].

وفي سنة 175-176 ق.م عندما تولى الملك انطوخيوس الرابع الحكم ساءت العلاقات بينه وبين اليهود بسبب بيع هذا الملك وظيفة رئيس الكهنة وإنشائه ملعباً ونادياً للعب والاحتفالات حيث عم على إثرها الفساد وشاع الاضطراب حتى بين الكهنة أنفسهم . وظل الحال على هذا إلى أن قتل من اليهود أربعة وثمانين ألفا على يد بولونيوس صاحب الجزية عندما دخل القدس وأمر جنوده الذين كان تعداهم اكثر من اثنين وعشرين ألفا بسحق هذا العدد من اليهود في يوم سبت عندما كان اليهود خارجين في عطلتهم .

أما عن النفوذ الروماني على القدس فقد بدأ بواسطة القائد بومبي سنة 63 ق.م. فبينمام كان ابنا جانيوس من السلوقيين يتخاصمان على أرض فلسطين كان بومبي يغزو بلادهم ويعيد ترتيبها وهو الذي أعاد ترتيب الخريطة السياسية لفلسطين وأصبحت المستعمرة اليهودية تعرف من عهده باسم (يهويدة) Gudae.

وقد تسلم بومبي القدس من اريستوبولس وهيركانوس دون مقاومة ، غير أن اليهود رفضوا هذا التسليم وأعلنوا حربهم على بومبي وتحصنوا داخل الهيكل فحاصره بومبي وضربه المجانبيق واستمر في محاصرته لمدة ثلاثة اشهر حتى احتله في يوم سبت اثناء عطلة اليهود بعد أن أعمل السيف في رقابهم، ثم قام بومبي بتعيين رئيس جديد للكهنة وعهد لنفسه برئاسة المدينة فدخلت المدينة المقدسة تحت السيطرة الرومانية تماماً بحيث أمر اليهود بدفع الجزية سنوياً ثم رحل عنها إلى روما وقد أخذ معه اريستوبولس وأبناءه أسرى، لكن أحد أبناء اريستو تمكن من الهرب عائداً إلى القدس الذي عينه اليهود على التو قائداً عليهم فاستغل وجوده وأخذ

([1]) ظفر الإسلام خان، مرجع سابق، ص 74-75 .

يغزو الأقاليم المجاورة بعد غياب هيركانوس، غير أن هذا الأخير هزمه واستطاع تقسيم البلاد إلى خمسة أقسام هي : القدس، اريحا ، جازر، الجليل الأعلى، شرق الأردن. ثم جاء القائد الروماني (قسيوس) الذي احتل القدس من جديد بعد أن سلبها الفرس عندما احتلوا سورية سنة 53 ق.م .

أما عن النفوذ الفارسي على القدس سنة 40 ق.م حيث أنه بعد مقتل أريستوبولس التجأ ابنه الوحيد إلى ملك الفرس وطلب منه أن يعمل كل ما من شأنه ليحتل القدس ووعده بأن يقدم له الف بدره من الذهب وثمانمائة جارية من بنات أعاظم اليهود مقابل أن يعطيه صلاحية الولاية على القدس، فوافق على ذلك وقاد حملة عسكرية توجه بها إلى بلاد الشام حيث قتل الكثير ممن وجدهم وأرسل جيشاً إلى القدس ومعه أبن اريستوبولس الوحيد (انتغنوس) ولكنه عجز عن فتحها فاحتال على أهلها بالدخول بإنه ما جاء فاتحاً إنما زائراً للهيكل فسمح له وبدأ بقتل أهلها، ومع كل هذا لم يستطع أحكام السيطرة عليها فاستلطف سكانها وعرض عليهم الصلح والصداقة واستمر على ذلك حتى استعاد الرومان المدينة المقدسة سنة 37 ق.م.

أما كيف أن الروما أعادوا احتلال المدينة المقدسة بواسطة انتغنوس سنة 37 ق.م . كما أوردها ابن خلدون فهي أن الملك أغسطس قيصر أنفذ قائده انطونيوس على رأس حملة عسكرية لاعادة احتلال بلاد الشام من أيدي الفرس، وكان معه هيردوس Herod الذي ملك على روما، وعندما وصلت تلك القوات إلى انطاكيا اتجه هيردوس على رأس قسم منها إلى القدس لإعادة احتلالها. فما كان من انتغوس إلا أن تحرك إلى الشراة لاعتقال أسرة هيردوس، لكن هذا لحق به وحاربه، فارتد انتغنوس منهزماً إلى القدس وتحصن بها، فحاصره هيردوس على رأس القوات الرومانية وذلك سنة 37 ق.م وأمتد الحصار نحو ستة أشهر حاول انتغنوس خلالها استمالة قادة الجيش الروماني بالأموال، ولكنهم لم يجيبوه ، وفي اثناء ذلك كان انطونيوس قد حقق انتصاره على الفرس واستعاد سورية، فتحرك هيردوس إليه وترك أخاه يوسف علي في حصار القدس مع قائد روماني يدعى (سيساو) غير أن يوسف قتل، ونجح انتغنوس في صد الجيش الروماني، فانسحب سيساو منهزماً إلى



دمشق، وكر هيردوس من جديد على انتغنوس الذي خرج للقائه خارج القدس، فهزمه هيرودس وقتل عامة عسكره، ولحق به إلى القدس بعد أن تحصن فيها من جديد، ووافاه سيساو فحاصرا القدس اياماً إلى أن تمّ احتلالها عنوة بالسيف، والقيا القبض على انتغنوس، فقيده سيساو وحمله إلى انطونيوس الذي كان قد سار من الشام إلى مصر، ولحق به هيردوس، وعلى ما يبدو فإنه خشي أن يبقيى عليه انطونيوس مما سيشكل خطراً عليه فيما بعد، ولذلك طالبه بقتله، فقلته انطونيوس لينتهي بذلك ملك بني خشماني، واستبد هيردوس بملك اليهود في القدس باسم الدولة الرومانية، وقد استدعى إليه هيركانوس من بلاد فارس واطمعه بإعادته في منصب الكهانة من جديد، ولكن هيردوس ما لبث أن قتله بعد عودته، وشرع يبيد كل الذين قاوموه في الحرب السابقة حتى أفنى الكثيرين .

ومع ذلك كله فإن هيردوس أسبغ على فلسطين سلاماً لم تنعم به من قبل وأدخل عليها الرفاهية ، واستطاع استعادة كل الأراضي التي كان بومبي قد استولى عليها، وبنى القصر الملكي في القدس الذي يعرف اليوم بالقلعة، وحصن القدس بسور عظيم وأقام فوقه الأبراج، وجدد بناء مدينة السامرة وأطلق عليها اسم سياستوس (سبسطية) ورمم البرج القديم شمالي يافا، وأصبح مدينة سميت قيصرية (قيسارية) ، وشيد حصناً أسماه حصن أنطونيا نسبة إلى صديقه انطونيوس، ومع كل الذين فعله من تحسينات ظل مكروهاً من قبل اليهود لأنه كان من أنصار الرومان الذين يدين لهم في ارتقاء عرش أورشليم ، وكان ضد القومية اليهودية، واليهود يكرهونه لهذا السبب. وقد زارت الملكة المصرية كليوباترا القدس سنة 34 ق.م. في عهد هيردوس وصحبت معها عند الرجوع مارك انطوني [1].

وفي زمنه كذلك عاش أنبياء بني اسرائيل زكريا وولده يحيى عليهما السلام[2].

ثم ولد السيد المسيح عليه السلام في الأرض المقدسة في بيت لحم فأخذ يدعو الناس من اليهود إلى دين الوحدانية ونبذ الخرافات والأباطيل، قال تعالى : (ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) ، وأيده الله عز وجل

([1]) ظفر الاسلام خان، ص 86-87 .

([2]) المرجع السابق.

بالآيات والمعجزات الدالة على رسالته، قال تعالى : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم باية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين)[1].

وظل عيسى عليه السلام يدعو إلى الله عز وجل ويتجول في انحاء فلسطين يحاجج الكهنة من بني إسرائيل ليهتدوا وليقلعوا عن غيهم وضلالهم ولكنهم ابوا عليه ذلك ورموه بالسحر تارة ، والجنون تارة أخرى.

وقد أنبأهم عليه السلام بأن مدينتهم لن تظل بأمان وأن مصيرها إلى الدمار، فقال مخاطباً تلاميذه : (الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض).

ثم تطورت الأحداث في القدس فشيدت فيها المسارح والقصور وعين عليها من ولاة الرومان من يهتمون بالبناء فبنى (بزيتا) السور الثالث حول المدينة وعمل (إغريبا) على طبع المدينة بالطابع الوثني، غير أنه سرعان ما توفي وعاد الملك (قلاوديوس قيصر) فبعثر مملكة اليهود من جديد ونقل ولايتهم إلى قيسارية بدلاً من القدس. واستمر التقتيل لليهود مروراً بقلوديوس وغلوس فسباسيانس إلى فسباسيان Vespasian ابنه تيطس إلى نفسه Titus الذي حشد جيشاً ضخماً لدخول القدس، حيث عرض على اليهود أن يفتحوا له الأبواب والخضوع للسيادة الرومانية ودفع الجزية فقط، لكنهم رفضوا هذا العرض بالرغم من حمام الدم الذي كان ينتظرهم ويتحدثون عنه. فشرع تيطس Titus بعدها بحصار المدينة والتضييق عليها لمدة اربعة أشهر حتى تمكن أخيراً من اقتحامها بعد تدميرها وقتل ما يزيد عن مليون ومائة ألف يهودي وأسر أكثر من سبعة وتسعين ألفاً، فضلاً عن من فر أو طرد إلى مصر وغيرها[2].

([1]) سورة عمران آية 49 .

([2]) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ص 56-61 .

وتيطس هذا حرث الأرض من تحت اليهود، ودمر الهيكل تدميراً كاملاً، وأمر بحمل ما تبقى من أحجاره لترمي في الأودية بعيداً عن المدينة.

وهو الذي تبنى فكرة اللوحة التي كتب عليها باللغات الثلاث الآرامية واليونانية والآرامية العبارة التالية : (حرام على الجنس اليهودي الذي نبذه التاريخ السكن في هذه المدينة (أورشليم) .

وظلت قبضة الرومان مستمرة على المدينة وخاصة في زمن إدريانوس الذي زار المدينة وأمر بإعادة بنائها وأسند ولاية المدينة إلى أخي زوجته، وأقبل اليهود عائدين إلى المدينة فامتلأت بهم المدينة، لكن الرومان ضيقوا عليهم الخناق من جديد.

لكن الرومان فتكوا بهم من جديد بقيادة هدريان Hadrian الذي أعمل السيف فيهم وحصدهم حصداً في شوارع القدس ودمر المدينة بأكملها [1].

ثم أعاد هدريان بعد أربع سنوات بناء مدينة جديدة على أنقاض المدينة التي دمرت وأسماها إيليا كابيتولينAelia Captolina ولكن بطابع وثنية كما قال هو، وشيد هيكلاً مكان الهيكل القديم للجوبتر وبنى برجاً على بابه ووضع عليه لوحة مكتوب عليها اسم إيلياء بخط كبير، ثم بنى سوراً عظيماً حولها وأسكن فيها عائلات رومانية ومنع اليهود من الظهور داخل المدينة، وجزاء المخالف القتل واستمر هذا الحظر مائتي سنة [2].

وظل حالها كذلك إلى أن سيطر عليها الملك قسطنطين الذي أعتنق المسيحية فأصبغ عليها الصبغة المسيحية بعد الوثنية وأمر ببناء كنيسة القيامة التي أصبحت محجاً للمسيحيين من جميع أنحاء العالم.

وقد عمل قسطنطين على السماح لليهود بزيارة القدس مرة وليوم واحد في السنة وكذلك غير اسمها ليعود اسمها العربي القديم (أورشليم) مع أن اسم إيلياء ظلت تذكر به حتى الفتح العربي الإسلامي سنة 15 هـ 636م . ونتيجة لهذا التسامح الذي أبداه قسطنطين أخذ اليهود بالعودة إلى فلسطين، لكن لتزايد عددهم

---

(1) عارف العارف، مرجع سابق، ص66.

(2) ابن خلدون، العبد 417/2 .

البطريرك نفسه زخريا (زكريا) حملوه معهم، وعلى أثر هذا الانتصار سلم الفرس مفاتيح وإدارة المدينة إلى اليهود مكافأة لهم على تعاونهم معهم.

وخلال حكم الفرس على القدس حصلت حادثة الاسراء والمعراج عندما أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى القدس ومن هناك عرج به عليه السلام إلى السماء.

وعلى أية حال لم يستطع الفرس أن يبقوا مسيطرين على القدس إلى ما لا نهاية فقد تمكنت قوات الرومان بقيادة هرقل من احتلال المدينة بعد أن هزم الفرس في معركة نينوى الشهيرة سنة 627 م. وعلى اثرها تم الصلح بين الفرس والرومان أطلق بموجبها سراح الأسرى الرومان وعادت سوريا والقدس إلى حظيرة الدولة الرومانية.

وبهذا الاحتلال دخل (هرقل) إلى القدس حاملاً الصليب ليضعه في موضعه القديم بين اناشيد الاساقفة وحماسة الجماهير [1].

أما اليهود الذين في القدس فقد رحبوا بادئ الأمر بهرقل وقدموا له الهدايا، لكنه سرعان ما غضب عليهم وبدأ بقتالهم لما علمه من الاساقفة والرهبان من تخريبهم للكنائس وهدمهم للصوامع، وفي ذلك قال ابن خلدون : (ثم سار هرقل إلى بيت المقدس وأهدى إليه اليهود فأمنهم أولاً ثم عرّفه الاسقافة والرهبان بما فعلوه في الكنائس ورأها خراباً وأخبروه بمن قتلوه من النصارى ، فأمر هرقل بقتلهم فلم ينج منهم إلا من اختفى أو أبعد المفر إلى الجبال والبراري وأمر الكنائس فبنيت) [2].

زيادة على ذلك فإن هرقل أصدر أوامره بالتحريم على اليهود دخول القدس إضافة إلى ثلاثة أميال أخرى يشملها التحريم، وعين أسقفاً جديداً أمنه على إعادة بناء الكنائس من جديد ووفر له النفقات المالية، وبقيت المدينة على هذا الوضع تخلو تماماً من اليهود إلى أن فتحها المسلمون سنة 636 م.

---

(1) احسان عباس، تاريخ بلاد الشام ص 112-134 .

(2) ابن خلدون ، العبر، 2/ 457-458.

خاف ثورتهم فأمرهم باعتناق المسيحية فقبلوا بها مضطرين، ثم استمر في قتلهم جماعات ووحدانا وخصوصاً بعد أن تبين له أن الكثير منهم يمتنعون عن أكل لحم الخنزير ويحاولوا جاهدين أن يثنوا قسطنطين نفسه عن الديانة المسيحية وذلك بالإدعاء أن المسيح نفسه لم يولد بعد. قال ابن خلدون في هذا الصدد: (إن أحبار اليهود نقصوا من سني مواليد الآباء نحواً من ألف وخمسمائة سنة ليبطلوا مجيء المسيح في السوابيع التي ذكر دانيال النبي أن المسيح يظهر عندها، وأنها لم يحن وقتها ولا تاريخها، وأن التوراة الصحيحة هي التي فسرها السبعين من الأحبار، غير أن ذلك لم يلق آذاناً صاغية من الإمبراطور أو من أي متبع للمسيحية ، وظل الإمبراطور على تردده من اليهود [1].

وفي سنة 361 سمح لليهود بالعودة إلى القدس عندما اعتلى عرش بيزنطية الإمبراطور (يوليانس) وتخلى عن المسيحية وأعاد بناء الهيكل لكنه قتل وتولى مكانه (يوبيانوس) الذي اغتاض من اليهود ولم يسمح بإعادة بناء الهيكل الذي دمر من عهد سلفه وظل الأمر هكذا حتى انقسمت الدولة الرومانية إلى قسمين الدولة الشرقية وعاصمتها القسطنطية والدولة الغربية وعاصمتها روما فوقعت بلاد الشام كلها تحت سيطرة بيزنطية بما في ذلك القدس [2].

أما عن الصراع بين الفرس والرومان بشأن القدس بعد انقسام الدولة الرومانية إلى قسمين فإن الفرس قد شنوا هجوماً على القدس التي كانت في قبضة الدولة الرومانية وانضمت اعداداً هائلة من اليهود للانخراط مع الفرس، وفي الوقت نفسه كان بطريك القدس ميالاً للتعامل مع الفرس الغازيين حفاظاً على أمن المدينة ووحدتها، لكن اليهود حاولوا منعه من ذلك فعمت القدس الفوضى، لكن قائد قوات الفرس حروزيه تمكن أخيراً من السيطرة على القدس بعد محاصرتها أكثر من أربعين يوماً واستباحها لقواته الذين عملوا فيها العجائب وهم واليهود حيث قتلوا من المسيحيين نحو تسعين الفاً ودمروا الكنائس ونهبوا الكنوز وأحرقوا فأتوا أكثر من ثلاثمائة كنيسة ودير ، وأسروا العشرات من المسيحيين حتى

---

(1) مرجع سابق 435/2 .

(2) مرجع سابق 454-455 .

صلة الإسلام الأولى بالقدس (الفتح النبوي)

لقد كان الفتح النبوي للقدس من خلال صلة الإسلام الأولى بالقدس، بمثابة (فتح الفتح)، حيث فتحت رحلةً في ليلة أبواب الجهاد عبر القرون المتتالية للعصور الإسلامية المتعاقبة حتى هذا الوقت ..

قال الله تبارك عن هذا الفتح :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير).

وفي هذا الحدث الجلل (حادث الإسراء من المسجد الحرام (في مكة) إلى المسجد الأقصى (في القدس) آيات للمسلمين، بل للعالمين ..

ومن تلك الآيات :

1- إن الله تعالى حين ربط بين (المسجد الحرام والمسجد الأقصى) قد دلّ على تلك الصلة القديمة الأصيلة التي تجمع بينهما : صلة العروبة الراسخة في جذور هذين البلدين الطاهرين المباركين، وصلة النبوة المتأصلة في تخومها، حيث جعلهما سبحانه مهداً للأنبياء والرسل ..

تلك هي دلالة الآية الكريمة .. وذاك فحواها .. من غير لبس ولا إبهام .. وعروبة القدس من عروبة أمة) ، و(قدسية القدس من قدسية مكة)، هذا هو المقصود من دلالة الآية وفحوها.

وعلى هذا يكون على عاتق المسلمين حماية ورعاية القدس الشريف، كما عليهم حماية ورعاية مكة المكرّمة .

2- إن معنى (إسراء النبي العربي الهاشمي محمد بن عبد الله، من مكة - التي هي بلده وموطنه - إلى بيت المقدس) يتضمن التسليم والتمليك من الله ربّ مكة والقدس، للنبي صلى الله عليه وآله وسلم طيلة نبوتّه ورسالته، ولأمته من بعده إلى يوم الدين ..

ويقول (الشيخ عبد اللطيف مشهري)[1] : تحت عنوان (عبرة العبر في الإسراء).

لقد كان التوجه إلى المسجد الأقصى ليلة الإسراء، تكريماً من الله سبحانه، لهذه الأمة الإسلامية، ممثلة في شخص نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم، إذ حشد الله له ليلتها جميع الأنبياء والرسل، فاجتمع بهم وتحدث إليهم وخطبهم وأمّهم في الصلاة.

(إنّها كانت ليلة انعقدت فيها لواء الزعامة المحمدية، وتمّ فيها تسلميه راية الخلافة للرسالات من قبله، فقد أصبحت كل الملل من قبله مغيّرة مبدّلة محرّفة، وفسد الأتباع ولبسوا الحقّ بالباطل وكتموا الحقّ وهم يعلمون، ولم يبق سليماً من رسالات السماء سوى هذا الدين، الذي جعله الله مصّدقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه، وضمن له الحفظ والصون من التحريف قال الله تعالى في ذلك : (إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) ، نعم إنّها ليلة توليه لهذه الأمة التي أراد الله لها أن تكون أمة وسطاً : (لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً).

ولّما كان موسى عليه السلام شيخ أنبياء بني إسرائيل ولقد لقي من قومه ما لقي من الإذلال .. حتى من مؤمنيهم : (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) ، مع أنّه قال لهم مثل ردّهم هذا : (استعينوا بالله اصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)، وإذا كان هذا حال المؤمنين من شعب بني إسرائيل ؟! فكيف يكون حال من سواهم ممن لا يرجون لله وقاراً؟!؟.

(لقد أحضر الله جميع رسله .. عليهم جميعاً السلام، وأشهدهم حفل التكريم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتحويل الرسالة من شعب إسرائيل إلى (بني إسماعيل: العرب) ، لأنّهم (خير أمة أخرجت للناس) ، وتكرار اللقاءات الخاصة بين صاحب الإسراء (محمد صلى الله عليه وسلم)وشيخ أنبياء بني إسرائيل (موسى عليه السلام) في المسجد الأقصى، وفي السماء السادسة، وتردد الرسول عليه الصلاة والسلام بينه وبين ربّه مراراً، مع أنّ الخليل (إبراهيم) أقرب للعرش من موسى فهو في السماء السابعة .. فلم كان موسى بالذات.

([1]) في كتابه (المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح – سلسلة البحوث الإسلامية /ص52-57 .

(إنّه نظام التسلم والتسليم، من شأن القائد القديم أن يوصي القائد الجديد بملاحظاته، وهذا هو الذي حدث مع موسى حيث قال له : إنّي بلوت بني إسرائيل قبلك وعجزوا، وأنتم آخر الأمم وجوداً وأضعفها أبداناً، أقصدها أعماراً، فسل ربك التخفيف ..)

لقد كانت ليلة الإسراء ليلة الفتح الأعظم للإسلام والمسلمين حيث حضره جميع الأنبياء والمرسلين للإقرار والتبريك، وعندها أمره الله سبحانه بقوله : (وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا)، فلقد حضروا جميعاً أمامك، فحدث من شئت وأسأل من شئت، ولا سيما (موسى) الذي سترث ملكه وخلافته، وتحقق من ذلك بنفسك، وفي هذا يقول الله تعالى : ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه).

ولقد مهّد الله تعالى لذلك الفتح الأعظم أن أهلك سبحانه بني إسرائيل الذين عاشوا في الأرض مفسدين، بتسليط الجبابرة عليهم من العرب والفرس والرومان، فأزالوا ملكهم وجاسوا خلال الديار وتبّروا ما علو تتبراً، فقتّلوهم وشرّدوهم ودمّروا مدنهم وأزالوا ملكهم، لتصبح الأرض المقدسة خالصة مخلصة لله عز وجل يقام فيها دين الله لتصلي فيها جموع المسلمين بقلوب خاشعة دون مكر وخداع.

وجاء الإسلام إلى القدس وهم كذلك مشتتون في الأرض ضائعون، ولما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن المسجد الأقصى بحلته الحاضرة موجوداً، ولا لهيكل سليمان أي أثر، فأعلم الله سبحانه نبيه الكريم مكان المسجد الأقصى في المكان الذي جمع له الأنبياء فيه حيث أمّهم وصلىّ بهم..

فالإسلام هذا الدين الحنيف الذي أسدل الطمأنينة والرحمة على كل مكان ساده فلا بد أن يسود الأرض التي باركها رب العالمين .

البعد الروحي لليلة الإسراء:

لقد كان من وراء الإسراء الذي كان رابطاً مادياً لتوثيق العروة التاريخية بين المدينتين المقدستين (مكة والقدس) اللّتين ترجعان لتراث إبراهيم عليه السلام،

الذي تركه من بعده لابنه (إسماعيل) وحفيده (يعقوب) كان من وراء ذلك تلك الصلة الروحية التي تحققت بمعراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجسده الشريف إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .. وما كان فيها من فرض الصلوات الخمس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمته، حتى أصبحت (أرض المعراج) قبلة المسلمين في أداء تلك الصلوات الخمس طيلة ثلاث سنوات، قال الحافظ ابن كثير [1]:)(إنّ رسول الله صلى الله وآله وسلم كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه – أي : أمامه تجاه بيت المقدس – فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أوّل مقدمه المدينة ، واستدبر الكعبة سبعة عشر شهراً، إلى رجب من السنة الثانية للهجرة .

وبذلك يكون بيت المقدس (أولى القبلتين) كما أصبح (ثالث الحرمين الشريفين)، في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا) [2].

كما أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيم شأن القدس في قوله : (فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفي مسجدي بألف صلاة، وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة). [3]

وبهذا تظهر مكانة (الصلة الروحية للمسلمين بالقدس) تلك الصلة العظيمة التي عقدتها رحلة الإسراء والمعراج التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

([1]) البداية ج3 ص 253 .

([2]) رواه الشيخان في صحيحهما.

([3]) رواه الستة .

ملامح الفتح الإسلامي للقدس

أصدر الخليفة عمر أوامره إلى قادة الجيوش في الشام بالتحرك إلى قيسارية والرملة وبيت المقدس حتى يخففوا الضغوط العسكري من جانب الروم ويشغلوهم عن عمرو بن العاص الذي كان هدفه في هذه المرحلة فتح الطريق إلى بيت المقدس. وقد تمكن معاوية بن أبي سفيان من اشغال أهل قيسارية عن عمرو وتتابعت الإمدادات من كل جهة حتى تمكن المسلمون من الاستيلاء على اجنادين وفر الارطبون بفلول قواته على بيت المقدس سنة 15هـ /636م.

وفي ذلك الوقت احتشدت الجيوش الإسلامية حول بيت المقدس وقد حصنتها القوات الرومانية بقيادة الارطبون ونصبوا المنجنيق على اسوارها مما صعب مهمة المسلمين في الاستيلاء على المدينة واقتحامها فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر يبرر عدم تمكنه من اقتحام بيت المقدس وجاء في كتابه قوله إني أعالج عدوا شديداً.

وكعادة المسلمين قبل الاشتباك في معارك عسكرية مع أهل البلاد التي فتحوها كانوا يعرضون عليهم التفاوض حول ثلاث خصال ليختاروا منها واحدة، وهي الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتال.

وتروى بعض المصادر أن أبا عبيدة بن الجراح قائد جيوش المسلمين في الشام وجه كتابا إلى أهل بيت المقدس يحمل هذا المعنى، فلم يستجب القادة العسكريون داخل مدينة بيت المقدس المحاصرة لما عرضه عليهم المسلمون ولعلهم كانوا يأملون في تحقيق النصر على القوات الإسلامية، وجرت بعض المناوشات بين الجانبين، وتمكن المسلمون من صد هجوم مفاجئ من جانب الجيش الروماني لاختراق الحصار حول بيت المقدس واضطرت القوات الرومانية إلى التراجع للاحتماء بأسوار المدينة، ومع شدة الحصار الذي دام ما يقرب من أربعة شهور أدرك المحاصرون صعوبة موقفهم وأنه لا سبيل أمامهم إلا التفاوض مع المسلمين.

وكتب عمرو بن العاص كتاباً إلى الخليفة بالمدينة موضحاً له مطالب أهل بيت المقدس والموقف العسكري حول المدينة. وتشير الكثير من الروايات التاريخية أن الخليفة عمر اجتمع بمستشاريه من كبار الصحابة وعرض عليهم كتاب عمرو بن العاص ومطالب أهل بيت المقدس بضرورة قدوم الخليفة بنفسه إلى مدينتهم لتسليمها له لكن كان هناك رأى عارض فكره خروج الخليفة من عاصمته إلى بيت المقدس لأن هذه حادثة ليس لها مثيل في الفتوحات الإسلامية ويجب أن يشعر أهل بيت المقدس بعدم اهتمام الخليفة بمطالبهم، وأنه لن يمر وقت طويل حتى يضطروا إلى الخضوع للمسلمين ويعطوا الجزية وهم صاغرون وكان يتزعم هذا الرأي عثمان بن عفان.

أما الرأي الأخر فكان يؤيد خروج الخليفة بنفسه إلى بيت المقدس استجابة لدعوة أهلها وكان يمثله على أبن أبي طالب الذي رأى في هذا الإجراء حسماً للنزاع حول المدينة وحقنا للدماء التي قد تهدر من جانب المسلمين وكان رد عمر على الاقتراحين قوله قد أحسن عثمان في مكيدة العدو وقد أحسن علي للنظر لأهل الإسلام.

وفي هذه الأجواء قرر عمر بن الخطاب المسير إلى بيت المقدس وقبل خروجه من المدينة عاصمة الخلافة كتب إلى أمراء الأجناد بالشام أن يستخلف كل منهم على عمله وأن يجتمعوا في الجابية في يوم حدده لهم وفي طريقه إلى الجابية التقى به بعض اليهود وتنبأوا له بالنصر وأني يتم فتح بيت المقدس على يديه . ولعل هذه كانت أمنيتهم ليس حباً في المسلمين بل كراهة وغيظاً للروم وللنصارى في المدينة لما ناله منهم من قتل وتشريد على يديهم كما صادف الخليفة قوماً مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت.

وعندما اقترب الخليفة عمر من الجابية خرج المسلمون لاستقباله وخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد ولم يكن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة في استقباله لأنهما كانا على حصار بيت المقدس.

وقد بعث أبو عبيدة إلى أهل المدينة يعلمهم بحضور أمير المؤمنين حتى يخرجوا للقائه، فخرج من المدينة البطريرك سفرنيوس في جماعة من عظماء النصارى وترجل

الرهبان والقسس والأساقفة معه وقد حمل بين يديه صليبا لا يخرجونه إلا في يوم عيدهم وقال أهل بيت المقدس بعد أن تأكدوا من شخصية الخليفة : أنزلوا إليه اعقدوا معه الأمان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله.

وهكذا يمكن القول أن رجال الدين المسيحي في بيت المقدس كانوا يسيطرون على مجريات الأمور في المدينة وبيدهم سلطة التفاوض وعقد الصلح مع المسلمين ولا سيما بعد أن فر قادة الرومان من العسكريين إلى مصر، بعد أن أيقنوا من الهزيمة وضاقت أنفسهم بشدة الحصار. ففي رواية لصاحب فتوح الشام يتضح مدى تطلع أهل بيت المقدس للتخلص من قسوة الحصار والحصول على الصلح والأمان فما كادوا يسمعون كلام البطريرك سفرنيوس حتى نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ففتحوا الأبواب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له الجزية.

ويبدو أن اليهود الذين شردوا من بيت المقدس سواء هربا من المذبحة أو تنفيذا للعهد والأمان الذي حصل عليه أهل المدينة من المسلمين كانوا يتحينون الفرصة للانتقام من أعدائهم. ففي إحدى الروايات قيل أن هذه المدينة كان بها مائتا ألف يهودي ورغم احتمال المبالغة في هذا العدد إلا أن الرواية تذكر أن اليهود بقيسارية ساعدوا المسلمين على اقتحام المدينة بعد أن دلوهم على طريق مائي يخترق أسوارها وكان ثمن هذا الموقف أن حصل اليهود على الأمان من المسلمين وقتل وأسر معظم الروم في المدينة نتيجة لمفاجأة المسلمين لهم وقطعوا عليهم طريق الهرب.

وإذا كان للأمان العمرى لأهل بيت المقدس أهمية، فإنه لم يتغافل نص الأمان ذكر الواجبات التي عليهم الالتزام بها وهي في جملتها تتمثل في دفع الجزية وإخراج من بيت المقدس الروم والخارجين عن النظام .واللصوص. كما أعطى الأمان حرية الخروج من المدينة في سلام لكل من يرغب في ذلك، حتى يبلغ مأمنه ولا يتعرض المسلمون لشيء من أموال الخارجين أو ما يحملونه معهم من متاع. وفي ختام الأمان جاءت هذه العبارة المؤكدة له: (وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك: خالد بن الوليد.وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.

وبعد أن تسلم زعماء بيت المقدس الأمان قام الخليفة عمر خطيباً في المسلمين فأشاد بالنصر العظيم الذي حققه المسلمون في هذا اليوم المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى وتأييده لعباده المخلصين وحضرت الصلاة فطلب عمر بن بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم – أن يؤذن للصلاة فقال بلال : (يا أمير المؤمنين، أما والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك اليوم إذا أمرتني بهذه الصلاة وحدها (فلما أذن بلال وسمعته الصحابة ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديد، وكان يوماً مشهوداً احتفالاً بفتح المسلمين لبيت المقدس.

لكل من اليهودية والمسيحية والإسلام مكانة في مدينة القدس. غير أن خصوصية الإسلام أكثر وضوحاً وجلاء وأقوى رسوخاً. فهي تستند إلى حقائق ثابتة وروافد عميقة وامتدادات دقيقة.

وتؤكد لنا الكثير من الكتب والوثائق التاريخية من الكتب والوثائق التاريخية أن أول من بنى القدس هم (اليبوسيون) وهم قبيلة من قبائل العرب القدامى . نزحت من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين وذلك قبل نحو ثلاثين قرنا – قبل الميلاد – وكانت تسمى هذه البقعة من الأراضي أورشالم أو مدينة شالم أو مدينة شالم وهو إله اليبوسيين واحتفظت المدنية باسمها الأول يبوس نسبة إلى القبيلة وقد ورد ذكر هذا الاسم في التوراة.

وبعد ذلك سكن القدس بل وكل فلسطين العرب الكنعانيون وغيرهم قرونا طويلة إلى أن جاءها خليل الله إبراهيم عليه السلام مهاجراً من وطنه الأصلي بالعراق. وكما تقول أسفار العهد القديم. أن سيدنا إبراهيم دخلها وزوجه سارة وكان عمره آنذاك حوالي 75 سنة. وعندما بلغ عمره المائة أنجب أبنه اسحق. ومات النبي إبراهيم وعمره حوالي 175 سنة، ولم يكن يمتلك أرضاً في فلسطين، حتى أن زوجه سارة عندما وافتها المنية قبله طلب من شعب فلسطين قبراً لها لكي تدفن فيه. وكذلك مات سيدنا اسحق عن عمر يناهز 180 سنة دون أن يمتلك شبراً.

وقد ارحل سيدنا يعقوب بذريته إلى مصر ومات بها وعمره حوالي 147 سنة. وكان عدد أولاده وأحفاده 70 شخصاً عندما دخلها وكان عمره 130 سنة. أي أن المدة

التي قضاها سيدنا إبراهيم وابنه إسحاق وحفيده يعقوب في فلسطين لا تتجاوز 230 سنة وكانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها شيئاً.

وتشير التوراة إلى أن المدة التي عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم منها موسى عليه السلام تبلغ 430 سنة ، كانوا فيها أيضاً غرباء لا يملكون شيئاً وتقول التوراة أن المدة التي عاشها موسى وبنو إسرائيل التيه بصحراء سيناء 40 سنة ، بكلام آخر يؤكد الكثير من العلماء أن العهد الذي يزعم اليهود أنه صدر إليهم من الله مضى عليه حينذاك سبعمائة سنة وهم لا يملكون في فلسطين شيئاً ! وفي هذا السياق أوضح الدكتور يوسف القرضاوي أن موسى عليه السلام مات دون أن دخل أرض فلسطين. إنما دخل شرق الأردن ومات فيه، والذي دخلها بعده يوشع ومات بعدما أباد أهلها – كما تقول التوراة – وقسم الأرض على أسباط بني إسرائيل ولم ينشئ لبني إسرائيل ملكاً أو مملكة ، وإنما قام بعده قضاة حكموها 200 سنة، ثم جاء بعدهم حكم الملوك، شاؤول وداود وسليمان فحكموا حوالي مائة عام أو أقل. وهذه هي دولتهم والفترة الذهبية لهم. وبعد سليمان انقسمت مملكته وبين أولاده، يهوذا في أورشليم، وإسرائيل في شكيم (نابلس) وكانت الحرب بينهما طاحنة، ولم تتوقف حتى جاء الغزو البابلي فأبادها ودمر الهيكل المزعوم وأورشليم كلها وسبى كل من بقي من شعبها حياً. وبالتالي لو تجمع كل السنوات التي عاشها اليهود على أرض فلسطين، على فترات متقطعة لما بلغت مثلاً المدة التي قضاها الإنجليز في الهند أو الهولنديون في إندونيسيا.

والواقع أن الحق التاريخي الذي يدعيه اليهود في فلسطين هو بمثابة خرافة لا أكثر. فهم لم يقيموا في فلسطين إلا غرباء وهل للغريب أو عابر السبيل أن يدعي ملكية الأرض التي أوته، أو الشجرة التي أظلته لأنه جلس تحتها ساعة من نهار ؟! ولقد أقاموا بها خلال سلسلة متواصلة من الغارات والحروب التي لم تتوقف سواء فيما بينهم أو مع الفلسطينيين.

وقد بلغ عدد القتلى من الفلسطينيين خلال هذه السنوات حوالي مائتي ألف قتيل (حسب سفر القضاة) وعدد من قتلهم داود وحده (حسب سفر الملوك) بعد ذلك أكثر من مائة ألف قتيل . ثم داهمهم الغزو البابلي حتى جاء الغزو الروماني

فأبادهم ومزقهم ثم جاء الفتح الإسلامي وهم مشـردون في الأرض وممزقـون ومحـرم عليهم الإقامة في أورشليم حتى أن البطريرك صفرنيـوس بطريـرك القـدس اشـترط على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يسلمه مفاتيح القدس الشريف ألا يسـمح لليهود بدخول إيلياء أو الإقامة فيها.

ومنذ ذلك الوقت انتهى وجود اليهود في فلسطين كحكومة لها سلطة وشعب له أرض. وبقي لهم فقط الرمز الديني باعتبارهم شعبة من القبائل الـتي تنتسب إلى سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام.

وإذا كان اليهود عاشوا في فلسطين فترة محـدودة فإنـهم لم يجدوهـا فارغـة، بـل كانت تقطنها شعوب كثيرة. وكذلك عندما رحلوا عنها لم يتركوها دون سـكان، لقـد كان يعيش على أرضها أهلها الفلسطينيون وما زالوا حتى الآن . أي أن خرافة الحـق التاريخي تشوبها الكثير من المحاذير. لذلك فاليـهود يسـتندون في مزاعمـهم للزيـف التاريخي، بكل ما ينطوي عليه من ملابسات مغلوطة. وظلت ارض فلسطين نقية من اليهود إلى حد أن أحد اليهود زار فلسطين عام 1169 م ولم يتجاوز عدد الأسـر فيـها الألف أسرة. ويقول يهودي آخر أنه لم يعثر على يهودي واحـد في مدينـة القـدس في عام 1175 ميلادية.

والحاصل أنه عندما عاهد أمير المؤمنين عمـر بـن الخطـاب بطريـرك القـدس صفرنيوس على إعطاء الأمان لأصحـاب الديانـات مـن دون اليـهود لم يكـن هنـاك هيكل قائم ولا أحد يعرف بالضبط أين أقيم الهيكل المزعوم وما هو شـكله وفي أي بقعة يكون؟

مكانة القدس الدينية بعد الإسلام

والأدوار والحقب التاريخية الـتي لعبتـها المدينـة المقدسـة بشـكل عـام والمسـجد الأقصى بشكل خاص في الحفاظ على وحدة المسلمين الدينية وحتى الاحتلال الصليبي .

ظل الاهتمام بالقدس كمدينة مقدسة قائماً بعد مجيء الإسـلام، بـل زاد مـداه واتسع افقه ببعثة الرسول صلـى الله عليـه وسـلم، فكـان طبيعيـاً أن يرتبـط تـاريخ

القدس الحقيقي بتاريخ الاسلام نفسه وذلك منذ حل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أرضها الطاهرة عندما عرج به ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى المبارك إلى السموات العلا قال تعالى :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[1].

بل نجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه قد هلل وكبر وبشر بفتح القدس، فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال لعوف بن مالك : (أعدد ستاً بين يدي الساعة ومنها، موتي، ثم فتح بيت المقدس) [2] .

ولذلك وجدناه عليه السلام قد عز عليه أن تظل بلاد الشام وعلى رأسها القدس على الشرك وخصوصاً بعد أن ثبتت دعائم الدولة الإسلامية في مكة والمدينة، فصوب نظره تجاه هذه البلاد ليعلي راية التوحيد بعد أن رفعها على ارض الحجاز.

وغني عن القول أنه عليه السلام كان قد بعث بعوثه الواحد تلو الأخرى إلى ملوك العرب وأمرائهم يدعوهم إلى التوحيد فتذكر لنا كتب السيرة والتاريخ أنه صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الحديبية في ذي الحجة سنة ست هـ أرسل كتباً وسفراء إلى رؤساء الدولة المجاورة على رأس بعثات دينية فخرج ستة نفر في بعثات في يوم واحد، وكان أول رسول بعثه عليه السلام عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، ودحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس وحاطب بن أبي بلتعمة اللخمي إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث أبي شمر الغساني في الشام ثم إلى غيرهم من الملوك والأمراء.

قال الزهري :

(كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم واحدة يعني نسخة واحدة، وكلاً فيها

([1]) سورة الإسراء آية (1).

([2]) كنز العمال 154/14 حديث رقم 38215.

هذه الآية : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ [1].

ولكن ومن سوء الطالع فإنّ هؤلاء الرسل لقيهم ما لقيهم من صد عن دعوة الإسلام، وبالأخص الرسول المبعوث إلى أمير بصرى وحاكمها من قبل الروم شرحبيل بن عمرو الغساني حيث أن هذا الأخير أوثق رباط المبعوث وقتله والرسل لا تقتل عادة، فاستثار هذا الأمر غضب الرسول صلى الله عليه وسلم وصمم أن يأخذ الحق منه، فجهز جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليه ثلاثة من قواد المسلمين العظام زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وأمرهم بالمسير إلى بلاد الشام أرض القدس جزماً منه عليه السلام بأن هذه الأرض المباركة لا يصلح معها إلا وحدانيتها لله عز وجل بمقاتلة الرومان لأنها أرض التنزيه ومفتاح كل خير لتبقى حرماً أمناً إلى ما شاء الله.

وشاءت قدرة الله عز وجل أن يستشهد هؤلاء الأبطال الواحد تلو الآخر على أرض مؤته من بلاد الشام، حيث تسلم الراية زيد بن حارثة فقتل فتسلمها عبد الله فقتل فتسلمها جعفر فقتل، ثم تلقفها خالد بن الوليد (سيف الله المسلول) الذي استطاع بحنكته ودهائه العسكري تخليص الجيش المسلم من هزيمة محققة والاحتفاظ بقوة المسلمين ليبقى هذا الحدث شاهداً حياً ماثلاً في قلوب المسلمين على أن هذه الأرض وعلى رأسها القدس يهون كل عظيم في سبيلها تسخر كل طاقة وجهد للمحافظة عليها، لأنها هكذا كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وستبقى [2].

واستمر الاهتمام بالقدس بعد الفترة المحمدية مروراً بالخلافة الراشدة وخاصة في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إذ انهما تابعا ما كان عليه السلام قد بدأه ونفذا ما كان قد وصى به، حيث أن أبا بكر رضي الله عنه وجه على

---

(1) آل عمران آية / 64 .

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 258/1، ومحمد باشميل ، غزوة مؤتة ، ص 320 –368 .

التو بعد تسلمه الخلافة الحملات المتعاقبة إلى بلاد الشام، فقد وجه حملة بقيادة يزيد بن أبي سفيان إلى البلقاء، وحملة بقيادة شرحبيل بن حسنة إلى الأردن، وحملة بقيادة أبو عبيدة عامر بن الجراح إلى دمشق، وحملة بقيادة عمرو بن العاص إلى فلسطين، وكان قواهم هذه الحملات من الأفراد ما يربو عن اثني عشر ألفاً من المقاتلين أو يزيد[1] .

وأخذت هذه الحملات تتدافع صوب الأراضي المقدسة وتتشابك مع الروم في معارك ضارية حيث حققت انتصارات هائلة في معارك اجنادين ووادي عربة بالقرب من غزة بعد أن تسلم قيادتها خالد بن الوليد بأمر من الخليفة أبي بكر سنة 13 هـ 636م.

أما في عهد عمر رضي الله عنه فقد تحققت معارك وانتصارات لا يقل شأنها عن تلك التي حصلت في عهد أبي بكر من أجل البلاد المقدسة، وعلى رأسها القدس فحصلت معارك فحل ومرج الصفر ثم معركة اليرموك العظيمة التي بها توجت معارك المسلمين جميعها، وبواسطتها استطاع المسلمون تحقيق أكبر أمانيهم بفتح القدس بعد أن استشار القائد أبو عبيدة عمر رضي الله عنه حول خطوته التالية في أن تكون صوب قيسارية أم بيت المقدس، فأشار عليه عمر بالتوجه إلى بيت المقدس وكتب إليه كتاباً جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عامله بالشام أبي عبيدة، أما بعد : فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه، وقد ورد عليّ كتابك وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجه إليها، وقد أشار ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى بيت المقدس فإن الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك.

وكان أبو عبيدة قد أرسل كتاباً إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى الإسلام والدخول فيه جاء فيه :

([1]) المرجع السابق .

(بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة أبن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول، أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وذراريكم وكنتم لنا إخواناً، وإن أبيتم فأقروا لنا أداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقومٍ هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله تعالى حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم).

وتم دخول القدس كما ذكر الواقدي بعد أن اجتمعت الجيوش الأربعة المار ذكرها (فضربت نطاقاً من الحصار حول المدينة المقدسة في أيام شديدة البرودة وبعد مرور أربعة اشهر من الحصار ويئس النصارى من المقاومة، طلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الصلح على أن يتولاه الخليفة عمر بنفسه ليضمنوا لأنفسهم الأمان [1]، فوافقهم أبو عبيدة على هذا الطلب وأرسل كتاباً إلى عمر قال فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، من عامله أبي عبيدة عامر بن الجراح، أما بعد السلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأعلم يا أمير المؤمنين، إنا منازلون لأهل مدينة إيلياء نقاتلهم أربعة أشهر، كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا، ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والأمطار، إلاّ انهم صابرون على ذلك، ويرجون الله ربهم، فلما كان اليوم الذي كتبت إليك الكتاب فيه أشرف علينا بتركهم الذي يعظمونه، وقال إنهم يجدون في كتبهم أنه لا يفتح بلدهم إلاّ صاحب نبينا واسمه عمر وإنه يعرف صفته ونعته وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء، فسر إلينا بنفسك وأنجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا وعلى يديك)[2].

فكان رد الخليفة عمر رضي الله عنه أن جمع الصحابة واستشارهم، فأشار عليه أغلبهم أن يرد على أبي عبيدة بالإيجاب وأنه سيحضر ويتسلم المدينة. وجاء وفد أبي

([1]) الواقدي، فتوح الشام، ص 180-184 .

([2]) المرجع السابق ص 80-184 .

عبيدة إلى المدينة وبصحبتهم وفد من النصارى، فسألوا عن أمير المؤمنين ليبلغوه طلب رؤسائهم واشتد عجبهم عندما شاهدوا عمر قائد دولة المسلمين يجلس تحت ظل شجرة يحتمي بها من شدة الحر، أجابهم عمر وخرج إلى إيلياء حيث وصلها في شهر رجب من السنة السادسة عشرة من الهجرة في شهر الإسراء والمعراج ليحرر مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آصار الشرك الصليبي، ودخل القدس عن طريق جبل المكبر.

أما كيف أنه رضي الله عنه وصل إلى القدس ووقع وثيقة الصلح والأمان مع أسقفها فذلك مما أفاضت به كتب السنة والتاريخ، فمما يروى عنه بهذا الشأن كما ذكر الطبري والوافدي وأبن الجوزي وأبن هشام وغيرهم أنه رضي الله عنه امتطى بعيراً احمراً عليه غرارتان في إحداهما سويق، وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة بالماء، وخلفه جفنه للزاد، وأنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، فعندما بلغ سور المدينة كان دور الركوب لغلامه، فنزل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام العير، فلما رآه المحصورون آخذاً بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكى بطريرك النصارى (صفرونيوس) وقال :

(إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة).

وكتب عمر وثيقة الأمان التي عرفت بالعهدة العمرية وجاء فيها [1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، لأهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزّها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه

([1]) تاريخ الطبري 609/3 .

وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما أعطى أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله ورسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف وكتب وحضر سنة خمس عشرة).

وبعد أن انتهى رضي الله عنه من كتابة الوثيقة طلب من البطريرك أن يدله على مكان مسجد داود، فسارا وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، وراوغهم البطريرك ليعمي عليهم مكان المسجد، وفي النهاية مضى بهم إلى مكان مسجد بيت المقدس حتى وصلوا الباب المسمى (باب محمد) وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه، فتجشم الجميع الدخول إلى الصحن ونظر عمر يميناً وشمالاً ثم قال : (الله أكبر، هذا والذي نفسي بيدة مسجد داود عليه اسلام الذي أخبرنا رسول الله انه أسرى به إليه) وكان على الصخرة زبْل كثير مما طرحته الروم غيظاً لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل والمسلمون يحذون حذوه، ومضى عمر نحو مكان محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة ص وسجد، ثم أن الخليفة عمر رضي الله عنه سأل كعب الأحبار الذي كان من جنود الفتح وكان يهودياً فأسلم عن مكان الصخرة، فدله عليها، وكانت مغطاة بالزبل، فأزال عمر ومعه المسلمون الزبل عنها.

ثم أمر رضي الله عنه أن يبنى المسجد في ساحة الحرم فبني من الخشب حيث كان يتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي. وروي انه رضي الله عنه رفض دخول الكنيسة، كنيسة القيامة للصلاة فيها خوفاً من أن تعد سابقة من السوابق فعلها عمر مخالفاً بذلك تعاليم الاسلام، فتنحى جانباً وصلى بازائها .

ثم بعد أن استقر الوضع لعمر رضي الله عنه نشر بها الإسلام وعمم العربية، وأنشأ الدواوين ، ورتب البريد، وأنشأ الحسبة، وصك النقود النحاسية

وكتب على أحد وجهيها عبارة محمد رسول الله ورسم سيف، وعلى وجهها الآخر كتب (إيلياء) وفلسطين وحرف ميم والهلال إضافة إلى انه قسم بلاد الشام إدارياً إلى قسمين وعين عليها وعلى القدس من يهتم بها ويسوس امورها، فقسمها إلى قسمين، حوران وحلب، وفلسطين وأرض المقدس، وعين على الأولى أبا عبيدة بن الجراح، وعلى الثانية يزيد بن أبي سفيان، وعين سلامة بن قيصر إماماً للصلاة في القدس، وعبادة بن الصامت قاضياً ومعلماً في القدس[1] .

وكانت هذه أوليات لعمر - وعمر ينعت في التاريخ الإسلامي بإنه صاحب أوليات كثيرة - في المدينة المقدسة لها وقعها وطابعها المميز، إذ اضفى رضي الله عنه بهذا الصنيع الصيغة الإسلامية كاملة واستبدل للمدينة اسم (القدس) ليحل محل (إيلياء) كما كان يسميها أهل الشام ومن ثم أطلق عليها (بيت المقدس) علماً أن هذا الأسم أطلق على الحرم القدسي الشريف، لكن ظلت المدينة المقدسة تعرف به، وظل الأكثر وروداً في المصادر الإسلامية .

هذا وقد ظل عمر دائم الاتصال بالقدس متشوقاً إليها، راغباً في زيارتها إذ قيل أنه زارها في العام الذي حصل فيه طاعون عمواس سنة 17هـ-639م على أثر الطاعونه الذي حل بها على الخصوص، وفي بلاد الشام على وجه العموم، إذ قيل أنه توفي في المدينة وحدها خمسة وعشرون الفاً من الصحابة، لكن على أي حال فإن خبر الزيارة غير مؤكد لأنه رضي الله عنه كان حريصاً على الذي ورد في شأن الطاعون من حيث عدم الخروج من الأرض التي يحل بها، إضافة إلى أنه وقع بين أواخر سنة 17هـ واوئل سنة 18 هـ[2] .

أما عن اهتمام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بأمر القدس، فقد كان عظيماً جداً، كيف لا وقد أوقف عين سلوان على ضعفاء المدينة ، فكانت تلك بداية لأوقاف أخرى في بيت المقدس على مدى العصور .

والحال نفسه استمر في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث ظلت المدينة تأخذ مكاناً عظيماً ومرموقاً وحتى استشهاده سنة 40 هـ- 661 م.

([1]) ابن حجر الاصابة ، 2 /245 .

([2]) مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل، مرجع سابق، 260/1 -261 .

الصحابة في بيت المقدس

حل في العهد العربي الإسلامي اسم "القدس"، كما دعاها أهل الشام، محل "الياء" الرومانية" ويروشالايم"اليهودية الاسم الذي لا يستسيغه العرب. على أن اسم "بيت المقدس" كان أكثر وروداً في مختلف المصادر.

سكن القدس بعد الفتح العمري جماعة من الصحابة وغيرهم ، كما نزلها آخرون إما للعبادة والتبرك ، أو لزيارة مقدساتها والتعرف على معالمها وتفقد شئونها. وقد رغب الكثيرون منهم أن يبدأوا شعائر الحج والإحرام من بيت المقدس. وكان بعضهم يلبسون مآزر الإحرام فيها قبل توجههم إلى مكة . وقد حرص المسلمون على أداء حج إضافي إلى القدس ، بعد أو قبل حجهم إلى مكة المكرمة وزيارة قبر الرسول الأعظم في المدينة المنورة .

أولا : وممن سكن القدس نذكر :

1- **عبادة بن الصامت** : [1] 38 ق هـ - 34 هـ : 586-644م . هو عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم .... بن الخزرج من القوافلة . ويكنى أبا الوليد . وأمه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة ... ابن الخزرج . أسلمت . شهد رضي الله عنه بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله . شهد فتح مصر ثم خرج إلى الشام فلم يزل إلى أن توفي .

كان عبادة رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً . مات في القدس في خلافة عثمان بن عفان وله عقب . وأما أخوه " أوس " فقد شهد بدراً والمشاهد ومات بفلسطين وله خمس وثمانون سنة .

ومن أعقاب عبادة عرفنا " نجم الدين أبو الفداء اسماعيل بن ابراهيم بن سالم المنتهي نسبه إلى " عبادة" درس في دمشق على علماء جماعين الذين نزحوا إلى الشام

---

(1) الأنس الجليل 166 . طبقات ابن سعد 387/7 والإصابة 228/2 والاستيعاب بهامش الإصابة 450/2 . وعبادة اس . مثل عبد وعابد وعبيلة وعبود .

على أثر حملة الإفرنج على البلاد . ولد اسماعيل الصامت هذا سنة 629هـ . وتوفي في دمشق عام 703هـ . كان حسن الأخلاق متواضعاً واستفاد منه خلق كثير [1] .

ومن آل الصامت أيضاً نذكر الشيخ " موسى بن الصامت " الصوفي المقدسي من متوصفة القرن التاسع الهجري [2] . والشيخ " أحمد الصامتي المقدسي " من متصوفة القرن الحادي عشر الهجري.

2- أبو ريحانة : [3]

هو شمعون الانصاري ويقال الأزدي . ذكر انه مولى رسول الله وكانت ابنته ريحانة سرية رسول الله . وهو مشهور بكنيته . له صحبة وسماع ورواية . كان من الفضلاء الأخيار . من الصحابة الأخيار الذين نزلوا الشام وسكن بيت المقدس وقصّ في المسجد الاقصى .

وفي الأنس الجليل (إن أبا ريحانة كان من أهل بيت المقدس وبه مات ولم يعقب) .

3 - ابراهيم بن ابي عبلة العقيلي المقدسي :

ذكره مؤلف الأنس الجليل (ص 186) بقوله : (روى عن أبي امامة وأنس وروي عنه الأمامان مالك وابن المبارك توفي سنة اثنين وخمسين من الهجرة) .

4- فيروز الديلمي : [4]

ويقال ابن الديلمي يكنى أبا عبد الله ويقال أبا عبد الرحمن ويقال أبا الضحاك من ابناء فارس ، من فرس صنعاء الذين كان كسرى بعثهم إلى قتال الحبشة، ويعرف فيروز أيضاً باسم (الحميري لنزوله بحمير ومحالفته أياهم وفد

---

(1) شذرات الذهب 8/6 .

(2) الأنس الجليل 477 .

(3) الأنس الجليل 169 والطبقات الكبرى 7 / 425 والاصابة 2/ 156 و 1/ 85 والاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة 2/ 162 و71/4 وابن عساكر 340/6 .

(4) 1- المصادر : الأنس الجليل 169 و 184 والاصابة 3 / 210 - 211 . والاستيعاب 3/ 204 و 205.

وصحبة على النبي صلى الله علية وسلم وأسلم وهو قاتل الأسود العنسي) الكذاب الذي ادعى النبوة بصنعاء . وقد روى عن رسول الله . سكن فيروز بيت المقدس ومات بها في خلافة عثمان سنة 53 هـ وقيل في خلافة معاوية.

وذكر مؤلف الأنس الجليل ولديه عبد الله والضحاك قال : (عبد الله بن فيروز الديلمي مقدسي ثقة خرج له ابو داود والنسائي وابن ماجه وله أخ يقال له الضحاك ثقة أيضاً) .

5- شداد بن أوس : (1)

هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر .... بن النجار الخزرجي الأنصاري ، أو يَعلى ويقل أبو عبد الرحمن . صحابي وهو ابن أخي حسان ابن ثابت الشاعر . ولاه عمر إمارة حمص ، ولما قتل عثمان اعتزل وعكف على العبادة والاجتهاد في العمل . قال عبادة بن الصامت : " وكان شداد بن أوس ممن أوتي العمل والحلم " قال أبو الدرداء:" لكل أمة فقيه وفقيه هذه الأمة " شداد بن أوس " نزل فلسطين . سكن القدس . توفي فيها في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان عام 58هـ : 677 م عن 95 عاماً وقيل توفي عام 50هـ .

وفي الأنس الجليل " قبره ظاهر ببيت المقدس يزار في مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى . ولشداد 50 حديثاً في الصحيحين وله بقية وعقب في القدس" .

و " يعلى بن شداد " أبو ثابت قل عنه صاحب الأنس الجليل ص (183) [من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام وحضر فتح بيت المقدس وكان ثقة روى عنه جماعة] .

---

(1) الصادر : الإعلام 232/3 . الأنس الجليل والطبقات الكبرى 401/7 و 449 والبداية والنهاية 88/8 والإصابة 139/2 . والأوس الذئب وبه سمي الرجل والأوس العطية وتصغيره أويس وشدد الشيء بالفتح والتشديد - بمعنى أحكمه والشدة - بالفتح والتشديد - المرة من شد وهي الحملة في الحرب .

6- ذو الأصابع التميمي (1)

ويقال الخزاعي وقيل الجهني . صاحب النبي . من أهل اليمن . من المدد الذين نزلوا الشام ببيت المقدس .

ذكره صاحب الطبقات باسم " ثوبان بن يَمرَد : . ويروى عنه أنه سأل رسول الله؛ يا رسول الله : إن ابتلينا بالبقاء بعدك ، فأين تأمرني أن أنزل ؟ قال : إنزل بيت المقدس ولعل الله يرزقك ذرية يعمرون ذلك المسجد يغدون إليه ويروحون . فكان ان نزله .

قال الهروي " وخلف السور [2] من الشرق قبر شداد بن أوس الخزرجي وذي الأصابع التميمي . وقيل شداد بفلسطين والله أعلم " .[3]

7- مسعود بن أوس بن زيد : (4)

هو .... بن غنَم بن مالك بن النجار الأنصاري ، أبو محمد النجاري . غلبت عليه كنيته . شهد بدراً وفتح مصر . سكن القدس . وقيل أنه شهد صفين مع علي . وقيل أيضاً أنه توفي في خلافة عمر بن الخطاب .

ذكره صاحب الأنس الجليل ب" أبي محمد النجاري " من أهل بيت المقدس. مات به ولم يعقب .

8- سلام بن قيس (5)

وقيل في اسمه " سلامة بن قيصر الحضرمي " . كان والياً لمعاوية على بيت المقدس . مات به وله فيه عقب .

---

(1) الأنس الجليل 169 ، والإصابة 284/1 والاستيعاب في أسماء الأصحاب بهامش الإصابة 484/1 والطبقات الكبرى لإبن سعد 424/7 وكتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي .

(2) أي سور الحرم الشريف .

(3) الإشارات إلى معرفة الزيارات ص 28 .

(4) المصادر : الأنس الجليل 169 وحسن المحاصرة في تاريخ مصر والقاهرة 235/1 والإصابة 409/3 والاستيعاب 449/3 .

(5) الأنس الجليل 169 والإصابة 128/2 والاستيعاب 131/2 وحسن المحاضرة 206/1 .

9- وائله بن الأقسع : [1]

مر ذكره في أجزاء سابقة من هذا الكتاب فارجع إليها . وقيل يكنى أبا محمد . وقيل أبا الأسقع . وقيل أبا قرصافة . سكن الشام وكان منزله بالقرب من دمشق بقرية يقال لها البلاط ؛ وهو من أهل الصّفة [2]. ثم تحول إلى بيت المقدس ومات بها.

10- أبو أبيَ بن أم حرام : [3]

هو عبدالله بن أبي .... بن غنم بن مالك النجار الأنصاري الخزرجي وقيل بن كعب وقيل بن عمرو وقيل غير ذلك . وأمه أم حرام بنت ملحان خالة الصحابي أنس بن مالك . رباه خاله أو عمه عبادة بن الصامت . وقيل ابن امرأته قديم الإسلام . كان خيراً فاضلاً قد صلى القبلتين مع رسول الله سكن بيت المقدس . وهو آخر من مات من الصحابة فيها وله عقب هناك . وقد روى عن رسول الله .

11- يزيد بن سلام :

مولى عبد الملك بن مروان . من أهل بيت المقدس . وولد به . عهد عبد الملك إلى رجاء بن حيْوة وإلى مولاه يزيد بن سلام وولديه بالإشراف على بناء الحرم الشريف . وفي هذا يقول صاحب الأنس الجليل (ص174) : [... ووكل على صرف المال في

---

(1) الطبقات الكبرى 7/ 407 والأنس الجليل 168 والاستيعاب 626/3 والاستيعاب 644/3 وطبقات القراء 358/2 .

(2) أهل الصفة : هم فقراء المسلمين الذين نزلوا المدينة ولم يستطع احسان الأنصار أن يقضي على الفاقة التي يعانونها . فإذا جن الليل يوضع في صحن دار النبي وعاء فيه شعير محمص كان يشترى من مال المسلمين ليأكل منه الجائعون ، وكان الذين لا يجدون مأوى يلجأون إلى " الصفة " وهي الجزء الشمالي من المسجد وكان ذا سقف وليس له ما يستر جوانبه .

كان أهل الصفة من قبائلهم غرباء في المدينة فكان منهم مثلاً أبو ذر الغفاري وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وغيرهم . – دائرة المعارف الإسلامية 158/5 – وكثيراً ما كان النبي يطلب كل مساء من أغنياء المدينة أن يأخذ كل واحد منهم جماعة من أهل الصفة يستضيفونهن في العشاء . وكان عليه السلام يبدأ بنفسه .

(3) المصادر : الأنس الجليل 169 والإصابة والاستيعاب 13/4 و ص 14 من الهامش و 2 / 273 و ص 262 من الهامش وطبقات ابن سعد 402/7 .

عمارة المسجد والقبة وما يحتاج إليه أبا المقدم رجاء بـن حيـوة بـن جـرول الكنـدي [1].
وكان من العلماء والأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنـه وضـم إليـه رجلاً يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهـل بيـت المقـدس وولديـه ويقال إن عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبـة السلسـلة فأعجبـه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها وأمر رجاء ويزيد بالنفقة عليها والقيـام بأمرهـا وأن يفـرغ المال عليها إفراغاً دون أن ينفقاه إنفاقاً (دلالة على السخاء). وأخذوا في البناء والعمـارة حتى أحكم العمل وفرغ العمارة والبناء ولم يبق لمتكلم فيه كلام.

وكان البناء الذي هو في صدر المسجد عند القبلة من شـرقي المسـجد إلى غربيـه من السور الذي عند مهد عيسى إلى المكان المعـروف الآن بجـامع المغاربـة فكتـب رجـاء ويزيد إلى عبد الملك بدمشق قد أتم الله ما أمر به من بناء صخرة بيت المقدس والمسـجد الأقصى ؛ ولم يبق لمتكلم فيه كلام . وقد بقي مما أمر به المؤمنين من النفقة بعـد أن فـرغ البناء وأحكم ماية ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين في أحب الأشياء إليه . فكتب إليهما قد أمر بها أمير المؤمنين لكما جايزة لما وليتما من عمارة البيت الشريف المبـارك . فكتبـا إليه : نحن أولى أن نزيد من حلي نسائنا فضلاً عن أموالنـا فأصرفـها في أحـب الأشـياء إليك . فكتب إليهما تسبك وتفرغ على القبة فسكبت وأفرغت عليها] .

12- عبدالله بن مُحيريز الجُمَحي [2]

كان عابد الشام في زمانه . قال رجاء بن حيـوة : " أن يفخـر علينـا أهـل المدينـة بعابدهم ابن عمر فأنا نفخر بعابدنا ابن محيرز . وإن كنت أعد بقاءه أماناً لأهل الأرض " مات سنة 99هـ . وكان من سكان بيت المقدس .

13- زياد بن أبي سودة :

مقدسي . روى عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة وهو من الثقاة [3].

---

(1) ولد رجاء بن حيوة في بيسان . توفي عام 112هـ : 730م .

(2) الأنس الجليل 184 . شذرات الذهب 116/1 . تذكره الحفاظ 1/ 68 . الطبقات الكبرى 447/7 .

(3) الأنس الجليل 184 .

ثانيا : نزلاء بين المقدس

نزل بيت المقدس بعد الفتح العربي كثيرون من الصحابة وغيرهم . منهم عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان (وهم الذين شهدوا على العهده العمرية) وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وتميم الداري ومرة بم كعب وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو أمامة ويزيد بن أبي سفيان ومنهم أيضاً :

1- أم المؤمنين صفية بنت حُيَيّ بن أحطب : (1)

ينتهي نسبها إلى هارون أخي موسى عليه السلام . كانت بين السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين بعد سقوط " خيبر " وخرابها في العام السابع للهجرة . فكان أن اصطفاها الرسول لنفسه وتزوجها فكانت إحدى أمهات المؤمنين . وكانت صفية حليمة، عاقلة ، فاضلة . قدمت بيت المقدس فصلت به وصعدت جبل الزيتون وصلت به . وماتت حوالي سنة خمسين للهجرة والأمر مستقر لمعاوية . ودفنت في البقيع مع أمهات المؤمنين .

2- بلال بن رباح الحبشي (2) :

صحابي أول من أذن في الإسلام شهد مع الرسول الأعظم بدراً وأحداً والمشاهد كلها . وآخى النبي بينه أبي عبيدة بن الجراح . وبعد وفاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خرج إلى الشام مجاهداً .

وقبل عودة عمر إلى عاصمته ، المدينة المنورة ، بعد فتح بيت المقدس طلب رضي الله عنه من بلال أن يؤذن للصلاة التي جاء وقتها . وفي هذا يقول صاحب الأنس الجليل: [قال عمر : يا بلال ؟ ألا تؤذن لنا رحمك الله ؟ قال بلال : يا أمير المؤمنين : ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن سأطيعك إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها . فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه

---

(1) الأنس الجليل 170 . والإصابة في تمييز الصحابة والإستيعاب 4/ 346-349 والطبري 14/3 . وموسوعة آل البيت لعائشة عبد الرحمن 353-363 . بيروت 1967 م .

(2) الأنس الجليل 164 والطبقات الكبرى 385/7 - 386 والإصابة 165/1 والاستيعاب 141/1 .

وسلم فبكوا بكاء شديداً ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبي عبيلة ومعاذ بن جبل . حتى قل لهما عمر حسبكما رحمكما الله].

وهكذا لم يؤذن بلال بعد وفاة الرسول سوى هذه المرة . وكان ذلك في القدس. توفي رحمه الله في دمشق سنة هجرية عشرين وهو ابن بضع وستين سنة في خلافة عمر .

3- عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد [1] :

قرشي من بني فهر . صحابي . كان سمحاً صالحاً . وهو ابن عم أبي عبيلة ابن الجراح . وقيل ابن عمته . كان فيمن نزل الشام من الصحابة . وعياض فاتح بلاد الجزيرة والرقة . وهو أول من اجتاز " الدرب " في جبل طوروس إلى بلاد الروم .

قال صاحب الأنس الجليل : " دخل عياض بن غنم بيت المقدس وبنى فيها حماماً " . مات رحمه الله بالشام سنة عشرين في خلافة عمر وهو ابن ستين سنة . ومات وما له مال ولا عليه دين لأحد . ربما كان " حمام عياض " يقوم على " بركة البطرك " القريبة من باب الخليل [2] .

4- أبو الدرداء [3] :

هو الصحابي الجليل واسمه عويمر بن زيد بن قيس الخزرجي . وقيل عويمر ابن عبد الله . وكنيته " أبو الدرداء " واسم زوجته " أم الدرداء " . فقد كانت لهم ابنة سمياها " درداء " فعرفا بها . كان معاصراً للنبي . أصغر منه . فقيهاً عاقلاً حكيماً آخى الرسول بينه وبين سلمان الفارسي . وكان أبو الدرداء من أصحاب رسول الله الأجلاء وقد حدث عنه أحاديث وشهد معه مشاهد كثيرة . وكان رحمه الله من الأنصار الذين

---

(1) الأنس الجليل 166 والطبقات الكبرى 398/7 والإصابة 50/1 والاستيعاب 128/1 . وعياض ؛ من العوض - بكسر العين وفتح الواو - بمعنى البدل - بالفتح - .

(2) طول هذه البركة 80 ياردة وعرضها 48 ياردة ولها من العمق 10 أقدام .

(3) الطبقات الكبرى 7/ 391-393 والأنس الجليل 166 و 184 والإصابة 61/4 والاستيعاب 59/4 - 60 .

توفروا على جمع القرآن . خرج إلى الشام ونزل بها فزار بيت المقدس وشارك في الفتوح الإسلامية فشهد فتح مصر والإسكندرية .

توفي رضي الله عنه بدمشق سنة 32هـ : 652 م وقيل سنة 31هـ . وله عقب بالشام . ويشار إلى قبره وقبر زوجته أم الدرداء بالقرب من باب من أبواب دمشق .

وتجمع المراجع على وصف أم الدرداء بالفقه والعلل والفهم والزهد والحسن والجمل . وكانت تجالس المساكين ببيت المقدس وتقيم به نصف سنة وبدمشق نصف سنة . تنتقل مع زوجها .

5- عبد الرحمن بن عوف [1] :

هو أبو محمد. قرشي من بني زُهرة من كلاب بن مُرّة . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم . أحد السابقين إلى الإسلام ، قيل هو الثامن . شهد بدراً وسائر المشاهد . كان تاجراً فكسب مالاً كثيراً . تصدق على عهد الرسول بشطر ماله ثم تصدق بارعين ألف دينار . ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة ... ولما حضرته الوفاة تصدق بمال كثير في سبيل الله . له في الصحيحين 65 حديثاً . مات بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع .

6- أبو ذر الغفاري [2] :

صحابي من كبارهم . وكان ترتيبه الخامس أو السادس . اشتهر بالتواضع والزهد . حتى يقال أنه يشبه في ذلك السيد المسيح . كان شديد التقوى ، شغوفاً بالعمل. وقد نسب إليه 281 حديثاً ذكر البخاري ومسلم منها 31 حديثاً . قال فيه رسول الله : " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر " .

---

(1) الإصابة 416/2 وما بعدها والاستيعاب على هامش الإصابة 393/2 وما بعدها . وطبقات بن سعد 124/3 وما بعدها والإعلام 95/4 .

(2) المصادر : الأنس الجليل 166 ، الإعلام للزركلي 136/2 62/4 والاستيعاب 61/4 ودائرة المعارف الإسلامية 477/1 .

وفي عهد عثمان سكن أبي ذر دمشق . وأخذ يحرض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم ، فاضطرب هؤلاء . فشكاه معاوية إلى الخليفة فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء فعلت الشكوى منه فنفاه عثمان إلى الرّبذة [1] وبها مات عام 32هـ : 652 م . ولما مات لم يكن في داره ما يكفيه .

قال صاحب الأنس الجليل " أبو ذر الغفاري ، واسمه جُندب بن جُنادة دخل بيت المقدس " .

7- كعب الأحبار [2]:

هو كعب بن ماتع من حمير من آل ذي رُعين ، أبو اسحاق . كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن . أسلم في زمن خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر. دخل بيت المقدس واستشاره رضي الله عنه في موضع القبلة . وفي إحدى زياراته للقدس لبس مآزر الإحرام فيها قبل توجهه إلى مكة . وملأ كعب الشام وغيرها برواياته المستمدة من الأخبار اليهودية . سكن حمص وتوفي بها سنة 32هـ : 653 م في خلافة عثمان بن عفان.

8- سلمان الفارسي [3]:

أبو عبدالله يعرف بسلطان الخير ، أصله من فارس . أول مشاهده " غزوة الخندق" وهو الذي أشار بحفره . ولم يفته بعد ذلك غزوة مع رسول الله . كان خيراً ، فاضلاً ، عالماً زاهداً متقشفاً قدم القدس . وإذا نزل الشام نزل على أبي الدرداء الذي

---

(1) كان مكان هذه المدينة الحجازية يقع في شرقي (جبل رحرحان) على مسيرة نحو خمسين كيلومتراً للجنوب الشرقي من بلدة الحناكية . وقد خربت الربذة - بالفتح - قبل أكثر من ألف عام . دمرها القرامطة .

(2) المصادر ؛ الأنس الجليل 186 ، الإصابة 315/3 والإعلام 85/6 والطبقات الكبرى 445/7 .

(3) المصادر : الأنس الجليل 166 ، والطبقات الكبرى : 3/7

18 - 319 والإصابة 62/2 والاستيعاب 56/2- 61 والإعلام 85/6 .

آخى رسول الله بينهما . وفي الحديث الشريف : سلمان منا آل البيت . وكان علي بن أبي الطالب يلقبه بلقمان الحكيم .

ولي المدائن ، وتوفي فيها سنة 36هـ أو 37 هـ . في خلافة عثمان بن عفان وكان من المعمرين . وفي ولايته كان مثال الحاكم العادل الزاهد .

9- عقبة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري :(1)

هو أبو مسعود البدري . مشهور بكنيته . قيل أنه نزل ماء بدر فنسب إليه . صحابي . شهد غزوة بدر على الأرجح . نزل القدس . كان من أصحاب علي . واستخلف مرة على الكوفة ومات بها وقيل بالمدينة المنورة ، بعد سنة أربعين هجرية .

10- عبدالله بن سلام(2) :

هو عبد الله بن سلام (بتخفيف اللام) بن الحارث من ذرية يوسف النبي عليه السلام . وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه الرسول عبدالله . شهد فتح بيت المقدس مات بالمدينة المنورة سنة 43 هـ .

11- سعيد بن زيد(3) :

القرشي العدوي ، ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب. وكان اسلامه قديماً ، قبل عمر وكان اسلام عمر عنده في بيته وقصته معروفة .

شهد " سعيد " اليرموك وفتح دمشق ونزل بيت المقدس زمن فتحها . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . توفي سنة خمسين هجرية . وقيل إحدى وخمسين وقيل سنة اثنين وخمسين . ودفن بالمدينة وعاش بضعاً وسبعين سنة .

---

(1) المصادر : الأنس الجليل 167 والإصابة في تمييز الصحابة 490/2 والاستيعاب 105/3 .

(2) المصادر : الأنس الجليل 167 ، الإصابة 320/2 والاستيعاب 382/2 والطبقات الكبرى 352/2 ابن عساكر 443/7 .

(3) المصادر : الأنس الجليل 167 والطبقات الكبرى 379/3 - 385 والإصابة 46/2 والاستيعاب 2/2 .

12- **سعد بن أبي وقاص** [1]:

قرشي . زهري . ويكنى أبا اسحاق . سابع سبعة في اسلامه بعد ستة .

وهو أحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وآخرهم موتاً . تولى قتال فارس . وكان رأس من فتح العراق . وولي الكوفة وهو الذي بناها . قدم بيت المقدس وأحرم منه بعمرة . توفي سنة 55 هجرية ودفن في المدينة . كان له من العمر بضع وسبعين سنة .

13- **أبو هريرة** [2]:

هو عبد الرحمن بن صخر الدّوسي من الأزد أبو هريرة . وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه . قدم بيت المقدس وشهد فتحه . نشأ يتيماً ، مسكيناً في الجاهلية . أسلم سنة 7هـ ولازم خدمة النبي صلى الله عليه وسلم . وروى عنه الكثير . وقال البخاري : روى عن أبي هريرة أكثر من ثمانمائة رجل بين صحابي وتابعي .

وعن كنيته بأبي هريرة قال : " كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة فكنت أضعها في الليل في شجرة وإذا كان النهار ذهبت بها معي . فلعبت بها فكنوني " أبا هريرة " . وقال أيضاً " كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن " .

توفي في المدينة المنورة في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان . وقبل وفاته بسنة صلى على عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

14- **عبد الله بن العباس** [3] **3ق هـ - 68هـ : 619-687م .**

ابن عم رسول الله ، أبو العباس ، صحابي . حبر الأمة . جد الخلفاء العباسيين، من رواة الحديث المعروفين . مشهور بورعه وتقواه . نزل بيت المقدس . والمعروف أن "

---

(1) المصادر : الأنس الجليل 167 وطبقات ابن سعد 137/3 والإصابة 33/2 والاستيعاب 18/2 .

(2) الأنس الجليل 167 ، الإعلام 80/4 - 81 والطبقات الكبرى 325/4 والإصابة والاستيعاب 202/4.

(3) المصادر : الأنس الجليل 168 والإصابة 230/2 والاستيعاب 350/2 والإعلام 228/4 .

الفضل بن العباس " أحد شهداء فلسطين والمدفون فيها أخا عبدالله. وعبدالله مدفون في المسجد العباسي في الطائف .

15- عوف بن مالك بن عوف الأشجعي [1] :

مختلف في كنيته . قيل أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن وقيل غير ذلك . صحابي . أسلم قبل حُنين . آخى النبي بينه وبين أبي الدرداء . وفي خلافة أبي بكر تحول إلى الشام. شهد فتح بيت المقدس ونزل حمص . مات سنة 73هـ في خلافة عبد الملك بن مروان .

16- أبو جمعة الأنصاري [2] :

ويقال الكناني ويقال القاري مشهور بكنيته مختلف في اسمه . وقيل اسمه جندب بن سبع وقيل جنيد بن سباع وقيل حبيب . صحابي ، شهد فتح مصر . قدم بيت المقدس للعبادة مات بالشام سنة 77هـ .

17- عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي [3] 10 ق. هـ - 73هـ : 613-692م .

صحابي ولما قتل عثمان بن عفان عرض عليه جماعة أن يبايعوه في الخلافة فأبى. أفتى الناس ستين سنة . قدم فلسطين وإليه ينسب قوله " لكل شيء ذروة وذروة الشام عسقلان " نزل بيت المقدس وأهلّ منه بعمرة . توفي في مكة .

18- الشريد بن سويد الثقفي [4]

صحابي . سكن الطائف والمدينة . قدم بيت المقدس لأنه نذر أن يصلي فيه أن

---

(1) المصادر : الأنس الجليل . 168 والإصابة 43/3 والطبقات الكبرى 7 400 . والاستيعاب 131/3 وأشجع قبيلة من غطفان من قيس بن عيلان من العدنانية .

(2) المصادر : الإصابة 23/2 ، الاستيعاب 38/4 والأنس الجليل 168 .

(3) المصادر : الأنس الجليل ، 168 والإصابة 347/2 والإعلام 246/4 والطبقات الكبرى لابن سعد 142/4 .

(4) المصادر : الأنس الجليل 169، الإصابة 148/2 والاستيعاب 421/4 والطبقات الكبرى 513/5 .

فتح الله مكة على رسول الله واستأذنه في ذلك وأذن له . مات في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

19- جبير بن نفير الحضرمي (1)

ويكنى أبا عبد الرحمن . أسلم في خلافة أبي بكر ومات سنة ثمانين في خلافة عبد الملك . وكان ثقة فيما روى من الحديث . أتى بيت المقدس للعبادة .

20- عبد الله بن أبي الجدعاء التميمي. ويقال الكناني ويقال العبدي أحد الذين زاروا بيت المقدس من صحابة رسول الله .

21- قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة (2)

خزاعي بن بني قمير ويكنى أبا اسحاق . كان ثقة . زار القدس . كان على خاتم عبد الملك بن مروان . توفي سنة 86هـ في آخر خلافة الخليفة المذكور .

22- أويس بن عامر القرني (3)

من منحج . زاهد مشهور . أدرك النبي صلى الله عليه وسلم . شهد صفين مع علي . وكان من خيار التابعين . ذكر صاحب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل حديث زيارة أويس لبيت المقدس بقوله : [... قيل أنه اجتمع بعمر رضي الله عنه ببيت المقدس ، وقيل إنما لقيه في الموسم ، فقال لعمر : قد حججت واعتمرت وصليت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت أني صليت في المسجد الأقصى . فجهزه عمر بأحسن جهازه وأتى المسجد الأقصى فصلى فيه ثم أتى الكوفة وخرج غازياً راجلاً إلى ثغر أرمينية " وهناك جاءته رمية أصابت فؤاده فاستشهد .

23- مالك بن أوس (4)

هو مالك بن أوس بن الحدثان بن عوف بن ربيعة النصري من بني نصر المدني.

---

(1) المصادر : الأنس الجليل 186 ، الطبقات الكبرى 440/7 .

(2) الأنس الجليل 184 والطبقات الكبرى 447/7 .

(3) الأنس الجليل 183 والإصابة في تمييز الصحابة 115/1 والطبقات الكبرى 161/6 .

(4) تذكرة الحفاظ 68/1 والإصابة 339/3 والاستيعاب 382/3 .

مخضرم . قيل له صحبة . وهو من العلماء الأثبات ومن فصحاء العرب مذكور بالبلاغة والبيان . شهد فتح بيت المقدس . وكان عريف قومه في زمن عمر . روى عن عمر وعثمان وعلي وغيرهم . مات بالمدينة سنة 92هـ . وهو ابن أربع وتسعين سنة .

24- محمود بن الربيع (1)

الخرجي الأنصاري . يكنى أبا نعيم وقيل يكنى أبا محمد . يقال إنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمسين سنة . ختن عبادة بن الصامت . نزل ببيت المقدس وأهل منه بحج وعمرة . مات سنة 99هـ . وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .

25- عبد الرحمن بن غنم بن الأشعري (2)

قدم بيت المقدس . لازم معاذ بن جبل منذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن حتى مات معاذ . وكان من ضمن البعثة التي بعثها عمر لتفقيه الناس بالشام مات عام 79هـ .

ومن الذين زاروا بيت المقدس ، بعد دخول عمر بن الخطاب إليها ، للعبادة[3]:

26- عبيد عامل عمر رضي الله على بيت المقدس ، لما وقع الطاعون فيها .

كان عمر استعمله عليه . فجعلت الجنايز تغسل وهو يصلي عليها وجعل لا يحمل الجناز إلا الشباب .

---

(1) الأنس الجليل 168 – 169 والإصابة 316/3 والاستيعاب 421/3 والختن : كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وزوج الإبنة . وختنه بمعنى صاهره .

(2) نقلاً عن الأنس الجليل ص 183 .

(3) نقلاً عن الأنس الجليل ص 183 .

- القدس في الخلافة الأموية:

انتقلت الولاية على القدس للخلافة الأموية بعد الخلافة الراشدة ممثلة بمعاوية بن أب سفيان، الذي نودي بالبيعة على أرض القدس سنة 40 للهجرة، لكنه فضل الإقامة في دمشق متخذاً إياها مقراً لخلافته، إلى أن جاء العصر الذي يعد ذهبياً بالنسبة للقدس من حيث الاهتمام بعمرانها وإعادة بنائها ذلك هو عصر عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك، فقد أعادا للقدس هيبتها وعظمتها. وذلك لأسباب سياسية ودينية، فغدت من أعظم المراكز في الدولة الإسلامية على الإطلاق إذ انهما بنيا الأسوار المحطية بها، وأشادوا القصور بجوار الزاوية الجنوبية لسور المسجد، ليسكنها امراء القدس في العهود الأموية ثم العباسية ثم الفاطمية فيما بعد.

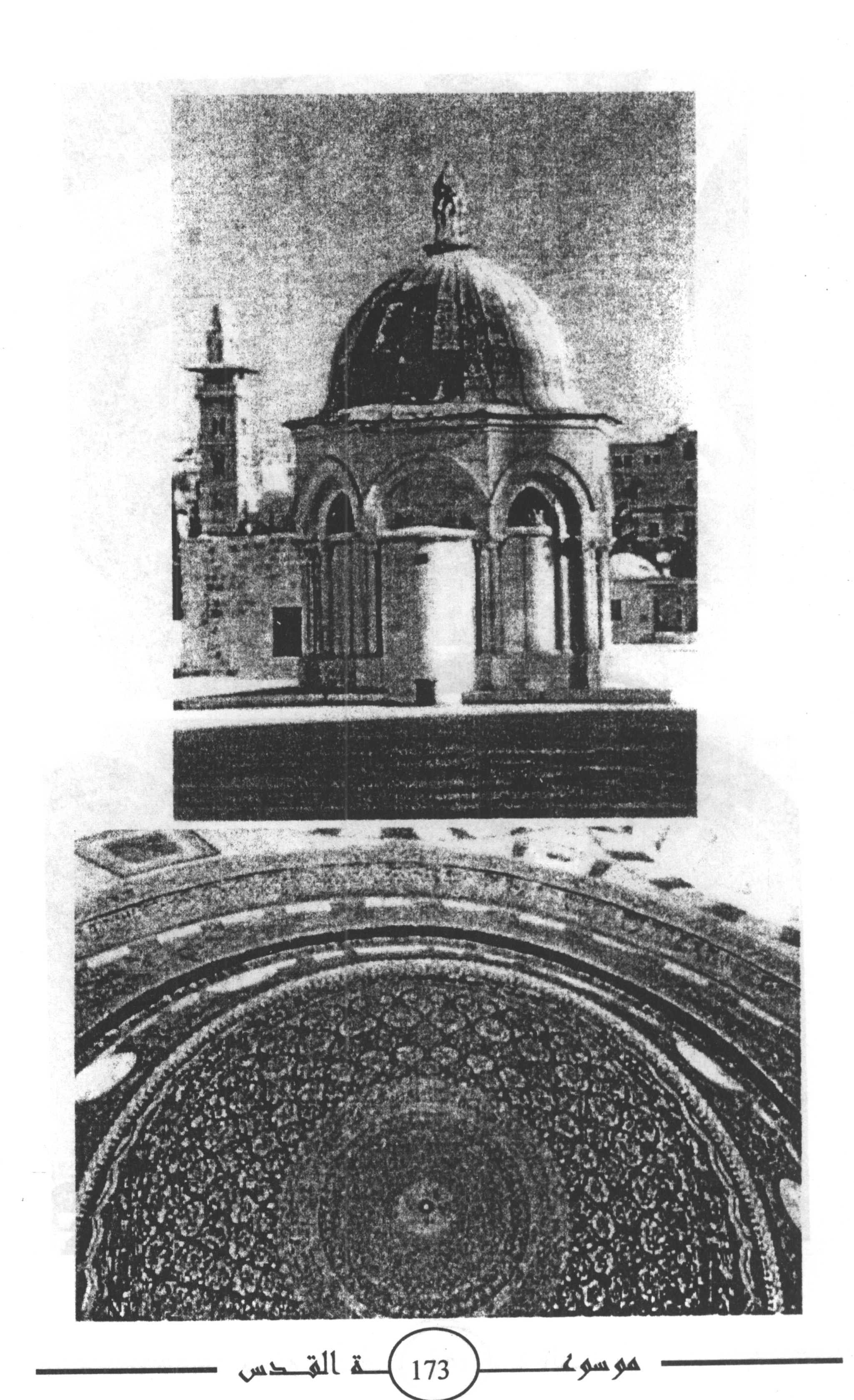
جاء في الطبقات:

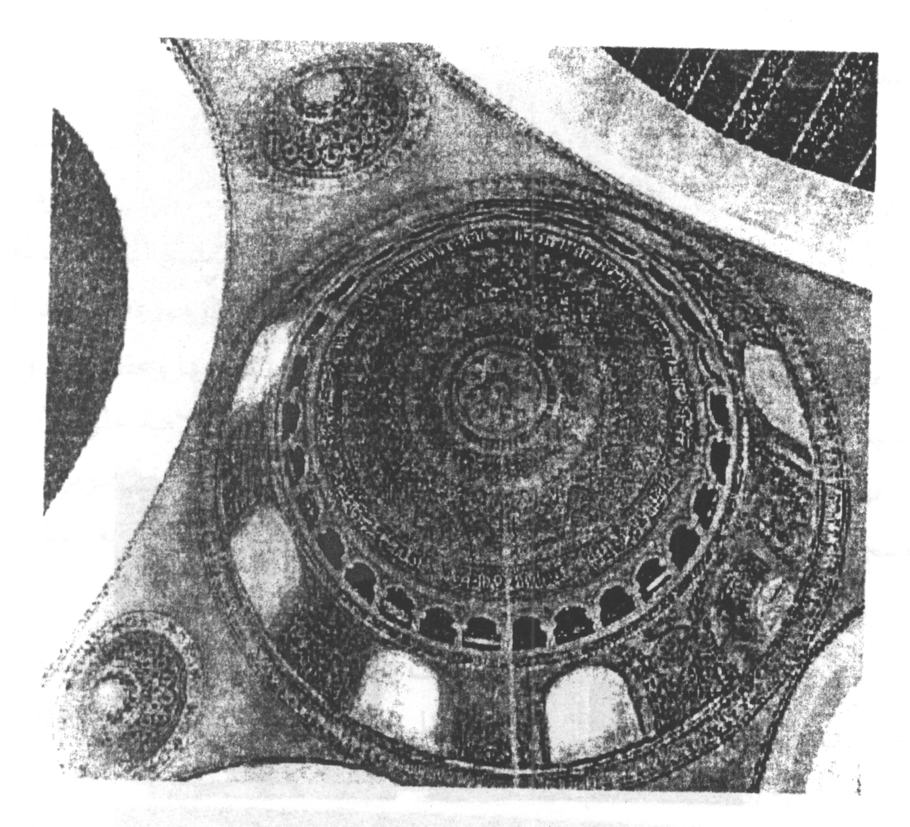
(وقد بويع بعد الملك بالخلافة في بيت المقدس نفسها كما ذكر خليفة بن خياط، وتولى تشييد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، وعهد عبد الملك بهذه المهمة الجبارة إلى أحد الأعلام العلماء أبو المقدام رجاء بن حيوة ومعه يزيد بن سلام مولاه، وكان البدء في البناء (بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة) عام 66 هـ 685م، وأوقف عبد الملك خراج مصر لسبع سنين لتشييدها، وتم البناء عام 72 هـ - 73م. وبعد الانتهاء من ذلك الانجاز كتب رجاء بن حيوة ويزيد إلى عبد الملك بدمشق رسالة جاء فيها:

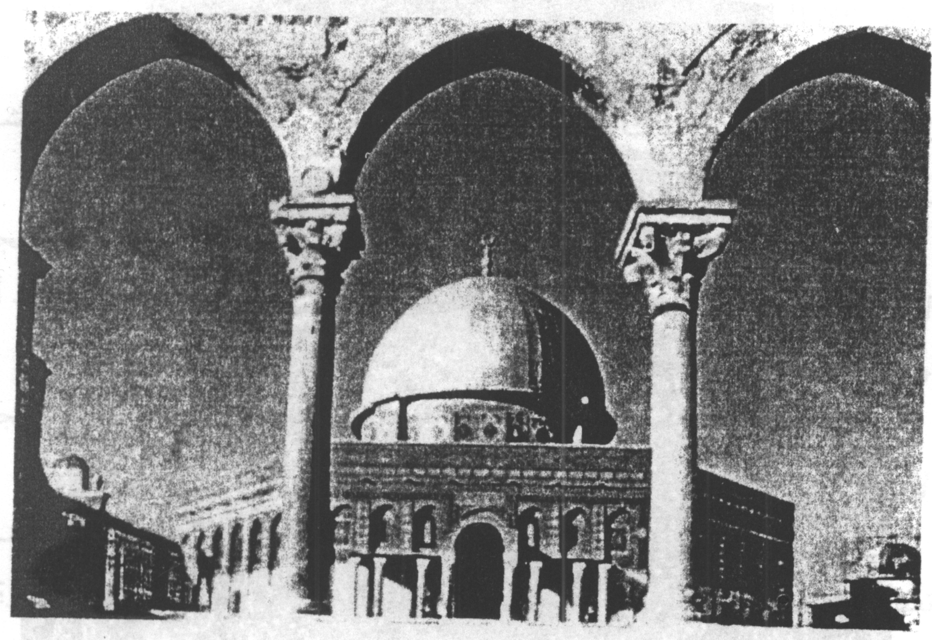
(وقد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم كلام، وقد بقي مما أمر أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم، مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب).

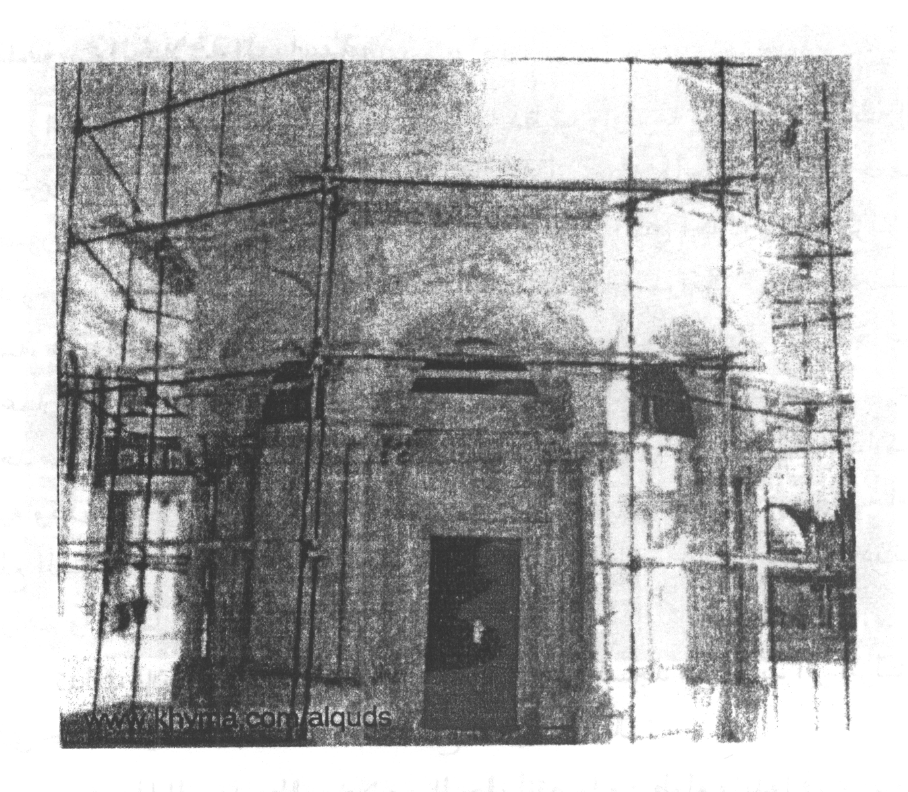
واتبع سليمان بن عبد الملك الاسلوب نفسه، إذ كان يجلس في صحن المسجد الأقصى ويتقبل التهاني من الوفد الذي جاء خصيصاً إلى هناك.

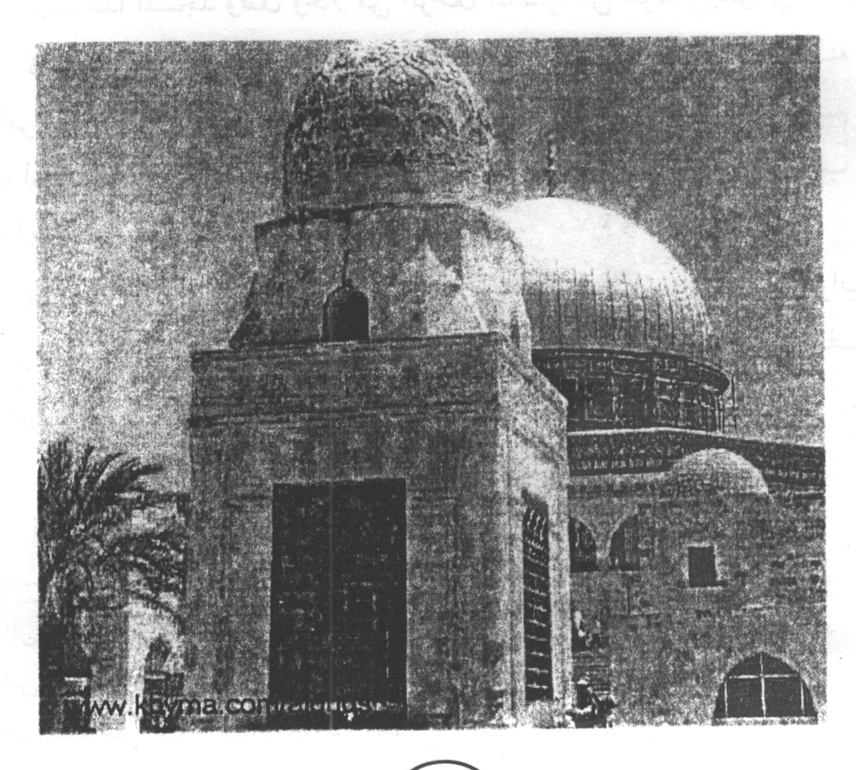
واستمر الاهتمام بالقدس في أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز إذ بلغ من تعظيمه للقدس أن شرع في تحليف الناس اليمين عند الصخرة المشرفة تكريماً وتشريفاً لحرمتها.








www.khyma.com/alquds



القدس في الخلافة العباسية:

اهتم الخلفاء العباسيين بالقدس اهتماماً عظيماً وأولوها بالرعاية والعنايـة إلى حد كبير جداً وعلى الخصوص أثر الزلزال الـذي أتـى عليـها حيـث أن أبـا جعفـر المنصور أمر بترميم الأجزاء الكبيرة من المسجد الأقصى الذي احدثه ذلـك الزلـزال بعد رجوعه من الحج سنة (140هـ /758 م)، وكذلك وفاء لنذر كان قـد قطعـه علـى نفسه، على الرغم انه قيل له أن كل ما في بيت المسلمين من أموال لن تفي بغرض الاعمار، لكن ذلك لم يعجزه، بل أرسل إلى امرائه وعماله وسائر قواده بأن يتولى كل واحد منهم بناء رواق من أروقة المسجد، فبنوه أوثق وامتن واحسن صناعـة مما كـان عليه وكان ذلك في سنة 154 هـ وكذلك قيل أن المنصور لقلة المـال بـين يديـه أمـر بقلع الصفائح الذهبية والفضية الـتي كـانت علـى أبـواب الحـرم وضربـت دنانـير ودراهم وانفقت على عمارته[1].

كذلك فإن المهدي قام بإصلاحات أخرى، فرمم المسجد من جديد أثر الزلـزال الذي حدث ثانية سنة 158 هـ بعد أن رفع الأمر إليه وقال :

(رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال أنقصوا من طوله وزيدوا في عرضه).

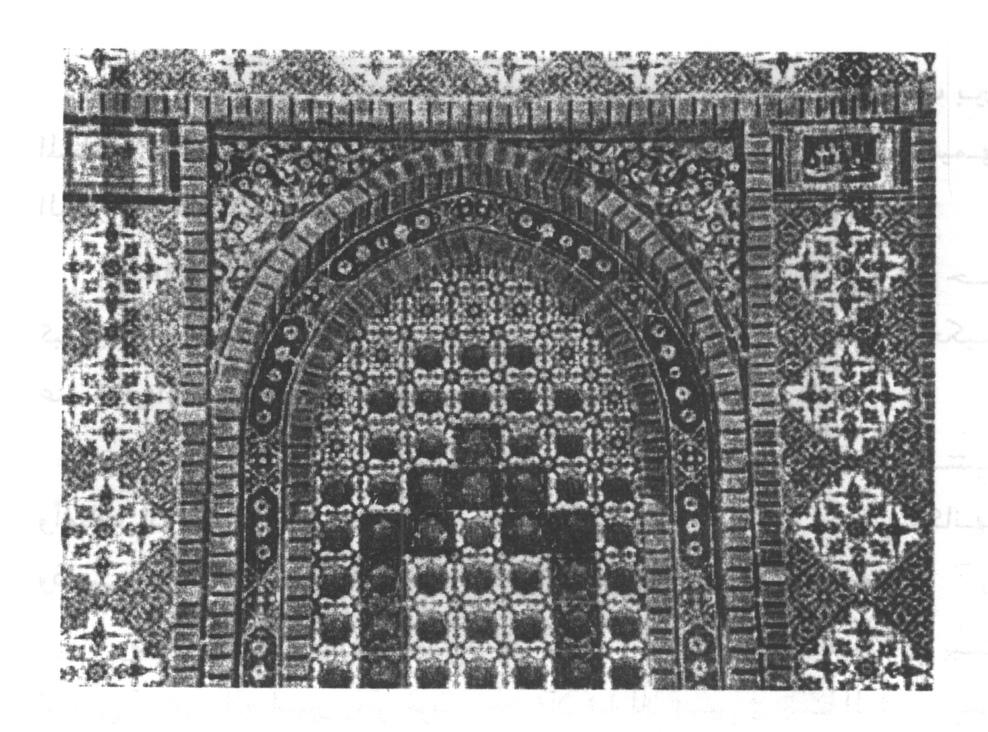
كذلك فإن المأمون قام هو الآخر بإصلاح المسجد بعد أن زار القـدس سـنة 216 هـ وأمر ببناء الأبواب الشرقية والشمالية له، وقام كذلك بوضع اسمه مكـان اسـم عبـد الملك، لكن التاريخ ظل كما هو مما كشف التغيير، وأيضاً ضرب المأمون فلساً كتب على مداره (بسم الله، ضرب هذا الفلس بالقدس سنة سبع عشرة ومائتين)[2].

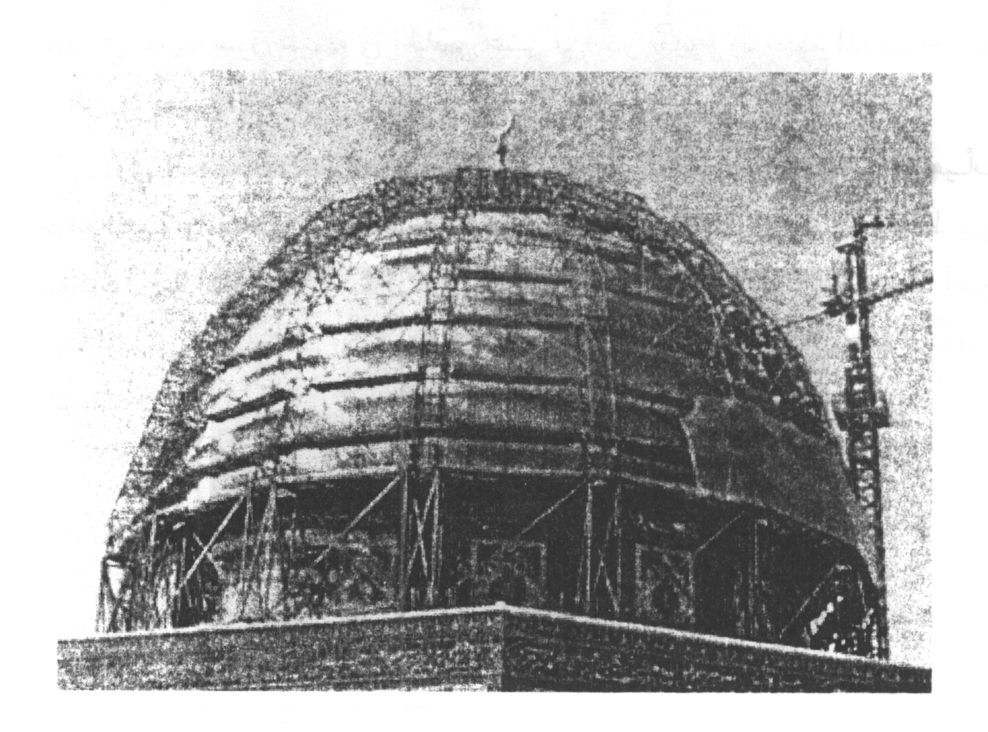
وفي سنة 301 هـ /913م أمرت السيدة أم الخليفة المقتدر بالله بصنع أبواب قبة الصخرة المشرفة وكانت كلها مذهبة، كما أمـرت بـإصلاح جـانب مـن سـقف قبة الصخرة)[3].

([1]) ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس ، ص13 .

([2]) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ، 311/1 .

([3]) محمد كرد علي، خطط الشام، 251/5-267 .





وخلال فترة كافور الأخشيدي احترقت كنيسة القيامة نتيجة فتنة وقعت بين المسلمين والنصارى، فحاول كافور إعادة بناء الكنيسة لكنه توفي، فتولى ترميمها البطريرك (خريستوذولس) بطريرك بيت المقدس .

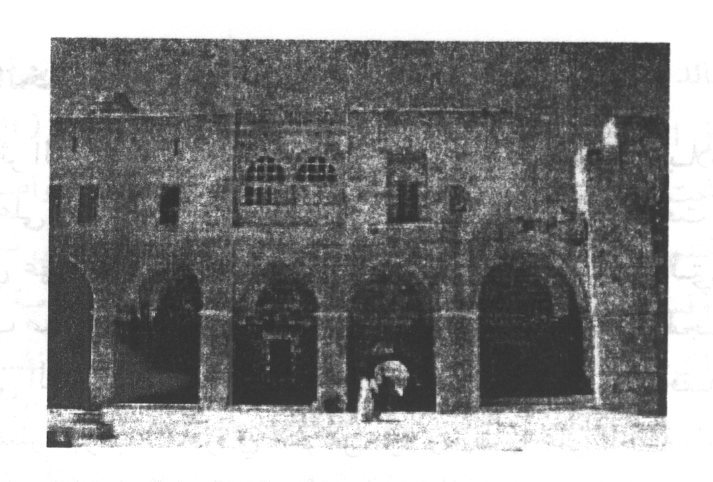
والخلاصة: أن المسجد الأقصى وبيت المقدس نعما في فترة العباسيين إلى حد كبير جداً من حيث الخدمات والاصلاحات، حتى أن الحاج المسيحي برنارد الحكيم عندما زار القدس تحدث عن أوضاعها فقال :

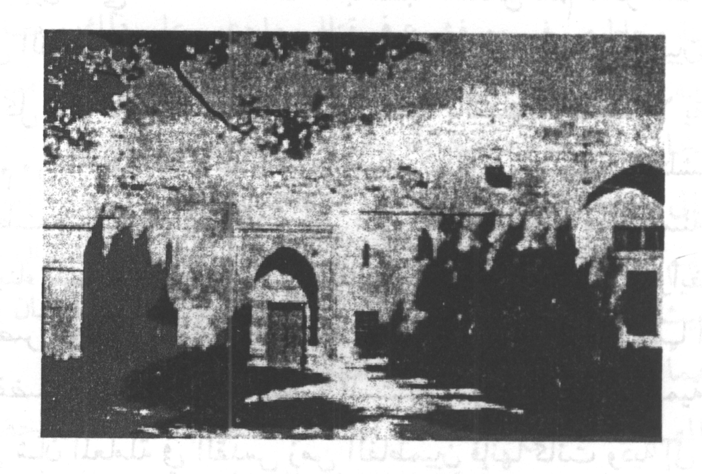
(إن المسلمين والمسيحيين كانوا فيها على تفاهم تام والأمن العام مستتب، وأضاف: إذا سافرت من بلد إلى بلد ومات جملي أو حماري، وتركت امتعتي مكانها، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة سأجد كل شيء على حاله لم تسمه يد .

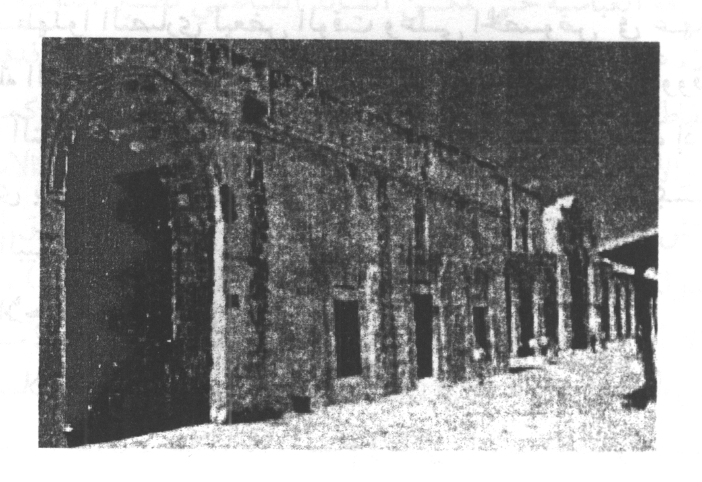
وما أمر تبادل السفارات بين هارون الرشيد وشارلمان، وتبادل الهدايا في بيت المقدس في عهد العباسيين بأمر غريب، حتى أن شارلمان أسس في بيت المقدس بعض الأنزال (جمع نزل) ومكتبة، وكان يمتدح المسلمين لمعاملتهم الحسنة للحجاج، وكانت تعقد في المدينة سوق سنوية في الخامس عشر من أيار (مايو) وفي عهد المأمون أجرى البطريرك بعض الاصلاحات في مباني القبر المقدس.

وفي الوقت نفسه تم تعريب بيت المقدس وأسلمتها بصورة كاملة، وقد هيأت حرمة المدينة وانفتاحها أمام العلماء والحجاج والتجار والريف الأخضر المحيط بها لسكانها حياة آمنة من الاضطراب والعوز، والخبر الذي يقول أن الله قد حبا أهل بيت المقدس الرخاء والعافية له دلالة في هذا الشأن، بيد أنها لم تكن بمنجاة تماماً من المشقة[1] .

([1]) عبد العزيز الدوري، القدس في الفترة الإسلامية، ص 136-137 .







القدس في الخلافة الفاطمية:

على أثر الصراع الذي حصل بين الأخشيديين والفاطميين في بلاد الشام، وفي القدس على وجه الخصوص، انتصر الفاطميون فانضوت القدس تحت حمايتهم وسيطرتهم في عهد الحاكم الفاطمي المعز لدين الله، تلك السيطرة التي لم تكن مستقرة بسبب صراع الفاطميين مع قرامطة البحرين الذين اعتادوا الهجوم على فلسطين وعلى القدس على فترات متقطعة بين سنتي 360-363 هـ ، فقد هاجموا مصر حتى وصلوا ابواب القاهرة في أكثر من مرة، وسيطروا على المنطقة الممتدة بين دمشق والرملة بين سنتي 361-362 هـ أما بالنسبة للقدس فلم تذكر المصادر سيطرة القرامطة على القدس، وهذا يعني أن القدس ظلت تحت سيطرة الفاطميين .

وعلى كل حال فإن الخلفاء الفاطميين اهتموا بالقدس اهتماماً لا يقل شأنه عمن سبقوهم من الخلفاء فقد أعاد الخليفة الظاهر بناء قبة الصخرة المشرفة التي كانت قد سقطت بسبب الزلزال الذي أتى على القبة فأسقطها وذلك سنة 413 هـ كما أنه أعاد بناء المسجد الأقصى وأسوار المدينة المقدسة سنة 425هـ ، وأيضاً رمم الخليفة المستنصر الواجهة الأمامية للمسجد الأقصى سنة 458 هـ كما أنه يعود للفاطميين الفضل في إنشاء البيمارستان (المستشفى) ودار العلم الفاطمية .

أما عن شأن المعاملة في القدس زمن الفاطميين فإنها كانت ودية إلى حد بعيد، سوى أنهم اضطهدوا النصارى لبعض الوقت وعلى الخصوص في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذي أصدر أوامره بتلمير كنيسة القيامة سنة 400 هـ ، ووقعه وزيره (ابن عبدون) النصراني، لكن الحكم يعزى إليه انه كان متقلباً في ارائه، إذ سمح من جديد للنصارى بإعادة بناء كنيسة القيامة وتم ذلك سنة 440 هـ بمساعدة من الامبراطورية البيزنطية نفسها.

اهتمام السلاجقة بالقدس

سيّر السلاجقة الذين أنهوا نفوذ البويهيين في بغداد جيشاً بأمر السلطان ملكشاه بن الب أرسلان لاحتلال بلاد الشام وعلى رأسها القدس، فسار القائد إتسز بن ابق الخوارزمي التركماني لاحتلال القدس بعد احتلاله لطبرية والرملة،

لكن القائد بدر الجمالي قائد الخليفة الفاطمي استطاع استرجاعها سنة 465 هـ [1].

وفي السنة نفسها أعاد القائد إتسز بن ابق الكرة على (القدس وعكا ودمشق تحت السيطرة الفاطمية، وترك أمواله ونسائه في القدس وواصل المسير إلى مصر فاغتنم من كان بالقدس من القاضي والشهود، فوثبوا على نسائه وأمواله فنهبوها وقسموا التركات بينهم، واستعبدوا الأحرار من الأولاد واسترقوهم [2].

ولكن ما أن علم (إتسز) بالأمر حتى تحرك إليهم مع من انضوى إليه من التركمان فوصل القدس وأخذ يراسل أهلها ويبذل لهم الأمان إذا استسلموا له واعطوه الأمان من جهتهم، لكنهم ردوا عليه قبيحاً وتوعدوه بالقتال، فتقدم إلى تحت سور المدينة وخاطبهم فسبوه، فشرع في قتالهم واستمر على ذلك يوماً وليلة، وكان ماله وحرمه في برج داود، وكان به رتق إلى ظاهر البلد، فخرج أهله منه ودلوه على مكانه، فدخل منه في قوة عسكرية، وخرج من المحراب وفتح الباب لقواته التي اندفعت إلى الداخل فقتلوا ثلاثة آلاف إنسان، واحتمى قوم بالصخرة والجامع ، فقرر عليهم الأموال حيث لم يقتلهم لأجل المكان وأخذ من الأموال شيئاً لا يبلغه الحصر بحيث بيعت الفضة بدمشق كل خمسين درهماً بدينار مما كان يساوي ثلاثة عشر درهماً بدينار، وقتل القاضي والشهود صبراً بين يديه [3].

والمهم أن القدس ظلت تحت احتلال السلاجقة بعد أن أخضعها (إتسز) باسم الخلافة العباسية حتى تمكن القائد الفاطمي نصير الدولة من محاصرتها والاستيلاء عليها كما أخضع كل فلسطين والأردن تحت سيطرته، فدفع هذا الأمر القائد الفاطمي نصير الدولة من محاصرتها والاستيلاء عليها كما أخضع كل فلسطين والأردن تحت سيطرته، فدفع هذا الأمر القائد إتسز إلى الاستنجاد (بتاج الدولة تتش بن الب أرسلان) السلجوقي ووعده بتسليم دمشق له، وذلك لأن نصير الدولة صوب هدفه لاحتلال دمشق الذي لم يرق (الإتسز) ، فما كان من (تتش) إلا أن تحرك أيضاً صوب دمشق وضرب حصاراً حولها الأمر الذي جعل

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ 596/8 .

([2]) يحيى الفرمان، قصة مدينة القدس ص 23 .

([3]) يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، ص 23 .

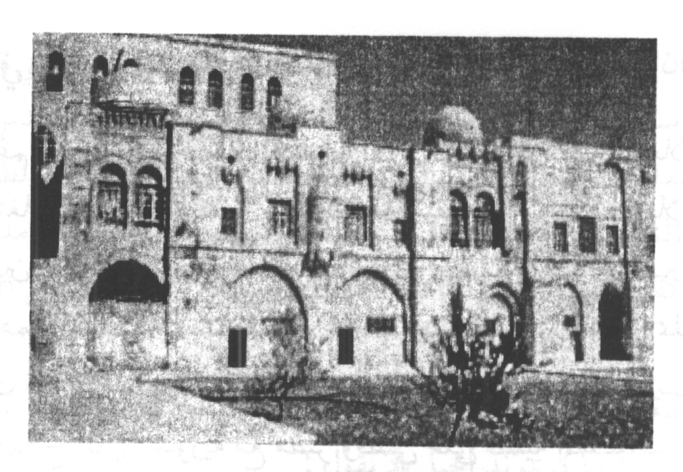
(نصير الدولة) مضطراً إلى الإنسحاب، وعندها فتحت دمشق أبوابها للقائد (إتسز) استقبله اهلها، ولكن ما لبث الوضع أن تغير بسبب قتل (إتسز) من قبل (تتش) الذي ملك دمشق لوحده ودون منازع كما استطاع السيطرة على الأردن وفلسطين بما في ذلك القدس، واستمر يحكمها حتى سنة 479هـ حينما أقطعها للأمير أرتق بن أكسب التركماني الذي استمر في حكمها حتى توفي سنة 486هـ ، فتولاها من بعده إبناه سقمان وابلغازي، اللذان استمرا في إخضاعها حتى سنة 491 هـ، وفي خلال هذه الاثناء كانت القدس وجميع بلاد الشام يتعرض لها من الافرنج الصليبيين الذين كانوا يستعدون للسيطرة عليها .

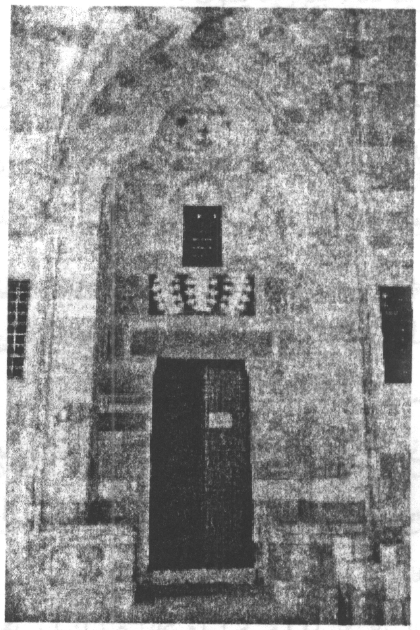
لكن على العموم يمكن القول أن الحملة الصليبية الأولى أظهرت الشيء الكثير عن المتاجرة بمصالح ومصير المسلمين منذ زمن الفاطميين الذين تلهوا عن الواجب المقدس تجاه القدس ولم يحركوا ساكناً للدفاع عنها حتى داهمتهم جيوش الصليبين الجرارة، لأنهم أي الفاطميين كانوا منشغلين بما لا يحمد ذكره من صراعات مع السلاجقة حتى سنحت الفرصة الذهبية للصليبين دخول القدس باسم حماية الفاطميين[1].

بل أبعد من ذلك فإنه في الوقت الذي كانت فيه جيوش الصليبيين في طريقها إلى القدس، وكانت مدن الشام تتساقط تحت أقدامهم، كان الفاطميون والسلاجقة يتناوبون على التنازع على المدينة المقدسة متجاهلين خطر الجيش النصراني- إذ لم نقل متواطئين دخول الجيش النصراني - بحيث لم يحرك قائد الفاطميين (الأفضل شاهنشاه) ساكناً ولا عندما جاء الخبر بحصار الصليبين للقدس، ولاحت الفرصة للصليبيين لكي ينفثوا أحقاد قرون خلت في جسد الأمة العربية الإسلامية، ولكي يحققوا حلماً دينياً وهدفاً سياسياً ومغنماً اقتصادياً لا تتعوض فرصته بل أن الفاطميين استعانوا بالصليبيين للقضاء على السلاجقة[2].

([1]) ظفر الاسلام خان ص 172 .

([2]) عبد العزيز مصطفى قبل ان يهدم المسجد الأقصى ص 97 .







وجاء في دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

(بالرغم من أن قادة الحملة الصليبية الأولى لم يتمكنوا من استغلال خلافات المحمديين استغلالاً كاملاً كما كانوا يريدون ، فالحقيقة هي أن هذه الخلافات سبب نجاح الصليبيين إلى حد كبير جداً، إن انقسام امراء سورية والخلاف بين العباسيين والفاطميين هما اللذان مكنا للصليبيين غزو المدينة المقدسة وتأسيس مملكة القدس، وحين نهضت قوة في الموصل سنة 1130 تقريباً واستطاعت توحيد سوريا، وتبعاً لذلك وحّد صلاح الدين سورية مع مصر وقضي على قضية المسيحية اللاتينية في الشرق) [1].

وعلى العموم فإن جيوش الصليبيين التي رفعت شعار الصليب كان لها اهداف ومطامع كثيرة في بلاد المشرق الإسلامي من بداية حملاتها بالرغم من انها حملت صبغة الدعوى الدينية إلى تخليص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين وصياغة أو إيجاد دولة موحدة تحت زعامة البابا اوربان الثاني الذي وجد الفرصة سانحة لتحقيق أطماعه ورغباته في أن يكون الزعيم الأوحد للعالم المسيحي الغربي، وفي الوقت ذاته السعي إلى إدماج الكنيسة الشرقية الارثوذكسية في الكنيسة الغربية الكاثوليكية تحت زعامته بصفته وريث القديس بطرس، فإذا ما كتب له النجاح فسيكون عندها الزعيم الديني والروحي للعالم الغربي المسيحي كله.

والأسلوب الذي اتبعه لتحقيق هذا المطلب والأمنية هو كما أشارت التوراة : (في أن هذه الأرض تفيض لبناً وعسلاً فأملكوها لذواتكم).

ولذلك بادر على التو بالهاب مشاعر الناس واستثارة عواطفهم بالقاء خطبه الرنانة، وأخذ بالطواف والتجوال في انحاء أوروبا الغربية هو وجماعته أمثال بطرس الناسك حتى وجدوا الاتباع والمشجعين من الأوروبيين الذين كانوا يسعون لتحقيق المكاسب المادية والمعنوية من امراء وعامة [2].

---

(1) المرجع السابق.

(2) عبلة الزبدة، صلاح الدين وتحرير القدس ص 25 .

المهم أن الحملة الصليبية الأولى التي بدأت سنة 1099 م والتي تألفت من الامراء والفرسان وكان عددها الاجمالي 600 ألف ووصل منهم إلى القدس 400 ألف قد حققت أهدافها باحتلال القدس بعد ان اجتاحت أسيا الصغرى وانطاكيا ومدينة الرها ومعرة النعمان والرملة واللد، وكان الصليبيون كلما احتلوا مدينة نصبوا عليها حاكماً فقد نصبوا على إنطاكيا الامير (بوهيمند) ، ونصبوا على الرها الأمير (بلدوين) [1].

أما كيفية دخولهم للقدس فنتركه للمؤرخين الذين تحدثوا عن هذه الحملة لبعض المشاركين فيها كريموند أنجيل إذ يقول :

(طبقاً لأحسن تقديراتنا وتقديرات الآخرين كان هناك نحو ستين الف مقاتل في بيت المقدس ونساء وأطفال لا حصر لهم، ولم يكن لدينا في جانبنا أكثر من أثني عشر الف رجل من الأقوياء مع كثير من المقعدين والفقراء، وما لا يزيد – في اعتقادي – عن ألف ومائتين أو ألف وثلاثمائة فارساً.

ويعود السبب في انخفاض عدد المشاركين في هذه الحملة من الصليبيين إلى أن كثيراً منهم قد تفرقوا في البلاد التي فتحوها من بلاد الشام إضافة إلى أن عدداً كبيراً قد رجع إلى أوروبا.

أما عن وضع القدس ومحاصرتها من قبل الصليبيين ودفاع المسلمين عنها فإنه وكما ذكر (رنسيمان) الذي يشك في كلامه فإن الأمير افتخار الدولة قائد لحامية الفاطمية قد اتخذ كافة الاستعدادات وقوى التحصينات والأسوار، وسمم الآبار والينابيع وطمها على أمل أن العطش سيدفع الصليبيين إلى التخلي عن حصار المدينة، وأخفى الانعام والمواشي، وجميع الحاصلات الزراعية سيقوا إلى كنيسهم حيث حُرقوا) .

بمثل هذا وأكثر فعل الصليبيون بالقدس، فبعد أن انقضوا على المدينة المقدسة وقتلوا من قتولا جراء افعالهم الوحشية انتقلوا بعدها إلى الكنيسة (كنيسة القيامة) ليصلوا صلاة الشكر، ثم عينوا (جودفري بويلون) Godfry De Bouillon

---

([1]) ظفر الإسلام خان، ص 167 .

ملكاً على القدس الذي لقب نفسه (بحامي القبر المقدس)Advocate of the Holy Sepulchre.

أما عن كيفية مقاومة المسلمين لهذه الحملة فقد تصدرها آل زنكي ممثلة بعماد الدين زنكي وأبنه نور الدين وقبلهما الأمير مودود الذي الحق بالصليبيين هزيمة منكرة بعد أن ساعده أمير دمشق (طغتكين) ضد الملك بلدوين، ولكن ما لبث (طغتكين) أن استشهد فتولى بعده عماد الدين الزنكي والذي بدوره استشهد بعد أن خلص حلب وحمص من احتلال الصليبين ليتولى مقارعة الصليبيين مكانه أبنه نور الدين محمود الذي بدوره أعاد دمشق إلى حظيرته واستطاع انفاذ حملة عسكرية إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه الذي أخذ معه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، والذي بدوره تولى الوزراة وعمره لا يتجاوز الثلاثين، فأصبح سلطاناً على مصر كلها بعد أن تم الاتفاق بين صلاح الدين ونور الدين محمود على إسقاط الخلافة الفاطمية في مصر لهزلها وخيانتها، والمناداة علناً بالخلافة العباسية لتحل محلها، لكن المنية عجلت بنور الدين لينفرد صلاح الدين بمصر كلها كما أشرنا وبلاد الشام والعراق واليمن والحجاز بمباركة من الخلافة العباسية التي كانت ترى فيه منقذاً للأمة الإسلامية ومحرراً لها من الصليبيين، وقد كان له ذلك بفضل حنكته وخبرته وشجاعته إذ استطاع كسب محبة المصريين وثقتهم لاعماله الكثيرة التي كان منها توليه الوزارة الفاطمية لأكثر من سنة تمكن من خلالها من أن يضع يده على الداء في حل مشاكل المصريين الاقتصادية وابطاله للضرائب والمكوس التي كانت تجبى منهم وتثقل كاهلهم[1]. داخل المدينة، وكإجراء احترازي طرد جميع النصارى من المدينة باستثناء الرجال المسنين والمرضى والنساء والأطفال، وذلك بعد الخيانات المتلاحقة من بعض نصارى بلاد الشام لصالح الصليبيين، إلا أنه ابقى على اليهود فيها، وكانوا قلة قليلة، كما أرسل إلى مصر يطلب النجدة العاجلة واستعد لمواجهة الحصار [2].

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 643/10-644.

([2]) عزمي أو عليان، بين الاحتلال والتحرير ص 174 .

أما عن كيفية دخول الصليبيين للقدس فإنهم قد حاصروها من جميع جوانبها باستثناء الجهة الشرقية، وأخذوا بتضييق الحصار مستخدمين وسائل الحصار منه أبراج ومنجنيقات، ولكن ذلك لم يفت من عضد المسلمين المدافعين مما أدهش الغزاة وأوقعهم في الحيرة والدهشة.

وكما توقع المسلمون فإن الصليبيين ذاقوا الأمرين اثناء محاصرتهم للقدس بسبب ضراوة الدفاع وإفساد الينابيع ومياه الامطار، فكانوا يجلبون الماء من عين سلوان، ومن عيون أخرى تبعد عن المدينة فرسخين إلى ثلاثة فراسخ، ومن ثم يبيعوها بأسعار باهظة ومرتفعة جداً، إضافة إلى العوامل الأخرى التي واجهتهم كنقص المواد الغذائية والتموينية التي كانت تصلهم والحرارة المرتفعة، لكن ذلك كله قد تبدد بوصول شحنات الغذاء بوساطة السفن الجنوبية، فتمكن عندها الصليبيون من الزحف صوب سور المدينة المقدسة بعد أن صنعوا برجين نصبوا الأول مقابل جبل صهيون والآخر مقابل باب العمود الذي استطاع الصليبيون به اقتحام سور المدينة في يوم الجمعة سنة 492 هـ [1].

هذا وما أن دخلوا المدينة المقدسة حتى بدأوا بمجزرتهم الرهيبة التي يصعب وصفها، يقول ابن الاثير :

(وركب السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود، فاعتصموا فيه وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج، الأمان فسلموه إليهم، ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلاً إلى عسقلان فأقاموا بها، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبّادهم، وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً ، نقرة، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء) [2].

([1]) المرجع السابق،ص 175 .

([2]) ابن الاثير – الكامل في التاريخ 283/10-284 .

ويقول وليم الصوري:

(لم يكن مشهد الجثث التي فصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي آثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين الصليبيين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم، وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثاً عن التعساء الباقيين على قيد الحياة، والذين يمكن أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام، وتشكل البعض في زمر واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم وقتلت هذه الضحايا أو قذفت حيث هلكت بشكل مأساوي، وأدعى كل واحد من المغيرين ملكية دائمة للمنزل الذي كان قد اقتحمه وعلق كل منتصر درعه واسلحته عند مدخل البيت الذي استولى عليه كإشارة لكل من يقترب منه حتى لا يتوقف عنده، بل ليتجاوز ذلك المكان لأنه أصبح ملكية لشخص آخر) [1].

ونترك المجال لوصف همجيتهم لواحد من كتابهم (ريموند أنجيل) إذ يقول :

(وبسقوط بيت المقدس وأبراجها كان المرء يستطيع أن يرى أعمالاً مدهشة، فقد قطعت رؤوس بعض المسلمين برحمة، بينما اخترقت الآخرين الأسهم الموجهة من الأبراج، بينما عذّب آخرون لوقت طويل، وأحرقوا حتى الموت في اللهب المتأجج، وتكدست في الطرقات والبيوت الرؤوس والأيدي والأقدام، وفعلاً فقد كان الفرسان والرجال يجرون جيئة وذهاباً فوق الجثث، وفي معبد سليمان وفي الرواق خاض الصليبيون بخيولهم في الدم الذي وصل إلى ركبهم،وامتلأت بيت المقدس الآن بالجثث، وتلطخت بالدماء وهربت القلة الناجية إلى برج داود وسلموه لريموند مقابل عهد الأمان) [2].

([1]) وليم الصوري تاريخ الحروب الصليبية 436/1-437 .

([2]) ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تعليق حسن محمد عطية ص 237-238 .

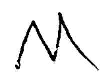
ويقول Hyamson:

(استعد الصليبيون لواجبهم المقدس خلال مسيرتهم عبر أوروبا بأن ذبحوا اليهود في كل مدينة مروا بها، ونهبوا وأحرقوا البيوت اليهودية، وكان طريقهم علماً على نهر من الدماء، لمعت فوقه الشعل الكاحلة للبيوت المشتعلة، وكانت المظالم مريعة لدرجة أن الأمراء والاساقفة ذهلوا من الاحتجاجات. وفي البلاد المقدسة استأنف الصليبيون هذه الإجراءات. لقد كان جميع غير المسيحيين أعداء الله بالنسبة إليهم، وكان يجب استئصالهم كلية، وحين فتحت القدس بابها أعملوا السيف في كل مسلم، رجل أو امرأة أو طفل، من الذين تمكنوا من العثور عليهم لدرجة أن الصليبيين كان عليهم أن يخوضوا في الدماء حتى الركبة لكي يصلوا إلى كنيسة القيامة، أما اليهود فقد سيقوا إلى كنيسهم حيث حرقوا .

ويقول المؤلف المجهول وهو من الفرنجة المشاركين في الحملة :

(فتعقبهم رجالنا وأخذوا في مطاردتهم معلمين فيهم القتل والتذبيح حتى بلغوا هيكل سليمان حيث جرت مذبحة هائلة، فكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى، فلما ولج حجاجنا المدينة جدّوا في قتل الشرقيين ومطاردتهم حتى قبة عمر ، حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الذين اعملوا فيهم أفظع القتل طيلة اليوم باكمله، حتى لقد فاض المعبد كله بدمائهم، وفي صباح اليوم التالي تسلق رجالنا سطح الهيكل وهجموا على الشرقيين رجالاً ونساءً واستلوا وراحوا يعملون فيهم القتل، فرمى بعضهم بنفسه من أعلى المعبد، وصدر الأمر أيضاً بطرح كافة موتى الشرقيين خارج البلدة لشدة النتن المتصاعد من جثثهم، ولأن المدينة كادت أن تكون بأجمعها مملوءة بجثثهم، فقام الشرقيون الذين قيضت لهم الحياة بسحب القتلى خارج بيت المقدس وطرحهم أمام الأبواب، وتعالت أكوامهم حتى حادت البيوت ارتفاعاً، وما تأتّى لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة التي ألمت بالشعب، وجمعت أكوام من الحطب لحرق جثثهم كأنها الاعلام، ولا يعلم أحد غير الله كم عددها [1].

([1]) حسن حبشي الحرب الصليبية الأولى، ص124-127 .



القدس تحت الاحتلال الصليبي

القدس قبل صلاح الدين:

من خلال ما ذكرناه واستعرضناه نستطيع القول أن القدس قبل صلاح الدين كانت في وضع لا تحسد عليه من حيث الفوضى والاضطراب وعدم الانضباط وكانت تعاني أشد المعاناة من احتلال الصليبيين، وأن المجتمع الإسلامي كان يرزح تحت حكم الصليبيين فكان مفككاً مهمشاً ولا أدل على ذلك من أن يصفه المؤرخون بهذه الفقرات:

(1) بينما الفرنج يحاصرون ويحتلون القدس كان محمد ملكشاه السلجوقي يحارب أخاه لأبيه (بركيا روق)

(2) مَلَكَ الفرنج عكا من واليها العلوي وملوك الشام مشتغلون بقتال بعضهم بعضاً وطوائف اليمن تناحر هي الأخرى بعضها البعض.

(3) انقسام البلاد الإسلامية على بعضها، وكيد كل بلد للآخر، وربما استعانت بعض البلاد بالافرنج الصليبيين لقتال المسلمين كما حصل مع الفاطميين الذين لم يجدوا غضاضة في أن يكونوا كذلك .

ولقد وصف ابن الاثير احوال المسلمين المتردية في قصيدة طويلة منها :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم ... فلم يبق منّا عرضةٌ للمراحم

وشرُّ سلاح المرء دفع يفيضه ... إذا الحرب شبُت نارُها بالصوارم

فإيهاً بني الإسلام أنّ وراءكم ... وقائع يلحقن الذُّرى بالمناسم

أتهويمةٌ في ظلّ امنٍ وغبطةٍ ... وعيشٍ كنوّارِ الخميلة ناعم؟

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقضت كل نائم

وإخوانكم بالشام يضحي مقيلُهم ... ظهور المذاكي، أوبطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تسجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وكم من دماء قد أبيحت ، ومن دمى ... تواري حياءً حسنها بالمعاصم

بحيث السيوف البيضُ محمرةُ الظّبى	وسمر العوالي داميـاتُ اللهاذم
وبين اختلاس الطّعن والضّرب وقفةً	تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروبٌ من يغب عن غمارها	ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بأيدي المشتركين قواضبا	ستغمد منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهنّ المستجنّ بطيبةٍ	ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى	رماحهم، والدين وأهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى	ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى	ويغضى على ذلك كُماةُ الاعاجم.

(4) همجية الصليبيين وفظائعهم التي ارتكبوها عن دخول القدس ويكفي انهم قتلوا من المسلمين ما يربو عن سبعين الفاً كما اشرنا إضافة إلى انهم لم يحترموا أية عهود أو مواثيق كانوا يبرمونها مع المسلمين .

القدس خلال فترة حكم صلاح الدين وكيفية تحريرها

كما قلنا كان حلم صلاح الدين تحرير القدس وتخليصها من أيدي الصليبيين المتغطرسين، ولذا سارع إلى توحيد المجتمع الاسلامي شرقيه وغربيه تحت إدارته، وأسس جيشاً محترفاً ومؤمناً بالقرآن والسنة تسلم قيادته حيث انه قاد هذا الجيش في حروب طاحنة ضد الصليبيين، فكانت أول منازلة له معهم في معركة حطين الشهيرة في 4 تموز سنة 1187 م التي كانت مقدمة لاسترجاع القدس، والتي كانت أيضاً انتقاماً من أرناط أمير الكرك الذي اعتدى على قافلة تجارية تابعة لصلاح الدين مارة في أرض الكرك التي تقع في مركز متوسط بين البلاد الشامية والبلاد المصرية، حيث انه كان بين صلاح الدين وبين هذه الإمارة هدنة ومعاهدة يسمح بموجبها للقوافل الإسلامية بالانتقال من مصر إلى الشام أو العكس بأمن وسلام، لكن أرناط أمعن في الاعتداء على هذه القافلة متجاهلاً تلك الهدنة وأسر الرجال وصادر الأموال، إضافة إلى أنه كما يقول المؤرخون أي أرناط استهان بالدين الإسلامي الحنيف وبالنبي

صلى الله عليه وسلم وقال للأسرى(إن كنتم تعتقدون في محمد فادعوه الآن يفك أسركم، ويخلصكم من شر ما وقعتم فيه) فسمعه صلاح الدين الذي غضب غضباً شديداً وحلف لئن اسره ليقتلنه بيده.

وفعلاً فقد برّ صلاح الدين في قسمه فأصبح اسمه على كل لسان في اوروبا حتى أصبحت الأمهات يخوفنّ ابناءهن من صلاح الدين مع أنه عامل أهالي البلاد المفتوحة وخاصة الرجال والنساء والأطفال بمنتهى الحلم والشهامة ومن يقرأ عنه يجد صواب ذلك.

وعلى أية حال فإن صلاح الدين استطاع بفضل هذه المعركة (حطين) أن يلقن صاحب الكرك درساً لا ينساه أبداً، وأن يقصم ظهر الصليبيين، وأن يرعبهم، ويأسر قادتهم حيث انه أسر فيها (جاي لوزنان) ملك القدس و(أرناط) أمير الكرك كما أشرنا بعد أن قام الأخير بمحاولة لاحتلال مكة والمدينة عن طريق البحر الأحمر .

واستمر هذا القائد في شق طريقه إلى القدس لاعادتها إلى حظيرة الإسلام والمسلمين، لكنه فضل أن يبتدئ بالموانئ والسواحل والقلاع الموصلة إليها ليربط بين شطري دولته الشام ومصر أولاً ولكي يقطع اتصال الصليبيين بغرب اوروبا التي كانت تمدهم بالمعونة ثانياً.

وحدث خلال ذلك ان استقبل وفداً صليبياً من القدس فانتهزها ليعرض عليهم تسليم المدينة المقدسة مقابل تأمينهم على أرواحهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم ويسمح لهم بمغادرة المدينة سالمين ، غير أن اعضاء الوفد رفضوا ذلك العرض وأجابوا أن الموت أيسر عليهم من أن يملك المسلمون بيت المقدس، فما كان لصلاح الدين بدّ بعد ذلك من أن يفتح المدينة بالقوة وحد السيف، وقد كان له ما أراد، إذ انه – وكما قلنا – سيّر جيشه العظيم (جيش السيف والقرآن صوب المدينة المقدسة في 20 ايلول 1187م، وتمركز بقواته في الجانب الغربي منها، وكانت المدينة مشحونةً بالمقاتلين من الخيالة والرجالة الصليبيين بعد أن تجمعوا فيها من المناطق القريبة من أعقاب معركة حطين وتطهير الساحل الشامي، وبلغ عدد رجالهم بحدود ستين ألفاً بقيادة البطريرك (هيرلكيوس) والأمير (باليان ديبلن) أمير الرملة الذي لجأ إلى القدس في أعقاب معركة حطين.

أما الجيش الإسلامي فكما يروي ابن الاثير فإن قوامه كان اثني عشر ألف مقاتل إذ يقول :

(كان عدد الجيش الإسلامي نحو اثني عشر ألف مقاتل نظامي عدا المطوعة الذين فاقوا الجيش النظامي عدداً، وأخذ صلاح الدين يطوف حول المدينة مدة خمسة أيام لينظر من أين يبدأ بالتقال وليتحسس موضع الضعف فيها حتى استقر رأيه أخيراً على تركيز الهجوم من باب الشمال لأنه ليس هناك أفضل منه فانتقل نحو باب العمود وكان ذلك يوم الجمعة 20 رجب 583هـ 26 ايلول 1187مـن، ونصب عليها المجانيق وضايق المدينة بالزحف والقتال وكثرة الرماة.

ووصل المسلمون إلى الخندق فتجاوزه والتصقوا إلى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم، والمنجنيقات توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الأسوار ليتمكن المسلمون من النقب، فلما أيقن صلاح الدين أنهم أشرفوا على الهلاك تقدم (باليان) على رأس وقد منهم وطلب الأمان من صلاح الدين مقابل تسلميه المدينة، غير أن صلاح الدين أصر على أخذ المدينة عنوة بالسيف قائلاً لهم:

(لا أفعل بكم إلاّ كما فعلتم بأهله حين ملكتموه أول مرة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها) ، عند ذلك أجاب باليان يائساً:

(أيها السلطان أعلم أننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى وإنما يفترون عن القتال ورجاء الأمان ظناً منهم أنك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة، فإذا رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم، تغنمون منها ديناراً واحداً، ولا درهماً ولا تسبون وتأسرون رجلاً ولا امرأة وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من أساري المسلمين. وهم خمسة آلاف أسير، ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً إلا قتلناه ثم خرجنا إليكم كلنا، فقاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه، وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله، ونموت أعزاء أو نظفر كراماً) [1]

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ص 548/11-549 .

يقول أبن الأثير : (فاستشار صلاح الدين أصحابه فأجمعوا على أجابتهم إلى الأمان وأن لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدي عاقبة الأمر فيه عن أي شي نتجلى، وتحسب أنهم أسارى بأيدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم. فأجاب صلاح الدين حينئذٍ إلى بذل الأمان للفرنج ، فاستقر أن يزن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الفقير والغني. ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين، وتزن المرأة خمسة دنانير، فمن أدى ذلك إلى أربعين يوماً فقد نجا، ومن أنقضت الأربعون يوماً عنه ولم يؤد ما عليه صار مملوكاً، فبذل (باليان) بن بيرزان عن الفقير ثلاثين ألف دينار، فأجيب إلى ذلك.

وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وكان يوماً مشهوداً، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسوارها، ورتب صلاح الدين على أبواب البلد في كل باب، أميناً على الأمراء ليأخذوا من أهله ما أستقر عليهم، فاستعملوا الخيانة، ولم يؤدوا فيه أمانة وأقتسم الأمناء الأموال وتفرقت أيدي سبا، ولو أديت فيه الأمانة لملأت الخزائن، وعم الناس فإنه كان فيه على الضبط ستون ألف رجل ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان، ولا يعجب السامع من ذلك فإن البلد كبير، واجتمع إليه من تلك النواحي من عسقلان وغيرها، والداروم، والرملة ، وغزة وغيرها من القرى، بحيث امتلأت الطرق والكنائس وكان الإنسان لا يقدر أن يمشي[1].

وعن مبدأ التسامح الذي قدمه صلاح الدين للصليبيين وهم يخرجون من القدس حدث ولا حرج فقد أعفى رضي الله عنه الكثير منهم وخاصة الفقراء والأرامل واليتامى من دفع الفدية وفرض على غيرهم فدية خفيفة أوجبها ضارباً بذلك أروع الأمثلة في التسامح والعفو عند المقدرة، على عكس ما فعله الصليبيون يوم فتحوا القدس الذي أعماهم الحقد والكراهية والحسد يوم احتلوا القدس وقتلوا ما فيها دون هوادة ورحمة، فقتلوا سبعين ألفاً من المسلمين دون شفقة.

أما النصارى العرب فقد ظلوا في المدينة معززين مكرمين يدفعون الجزية نزولاً عند حكم الله عليهم في الأرض.

([1]) مرجع سابق ، 549/11-550 .

أما عما فعله صلاح الدين بعد استرجاع القدس فقد دبر شؤون المدينة وأمر جنوده، وكل المسلمين يومها جنوده، وخاصة العلماء منهم أن يزيلوا أثار النجاسة من مسجدي الصخرة والأقصى وما كان معلقاً عليهما من نقوش وصلبان بعد أن أعاد بناءهما من جديد، وكذلك غسلوهما وبخروهما ورشوهما بماء الورد.

وصلى المسلمون ومعهم صلاح الدين أول صلاة جمعة في المسجد الأقصى، وألقى قاضي دمشق محي الدين بن الزنكي عين خطيباً وإماماً للمسجد خطبة قبل الخطبة المعتادة قال فيها:

(فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، صدق الله العظيم، أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الصالة من الأمة الضالة ، وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها من أيدي المشركين قريباً من مائة عام، وهو أي بيت المقدس موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء، وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية، أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن أمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان، وغضب الله عليهم من أجله، والقاهم في التيه عقوبة العصيان ؟ فاحفظوا – رحمكم الله – هذه الموهبة فيكم ، وأحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروبتها نجا وعصم، واحذروا من اتباع الهوى، وإياكم عباد الله يستزلكم الشيطان فيخيل لكم أن هذا النصر كان بسيوفكم الجداد وخيولكم الجياد، لا والله ما النصر إلا من عند الله، فاحذروا عباد الله بعد ان شرفكم الله بهذا الفتح الجليل أن تفترقوا كبيرة من مناهيه والجهاد الجهاد انصروا الله ينصركم خذوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء، وطهروا الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت الله ورسوله) [1].

([1]) ابن مجير الحنبلي، الأنس الجليل – ص 294-296 .

كما أقام صلاح الدين في القدس العديد من المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية منها رباط للصوفية، والمدرسة الصلاحية التي عرفت فيها بعد باسمه وفوض أمرها إلى القاضي بهاء الدين بن شداد، والبيمارستان الصلاحي وغيرها من المنشآت ووقف عليها أوقافاً كثيرة للإنفاق عليها.

كما أن صلاح الدين لم ينس نصارى الشرق الذين بقوا في القدس ولم يرحلوا مع الصليبيين بطلب منهم"، مع أن كثير منهم ساعد الفرنج وشايعهم.

كما أن اليهود الذين أبقاهم الصليبيون أحياء في القدس سمح لهم صلاح الدين هم الآخرون البقاء في القدس وكذلك أعطاهم الحرية في التنقل في أرجاء مملكته.

هكذا انتهت قصة الصليبيون الذين ظلوا يحكمون القدس ويحتلونها مدى إحدى وتسعون سنة ببعث القائد صلاح الدين لتعود إلى السيادة العربية الإسلامية، ومن يدري لعل الله يبعث من هو مثله ليؤدي مثل دوره وما ذلك على الله ببعيد!

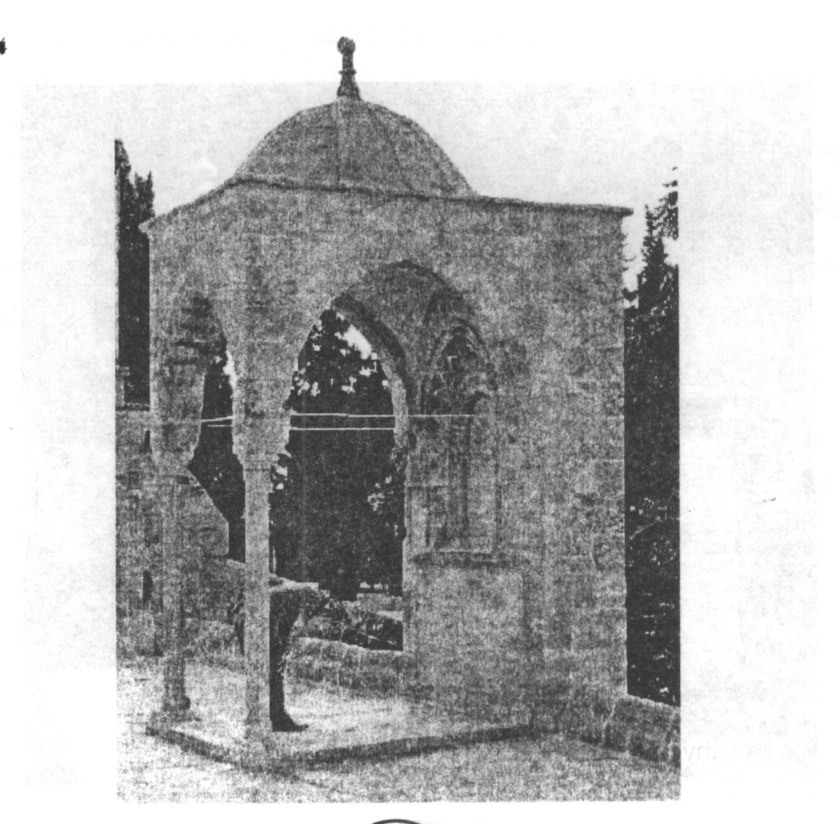
أحداث القدس تتسارع

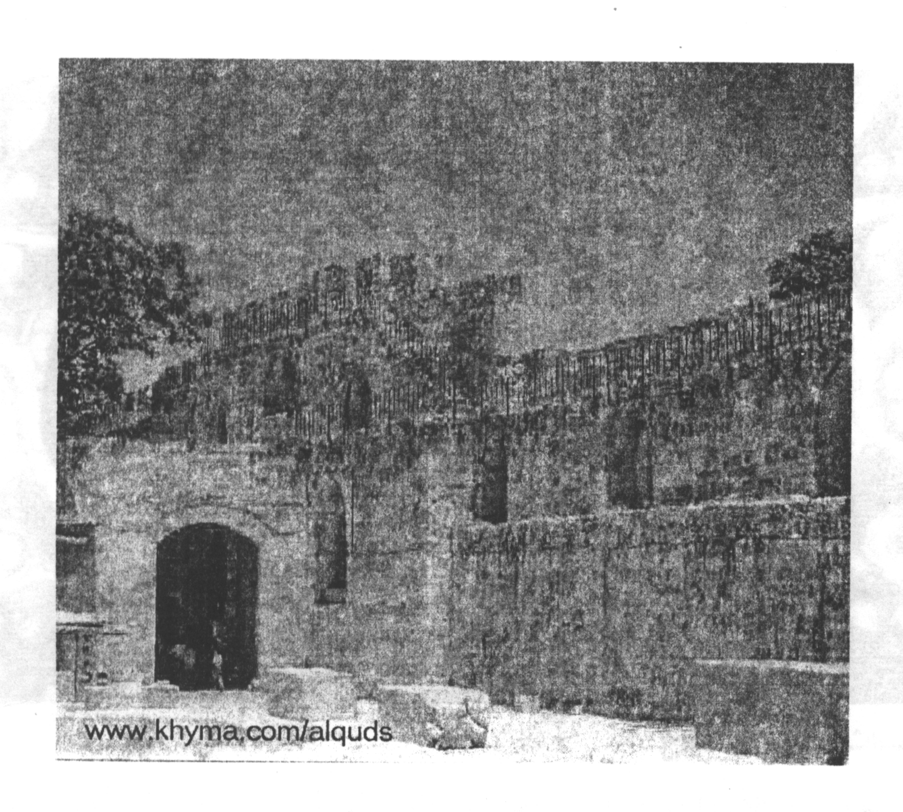
أخذت الأحداث تتسارع، والموقف الصليبي أخذ يستعر من أعمال هذا الرجل البطولية والقياسية، فلا بد إذن من التدبير من جديد للانقضاض عليه بطريقة اشمل وأسلوب أشد بعد أن جن جنون البابوية التي أخذت تعد العدة لاسترجاع عظمتها التي تشوهت ومجدها الذي ضاع بعد استرجاع القدس، ولذا لا بد من كرة جديدة، وليس غير الكرة من جديد بنافع، ولهذا فإن الهجوم بحملة صليبية أخرى أصبح بالأمر اليقيني الذي لا يختلف عليه اثنان، وفي هذه المرة تشكلت في أوروبا قوة جبارة قوامها ثلاثة جيوش لاكتساح الشرق والتي عرفت في التاريخ الإسلامي بالحملة الصليبية الثالثة، وعلى رأس كل جيش من هذه الجيوش أعظم ملوك أوروبا في ذلك الزمان كالتالي:

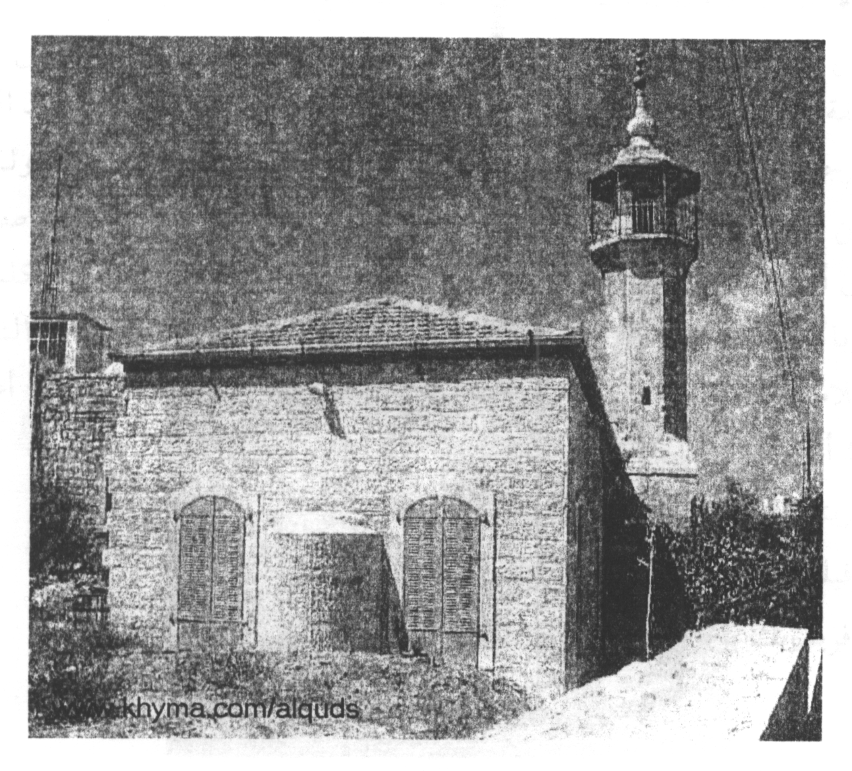
1- ريتشارد قلب الأسد (ملك إنكلترا)

2- فيليب أوغسطس (ملك فرنسا)

3- فريدريك بربروسا (إمبراطور ألمانيا)




www.khyma.com/alquds


www.khyma.com/alquds

وكانت أحداث هذه الحملة أن انطلقت كل من هذه الجيوش الثلاث باتجاه المشرق الإسلامي لاستعادة مجدها الذي تلطخ كما أشرنا، لكن الخلاف دب بين هذه الجيوش ، فلم يصل منها إلى أرض القدس إلا قلب الأسد ملك الإنكليز الذي هاجم مدينة عكا واستطاع احتلالها، وذلك لأنها كانت محاصرة من قبل (لوزيجنان) الذي أفرج عنه صلاح الدين بعد معركة حطين لما قطعه على نفسه من وعد وشرف بأن لا يعود لمحاربة صلاح الدين ولا يشهر سيفه في وجهه أبداً، لكنه نقض عهده وعمد إلى تجميع عدداً لا يستهان به قوامه عشرون ألف جندي، وقادة إلى عكا ووقف على مشارفها محاصراً إياها براً وبحراً، وفي هذا الأثناء وصل ملك إنكلترا بقواته إلى عكا وتولى قيادة القوات الصليبية جميعها فحاصرها حصاراً شديداً تمكن من خلاله من احتلال المدينة بعد أن استنفذت هجمات قوات صلاح الدين فعالياتها فاستسلمت المدينة، وقتل من حاميتها ثلاثة آلاف من المسلمين على يد الصليبيين بعد أن أعطوا الأمان [1].

أما عن تقدم القوات الصليبية لاحتلال القدس بعد عكا فيذكر المؤرخون أن جحافل الصليبيين بدأت تصل من أوروبا، حيث وصل فريدريك بربروسا بمائة ألف محارب عن طريق البر عبر القسطنطينية، لكنه تعرض لمتاعب عدة حالت دون مشاركته في الحرب منها وعورة الطريق التي سلكها، ووقوف البيزنطيين ضده بسبب تحالفهم مع صلاح الدين نتيجة للأضرار التي ألحقها الألمان بالأراضي البيزنطية وإيذائهم لفلاحيها، وأخيراً غرقه وموته في أحد أنهار آسيا الصغرى، هذه العوامل حالت دون اشتراكه في الحملة، فبقي الجيشان الآخران اللذان ذكرناهما آنفاً (جيش فيليب أوغسطس وريتشارد قلب الأسد) حيث احتلا مدينة عكا بمساعدة (لوزيجتان)[2].

وبعد احتلال عكا توجها لاحتلال القدس، ولكن شاءت الأقدار أن يموت فيليب أوغسطس هو الآخر وهو عائد إلى فرنسا، فلم يبق إلا ريتشارد قلب الأسد

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق، 12/32-35 .

([2]) ابن الأثير – 12/48-50.

الذي تمكن من احتلال ساحل فلسطين من عكا إلى يافا، فتهيأ لدخول القدس وأدرك صلاح الدين أن غاية الغايات عند ريتشارد هو احتلال القدس، فصمم أن لا يكون ذلك أبداً فعمل على تقوية استحكامات المدينة وحفر الخنادق حولها، وأعاد وجدد بناء وتعمير أسوار المدينة بحيث كان يشتغل فيها هو بنفسه ويحمل الحجر على قربوس سرجه ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر إلى موضع البناء فبنى في مدة وجيزة ما لم يستطع غيره بنائه في سنين.

وأما ريتشارد هذا الذي عسكر بقواته عند الرملة ليمهد لدخول القدس وخلالهما أنفذ رسالة إلى صلاح الدين عن طريق الملك العادل الذي كان يعسكر بالقرب منه جاء منها:

إنّ الفرنج قد هلكوا، وخربت البلاد وخرجت من يد الفريقين بالكلية، وقد تلفت الأموال والأرواح من الطائفتين ، وقد أخذ هذا الأمر حقه، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد، والقدس فمتعبدنا ما ننزل عنه، ولو لم يبق منا واحد، وأما البلاد فيعاد إلينا منها ما هو قاطع الأردن، وأما الصليب فهو خشبة لا مقدار له عندكم وهو عندنا عظيم، فيمن به السلطان به علينا، ونصطلح ونستريح من هذا العناء الدائم، فرد عليها صلاح الدين رداً حازماً قال:

(القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن ننزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، وأما البلاد فهي أيضاً لنا في الأصل، واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت، وما أقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائماً، وما في أيدينا نحن منها نأكل بحمد الله مغله وينتفع به، وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة، ولا يجوز لنا أن نفرط فيها إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام هي أوفى منها.

وأمام تشدد صلاح الدين في التمسك بالقدس لجأ ريتشارد إلى الحيلة بأن يزوج الأخير أخته للملك العادل أخ صلاح الدين وأن يكون مستقرهما القدس، لكن بالخرم من أن الروايات تذكر أن صلاح الدين وأخاه العادل قد استمعا لهذا

بالرغم

المطلب فإن صلاح الدين كان على معرفة بأنها مكيدة ، وفي هـذا يقـول ابـن شـداد الذي أنفذه الملك العادل إلى صلاح الدين.

(فلما مثلنا بالخدمة السلطانية عرضت عليه الحديث، وتلوث عليـه الرسـالة، فبادر إلى الرضى بهذه القاعدة - قاعدة أن ريتشارد يعطي أخته بلاد الساحل من عكا إلى يافا وعسقلان ويجعلها ملكة الساحل، ويجعله ملك السـاحل - وفعـلاً فقـد كـان الأمر كما توقع صلاح الدين، إذ ادعى ريتشارد أن أخته ترفض مثـل ذلـك وتطلـب من االملك العادل أن ينتصـر فكـانت الموافقـة علـى ذلـك مستحيلة مما زاد الأمـر والموقف صعوبة وتعقيداً وخصوصاً وأن ريتشارد اخذ يزحف صوب القدس، عندهـا أمر صلاح الدين بإفساد جميع ما حول القـدس مـن ميـاه وصـهاريج، وقسـم أسـوار القدس بين أمرائه للدفاع عنها وخاطبهم فقال:

(الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسـلم، اعلمـوا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم معلقة في ذممكم، فإن العدو أمن لـه مـن المسـلمين مـن تلقـاه إلا أنتـم، فـإن لويتـم أعنتكم - والعياذ بالله - طوى البلاد كطي السجل للكتاب ، وكان ذلـك في ذمتكـم أنتم الذين تصديتم لهذا وأكلتم مـال بيـت مـال المـال، فالمسـلمون في سـائر البـلاد متعلقون بكم والسلام.

ثم أجاب الأمير سيف الدين المشطوب نيابة عن الأمراء بقوله:

(يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك، وأنت الذي أنعمت علينا وكبرتنا وعظمتنـا وأعطيتنا وأغنيتنا، وليس لنا إلا رقابنا وهي بين يديك، والله ما يرجـع أحـد منـا عـن نصرتك إلى أن يموت).

أما الأمير أبو الهيجاء التركي وآخرون فإنه لم يكـن موقفـهم كموقـف الأمـير سيف إذ أن أبا الهيجـا سـرعان مـا قـال : (أن لا مصلحـة لنـا في ذلـك وأنـهم (أي الأمراء) يخافون أن يحصروا ويجري عليهم مثل ما جرى على عكا، وحينئذ تؤخذ بلاد الإسلام اجمع، والرأي أن يلقوا مصافا، فإن قدر الله أن يهزموا الصليبيين ملكوا بقيـة بلادهم، وإن تكن الأخرى، يسلم العسـكر وتذهـب القـدس، وقـد حفـظ الإسـلام بعساكره مدة بغير القدس، وأضافوا قولهم للسلطان صلاح الدين : (إنـك إن أردتنـا

فتكون معنا أو بعض أهلك حتى نجتمع عنده، وإلا فالأكراد لا يدينون للأتراك. والأتراك لا يدينون للأكراد).

وبعد أن سمع صلاح الدين عن هؤلاء ما سمع اعتكف في المسجد الأقصى بعد أن رتب أقاربه وأبناءه للدفاع عن أسوار القدس كما ذكرنا، وأخذ يطلب العون والمدد من الله سبحانه وتعالى، فما لبث أن دبّ النزاع بين قادة الصليبيين بفضل من الله عز وجل سارع معه الصليبيون إلى طلب الصلح، فقعدوا مع صلاح الدين صلح الرملة، وبعدها رجع ريتشارد إلى إنكلترا، ورجع صلاح الدين إلى دمشق لتفيض روحه الطاهرة إلى بارئها في 4 آذار، من عام 1192م. متهيأ بذلك فصولاً كاملة من الجهاد المقدس في سبيل الله لمن خلفه من أبنائه وأمته.

القدس بعد صلاح الدين

الكلام عن القدس بعد صلاح الدين كلام يطول كما هو الشأن في الكلام عنها قبل وخلال فترة حكمه، لأن القدس ممثلة بعظيمها صلاح الدين ما لانت لها قناة، ولا عرفت الذل والاستكانة أما الصليبيين الذين ما انفكوا في محاسبتها وعقابها بعد رحيل قائدها وبطلها، وهيهات أن ينسى الصليبيون الضربات التي وجهها لهم صلاح الدين، فسيروا حملة جديدة قادها أمراء وملوك منهم ليحتلوا مصر أولاً ثم يعبروا إلى القدس من خلالها، لكنهم لم يفلحوا بالرغم من قادتهم استعانوا بملك الحبشة النصراني ليساعدهم في احتلال القدس. وكان ذلك أيام أبناء واخوة وأحفاد صلاح الدين كالعادل أخو صلاح الدين الذي اشترك معه في الحروب ضد الصليبيين بعد آلت الأمور إليه بعد والكامل وغيرهم.

ومع تطور الأحداث ووفاة الملك العادل ، ووقع الاختلال بين أبنائه كانت القدس تقع في أيديهم بعد أن استنجد الملك الكامل بفريدريك الثاني الألماني ضد أخيه (المعظم عيسى) مقابل أن يعطيه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل ، وقد رحب فردريك بهذه الفكرة وأرسل سفارة إلى الكامل تحمل الهدايا، وفي طريق عودتها مرت بدمشق لتطلب من المعظم عيسى تسليم بيت المقدس للإمبراطور، ولكن المعظم أساء استقبالها قائلاً: (قل لصاحبك، ما أنا مثل الغير – يقصد الكامل– وما له عندي سوى السيف)، فثارت ثائرة فريدريك الذي قاد حملة

عسكرية ليتسلم القدس، ولكن محاولته باءت بالفشل لأن الملك الكامل أصبح بغير حاجة إليه وخصوصاً أن الإمبراطور نفسه كان قد صدر قرار بحقه من قبل البابا [1].

لكن مع إصرار الإمبراطور فريدريك وضغوطه على الملك الكامل وبكاؤه وتذلله أمامه للأوضاع التي آل إليها بعد أن أصدر البابا قرار الحرمان الثاني بحقه سلمه الملك الكامل القدس لمدة عشر سنين وتسليمها تكون قد حلت بالمسلمين الكارثة بغض النظر عن الدوافع التي دفعته لذلك لأن من فرط في شبر من أراضي المسلمين فكأنما فرط فيها جميعها كيف لا والملك الكامل قد فرط فعلاً بالقدس جوهرة المسلمين وأغلى ما لديهم .

بخروج المسلمين وتسليمه إلى الفرنج . فاشتد البكاء ، وعظم الصراخ والعويل ، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل ، وأذنوا على بابه في غير وقت الآذان . فعز عليه ذلك وأمر بأخذ ما كان معهم من الستور والقناديل الفضة والآلات وزجرهم . وقيل لهم " أمضوا إلى حيث شئتم " فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء ، واشتد الإنكار على الملك الكامل ، وكثرت الشناعات عليه في سائر الأقطار).

قال مصطفى زياده : (وأعقب الإمبراطور فريدريك هذه الهدنة (الاتفاقية) بزيارة المسجد الأقصى ، بإذن من السلطان الكامل ، صحبة شمس الدين قاضي نابلس . وطاف فريدريك بمزارات المسجد الأقصى ، مستفسراً عنها في لسان عربي واضح . ولم يكن ذلك غريباً على امبراطور أجاد الكتابة والكلام في ست لغات أخرى غير اللغة العربية ، كما لم يكن غريباً على الحاضرين من المسلمين أن يسمعوه وهو يتكلم في غير لكنة ظاهرة ، فإن كثيراً من الصليبيين الأوروبيين المقيمين بالشام كانوا يتكلمون العربية ، منذ استقر مقامهم بالشرق . وبات الامبراطور فريدريك ليلتين بدار القاضي شمس الدين ببيت المقدس ، ثم رحل إلى عكا ، بعد أن توّج نفسه بكنيسة القيامة ملكاً على مملكة بيت المقدس) .

قال صاحب تاريخ الحروب الصليبية 333/3 - 334 . (جرى الاحتفال في 17 آذار من عام 1229 م بدخول فريدريك إلى بيت المقدس ، ولم يرافقه إلا عساكره من

([1]) سعيد عاشور ، مصر والشام، ص85، وعزمي أبو عليان، مرجع سابق، ص 192 .

الألمان والإطاليين ، وعدد بالغ القلة من البارونات المحليين . ولم يمثل الطوائف الدينية العسكرية إلا الفرسان التيوتون ، ولم يصحبه من رجال الدين سوى أساقفة صقلية وصديقيه الانجليزيين ، بطرس أسقف ونشتر ، ووليم أسقف اكستر . واستقبل الامبراطور عند الباب قاضي نابلس ، شمس الدين الذي سلمه باسم السلطان مفاتيح المدينة . ثم اجتاز الموكب الصغير الشوارع الخالية من الناس ، حتى بلغ دار الاسبتارية القديمة ، حث اتخذها فريدريك مقراً له . فلم يظهر ما يدل على الحماس ، إذ هجر المسلمون المدينة ، ولم يترددوا إلا لمزاراتهم ، بينما نأى المسيحيون الوطنيون بعيداً ، وبرروا خوفهم بأن عودة اللاتين إلى المدينة لن تعود عليهم بالخير . وارتبك رفاق فريدريك لقطعه من الكنيسة . وحدث في البلاط شيء من الحيرة والتردد ، حينما صار معروفاً أن رئيس أساقفة قيسارية في طريقة إلى بيت المقدس ، يحمل أوامر البطريرك بوضع المدينة تحت الخطر والحرمان . وفي صبيحة اليوم التالي ، الأحد ، 18مارس (آذار) سنة 1229 م توجه فريدريك ليشهد القداس في كنيسة القيامة . فلم يكن بها أحد من القسس ، ولم يلق بها إلا عساكره والفرسان التيوتون ، فتقدم فريدريك رابط الجأش قوي الجنان ، فجعل التاج الملكي على مذبح الجلجلة ، ثم تناوله بيديه ووضعه على رأسه . وعندئذ ألقى مقدم الفرسان التيوتون، بالألمانية أولاً ثم بالفرنسية ، خطبة أشاد فيها بالامبراطور الملك ، ووصف أعماله الباهرة ، وبرر سياسته . ثم تحرك مع رجال البلاط راجعين إلى دار الاسبتارية).

أعجب الأمبراطور بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة وصعد درج المنبر فرأى قسيساً بيده الإنجيل ، وقد قصد دخول المسجد الأقصى ، فزجره وأنكر مجيئه . وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه . فإنما نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده ، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الأنعام منه فلا يتعدى أحد منكم طوره . فانصرف القسيس وهو يرعد خوفاً منه .

[وهكذا أخذ فريدريك يقوم بأعمال وتصرفات أثارت دهشة المسلمين والمسيحيين سواء مما جعل المؤرخ العيني يتشكك في صدق عقيدته ويقول عنه :

" إنه كان دهرياً يتلاعب بالنصرانية] [1].

---

(1) عاشور : الحركة الصليبية 1015/2 .

إن استعادة الإفرنج لبيت المقدس لم تكن بالغة الأهمية ، ظلت المدينة مفتوحة، وكان من المستحيل حراسة الطريق المؤدي إليها من الساحل ، ودأب المناضلون المسلمون يسطون على الحجاج ويقتلونهم وحدث أن دبر أئمة المسلمين الزهاد في الخليل ونابلس شن غارة على بيت المقدس ، فهرب المسيحيون على اختلاف نحلهم إلى برج داود للاحتماء به . لم يتمكن الإفرنج من تعزيز الحامية بالمدينة ، ومع أنه جرى تشييد بعض الاستحكامات ولكن لم يستتب الأمن كثيراً . رفع البطريرك ما فرضه من حظر على بيت المقدس ، وقدم ليقيم بها شطراً من السنة . غير أن الموقف ظل محفوفاً بالخطر . إذ كان بوسع السلطان أن يستولي على المدينة من جديد متى شاء . [1]

ومن جهة أخرى [اشتد تشنيع الملك الناصر داود على عمه الملك الكامل تسليمه للفرنج ، فنفرت قلوب الرعية ، وجلس شمس الدين سبط بن الجوزي بجامع دمشق ، وذكر فضائل بيت المقدس ، وحزّن الناس على استيلاء الفرنج عليه ، وبَشّع في هذا الفعل ، فاجتمع في ذلك المجلس ما لايحصى عدده من الناس ، وعلت أصواتهم بالصراخ واشتد بكائهم ، وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة ، أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي ... تفاخر ما في الأرض من صخرات

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات [2]

ثم زالت النفرة بين الناصر داود وعمه الكامل ، فاتفقا على أن تسلم دمشق للكامل الذي يعوض لابن أخيه بدلاً منها بالشوبك والكرك وأعمالها مع الصلت والبلقاء والأغوار جميعها ونابلس وأعمال القدس وبيت جبريل . ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام وطبرية وغزة وعسقلان والرملة واللد وما بأيدي المسلمين من الساحل .[3]

---

(1) تاريخ الحروب الصليبية 341/3 .

(2) السلوك 233/1

[3] السلوك 235/1

وفي عام 635 هـ : 1237 م . توفي الكامل بدمشق على أثر تعرضه للبرد . فعاد النزاع بين ملوك بني أيوب إلى أشد ما كان عليه في اقتسام البلاد .

[كان الملك الكامل يحب أهل العلم ، ويؤثر مجالستهم ، وشغف لسماع الحديث النبوي .... وكان ينصب للعلماء والفقهاء أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه . فنفقت العلوم والآداب عنده وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارّة .

وكان مهيباً ، حازماً سديد الآراء ، حسن التدبير لمماليكه ، عفيفاً عن الدماء . وبلغ من مهابته أن الرمل - فيما بين العريش ومصر - كان يمر فيه الواحد ، بالذهب الكثير والأحمال من الثياب ، من غير خوف . وسرق مرة فيه بساط ، فأحضر الكامل العربان الذين يخفرون الطريق ، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه . فبذلوا عوضه شيئاً كثيراً ، وهو يأبى إحضار السارق أو اتلاف أنفسهم وأموالهم بدله ، فلم يجدوا بداً من إحضار السارق والبساط . وكان يباشر أمور الملك بنفسه ، من غير اعتماد على وزير ولا غيره] [1] .

وفي أثناء استيلاء الفرنج على بيت المقدس عمّروا في عام 637 هـ : 1239 م قلعة جعلوا برج داود أحد أبراجها . وكان قد ترك لما خّرب الملك المعظم عيسى أسوار القدس . فلما بلغ الناصر داود ، صاحب أعمال القدس ، بنقض الفرنج للشروط المتفق عليها مع فريدريك هاجم المدينة وأخذها عنوة في 6 جمادى الأولى 637 هـ : 7 كانون الأول 1239 م . وبعد ستة أيام استولى على البرج وأخرج الفرنج فساروا إلى بلادهم .[2]

وبعد سنين قليلة حدث خلاف كبير بين الأمراء الأيوبيين بأن اتفق الناصر داود صاحب الكرك والقدس مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق على محاربة صاحب مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ووافق الفرنج على أن يكونوا عوناً لهم على الملك الصالح ووعدهم أن يسلما إليهم القدس وطبرية

---

(1) نفس المصدر 258/1 - 260 .

(2) السلوك 291/1 .

وعسقلان . وتسلموها وعمروا قلعتي طبرية وعسقلان . وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس وجلسوا فوقها بالخمر وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى [1]] وكان ذلك سنة 641 هـ : 1243 م .

لم تطل فرحة الفرنج ، باستيلائهم هذا على المدينة المقدسة طويلاً ، فاستعان الصالح أيوب بقبائل الخوارزمية وهزم أعداءه . [وهجم الخوارزمية على القدس وبذلوا السيف في من كان به من النصارى ، حتى أفنوا الرجال ، وسبوا النساء والأولاد وهدموا المباني التي في القيامة ، ونبشوا قبور النصارى ، وأحرقوا رممهم .][2]

وقال ستيفن رنسيمان : [... وإذ كانت دمشق من القوة ما جعلتهم عاجزين عن مهاجمتها ، مضوا في سيرهم إلى الجليل بعد أن تجاوزا مدينة طبرية التي استولوا عليها، ثم اتجهوا صوب الجنوب نحو بيت المقدس ، بعد أن اجتازوا نابلس . وأدرك الفرنج فجأة ما يحيق بهم من الخطر . فعجل بالمسير إلى المدينة ، البطريرك وبصحبته مقدما الداوية والاسبتارية فعززوا الحامية المرابطة في الاستحكامات التي فرغ وقتئذ الداوية من عمارتها ، غير أنهم لم يجرؤوا على البقاء بها . على أن الخوارزمية اقتحموا المدينة في 11تموز سنة 1244 م ووقع القتال في الشوارع ، غير أنهم استطاعوا أن يشقوا لهم طريقاً إلى دير الأرمن المعروف بدير القديس يعقوب ، فأجهزوا على الرهبان والراهبات . ولقي حاكم المدينة الفرنجي مصرعه عند قيامه بهجوم من القلعة وهلك معه مقدم الاسبتارية . غير أن الحامية ظلت على مقاومتها . ولما لم تقدم نجدات من الفرنج استغاثت بالناصر أمير الكرك ، أقرب الحلفاء المسلمين إليهم . على أن الناصر لم يكن يميل للمسيحيين وكره الحاجة إلى التحالف معهم . ولذا حدث بعد أن أرسل من العساكر من حمل الخوارزمية على أن يبذلوا للحامية الأمان بالمسير إلى الساحل إذا سلموا القلعة ، إن تخلى الناصر داود عما ينتظر الحامية من مصير . وفي 23آب سنة 1244 م غادر المدينة حوالي ستة آلاف من المسيحيين من الرجال والنساء والأطفال وتركوها للخوارزمية . وبينما كان المسيحيون يتحركون على الطريق إلى يافا ، تطلعت جماعة منهم إلى الوراء ،

---

(1) السلوك 315/2 .

(2) نفس المصدر 316/1 .

فشاهدت أعلام الفرنج ترفرف على أبراج المدينة . وإذا اعتقدوا أن نجدة قد وصلت بوسيلة من الوسائل ، أصر عدد كبير منهم على الرجوع إلى المدينة ، غير أنهم وقعوا في كمين تحت أسوار المدينة فهلك نحو الفين منهم ، ومن بقي على قيد الحياة تعرض لهجمات قطاع الطرق من العرب ، أثناء سيرهم إلى البحر ، فلم يصل إلى يافا منهم سوى ثلثمائة رجل .

وبذا خرجت بيت المقدس نهائياً من أيدي الفرنج ، ولم يدخل أبوابها جيش مسيحي إلا بعد حوالي سبعة قرون . ولم يظهر الخوارزمية شيئاً من الرأفة من بالمدينة، فاقتحموا كنيسة القيامة ، ولم يرفض مغادرة المدينة إلا عدد قليل من القسس اللاتين المتقدمين في العمر ، الذين كانوا يحتفلون بإقامة القداس ، فلقوا مصرعهم مع من كان حاضراً من قسس المذاهب الدينية الوطنية ، ثم جرى إخراج عظام ملوك بيت المقدس من القبور وتحطيمها ، واشتعلت النار بالكنيسة وتعرضت الدور والدكاكين في جميع أنحاء المدينة للنهب ، كما احترقت الكنائس ولما أضحى جميع المكان قفراً موحشاً ، مضى الخوارزمية في انسيابهم فلحقوا بالجيش المصري في غزة] .[1]

وهكذا أخرجت الفرنج من بيت المقدس . وقد بلغ عدد السنين التي دخلت القدس فيها تحت سيطرة الأوروبيين 99 سنة ، كما يلي :

من سنة 1099 م إلى سنة 1187 م : 88 سنة . مدة بقاء مملكة بيت المقدس الفرنجية.

من سنة 1229 إلى سنة 1239 م : 10 سنوات نتيجة للإتفاق مع الأمبراطور فريدريك .

من سنة 1242 م إلى سنة 1243 م : 1 سنة نتيجة للإتفاق الذي تم بين الفرنج وأميرين من أمراء الأيوبيين .

المجموع : 99 سنة .

وإذا أضفنا إليها نحو 30 سنة التي حكمت فيها بريطانيا بيت المقدس : (من 2917/12/9 إلى 1948/5/14) يبلغ مجموع مدة حكم الأوروبيين الفرنجة على المدينة المقدسة نحو 129 سنة من تاريخها الطويل ...

---

(1) تاريخ الحروب الصليبية 391/3-393 .

وفي عام 646 هـ : 1248م زار الملك الصالح نجم الدين أيوب بيت المقدس " وأمر أن يذرع سوره ، فجاء ستة آلاف ذراع . فأمر بأن يصرف مُغل القدس في عمارته ، وتصدق السلطان الملك الصالح بألفي دينار في الحرم وزار الخليل ثم عاد إلى مصر " [1] .

مات السلطان أبو الفتوح نجم الدين أيوب الملك الكامل عام 647هـ : 1249م وهو في مقابلة الفرنج بالمنصورة بمصر بعد ما عهد لولده " الملك المعظم توران شاه " بالسلطنة .

والملك الصالح هو الذي أنشأ المماليك البحرية بمصر : [وكان ملكاً شجاعاً حازماً مهيباً لشدة سطوته وفخامة ناموسه ، مع عزة النفس وعلو الهمة وكثرة الحياء والعفة وطهارة الذيل عن الخنا وصيانة اللسان من الفحش في القول ... وشدة الوقار ولزوم الصمت ... وكانت البلاد في أيامه آمنة مطمئنة ، والطرق سابلة ... ولم يكن له ميل إلى العلم ولا مطالعة الكتب إلا أنه كان يجري على أهل العلم والإصلاح المعاليم والجرايات . وكان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه] [2] .

أتم توران شاه معركة المنصورة وانتصر فيها وقتل من الفرنج نحو 30 ألفاً وأسر ملكهم (لويس التاسع) وكانت هذه الواقعة عام 640 هـ : 1250 م من الوقائع الفاصلة بين المسلمين والفرنجة .

لم يحسن توران شاه إدارة الدولة فأخذ يبعد رجالها واحتضن جماعته وولاهم الوظائف وأساء إلى المماليك وتوعدهم فنفرّت قلوبهم منه واتفقوا على قتله مع " شجرة الدرّ " سرية أبيه التي أخذ يطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوف كبير . وأخيراً قتل بعد سبعين يوماً من ملكه وبقتل المعظم انقرضت دولة بني أيوب : 648هـ . 1250 م . وكانت مدة حكمهم للقدس 52 سنة، كما يأتي :

من سنة 1187-1229 م : 42 سنة

---

(1) النجوم الزاهرة 359/6

(2) السلوك 340/1-342 .

من سنة 1239–1243 م : 4 سنوات .

من سنة 1244–1250 م : 6 سنوات .

ودخلت القدس بعد هذه الدولة في حوزة المماليك .

تحرير القدس على يد الملك الناصر داود وتسليمها للصليبيين على يديه أيضا.

جاء في تحرير القدس على يد الناصر دواد بعد وفاة الملك الكامل الذي سلمها للصليبيين كما رأينا، فبانتهاء مدة الاتفاقية حول التسليم، حاول الصليبيون من جديد الهجوم على القدس بقيادة (تيبو الرابع) ملك النافار، ولكن الملك الناصر داود ملك الكرك منعهم وخلصها منهم سنة 637 هـ بعد أن التجاؤا إلى القلعة التي شيدوها للاحتماء بها بعد أن ظل يحاصرهم مدة واحد وعشرين يوماً وفي هذا يقول ابن الجوزي مادحاً الملك الناصر:

المسجد الأقصى له عادة	سارت فصارت مثلاً سائراً
إذ غدا بالكفر مستوطناً	أن يبعث الله له ناصرا
فناصر ظهره أولاً	وناصر طهره أخراً

ثم أن وضع القدس لم يهدأ لأن الذي حررها عاد على التو – وللأسف – ليسلمها للصليبيين والمضحك المبكي في الأمر أي الملك الناصر اتفق مع الملك الصالح اسماعيل ملك دمشق والملك المنصور صاحب حمص ليتنازلوا جميعهم عن القدس للصليبيين وذلك نكاية بالملك الصالح نجم الدين ملك مصر سنة 641 هـ وفي هذا يقول صاحب مفرج الكروب :

(ولما اجتمعت كلمة هؤلاء على حرب الملك الصالح نجم الدين ومباينته وعلموا مكاتبته إلى الخوارزمية، وأنهم لا بد وأن يطرقوا البلاد ويجتمعوا مع عسكر الديار المصرية على حربهم، وعلموا أنهم لا طاقة لهم به، صالحوا الفرنج واتفقوا معهم على تسليم البيت المقدس إليهم، على أن يكون الحرم بما فيه من المزارات لهم وعلى تسليم طبرية وعسقلان وكوكب إليهم، وأن يأذنوا لهم في عمارتها، فتسلم الفرنج ذلك كله، ودخل الفرنج القدس وتسلموا الصخرة المقدسة والأقصى وما في الحرم الشريف من المزارات).

ويصف صاحب مفرج الكروب حال القدس بعد تسليمها بواسطة أولئك الثلاثة من الملوك المار ذكرهم فيقول: (وسافرت في أواخر هذه السنة إلى الديار المصرية ودخلت البيت المقدس ورأيت الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة، وعليها قناني الخمر برسم القربان، ودخلت الجامع الأقصى ، وفيه جرس معلق، وأبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة، وأعلن فيه بالكفر، وقدم الملك الناصر داود القدس في ذلك اليوم الذي زرت فيه القدس، ونزل غربي القدس).

تحرير القدس على يد الملك نجم الدين ملك مصر وردود فعل الصليبيين

على أثر تسليم القدس للصليبيين وتنازل الملوك الثلاثة الناصر داود ملك الكرك، والأشرف ملك دمشق، والمنصور صاحب حمص عن القدس نكاية بنجم الدين ملك مصر لم يرق للأخير فعلتهم، فأخذ في طلب المعونة من الخوارزمية المسلمين الذين استجابوا على الفور لطلب النجدة فأرسلوا منهم عشرة آلاف لمحاربة الصليبيين وقصدوا القدس واستولوا وهم في طريقهم إلى القدس على طبريا ونابلس، وبوصولهم للقدس لم يجدوا أية مقاومة من الصليبيين داخلها فلم يكن داخلها ملك أو قائد صليبي يدافع عنها، مما اضطر من بالداخل من الصليبيين أن يستعينوا بأمير إنطاكية وطرابلس وبملك قبرص الذين لم يستجيبوا لطلبهم خوفاً من الخوارزمية، وكذلك فإن ملوك دمشق وحمص الموالين للصليبيين لم يجرأوا على مساعدة الصليبيين، فاستسلمت القدس للخوارزمية سنة 642 هـ وطلب من بداخلها الخروج منها بحماية ووساطة الملك الناصر داود، فخرج منهم سبعة آلاف قاصدين يافا، فلم يصل منهم إلا ثلاثمائة بعد أن لحق بهم الخوارزمية وبطشوا بهم[1].

وبعودة القدس إلى حظيرة الإسلام على يد الملك نجم الدين ثارت ثائرة الصليبيين ومعهم البابوية كعادتهم في كل مرة تسترجع فيها وتنادوا إلى حملة جديدة لتوجيهها إلى القدس، ولكن تلك الدعوة لم تجد الأذن الصاغية من ملوك أوروبا باستثناء (لويس التاسع) ملك فرنسا الذي قاد حملة صوب القدس عرفت بالحملة السابعة، وفي طريقه إلى القدس احتل دمياط من أرض مصر ليعبر إلى القدس، وفي هذا الأثناء رجع الصالح نجم الدين من بلاد الشام إلى مصر ليلاقي (لويس التاسع)،

([1]) مرجع سابق ص 532.

لكن الموت عاجله أثناء الطريق، فأسرعت زوجته (شجرة الدر) بأخبار ابنه (المعظم توران شاه) الذي وصل مسرعاً إلى مصر ليحل محل أباه، غير أن (لويس التاسع) عرض عليه المصالحة بالتخلي عن القدس مقابل الانسحاب من دمياط، لكن تورانشاه رفض هذا العرض وهاجم الصليبيين وانتصر عليهم وأسر الملك الفرنسي قائد الحملة، غير أن الخلاف سرعان ما دب بين (تورانشاه) وزوجة أبيه (شجرة الدر) لتقوم الأخيرة بالاستعانة بالمماليك الذين أسرعوا بالقضاء عليه، وأقاموا دولتهم دولة المماليك سنة 648 هـ الذين نصبوا شجرة الدر ملكة عليهم.

أحداث القدس في عهد شجرة الدر والمماليك

على إثر إقامة دولة المماليك الذين قضوا على تورانشاه بطلب من شجرة الدر، وتنصيبها عليهم، فإنها ظلت تواجه الصليبيين في دمياط على الرغم من أسر ملكهم لويس التاسع، فرأت أن مصلحتها مهادنة الصليبيين بإطلاق سراح ملكهم لويس التاسع مقابل فدية يدفعها، لكن وضعها لم يستقر وذلك بسبب مقارعة الملك الناصر الأيوبي لها واحتلاله دمشق، فكان لا بد لها أن تتحالف مع المماليك أكثر لمواجهته، فما لبثت أن تزوجت من الأمير المملوكي عز الدين أيبك الذي تولى مقارعة الملك الناصر يوسف بعد أن تنازلت له عن الحكم سنة 648 هـ.

وتمكن عز الدين أيبك من هزيمة الملك الناصر بداية، لكنه لم يستطع الانتصار عليه، فأخذ كل منهم يتحالف مع الصليبيين ضد الآخر مقابل تنازله عن القدس مع أنها كانت تحت سيطرة المعز أيبك، لكن الصليبيين قبلوا التحالف مع أيبك ضد الملك الناصر وسارعوا إلى الاتفاق لإسقاط الملك الناصر باحتلال دمشق، لكن الملك الناصر اكتشف خطتهم فأفشلها.

لكن الصراعات أخذت تدب بين أمراء المماليك أنفسهم بعد أن قتل عز الدين ايبك على يد زوجته شجرة الدر ليتولى نور الدين علي بن المعز مكان أبيه بعد قتل شجرة الدر، ولكن بسبب تهديد التتار للمماليك ولصغر سن نور الدين علي تم عزله بواسطة سيف الدين قطز لينازل التتار في معركة عين جالوت المشهورة وينتصر عليهم سنة 656هـ ، وفي أثناء رجوعه إلى مصر من المعركة قتل ليتولى مكانه السلطان المملوكي بيبرس، والذي ظلت القدس في عهده تحت سيطرة الممالك الذين حافظوا عليها وأعادوا كثيراً من الاصلاحات لها، وانشأوا الأسواق والأوقاف والمرافق العامة والمدارس التي كان يربو عددها عن الخمسين مدرسة.

القدس في الخلافة العثمانية

يتبع الحديث عن القدس بعد صلاح الدين فترة حكم العثمانيين الذي لا يقل في أهميته عن الحديث عنها في زمن صلاح الدين والمماليك لطول المدة التي حكموها إذ أن حكمهم أمتد من 922-1336هـ 1516-1917م، إلى أن احتلها الإنكليز.

وفي عهدهم أصبحت القدس متصرفية متصلة رأساً في استانبول بعد صدور قانون الولايات في سنة 1287 هـ (1817م)، وأطلق عليها (قدس شريف متصرفلغي إدارة مستقلة)، وبعد أربع سنين صدر قانون أخر بإنشاء مجالس بلدية في مراكز الولايات والمتصرفات، لكن المجلس البلدي في القدس قبل ذلك كان قد تولى منذ سنة 1863 بعض مسؤوليات القاضي وبعض مسؤوليات المجلس الاستشاري في إدارة شؤون المدنية الداخلية كالنظافة والمياه والأسواق تحت رقابة المتصرف العامة، ويرد ذكر بلدية القدس في تقرير عن مشروع مياهها أرسله القنصل البريطاني إلى السفارة في استانبول ويرجع السبب في هذه المتصرفية إلى أن القدس أصبح يؤمها أعداداً هائلة من الزوار، الأمر الذي لا بد معه من تنظيمها بتشكيل مجلس بلدي منتخب لمدة أربع سنوات، بموجب نظام صادر بتشكيل البلديات، وهذا النظام يسمى نظام الولايات. وقد بلغ عدد أعضاء هذا المجلس سنة 1917م ستة أعضاء أربعة من العرب واثنان من اليهود فلم يغير الإنكليز وضع البلدية عما كانت عليه في عهد العثمانيين.

وفي عهد العثمانيين أيضاً حدثت فتن وأوبئة واضطرابات وانتفاضات وانقلابات غيرت معالم القدس، فحدثت الانتفاضة الشعبية سنة 1115 هـ، بقيادة محمد بن مصطفى الحسيني نقيب الإشراف بسبب الضرائب الباهظة التي فرضت على السكان الأمر الذي حال دون تنفيذ ذلك، إذ عزل حاكمها آنذاك جورجي محمد باشا وعين بدله محمد بن مصطفى مؤقتاً[1].

([1]) الطيباوي ، القد الشريف، ص 53 .





وحدثت فتنة كنيسة القيامة سنة 1171 هـ التي ذهب ضحيتها الكثير من الجرحى والقتلى من الروم الأرثوذكس والإفرنج، وانتصر العثمانيون للأرثوذكس وسلموهم جميع الأماكن المسيحية في المدينة.

وظهر وباء خطير فتك بسكان القدس والبلاد المجاورة واستمر لأكثر من ستة أشهر (1).

وحدثت غزوة نابليون سنة 1213 هـ لمصر، ولم يستطع الاقتراب من القدس بعد هزيمته المنكرة في عكا .

وحدث حريق الجزء الغربي لكنسية القيامة سنة 1223هـ واتهام الأرمن بتدبيره.

وحدثت الثورة الشعبية ضد واليَّ دمشق سنة 1240هـ بسبب الضرائب التي فرضها على السكان، ففجر الفلاحون ثورة عارمة في المنطقة المحيطة بالقدس امتدت إلى داخل القدس نفسها، قاد والي دمشق بنفسه خمسة آلاف جندي لمواجهة الثائرين وانتهى الأمر بأن يدفع الفلاحون الثائرون غرامة كبيرة، ولكن ما أن ارتحل الوالي حتى ثار الأهالي فاستولوا على قلعة القدس وأقاموا على حراسة أبواب المدينة حراسة شديدة، ولكن ما لبثت السلطات العثمانية أن أرسلت وآلي دمشق على رأس آلفي جندي إلى القدس لمفاوضة زعماء القدس الذين رفضوا التزحزح عن موقفهم بأن لا يستقبلوا بين ظهرانيهم أي أجنبي أو غريب (عثماني أو الباني)، لكن ضراوة قصف العثمانيين للمدينة بالمدفعية أجبرت الثائرين على الاستسلام فانتهت الثورة دون سفك دماء [2].

وحدث سنة 373 هـ مرض الكوليرا في القدس والذي أدى إلى موت ثلاثة آلاف شخص من القدس وحدها دون سائر فلسطين الذين كان عددهم آنذاك عشرين ألف نسمة [3].

وعن اهتمام العثمانيين بالقدس فقد اهتموا بإعادة تعمير الحرم القدسي الشريف وإصلاحه، واهتموا كذلك بإنشاء المراكز والمنشئات الدينية والاقتصادية

([1]) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، 10/9-10 .

([2]) كامل العسلي ، القدس في التاريخ ،ص 260 .

([3]) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين ، 10/ 7-8 .

وخاصة في عهد السلطان سليمان القانوني الذي كانت تحيط بالأجزاء العلوية من الجدران الخارجية بالقاشاني المزخرف والأجزاء السفلية بالرخام، وكذلك تجديد سور القدس الذي استمر خمس سنوات وأنفقت عليه الأموال الطائلة.

الحرب العالمية الأولى:

النقود والمسكوكات في العهد التركي

يظهر أن النقود التي كانت ، في بداية الحكم التركي ، رائجة بين سكان بيت المقدس هي التي سكّت على عهد المماليك . وإن قيمة هذه المسكوكات قد هبط إلى الحضيض مع زوال حكم المماليك . الأمر الذي حدّا بالسلطان سليمان قانوني إلى سكّ فلوس [1] جديدة سميت باسمه . ويظهر أيضاً أن الناس في بادئ الأمر أقبلوا على التعامل بالفلوس الجديدة وأهملوا القديمة لهبوط قيمتها الأمر الذي أحدث ارتباكاً في الأسواق فراحت جماعة من المسلمين إلى نائب القدس تشكو أمرها قائلة [2] أنها " تضررت من قلة الفلوس الجدد والتعنث على الفلوس العتق لكثرتها . وتقرر أن تكون الفلوس العتق المسكوكة كل أربعة بربع . وذلك برضا جماعة السوقة وأحمد بن أبي بكر محتسب القدس الشريف " .

واليك بيان بعض النقود المسكوكات التي سمعنا بها في ذلك العهد : أن أول عملة ضربت في العهد التركي كانت تسمى : (اقجة) . أنها كلمة مغولية الأصل . ومعناها : القطعة البيضاء . ضربها علاء الدين باشا أخو السلطان أور خان . وقد اتخذت يومئذ راتباً يوماً للواحد من الجنود . كانت في البدء تساوي ثلث درهم من الفضة . وفي القول أنها عبارة عن أربعين بارّة .

(الدرهم) [3] كانت المعاملة ، في أوائل العهد التركي ، بالدرهم وهو من الفضة

---

(1) الفلس : بالفتح قطعة مضروبة من النحاس تتعامل بها وهي من المسكوكات القديمة . جمعها فلوس . والفلس أيضاً ورقة جزية كانت تختم ويعلقها الذمي في عنقه شهادة لأداء جزيته وأما الفلس بالكسر فإنه ضم لبني طي . (البستان) .

(2) السجل 49 الصفحة 37 تاريخ 7 شوال سنة 973 هـ . (1565) هـ .

(3) الدرهم : في اللغة جمع عدد من (الدوانق) . والدانق معرب دانك اليونانية وهو سدس الدرهم ولما كان الدرهم الإسلامي ستة عشرة حبة خرنوب ، فإن الدانق الإسلامي حبة خرنوب وثلثاً حبة .(البستان) .

وكانوا يسمونه (954 هـ - 1547م) . الدرهم التركي . وجمعه دراهم . وكثيراً ما وردت هذه في الصكوك باسم (الدراهم الفضية العثمانية) وهي من القطع السليمانية.

وسترى فيما يلي من السطور [1] أن كل أربعة دراهم من الفضة كانت تساوي قرشاً واحداً .

(الدينار) [2] هو نوع من النقد يعادل السكة السلطانية مصنوعة من الذهب . والدينار عبارة عن أربعين قطعة من الفضة السليمانية .

والدينار الذهب كانوا يسمونه البندقي [3] وقيمته 48 قطعة مصرية . والقرش الصحيح كان في الأصل عبارة عن 32 قطعة مصرية .

ولقد ذكرت (الدنانير الناصرية) . ويظهر أنها سكّت قبل عهد الأتراك .

(بارة) قطعة من النقد التركي ، صغيرة القيمة ، لا بل أنها أصغر من نقد آخر . أصل الكلمة (بارة) وهي فارسية . ومعناها شقفة أو قطعة أو جزء . وجمعها : بارّات والبارّة عبارة عن واحد من أربعين من القرش أو أن القرش عبارة عن أربعين بارة .

والبارّة كانت متداولة في البلاد العثمانية ولا سيما مصر . ولذلك يقال لها أيضاً مصرية ومن هنا جاء قولهم : (معك مصاري) أي دراهم للإنفاق .

(القطعة المصرية تعد قطعتين شاميتين أو قطعتين عثمانيتين أيضاً . والقرش الأسدي عبارة عن ثلاثين قطعة مصرية [4] ويظهر أنه كان هناك قرش غير القرش الأسدي . وهذا القرش كانوا يسمونه بالقرش الصحيح .وقيمته [5] 32 قطعة مصرية.

---

(1) السجل 234 الصفحة 4 السنة 1204 هـ (1789) .

(2) الدينار في اللغة قطعة من الذهب تعامل بها العرب قديماً بالوزن إلى أن أخرجها الحجاج في خلافة عبد الملك بن مروان ، أصله دينار ، وجمعه دنانير . (البستان) . ظن بعض المؤرخين أن (دينار) كلمة فارسية . ولكن المحققين أثبتوا أنها يونانية أو لاتينية عرفها الفرس في زمن السلوقيون خلفاء الاسكندر المقدوني . نقلوها إلى لغتهم .

(3) أنه أول عملة ذهبية ضربها العثمانيون . كان ذلك في زمن السلطان محمد الفاتح السجل 68 الصفحة 55 السنة 1013 هـ . (1604) م .

(4) السجل 129 الصفحة 147 السنة 1053 هـ . (1643) .

(5) السجل 67 الصفحة 55 السنة 1013 هـ (1604) م.

لقد جاء في البستان أنه لما كانت البارة عملة في البلاد العثمانية ولا سيما في مصر ، فقد سميت أيضاً مصرية . إذاً يجوز القول أن المقصود من القطعة المصرية هو البارّة .

(**القطعة الشامية**)[1] نصف القطعة المصرية . أي أن كل قطعة مصرية تعادل قطعتين شاميتين . ولما كان القرش الأسدي يعادل ثلاثين قطعة مصرية وبالتالي ستين قطعة شامية ، وتكون القطعة الشامية عبارة عن جزء من ستين من القرش الأسدي .

ويظهر أن القطعة الشامية والعثمانية واحدة . أن كل عثمانيين تعادلان قطعة مصرية .

(**السلطاني**) من النقود السليمانية . الواحد منه يعادل 40 قطعة مصرية . ولقد قدر القاضي قيمة شيء من الأشياء بثلاثين سلطانياً قال عنها في قراره أنها تعادل 1200 قطعة مصرية . ولما كان القرش الأسدي يعادل ثلاثين قطعة مصرية فيكون السلطاني معادلاً لقرش وثلث القرش من القروش الأسدية .

(**السكة**) أو (**السكة السلطانية**) نوع من العملة ورد ذكرها في المعاملات المدونة في سجلات المحكمة الشرعية خلال القرن العاشر للهجرة (973 هـ - 1565 م) . ويعتقد أنها من النقود التي سكت في زمن السلطان سليمان القانوني .

منها ماسك من الذهب ويسمونه (الذهب السلطاني) أو (الدينار[2]) . ومنها ماسك من الفضة ويسمونها (الفضة السليمانية) أو (القطع السليمانية).

ويظهر أن الدينار أو السكة السلطانية المصنوعة من الذهب كانت تعادل أربعين قطعة من الفضة السليمانية[3] أو مئة بارّة .

وأن السكة كانت عبارة عن خمس بارات . وقد تكون هذه هي المصنوعة من معادن أخرى .

---

(1) السجل 79 الصفحة 35 السنة 1006 هـ . (1597) م.

(2) كانوا يقولون كل ما ذكروا الدينار أنه من الذهب السلطاني الجديد السليماني الرائج في ذلك التاريخ .

(3) كانوا يقولون : " أربعة سلطانية وعشر قطع سليمانية " .

(**القرش الأسدي**) أنه من النقود التي سكها السلاجقة في بر الأناضول ، وانتقلت معهم إلى هذه البلاد عندما اكتسحوها . قيمة أربعون بارة . وقد سمي كذلك لأن صورة الأسد كانت في البدء مطبوعة عليه . وعلى قول أنه كانت عليه صورة الأسد والشمس معاً . واستعمله الفرس على هذا الشكل كشعار خاص لمملكتهم . وظل يسمى القرش الأسدي ، رغم أن صورة الأسد رفعت عنه مع الزمن .

استعمل فيما مضى أساساً للمعاملات التجارية ولصرف النقود ، ثم انحصر استعماله في بيع الأشياء بالمزاد العلني فقط . وظل رائجاً في هذه البلاد حتى أواخر القرن التاسع عشر . وهناك من يقول أن أول من استعمله هم الأتراك العثمانيون ، وأن هؤلاء أخذوه عن العملة الأسدية الهولاندية التي كانت آنئذ رائجة لديهم في الممالك العثمانية . وكانت تضرب بقيمة ثمانية دراهم ونصف . وبعد أن استعمله الأتراك العثمانيون صار يسمى (القرش التركي) ويقال له أيضاً (القرش العثماني) و (القرش السلطاني) .

والقرش الأسدي كان ، خلال القرن السابع عشر للميلاد ، يعدل [1] ثلاثين قطعة مصرية وقد رأيناه في مواضع أخرى ، خلال ذلك العصر، يساوي ثلاثة فرنكات. وفي قول أن القرش السلطاني يساوي 40 قطعة فضية . والقرش الأسدي (وهو نصفه) يساوي 20 قطعة فضية .

ومن هذا يفهم أن كلمة (القرش) سواء كانت من اختراع الأتراك السلوجوقيين أو الأتراك العثمانيين فإنها كلمة تركية أصلها (غرش) . ومن أسمائها باللغة التركية أيضاً : (آقجة) .[2]

وعلى قول أنها لاتينية الأصل [3] أو ألمانية : (جروش) . ومهما كان أصلها فإن العرب أخذوها عن الأتراك فعربوها وقالوا (قرشاً) . والأتراك ضربوا هذا

---

(1) السجل 102 الصفحة 3 السنة 1028 هـ (1618 م) .

(2) يقول المؤرخ التركي ابراهيم حلمي : برغوش = براقجة .

(3) جاء في (البستان) أن الغرش ضرب من المسكوكات معرب . وجمعه غروش . والقرش كالغرش زنة ومعنى وجمعه قروش .

النوع من النقد في بلادهم لأول مرة على عهد السلطان سليمان الثاني 1099-1102 هـ (1687 - 1691) وهو جزء من المئة من الليرة التركية .

كانت زنة القطعة الواحدة ستة دراهم فضية . وقد استعمل القرش منذ قرن ونصف تقريباً كوحدة للمعاملات المالية والنقدية بقيمة أربعين بارة .

ضلت النقود السليمانية المتقدم ذكرها رائجة في أسواق بيت المقدس حتى زمن السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث الذي تولى العرش سنة 1203 للهجرة - 1788 م . فقد " صدرت الإرادة [1] السنية ، على عهده بطلب الأواني وجمعها ممن عندهم وإرسالها إلى الضربخانة [2] على أن يعوض صاحبها عن كل مثقال[3] من الذهب بستة قروش ونصف ، وعن كل أربعة من الفضة بقرش واحد."

ومن النقود التي اشتهرت في ذلك العهد ولا سيما خلال القرن الثامن عشر للميلاد (الزلطة) وهي بولونية الأصل . فالصداق كان 500 زلطة والدار الكائنة باب حطة بيعت بسبع عشرة زلطة . والزلطة عبارة عن ثلاثين بارة فضية . أي أنها ثلاثة أرباع القرش الأسدي ، أو خمس ذهبة فندقية .

ولقد سكت ، بعد ذلك التاريخ ، نقود ومسكوكات كثيرة أخرى . سميت كل واحدة منها باسم السلطان الذي سكت على عهده . ومنها (المحمودية) التي ضربت على عهد السلطان محمود (1808 م) . (والمجيدية) التي ضربت على عهد السلطان عبد المجيد (1839م.) (والعزيزية) التي ضربت على عهد السلطان عبد العزيز (1860 م.) . (والحميدية) التي ضربت على عهد السلطان محمد رشاد الخامس (1908) .

---

(1) السجل 234 الصفحة 4 التاريخ 5 جمادى الأولى سنة 1204 هـ (1789 م .)

(2) (الضربخانة) هي الدار التي أعدتها الحكومة العثمانية لضرب المسكوكات في القسطنطينية .

(3) (المثقال) في اللغة ما يوزن به . ومنه الآية (وإن كان مثقال ذرة حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . والمثقال أيضاً أحد مثاقيل الذهب وهو عبارة عن اثنين وسبعين شعيرة . وفي الاختيار هو عشرون قيراطاً . وكذا في الهداية أو البستان .

أما (العملة المحمودية) فإنها نوعان : (عملة مغشوشة)[1] وهي عبارة عن البشلك (قرشان ونصف) والوزري (خمسة قروش) والعشروية (متاليك) . والنوع الثاني (عملة ذهبية) وهي عبارة عن خيرية ، ومحمودية .

والحقيقة أن العملة المغشوشة فقط هي التي كانت رائجة في أسواق التجارة . وهي التي كانت الأيدي تتداولها في كل مكان . وأما العملة الذهبية فقد كانت تباع وتشتري بقصد الزينة فقط .

والأرقام التالية تبين لنا قيم العملة التي كانت رائجة في أواخر القرن التاسع عشر (1898م) :

	خالصة بارة قرش	مغشوشة بارة قرش	صاغ بارة قرش	شرك بارة قرش
الليرة العثمانية (ذهب)	100	102	107	124
المجيدي العثمانى (فضة)	19	–	20	23
الوزيري العثمانى (نحاس)	–	5	5	6
البشلك العثمانى (نحاس)	–	2.20	2.20	3
الليرة الانجليزية الاسترليني (ذهب)	109	111	118	136
الشلن الانجليزي (فضة)	–	–	5.20	6.20
الليرة الفرنسية (ذهب)	86.27	–	94	108.20
الفرنك الفرنسي (فضة)	–	–	4.20	5.10

ومن هذا نفهم أنه ليست النقود والمسكوكات التركية أو العثمانية فقط ، وإنما النقود والمسكوكات الانكليزية والفرنسية أيضاً (حتى والروسية والإيطالية والنمساوية والبلجيكية) – الفضة منها والذهب – كانت رائجة في بيت المقدس (1898) . وكذلك قل عن الذهب المصري . كان لكل نوع من هذه النقود ،

(1) هذه العملة سكت بعد أن غلب الأتراك على أمرهم في إحدى معاركهم مع روسيا وسميت (مغشوشة) لأنهم أضافوا إلى نحاسها 10 بالمئة فضة .

التركية منهاو الاجنبية ، اربع قيم مختلفة . وكان يطلق على هذه القيم : خالصة ، ومغشوشة ، وصاغ ، وشرك .

أما القيمة (الخالصة) فإنها قيمة الشيء عندما تدفعها نقداً (ذهباً كان او فضة) .

وأما القيمة (المغشوشة) فهي القيمة التي تدفعها بالعملة النحاسية .

وأما القيمة (الصاغ) فهي القيمة التي تحددها الحكومة . وما كان يعمل بها إلا نادراً . وكلمة (صاغ) تركية معناها : سليم وصحيح أو غير فاسد .

وأما القيمة (الشرك) فهي القيمة التي تدفعها بالعملة الدارجة . أصلها (جوروك) وهي تركية . ومعناها فاسد .

إن القيم الثلاثة الأولى لا تتغير ولا تتبدل . وأما القيمة الرابعة فإنها تتغير وتتبدل تبعاً للزمان والمكان. وكان على عهد السلطان محمود (1808) نوع من العملة يسمى : (القبق) وهو خمس نحاسات و (النحاسة) وهي بارة واحدة ، و (المتاليك) وهو عشر نحاسات ، (والقرش) وهو أربعة متاليك و (المجيدي) وهو تسعة عشر قرشاً .

أما المتاليك) فقد كان يصنع من النحاس الأحمر ، ويطلى بنسبة 10٪ من الفضة . وهو أصغر من النحاسة . إنه عبارة عن عشر بارات . وأما (القبق) فإنه عبارة عن نصف متاليك (أي خمس بارات) وكان يصنع من النحاس الأحمر ، ولكنه لا يطلى بالفضة ، وهو أكبر من النحاسة . وأما (النحاسة) فإنها كانت تصنع من النحاس الأحمر ، وهي أصغر من القبق . وللقبق أجزاء هي : النصف ، والربع ، والثمن . ومن أجزائه المعروفة : (السحتوت) . وأما (البشلك) و (الوزري) فإنهما كانا يصنعان من النحاس ويطليان بماء الفضة . وهذا - على ما أعتقد - هو السبب في تسمية هذا النوع من العملة بـ (العملة المغشوشة) .

كان البشلك في البدء عبارة عن خمسة قروش . أي عشرين متليكاً . ثم انخفضت قيمته إلى النصف . أي قرشان ونصف القرش . وبعبارة أخرى : عشرة متاليك . والمتليك عبارة عن عشر بارات .

وهناك نصف البشلك . وهو عبارة عن خمسة متاليك .

إنه (أي البشلك) هو العملة المغشوشة . وقد سميت كذلك لأنها صنعت من النحاس المخلوط بالفضة . ونسبة الفضة فيها 10٪ .

وفي زمن السلطان عبد المجيد ظلت المحمودية المغشوشة سائدة وهي : النحاسة والقبق والمتاليك والبشلك والوزري . غير أنه أضيف إليها (المجيدي) وهو مصنوع من الفضة الرباص الصافي . والمجيدي كان عبارة عن تسعة عشر قرشاً ، ثم صار عشرين قرشاً . ونصف المجيدي تسعة قروش ونصف . وربعه خمسة قروش إلا ربع . والليرة العثمانية الذهب وهي عبارة عن مئة قرش .

وفي زمن السلطان عبد العزيز بقيت العملة المحمودية (أي البشلك والوزري والمتاليك والنحاسة والقبق) ، وكذلك العملة المجيدية (أي المجيدي والنصف مجيدي والربع مجيدي والليرة الذهب) من النقود الرائجة .

وكذلك في زمن السلطان عبد الحميد . فإن العملة المتقدم ذكرها كلها ظلت سائدة . ولم يزد عليها سوى أن (المجيدي) طبع من جديد . وكذلك قل عن (الليرة ذهب) . وقد طبع عليها اسم السلطان عبد الحميد ، والتاريخ الني ضربت فيه .

وفي زمن السلطان رشاد ظلت جميع أنواع العملة المتقدم ذكرها سائدة إلا أنه أضيف إليها عملة من نوع (النكل) وهي عبارة عن :

قرش واحد = 40 بارة .

نصف قرش = 20 بارة .

ربع قرش = 10 بارات .

احتفظ القرش بقيمته الأصلية وقدرته على الشراء مدة من الزمن . ولكنه أخذ يميل إلى التدهور في أواخر العهدالعثماني . فبعد أن كان القرش الواحد في 5 جمادى الأولى سنة 1204هـ - 1789 م يعادل ثلاثة فرنكات أو أربعة دراهم من الفضة ، والستة قروش ونصف القرش تعادل مثقالاً من الذهب ؛ أصبح القرش لا يعادل أكثر من 25 سانتيماً من الفرنك (1837م) . وصارت الليرة العثمانية تساوي 255 قرشاً والفرنسوية 222 قرشاً والانكليزية 297 قرشاً . وأما المجيدي فقد كانت قيمته 47 قرشاً ونصف القرش .

الناحية الاقتصادية في العهد التركي

إذا أردنا أن نلقي نظرة على الناحية الاقتصادية في العـهد الـتركي (1517-1917م) فإن علينا أن نرجع إلى السـجلات القديمـة المحفوظـة في المحكمـة الشـرعية والتي تحدثنا بما فيه من قضايا وعقود وأوامر ، عن أخبار ذلك العهد أصدق الحديث . ومتى رجعنا إلى تلك السجلات وجدنا أن نفقات المعيشـة كـانت رخيصـة في ذلـك العهد . ويتبين مبلغ رخصها إذا ما قيست بنفقات العيـش في الأعـوام الـتي تلتـها . واليك البيان :

كان قاضي المسلمين بالقدس هو الذي يعين أسعار الحاجيات . وإنـا لنقـرأ في أحد السجلات [1] " أن القاضي حسام الدين بحضـور المحتسـبين [2] محمـد بـن داود وعلي بن محمد بن أبي جاموس قرر أن تكون أسعار الحاجيـات التاليـة كمـا يلـي : الزيت الطيب 48 بارة ، السمن العناني 65 الدبس البلـدي 15 الجـبن 24 اللـبن 3 الصابون العادي 40 الصابون المشمع 30 الصابون الأصفر 24 اللحـم الضـاني 15 لحم الماعز 13 اللحـم البقـري 8 . وفي نفـس الأمـر حديـث عـن أسـعار الزيـت ، والسكر النبات ، والسكر الحموي ، والعرق سوس ، والفولاذ ، والحديد ، والشمع ، والسيرج ، والطحين ، والخل ، والمشمش ، والنشأ ، واللوز ، والقطـين ، والـبرقوق ، والفقوس ، والخيار ، والباذنجان ـ والليمون ، والخبز والكماج ، حتى وملح الطعام .

ونقرأ أيضاً في السجل نفسه [3] وفي السنة التي تلتـها " أن مولانـا الأفنـدي نور الله ، بعـد استشـارة المحتسـب موسـى بـن داود ، قـرر أن يكـون سـعر الكنافـة المخروطـة 4 بـارات والقطـايف 4 والكنافـة الصينيـة 5 والسـميد 6 والدقـاق 6 والطحين 5 وجرة الطحينية من المعصرة 34 بارة ومـن السـوق 39 وقنطـار العنـب بوزن القدس الشريفماية قطعة فضة سليمانية. [4]

(1) السجل 44 الصفحة 350 السنة 970 هـ (1562م) .

(2) اثنان من رجال (الحسبة) وهي التي نسميها في يومنا هذا (البلدية) .

(3) السجل 44 الصفحة 553 السنة 971هـ (1563م) .

(4) أنظر إلى ما كتبناه عن النقود والمسكوكات التركية في موضع آخر من هذا الفصل .

وعندما توفي المدعو جريس بن موسى الراهب الشامي البيطار من سكان القدس في 16 صفر سنة 971هـ - 1563 م حصرت تركته بمعرفة القاضي ؛ وإذا هي [1] :

قيمة الشيء فضة سليمانية	نوعه
5 بارة	فوطة [2] زرقاء
80 بارة	جوخة صيني
7 "	كفن
50 "	كبر أحمر عتيق
80 "	كبر رازي جديد
10 "	عراقيتان جوخ
5 "	منشفة
4 "	منديل مطرز
15 "	صندوق خشب
20 "	ملف أزرق قطن
80 "	ملف أزرق حرير
20 "	طاسة نحاس
15 "	دست نحاس
15 "	مقلى نحاس
4 "	سكاكين صغار
80 "	سلسلة من الفضة
80 "	خواتم فضة عدد6
5 "	عصا رمح خشب

---

(1) السجل 44 الصفحة 511 .

(2) استعملت هنا التعابير نفسها كما وجدت في سجلات المحكمة .

وقد قدرت دار الميت الكائنة في حارة النصارى بـ 20 سكة . ويظهر أن (السكة) كانت عبارة عن 100 بارة . وفي 6 شوال 973 هـ (1565 م) عين ثمن المد من الشعير بـ 6 بارات .

وإنا إذا ما انتقلنا إلى الجيل الذي تلا ذلك الجيل وجدنا أن قنطار العنب الجندلي [1] حددت قيمته بثلاثة غروش (15 رجب 1020 هـ - 1211 م) . ومد الدره [2] بغرش واحد (12 شعبان 1042 هـ - 1632 م) . ومد الحنطة [3] بست قطع مصرية (شوال 1066 هـ - 1655 م) . وقنطار الزيت بأربعين غرشاً (ذي الحجة 1066 هـ - 1655 م) .

وأما أثمان الغنم فقد كانت كما يأتي :

ثمن الرأس الواحد من الماعز أو الضأن كان قرشاً أسدياً ونصف القرش . فقد ابتاع [4] رجل من رجل آخر 190 رأساً من الماعز والضأن بـ 125 قرشاً أسدياً . وابتاع آخر 1330 رأساً منها بألفي قرش أسدي .

وبيعت فرس حمراء عالية كبيشة بثمن جملته من (الذهب السلطاني) ثمانون سلطانياً ذهباً وقطعتان من الفضة السليمانية .

وأما أثمان الأراضي والعقارات في ذلك العهد . فقد حدثتنا عنها سجلات المتقدم ذكرها ، فقالت : " إن الخواجا شرف الدين بن المرحوم الخواجا محمد شرف الدين قد اشترى [5] من فخر المحصنات صفية خاتون حصتها . وهي السدس (أي ستة قراريط من أربعة وعشرين قيراطاً) في جميع غراس الزيتون والتين والسفرجل الإسلامي وعدة أصوله تسعة عشر أصلاً الكائن في أرض السمار بظاهر القدس بثمن قدره خمسون غرشاً من الغروش الفضية الرائجة في يومنا هذا " .

---

(1) السجل 92 الصفحة 100

(2) السجل 130 الصفحة 297 .

(3) السجل 128 الصفحة 358 .

(4) السجل 129 الصفحة 147 السنة 1053 هـ (1643) .

(5) السجل 102 الصفحة 24 التاريخ ربيع الثاني 1028 هـ . (1618 م) .

ولقد بيعت [1] نصف الدار الكائنة بالنبي داود والمؤلفة من طبقتين مع منافعها بثمن جملته تسع وعشرون سلطانياً .

وبيعت دار كائنة [2] بحارة بني زيد بالقرب من رأس القصيلة وهي مشتملة على بيتين سفليين وإيوان ومطبخ ومرتفق وساحة سماوية بثمن جملته خمسة عشر سلطانياً ذهباً ؛ قبض البائع منها خمسة سلطانية ، والباقي مؤجلة إلى سلخ سنة من تاريخه " .

وبيع [3] نصف الدار الكائنة في حارة الواد المشتملة على بيتين سفليين وإيوان ودهليز وصهريج وبيت منهدم وشجرتي رمان ولوز بجميع حقوق ذلك وطرقه وجدره ومرافقه ومنافعه بثمن قدره عشرون غرشاً مقبوضة بيد البائع . وحكم القاضي بصحة البيع .

وبيع [4] ربع الدار الكائنة بمحلة النصارى المشتملة على أربعة بيوت سفلية وساحة سماوية وصهريج بثمن قدره عشرون غرشاً أسدياً .

وبيعت في نفس التاريخ دار بباب العمود مؤلفة من طبقتين بثمن قدره ثلاثون غرشاً فضياً أسدياً .

وبيعت دار بباب حطة وهي تشتمل على غرفتين وإيوان وصهريج ونافع مختلفة بخمسة وسبعين غرشاً . وكان ذلك جمادى الأولى سنة 1140 هـ (1727م) .

" واشترى [5] غطاس وحنه ولدا بشارة بن عظيم الرأي الرومي الحاضر معهما بالمجلس الشرعي جميع الحصة الشائعة وقدرها نصف قيراط من أصل كامل في جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة النصارى المشتملة على علو

---

(1) السجل 49 الصفحة 20 السنة 5973 (1565) .

(2) السجل 49 الصفحة 41 السنة 973 هـ (1565) م .

(3) السجل 102 الصفحة 4 التاريخ 20 جمادى الأولى 1028 هـ (1617 م) .

(4) السجل 102 الصفحة 64 التاريخ 20 جمادى الثانية 1028 هـ .

(5) السجل 255 الصفحة 135 التاريخ غرة جمادى الثانية 1188هـ (1774 م) .

وعلو علو[1] وسفل . فالعلو (.) منها يشتمل على ثلاثة بيوت وصهريجين معدين لجميع ماء الشتاء وعلى معصرة عنب وشجرة رمان ومنافع ومرافق بثمن قدره ثلاثة وعشرون زلطة " .

" واشترى الحاج محمد الحوراني من السيد عمر ابن صفي الحلبي جميع البيت الكبير الواقع بالدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة باب حطة بثمن قدره سبعة عشر زلطة مقبوضة " .

ولم تكن أجور العقارات مرتفعة في تلك الأيام . فقد استأجر [2] رجل الحانوت الكائن بسوق الصاغة الواقع بأسفل سوق التجار والتابع لوقف المسجد الأقصى بـ 36 باره لمدة سنة كاملة .

" واستأجر [3] كل من مصفى بن خضر وعلي ابن الحاج خالد الحلبي من ناظر الوقف حمزة جلبي حمام الشفا وهو وقف الصخرة بمبلغ قدره عشرون قطعة فضية سليمانية " .

" وأجر [4] مولانا سيد السادات منبع العلم والسعادات قدوة المدققين شيخ الإسلام والمسلمين السيد عبد القادر الوفائي ، لليهودية المدعوة عزيزة بنت اسحق ، جميع الدار العلوية والقاعة السفلية القائمة البناء بمحلة الشرف بالقدس الشريف سكناً وإسكاناً لمدة خمس سنوات بأجرة قدرها ستون غرشاً أجرة كل سنة اثني عشر غرشاً" .

وكان مهر المرأة أيضاً رخيصاً بهذه النسبة . وكانوا يسمونه صداقاً . وإنا لنقرأ في السجلات المتقدم ذكرها [5] " إن الصداق الشرعي سنة 973 للهجرة (1565م) ما زاد عن (ثلاث سكات) [6] . منها سكة ونصف مقبوضة معجلاً ، وسكة

---

(1) لاحظ أنني ما زلت أنقل الكلام كما وجدته في السجلات .

(2) السجل 44 الصفحة 506 السنة 971 هـ (1563) .

(3) السجل 49 الصفحة 16 السنة 973 هـ (1565 م) .

(4) السجل 102 الصفحة 73 السنة 1028 هـ (1618 م) .

(5) السجل 49 الصفحة 41 .

(6) جمع سكة . وقد بحثنا عنها مع النقود والمسكوكات في العهد التركي .

ونصف مؤجلة لأقرب الأجلين " .

وفي السجل نفسه أن رجلاً باع نصف قنطار من الطحين بثلاث سكك . إذاً صداق المرأة كان في ذلك اليوم يعادل نصف قنطار من الطحين .

ولقد " تزوج [1] حسن بن ميرو الملكاني مخطوبته خديجة بنت يوسف وأصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه وسنة نبيه صداقاً جملته تسعة غروش : الحالي من ذلك خمسة غروش . والباقي وقدره أربعة غروش مؤجلة لها عليه إلى الفراق بموت أو طلاق" .

وتزوج رجل بامرأة في نفس السنة " بعد أن حمّلته [2] خمسة وعشرين غرشاً : الحالي من ذلك خمسة عشر غرشاً مقبوضة بيد أخيها . والباقي عشرة غروش مؤجلة إلى الفراق بموت أو طلاق " .

وهناك أمثلة كثيرة أخرى [3] تدل على أن المهر كان يتراوح في ذلك العهد بين الثلاثة غروش والستين غرشاً كما ترى في الأرقام التالية :

3 غروش : منها غرشان مقبوضان وغرش مؤجل 8 غروش : منها خمسة مقبوضة وثلاثة مؤجلة 10 غروش : منها خمسة مقبوضة وخمسة مؤجلة 20 غرشاً : منها عشرة مقبوضة وعشرة مؤجلة 30 غرشاً : منها 15 غرشاً مقبوضاً و15 غلاشاً مؤجلاً 35 غرشاً : منها 20 غرشاً مقبوضاً و15 غرشاً مؤجلاً 60 غرشاً : منها 40 غرشاً مقبوضة و 20 غرشاً مؤجلاً .

وبقيت المهور في ذلك المستوى طيلة قرن أو يزيد . إلى أن أخذ بالصعود . وإنا لنقرأ في سجلات القرن الثاني عشر للهجرة " إن [4] فخر الفضلاء ولاسادات الكرام السيد موسى أفندي أمام المسجد الأقصى تزوّج فخر المخدرات الست خديجة خاتون ابنة الشيخ عبدالله أفندي صداقاً جملته خمسماية زلطة : ثلاثماية منها مقبوضة ، والباقي مؤجلة إلى أقرب الأجلين " .

---

(1) السجل 102 الصفحة 10 السنة 1028 هـ (1618 م) .

(2) السجل 102 الصفحة 11 السنة 1018 هـ (1618م) .

(3) السجل 102 الصفحة 72 السنة 1028 هـ (1028هـ (1618 م) .

(4) السجل 255 الصفحة 130 السنة 1188 هـ (1774) .

وأما كسوة الزوجة فقد كانت [1] ثلاثة غروش في السنة .

وقد " ادّعى [2] منصور بن حنفي الرومي علي بكر مصطفى أنه كان باعه جارية بيضاء بتسعين غرشاً ، وأنه تأخر له من ثمنها في ذمته خمسة وثلاثين غرشاً ونصف غرش " . فحكم القاضي له بذلك .

وقد " حكم القاضي [3] لفاطمة بنت اسكندر بنفقة يومية قدرها قطعة واحدة مصرية [4] يدفعها لها زوجها موسى بن الحاج علي البرادعي تلقاء طعامها وشرابها ودخولها الحمام وغسلها أثوابها من القرش الأسدي .

ومن الغرائب أن نرى للمرأة صلة بالديون التي تتكون بين التجار وبالطرق المتبعة في تسديد تلك الديون . فمن ذلك ما قرأناه عن " رجل تعهد أن يدفع لمدينة المبلغ الذي في ذمته ثمن قماش في مدة معينة . حتى إذا ما حان ميعاد الدفع ولم يف المدين بتعهده كانت امرأته طالقة ! ... " .

وقد " اشترى [5] ابراهيم بن أحمد خرج الليل من موسى بن ناصر الدين بن شقرق فرسه . فدفع له قسماً من ثمنها . وأبقى الباقي مشترطاً على نفسه أنه إذا غادر مدينة القدس الشريف قبل أن يوفي صاحب الفرس ثمن فرسه التي ابتاعها منه ، تكون زوجته التي في عصمته طالقة طلاقاً ثلاثاً " . وكان هذا التعهد بحضور القاضي خير الدين ! .

ومن الأمثلة على مبلغ الرواتب والأجور في ذلك العهد : " أن القاضي[6] عين زين ابن امام قلعة البرك في وظيفة خدمة المرضى والمجانين بالمارستان الصلاحي عوضاً عن حجازي بن العجمية .

---

(1) السجل 102 الصفحة 482 السنة 1029 هـ (1619 م) .

(2) السجل 102 الصفحة 482 السنة 1029 هـ (1619 م) .

(3) السجل 102 الصفحة 5 السنة 1028 هـ (1618م) .

(4) وفي قضية أخرى مشابهة لهذه القضية حكم القاضي بنفقة يومية قرها قطعة فضية سليمانية .

(5) السجل 49 الصفحة 24 السنة 973 هـ (165 م) .

(6) السجل 21 الصفحة 263 التاريخ جمادى الأولى سنة 1139 هـ (1726 م) .

وقد أمره بتقوى الله في عمله وبالاستنابة عند الحاجة . وحضر المتولي على الوقف عبدالله العلمي وبقية المتولين ، وأحالوا إلى زين نظير خدمته أجرة الحاصلين الكائنين بالدباغة المعروفين بالسجن الذي كان يتناول أجرتها في كل سنة وقدرها ستة غروش عددية . وقبل بذلك " .

وأجرة المدرس في المدرسة الصلاحية كانت خمسة دنانير ناصرية عن كل شهر.

وحسن آغا المجري الذي كان يلقب (تفكجي باشي) أي قائد سرية المشاة بالقدس عام 140 كان يتقاضى راتباً شهرياً قدره 300 غرشاً . وكان في معيته ثلاثة أنفار من التفكجية : راتب كل واحد منهم غرشان ، يتناولهما من خزينة السلطان .

ويبدو أنه ، رغم رخص الأسعار وانخفاض نفقات المعيشة التي وصفناها في الأسطر المتقدمة ، كان يعيش في القدس ، في ذلك العهد ، عدد غير قليل من الفقراء الذين لا يستطيعون كسب عيشهم بعرق جبينهم : أما بحكم أعمالهم الدينية أو لقلة المكاسب والأشغال . ذلك لأن القدس ، كما قدمنا ، كانت وما برحت بلد زراعية ، ولا صناعية . وما كانت التجارة لتزدهر فيها إلا بمقدار ما لها من صلة بالحج وبالشعائر الدينية المعروفة عند الطوائف المختلفة .

ولهذا كثيراً ما سمعناه وقرأنا عن الهبات والتبرعات المالية ، ترسل إلى القدس من القسطنطينية عاصمة البلاد العثمانية . ومن ذلك ما قرأناه في الصفحة 61 من صفحات السجل 213 من سجلات المحكمة الشرعية يوم أرسل السلطان أحمد خان اثنين من كبار رجال الدولة هما : أمير لواء غزة هاشم محمد باشا وأمين الصرة حسين آغا (سلحدار شهرياري) . فجاءا يحملان (الصرة) عن سنة 1130 هجرية- 1717 م . وفيها ألفان وأربعمئة وثمانون ذهباً شريفياً (؟) عنها بحساب الذهب الطرلي (؟) ومماية وثمانون قطعة مصرية . وقام الاثنان بتوزيع هذا المبلغ على المستحقين ؛ فقبض كل واحد منهم ما هو معين له (بمقتضى الدفتر السلطاني) . ولقد تم ذلك بحضور العلماء الأعلام ومشايخ الحرم الكرام والخطباء والأئمة والمصدرين وخدم المسجد الأقصى الشريف ... فتزايد الدعاء من العلماء والسادات والمشايخ والصلحاء والضعفاء والفقراء وجميع سكان هذه الديار القدسية... لسلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والملحدين السلطان أحمد خان ...) .

ويظهر أن هذا العمل تكرر طيلة الحكم العثماني في هذه البلاد . وكانت (الصرّة) توزع على المستحقين بمعرفة الحاكم الشرعي للمدينة .

وكانت هذه في سنة 1170 هـ - 1756م . خمسة آلاف وخمسمئة وثمانين غرشاً أسدياً .

وكانت الطوائف المسيحية تتلقى مثل هذه الهبات من المغرب : الأرذوكسيون من شرقي أوروبا ، واللاتين من الممالك الكاثوليكية .

الصناعة في العهد التركي :

لا نعرف إلا النزر اليسير عن تجارة القدس وصناعتها في أوائل العهد التركي. وإنما نعرف الشيء الكثير عنهما في أواخر العهد المذكور . كانت القدس تصنع الصابون وتصدره إلى مصر .

وكانت تصنع كميات كبيرة من الأدوات المدرسية والبضائع الدينية ، والعلب المصنوعة من خشب الزيتون والصدف ، وعلب الزعوط ، والشموع المختلفة . وتبيعها إلى الحجاج الذين كانوا يفدون إليها من كل حدب وصوب بقصد زيارة الأماكن المقدسة .

وكانت تصدر القمح إلى انكلتره وبعض البلاد الأوربية . وكذلك كان مثله السمسم وزيت الزيتون .

كان في القدس وفيما حولها من بقاع مساحات واسعة من أشجار الزيتون . وكان الزيت فيها مبذولاً بدرجة أن المقادسة في سنة من السنين كبوا الزيت القديم ليجدوا أوعية كافية للزيت الجديد . وصناعة الصابون كانت من الصناعات التي تباهي بها . كان فيها عدد كبير من المصابن . وكان من تلك المصابن عدد كبير من العمال يعيشون منها . غير أن هذه الصناعة أخذت تتضعضع بعد سنة 1876 م يوم اكتسحت البلاد أسراب كثيرة من الجراد ، وأتت على قسم كبير من أشجار الزيتون[1] فلم يبق في القدس ، بعد تلك السنة سوى سبعة مصابن خمسة منها

---

(1) warren , P . 500

للمسلمين و مصبنتان للمسيحيين . كانت كل مصبنة تنتج عشرين طبخة في السنة.[1] وكل طبخة ألفا رطل .

أي أن القدس كانت تنتج في كل عام 280.000 رطل من الصابون .

التجارة في العهد التركي :

وكانت هذه الكمية كلها ، لا القليل منها ، تصدر إلى الخارج . وأكثرها إلى مصر وآسيا الصغرى . وما كانت صناعة الصابون لتدفع أي نوع من أنواع الضرائب ، إلا عند التصدير .

وكانت القدس تستورد أكثر بضائعها من أوروبا عن طريق مارسيليا وتريست . أما عن طريق مارسيليا فكانت تأتيها البضائع الصوفية ، والحريرية والخمور بما تقدر قيمته بـ 15.000 ليره تركية في السنة (1876م) . وأما عن تريستا فالقزاز ، والخشب والأثاث وما إلى ذلك بما قيمته 25.000 ليره .

ومن انكلتره : البضائع القطنية والصوفية بما قيمته 20.000 ليره . وكذلك مثله من البلاد الأخرى . وكانوا يقدرون قيمة البضائع التي تستوردها القدس من الخارج بما يقرب من 100.000 ليره تركية في السنة .

والغريب أن هذه المعاملات كلها ، سواء فيها الوارد أم الصادر ، كانت تجري بطريق الإتفاق الشفوي : الشرف سداها والأمانة لحمتها . فلا عقود ، ولا كمبيالات، ولا سمسرة ، ولا تسجيل .

كان في القدس عدة أسواق . منها سوق القطانين وهو من منشآت المماليك. وسوق الطباخين وهو المعروف بسوق خان الزيت في يومنا هذا .

وهو وقف أحمد باشا بالشام . وثلاثة أسواق متوازية هي عبارة عن مسالك طويلة وعقود مستورة .

وهي عبارة عن أنفاق بنيت على الطراز القديم . أكثرها قديم العهد متداعي الأركان . وعلى جوانبها غرف صغيرة لا نوافذ فيها . وهذه الغرف هي الدكاكين وكانت هناك ثلاثة أسواق : الغربي منها كان يقسم إلى قسمين : القبلي منهما يدعى

---

(1) سنة المصبنة ثمانية شهور فقط .

(سوق اللحامين) وفيه تباع اللحوم . والشمالي (سوق الجلود والنحاسين) وفيه تنظف الجلود وتبيض الأواني النحاسية . والأوسط يسمونه (سوق العطارين) وتباع فيه جميع أنواع العطارة والنجارة وأواني الخيل والخردة والخيطان والحبال وما إلى ذلك . والثالث(سوق التجار) ويسمى أيضاً (سوق الخواجات) . وفيه تباع الأقمشة كما أن فيه أيضاً دكاكين الصاغة .

وكان أمام جميع الدكاكين ، أو أمام الشطر الأكبر منها ، مساطر الجلوس أصحابها من جهة ، وجلوس الزائرين الذين يفدون بقصد الشراء من جهة أخرى. وأنك لترى أثر هذه المصاطب في يومنا هذا في سوق التجار الكائن إلى الشرق من سوق العطارين . وقد ظلت الأسواق على تلك الحال حتى سنة 1863 م إذ منعت السلطات المحلية إنشاء مصاطب جديدة ، وأمرت بهدم المصاطب القديمة . ورصفت الطرق التي تمر من هذه الأسواق بالبلاط .

وفي سنة 1885 م رفع البلاط القديم من شوارع القدس وأزقتها ، ووضع بدلاً منه البلاط الذي تراه في يومنا هذا . وقد رفع وسط الشارع ارتفاعاً قليلاً وأنشأت على جوانبها أقنية تجري مياه الأمطار فيها . وأن الحكومة استخدمت يومئذ عدداً كبيراً من المساجين من أجل رصف الشوارع وتنظيفها. ويظهر أن هذه الأسواق القديمة التي سمعنا بوجودها أيضاً في الفتح الصليبي وعلى عهد صلاح الدين ، لم تكن وافية بالغرض . فقد قرانا في السجلات التركية [1] "ان وفداً مختلطاً من تجار المدينة مؤلفاً من الشيخ عماد الدين بن مسلم والخواجات [2] علاء الدين بن شرف الدين الرومي وشهاب الدين أحمد بن العلامة الشيخ زين العابدين ، وميخائيل بن الصبان ، وعبد المسيح بن جبارة ، ويوسف بن عبد الكريم اليهودي ، وأخوه ابراهيم ، وموسى بن كتيلة ، وسلمون بن شداد ، وأخوه إيليا ، ويهودا الأرمني ، وحليف بن شحاده ، وشوعه بن منصور ورحمين بن يوسف ، وسلمون بن صوفان وسعيد بن نجار المغربي ، وعيسى بن حسان ؛ جاء إلى المحكمة الشرعية . وبحضور مولانا القاضي جار الله أفندي ، تم الاتفاق بينهم وبين علي بن الشيخ شمس

---

(1) السجل 44الصفحة 382 السنة 970هـ - 1561م

(2) جمع (خواجا)و هي لقب الرجل الذي كان يتعاطى التجارة في ذلك العهد0

الدين المصري الوكيل الشرعي عن ناظر الحرمين الشريفين مولانا حمزة الجلبي ، على أن يعمر لهم في سوق الخضر أربعين دكاناً وأن يدفعوا له في نظير تلك العمارة أربعين سلطانياً [1] ذهبياً ، وذلك نظير أجرة سنة من السنين الآتية في أجرة الأربعين دكان بالسوق المزبور الجاري في وقف المسجد الأقصى الشريف . وبعد تمام ذلك دفعوا للشيخ علي المذكو عشرة سلطانية ذهب لأجل إزالة القمامات التي بالسوق ومن أجل عمارته . وأنها إذا نفذت يعطوه بقية الأربعين لأجل بقية العمارة. واشترط على أنفسهم أن السوق المزبور ، إذا تم ولم يستأجروا فيه الدكاكين المعينة ، يكون المبلغ الذي دفعوه للمسجد الشريف على سبيل التبرع لا حق لهم فيه) .

وكانت الساحة الواقعة أمام كنيسة القيامة تستعمل كسوق لبيع الشمع والصدف والكتب الدينية للحجاج من النصارى الذين يفدون إلى القدس بقصد زيارة الأماكن المقدسة . كما كان يجتمع في تلك الساحة عدد كبير من التجار والصيرافة .

كان في القدس يومئذ (1876 م) ألف وثلاثمئة وعشرون دكاناً . ويشتغل فيها 1920 رجلاً يجوز إدخالهم في مصاف أرباب الحرف والصنائع والمهن . وإليك تصنيفهم [2] حسب حرفهم وأجناسهم وأديانهم :

المهنة	يهود	مسلمون	روم	لاتين	بروتوستانت	أرمن	يكون
1 فرانة	10	52	15	–	–	–	77
2 أصحاب بنوك	4	–	–	–	2	–	6
3 حلاقون	9	12	5	22	–	8	56
4 حماجية	–	37	–	–	–	–	37
5 مجلدو كتب	6	1	–	–	–	–	7
6 بائعو كتب	–	1	–	–	–	1	2
7 بائعو الخبز	–	2	10	12	–	–	24
8 قصابون	7	29	–	–	–	–	36
9 نجارون	11	2	12	20	1	–	46
10 بائعو فحم	9	1	1	–	–	–	11

(1) أنظر إلى الفصل الذي خصص لبحث النقود في العهد التركي .

(2) Warren , P . 490

11 بائعو الدجاج	6	2	1	–	1	–	10
12 طلحنو قهوة	5	24	1	–	–	–	30
13 صانعو النعوش	–	66	8	9	–	3	86
14 طهاة	–	1	4	–	–	–	5
15 تجار حبوب	–	12	–	–	–	–	12
16 تجار قطن	–	2	1	–	–	–	3
17 صيادلة	5	–	–	3	–	–	8
18 صباغون	1	27	–	–	–	–	28
19 طحانون	3	18	–	–	–	–	21
20 دكالجية	69	53	8	5	7	1	143
21 بائعوا قزاز	2	16	1	–	–	–	19
22 خضرجية	17	67	3	–	1	–	88
23 سمانة (بقالة)	51	86	28	13	7	4	189
24 خانجية	–	5	–	–	–	–	5
25 بائعو الكلس	–	–	1	–	–	–	1
26 كبابجة	–	9	–	–	–	–	9
27 طراقون	17	–	–	3	–	2	22
28 تجار أواعى عتق	5	2	–	–	–	–	7
29 باعة متجولون	2	5	3	–	–	–	10
30 مصورون	–	–	3	–	1	–	4
31 صانعو الغلايين	–	3	–	–	–	–	3
32 بائعو فخار	–	11	–	–	–	–	11
33	–	8	–	–	–	–	8
34 كندرجية	83	51	41	22	6	27	230
35 تجار حرير	19	–	–	–	–	1	20
36 معاصر للسيرج	–	29	3	–	–	–	32
37 تجار جلود	–	2	–	–	–	–	2
38 حدادون	7	–	3	18	–	–	28
39 صاغة	15	–	29	9	–	4	57
40 تنكجية	34	–	2	–	–	–	36
41 تجار زعوط	3	3	1	–	–	–	7
42 أصحاب مصابن	–	50	24	–	2	–	76

43 تجار صابون	–	1	7	–	–	–	8
44 أصحاب اسطبلات	–	13	6	–	–	1	20
45 بائعو سكر	9	–	1	–	–	–	10
46 صانعوا حلويات	–	29	3	–	–	–	32
47 خياطون	34	–	10	10	2	6	62
48 بائعو الدخان والتبغ	5	14	16	–	1	1	37
49 ساعاتية	19	–	–	–	2	2	23
50 تجار خمور	11	–	43	2	–	2	58
51 تجار خشب	3	–	3	–	–	–	6
52 تجار صوف	–	8	–	–	–	–	8
53 كتاب عرض حالات	–	7	–	–	–	–	7
54 أرباب مهن متنوعة	20	47	57	8	7	6	145
55 صانعوا أسلحة	–	–	3	–	–	–	3
	501	807	357	146	40	69	1920

ملاحظة : تشير كلمة الروم إلى العرب الأرثوذكس واليونان والروس .

تشير كلمة اللاتين إلى العرب والطيلان والافرنسيس .

تشير كلمة البروتستانت إلى اليهود المتنصرين والعرب المنتمين إلى الطائفة الإنجيلية العربية .

مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة

كانت هناك مصلحة للبرق والبريد . وكانوا يسمونها : (بوستة وتلغراف) . وكان يديرها موظف واحد يسمونه : (تلغراف وبوستة مديري) . وكذلك كان في 1876 و 1898 و 1908 . ثم فصلت إلى دائرتين . وجعل لكل منهما مدير : مدير التلغراف (البرق) ، ومدير البوستة (البريد) . وكما ظهرا على هذا الشكل في عام 1911 . وظلتا كذلك حتى الحرب الكبرى (1914) . وما كان عدد الموظفين في كل واحدة منهما ليزيد على عدد أصابع اليد [1]. ولم يكن ثمة خطوط للمخابرات التلفونية .

---

(1) قل وارن في الصفحة 492 من كتابه أنه كان في القدس عام 1876 مأمور واحد للبريد ، وثلاثة مأمورين للبرق.

وإلى جانب مصلحة البرق والبريد التركية التي كانت تعمل في عمارة صغيرة بسويقة علون [1] كانت تقوم، خلال القرن التاسع عشر، مصلحة للبرق والبريد النمساوية [2]. إن هذه المصلحة التي كانت تعمل في حارة الأرمن، كانت تسير وفقاً لأنظمة البرق والبريد يسير بين القدس ويافا في عربة تجرها الخيل، وكانت هذه تغادر القدس في المساء وتعود من يافا في الصباح. ولما أنشئ الخط الحديدي بين المدينتين (1892) استعمل القطار لنقل البريد التركي فقط. وأما البريد الأجنبي فقد ظل يستخدم العربات التي تجرها الخيل.

ومن الوظائف التي كانت موجودة في القدس، في أوائل العهد التركي: (كتخذا [3]) و (كهيا [4]) والمفتي [5]، وكاتب بيت المال [6]، وناظر الأوقاف العامة[7]، ومأمور مياه الأوقاف [8]، ومأمور الأيتام[9]، ومتولي أوقاف الحرمين، والمعمار المسؤول عن تعمير السور [10]، ورئيس المعمارين [11] وكانوا

---

(1) سوق الخضار القريب من القلعة.

(2) السير السليم في تاريخ أورشليم. ص 214.

(3) نائب المتصرف أو وكيله.

(4) كاتم أسرار المتصرف.

(5) وكان يطلق عليه (شيخ الافتاء والتدريس بمحروسة القدس الشريف) السجل 43 ص 11 السنة 675 هـ - 1567 م.

(6) السجل 44 الصفحة 551 السنة 971 هـ - 1910 م.

(7) جاء ذكر (ناظر أزقاف القدس الشريف) في السجل 237 السنة 1166 هـ - 1752 م. وبعد ذلك بقرن راحوا يبعثون عن (ناظر النظار) وهو المسؤول عن أوقاف القدس وغزة والرملة ونابلس والجدل وجنين (1174هـ).

(8) السجل 7 الصفحة 13 السنة 1328 - 1910 م.

(9) كان هناك صندوق للأيتام، وكانت حساباته تدقق من لدن قاضي الشرع.

(10) السجل 12 الصفحة 16 السنة 947 هـ - 1540.

(11) السجل 102 الصفحة 408 السنة 1279هـ - 1862 م. والسجل 346 الصفحة 206 السنة 1289هـ - 1862 م.

يسمونه(معمار باشي) ، والمحتسب [1] ، وشيخ السوق ، مقدم العتالين . [2]

ومن الوظائف التي كانت فيها ، في أواخر الحكم التركي ، المحاسب ومدير التحريرات والمفتي ومدير المعارف ومدير الأوقاف ومدير النفوس ومدير الأمور الأجنبية ومدير التحرير والويركو ومدير الديون العمومية ومدير الأراضي السنية ومدير الأوراق ومأمور البنك الزراعي ومأمور الزراعة الفني ومأمور الدفتر خاقاني والمفتش البيطري وسر مهندس النافعة ومفوض سكة يافا - القدس الحديدية ومأمور المعية .

ولقد أتى على الأتراك حين من الزمن كانوا فيه يعتبرون (رئيس البلدية) موظفاً ، ويدخلونه في عداد مأموري الحكومة ، ويذكرونه في السجل الذي كانوا يصدرونه في كل سنة والذي يشتمل على أسماء موظفي الدولة كلهم : من السلطان إلى الوزراء إلى الولاة إلى المتصرفين إلى أصغر الكتاب في مختلف المصالح والدواوين . وبذلك فإن موظفي القدس ما كانوا ليزيدوا على المئة ، وأن كلهم عرب مسلمون ؛ خلا بضعة أتراك لا يجاوزون عدد أصابع اليد .

الأمن

كان الأمن ، في بداية الأمر ، موكلاً لقائد كبير لقبه : (بايراقدار) . ويقال له أيضاً (أمير اللواء) مثل كيوان بك أمير لواء القدس في 975 هـ 1567 م وسليمان بك 976هـ - 1568م (أمير اللواء) . وكان الجند الذين يأتمرون بأمره فريقان : فريق الخيالة ويلقبون : (باشي بوزوق) وضابطهم برتبة آغا . وفريق المشاة ويدعون: (تفكجي) [3] . وقائدهم (تفكجي باشي [4]) . هؤلاء مسؤولون عن حفظ الأمن والحيلولة دون أي اعتداء يقع على المدينة من الخارج . وأما الأمن في داخل المدينة فالمسؤول عنه (صوباشي مدينة القدس [5]) 1565 م .

---

(1) رئيس البلدية أنظر إلى الفصل الذي خصصنه لبلدية القدس .

(2) السجل 49 الصفحة 56 السنة 5973-1565م.

(3) أصلها (تفنك جي) أي حامل البندقية .

(4) كان حسن آغا المجري تفكجي باشي القدس عام 1840 وكان راتبه الشهري 300 غرشاً وكان في معيته ثلاثة أنفار من التفكجية راتب كل منهم في اليوم غرشان يتناولها من خزينة السلطان .

(5) السجل 49 الصفحة 47 السنة 973 هـ 1565م .

وفي القلعة حامية من المشاة قائدها يلقب بـ (دزدار قلعة القدس) . ومساعده كتخدا قلعة القدس . ومعهما ضابط برتبة (بلوك باشي) . وحامية من المدفعية قائدها (طوبجي باشي [1] القلعة المنصورة السلطانية) 15 رمضان 1256هـ - 1840 م . هناك أمر ممضي [2] من قاضي القدس محمد حمدي أفندي بصفته قائمقام والي صيدا محمد عزة باشا موجه إلى أحمد آغا مراد ينتدبه ليتولى هذا المنصب (أي قيادة المدفعية) بماهية [3] قدرها ألف غرش ، وخمسة أقق [4] خبز في كل يوم ، وعليقتين شعير . ومعه 54 نفر طوبجية وستة أنفار أسطاوات [5] . لكل نفر ثمانين غرشاً في الشهر ، ونصف أوقة خبز يومياً . ولكل أسطة مايتا غرش شهرياً ، وأوقة ونصف خبز يومياً . ولدزدار القلعة بدل علف قدره (عشرون فضة) . وفي البلد فريق من الخيالة يطلق عليهم : (سباهي) و (سباهية) .

وهناك (ناظر الأخباز للعساكر السلطانية [6]) بالقدس . يعينه الوالي بصفته سر عسكراً [7] . وماهية هذا الناظر 300 غرش أسدي في الشهر ، و 3 أقق خبز في كل يوم . وكثيراً ما جاء في السجلات التركية ذكر (يكيجري باشا [8] المحتشم

---

(1) " طوب " كلمة تركية معناها الدفع . و " طوبجي " المدفعي .

(2) الأصول العربية لتاريخ سورية .

(3) " ماه " كلمة فارسية معناها الشهر و " ماهية " الراتب الشهري .

(4) جمع (أقة " وهي 900 درهم .

(5) جمع أسطة . وهي كلمة تركية معناها الرجل الخبير .

(6) عين ابراهيم آغا هاشم الأخباز السلطانية بالقدس في 21 رمضان 1256 - 1840 م .

(7) (سر) كلمة فارسية معناها ؟: الرأس . و (سر عسكر) رأس العساكر أو قائد الجيش .

عثرنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس (السجل 244 الصفحة 3 التاريخ 1174هـ - 1760 م . على محضر دونه القاضي وفيه فرض على مدينة القدس أن تزود (دائرة جناب حفرة أفندينا ولي النعم) عندما تحط رحالها في منطقة القدس في أثناء الدورة التفتيشية بالمقادير الآتي ذكرها من (الذخيرة) في كل يوم ؛ وهي (بالأوقة) : خبز 3000 لحم 1500 أرز 1500 سمن 375= عسل 30 دقيق 40 حمص 200 ملح ، 3 لبن 30 حليب 30 سكر 8 (وبالعدد) غنم 15 بيض 300 دجاج 30 وبمقادير كافية من الخضار والحطب والتبن .

(8) السجل 237 السنة 1165هـ - 1751 م .

في القدس الشريف) . وهذا كان طبعاً قبل الغاء المنظمة المعروفة بـ (الانكشارية) في البلاد .

ولقد نظم الأتراك مصلحة الأمن في زمن السلطان محمود الثاني (1808) وبعد . فقسموها إلى قسمين : شرطة ورك . أو كما كانوا يقولون : (بوليس وجاندرمة) . وما كانت قوتهم في كلا هذين القسمين لتزيد عن ستين جندياً . يرأس الجاندرمة قائد يسمونه (جاندرمة قومندانـي) . ومن قادة الدرك الذين اشتهروا بالقدس في أواخر العهد التركي : علي بك بن بدر خان باشا (1898م) . ويوسف آغا الدزدار (1901م) .

وأسسوا دائرة للعدل . وكانت أحكام محاكم فلسطين تستأنف إلى الشام . ثم بيروت . ثم امتازت القدس ، فصارت متصرفة مستقلة تخابر الاستانة مباشرة في الأمور الإدارية . ولقد تأسست فيها ، في أوائل القرن العشرين ، محكمة استئناف فانضم إليها لواء نابلس ، وظل لواء عكا ملحقاً ببيروت . ورغم أن الأتراك قبضوا على زمام الإدارة أحسن من ذي قبل ، إلا أن نفوذ أمراء الإقطاع ومشايخ البلاد لم ينقطع. وإن كان قد تضاءل بالنسبة إلى الماضي .

كان الأمن في داخل المدينة وخارجها ، على عهد الأتراك ، تارة يستتب وطوراً يضطرب . وفي أغلب الأحايين يكون مفقوداً نهائياً. ففي عهد السلطان سليمان (926هـ - 1520 م) نسمع أن السلطان عهد بحراسة طريق القدس - يافا إلى آل أبي غوش . وأجاز لهم أن يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة .

وفي العهد الأخير أيضاً سمعنا أن الحكومة كانت تهتم بخفارة الطريق الكائنة بين القدس - ويافا ، وأنها في سنة 1890 أقامت على تلك الطريق خمسة عشر مخفراً لحراستها ، يرابط في كل مخفر منها عدد من الجند بقصد حماية المسافرين .

وفي القلعة المسماة (قلعة مراد [1]) بالقرب من برك سليمان وضعت حامية قوامها أربعون جندياً مزودين بالمدافع والبنادق والأسلحة المختلفة الألوان بقصد حراسة منابع الماء والقناة التي تسيل فيها مياه العروب إلى القدس .

---

(1) قلنا في فصل المياه أن هذه القلعة بنيت على عهد السلان مراد سنة 1622 للميلاد .

وكان الأمن يفقد بالمرة عندما تشغر (الباشوية) [1] فلا ينتدب إليها أحد . كما جرى في سنة من السنين (1853م) خلال حرب القرم . فإن هذا المنصب ظل شاغراً بعد موت يعقوب باشا . وأخذ يدير القدس عدد من الأفندية غير المتجانسين!. فاستغل القرويون هذه الفرصة وراح كل واحد منهم يسترد حقه ، والحق الذي يدعي به ، بيده . وكان نفوذ الحكومة يومئذ ضئيلاً لدرجة أن الإنسان إذا ذهب إلى قائد الشرطة يشتكي أمره يقول له هذا : (إلي بالفاعل ، وأنا أكسر رأسه)[2] .

كانت الحامية التركية ترابط في القلعة المعروفة ببرج داود والقائمة على مقربة من باب الخليل من الجهة الشرقية الجنوبية . وفيها كانت مدافع الأتراك وسائر معداتهم الحربية . وأما الثكنة الكائنة إلى الجنوب الشرقي من هذه القلعة ، فقد كانت معدة لسكن العساكر الشاهانية [3] . وكانوا يسمونها : (القشلة الفوقانية) . وكانت في القدس قشلة أخرى يسمونها : (القشلة التحتانية) أو السرايا القديمة ، وهي على طريق باب حطة وإلى الشمال من الحرم . وعلى كل باب من أبواب المدينة نفر من الجند بقصد الخفارة ، وكان هؤلاء يتناوبون الخفارة ليلاً ونهاراً.

ولقد كان في مدينة القدس ، عام 1876 م اثنان وعشرون [4] شرطياً ، كلهم مسلمون .

حاول الأتراك في أوائل القرن التاسع عشر فرض التجنيد الإجباري في البلاد ولكنهم عادوا فعدلوا عن قصدهم ، لاعتقادهم أن العرب يكرهون ذلك . أو لم يثوروا ضد محمد علي باشا وولده ابراهيم من أجل ذلك ؟ إذا فليلجأوا للتطوع . راحوا ينادون الناس للتطوع ، ويحثونهم عليه . ولكن دون جدوى . إذ لم يتقدم من

---

(1) منصب الباشا وهو لقب (المتصرف) المسؤول عن الإدارة .

(2) J . Finn , P . 144

(3) جنود السلطان .

(4) Warren , P . 492

سكان القدس سوى عربي مسلم واحد (هو فلاح من العيزرية) وعربي مسيحي واحد (بروتستاني المذهب) وأرمني جاء إلى القدس حديثاً من إيران وماروني وراهب يوناني ويهودي ! معنى ذلك أن حركة التطوع فشلت ، وأن الناس لم ينظروا إلى التطوع نظرة الرضا ، الأمر الذي جعل الحكومة تعدل عنه نهائياً. فراحت تفرض التجنيد الإجباري . وكان ذلك على عهد السلطان عبد المجيد .وهناك فرمان [1] إذاعه السلطان المشار إليه بتاريخ محرم سنة 1256هـ - 1840م . اعترف فيه " بأن المملكة العثمانية لا تزال منذ مئة وخمسين سنة في ثورات متعاقبة وقلاقل مختلفة الأسباب . منها ضعف الحكومة وفقرها وعدم انتباه الناس للشرع والقانون". ولقد وضع قوانين جديدة تضمن للناس الأمان وتحفظ لهم أموالهم وأعراضهم .

ووضع نظاماً جديداً للضرائب . ومن التدابير الجديدة التي اتخذها فرض التجنيد الإجباري .

وبموجب هذا النظام الجديد كان يدعى للإنخراط في الجندية كل ذكر مسلم دخل في العشرين من عمره.

وكانت مدة الخدمة في الجيش خمس سنوات . ثم خفّضت إلى أربع . والذي يدفع لخزينة الدولة خمسين جنيهاً يعفى من الخدمة .ثم رفع (البدل) إلى ستين . يستثنى من الخدمة ومن دفع البدل أيضاً كل من كان وحيد أبويه ، أو تزوج بامرأة غريبة أو عبدة . وأما المسيحيون فكانوا يستثنون من العسكرية لقاء مجيديين يدفعهما الواحد منهم في السنة .

ونود أن نعترف هنا أن عرب فلسطين المسلمين وإن كانوا هم الذين حملوا وحدهم عبء الجندية في ذلك العهد ، إلا أن هذا العبء الثقيل في ظاهره نفعهم كل النفع . فعودهم على الشدة والنضال والإغتراب بشظف العيش والمشي والاعتماد على النفس واختبار أحوال هذا الكون وحمل السلاح وما إلى ذلك من

---

(1) إرادة السلطان . قال أسد رستم أنه عثر على نسخة من هذا الفرمان في سجلات المحكمة الشرعية بيافا .

الفضائل والمنافع التي يقتبسها المرء في الجيش والغربة . وبهذه المناسبة نقول أن السلاح الذي كان الناس يعولون عليه في الدفاع عن أنفسهم عبارة عن (بندقية) طويلة من النحاس تعبأ تعبئة، و (خنجر) يضعونه على جنبهم . ومن آلات الضرب والقتال (النشاب) . وكان هذا كثير الاستعمال في أوائل الحكم التركي . وكثيراً ما تقرأ في سجلات المحكمة الشرعية " أن فلاناً من الناس ضرب [1] فلاناً بنشاب أصابه في سلسلة ظهره " أو في أي مكان آخر من جسمه ، فتتأكد أن النشاب آلة من آلات الضرب والقتل في ذلك الحين .

وعلى ذكر السلاح نقول أن اقتنائه كان مباحاً في القدس وفي جميع أنحاء المملكة العثمانية . وأن هذه الإباحة ظلت سائدة حتى أواخر القرن التاسع عشر ؛ فمنعت تجارته ، ومنع اقتنائه [2] ونقله بأية وسيلة كانت ولأي قصد كان .

ثورة نقيب الأشراف :

في سنة 1117 هـ - 1705 م . ثار نقيب أشراف القدس السيد محمد علي الحكومة . فالتف حوله عدد كبير من المقادسة ورجال القرى المجاورة . وحاصروا القلعة وحصروا القاضي وموظفيه فيها . فساق عليهم والي الشام محمد باشا عدداً كبيراً من الجند . إذا لم تكن قوة الأتراك المرابطة في قلعة القدس كافية للقيام بهذه المهمة . وجاء الوالي نفسه على رأس تلك القوة . وتمكن من التغلب على الثائرين.

ولم يعلم ماذا كان مصير قائد الثورة السيد محمد النقيب ولكن يعلم أن قصره قد هدم ، وعمرت بحجارته قبّة الشيخ المنسي . تلك القبة القريبة من مقام النبي داود . ومنع الأتراك أنجاله من مغادرة المدينة [3] . لقد تحدثت سجلات المحكمة

---

(1) السجل 49 الصفحة 21 التاريخ 11 شوال 973هـ . (1565)م .

(2) السجل 2 الصفحة 36 التالريخ 15 ربيع الأول 1308 هـ (1890م) .

(3) عرف الأتراك شعور العرب فراحوا يعملون على استغلاله .

فكانوا ، إذا ما ثارت ثورة في البلاد ، يمنعون الرؤساء من مغادرة المدينة . ويحتفظون بهم كـ (وساقة) إلى أن يلقي ثوار السلاح الذي في أيديهم.

الشرعية بالقدس عن الحادث المذكور أصدق حديث . فانظر إليها [1] . حيث تقول:" في 25جمادى الآخرة 1117هـ (1705م) جاء (بيوردي [2]) من حضرة محمد باشا والي الشام ؛ وفيه ما يلي :

" صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع إلى كل ناظر ومستمع لما فيه من المشايخ والسادات والأعيان والرعايا وسائر البرايا من أهالي القدس الشريف . هو أنه صدرت إلينا الأخبار الأكيدة من ذلك الطرف وهو أن نقيب الأشراف السيد محمد قد أتم الإصرار والعناد على العصيان والشقاوة . حتى أنه الآن حاصر افتخار العلماء والأفاضل حضرة المنلا[3] . في داخل القلعة وآلاي بيك .

" والحاصل كلمن [4] التقى في طرف الشرع الشريف حاصره وأظهر الطغيان ومخالفة الشرع ... ولم يدر ونسى ما يظهر من وراء ذلك ... ومع النهي عن القتال والمحاربة في تلك الأماكن المقدسة إذ هو عرش الله الأدنى . فحيث أننا مأمورين بانتظام الأحوال في هذه الأماكن الشامية والديار المقدسة وغيرها من العربان والقرايا والبلاد والرعايا . حين بلغتا هذه الأخبار مع أننا متوجهين إلى تللك الديار . وواجب تحرير هذه الحروف سائر الواقفين عليه ممن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أهالي القدس الشريف . وهو أنكم تكونوا مقيمين عند افتخار العلماء والمحققين حاكم الشرع الشريف ، مؤتمرين بأمرنا ، تاركين لمن أظهر العناد النقيب المذكور .

فإنا إنشاء الله تعالى في غرة الشهور نكون في تلك الديار نازلين بعساكرنا . وعليكم أن تقبضوا على النقيب وتقيدوه إلى حين حضورنا . يكون سبباً لخلاصكم من الملام " .

وفي 6 رجب جاء بيوردي ثان (من محمد باشا إلى دزدار القلعة) . وقد جاء فيه : " أن أحوال محاصرتكم بقلعتنا وإلى الآن عملتم صيانة ومتانة لقلعة السلطان .

---

(1) السجل 203 الصفحة 44 .

(2) أمر من مقام سام .

(3) لقب حاكم الشرع القاضي .

(4) يقصد أن يقول ا من " .

فهذا المامول . ومثلكم من يكون قول السلطان . فيجب لكم علينا رأي الله وأمانة وحسن النظر بما يلزم لكم فإنكم أصدق الخدام والمراد تطيبوا خواطركم وتعملوا متانة إلى حين قدومنا . فإننا بعد أربع أيام نكون عندكم ، ومعنا آلات حرب كثيرة مثل مدافع وقنبرات . فلا يكون خاطركم إلا طيب ساير الوجوه . "

وفي نفس التاريخ (أي 6 رجب 1117هـ) تلقى (مصطفى آغا مير آلاي القدس وسائر الزعماء وأرباب التيمار) من محمد باشا والي الشام (بيوردي) ثالث يخبرهم فيه " أنني آت مع عساكري عن طريق اربد [1] وإنني سأكون فيها في 8 رجب . وبعد أربع أيام نكون عندكم . ومعنا عساكر كثيرة وآلات حرب مثل مدافع وقنبرات [2] وغيرها . أعلموا ذلك وإياكم تسليم القلعة . "

تغلبت الحكومة على الثورة. ولا يعلم إذا كانت تمكنت من إلقاء القبض على النقيب أم تمكن من الهرب . إلا أن أمير الأمراء مصطفى باشا أمر معمار باشي القدس الشريف [3] أن ينقل الحجارة من قصر النقيب (ومن هذا نفهم أنهم هدموه) وأن يعمر بها قبة الشيخ المنسي بجانب مقام النبي داود .

ثورة الانكشارية :

عندما احترقت كنيسة القيامة بالقدس في 30 أيلول 1808 اتهم الأرمن بحرقها . وقد حصل الروم على أمر من السلطات التركية بتعميرها . فثار الانكشارية لهذا الخبر . وعلى قول أن الأرمن هم الذين حرضوهم على الثورة . وراحوا يحاصرون المتسلم مصطفى آغا تيزيني (1235هـ - 1819م) في دار الحكومة . وطلبوا منه أن يتولوا حماية القلعة بدلا من الجنود الذين أرسلهم الوزير كنج يوسف باشا من الشام . وهددوه بالقتل ، إذا هو لم يذعن لمطالبهم . ومن مطالبهم إيقاف الروم ومنعهم من الاستمرار في عمارة الكنيسة .

اجتمع مصطفى آغا إلى رؤساء الثائرين . وأبدى رغبته في تنفيذ إدارتهم . لكنه استمهلهم بضعة أيام ريثما يستشير جناب الوزير بالشام ، فقبلوا نصيحته

---

(1) اختار طريق اربد لأجل تسكين ثورة كليب التي كانت مشتعلة في جبل عجلون .

(2) قنابل .

(3) السجل 203 الصفحة 48 .

فيما يتعلق بأمر الحامية . ولكنهم لم يقبلوها من حيث التعمير . بل خرجوا من عنده، وذهبوا تواً إلى الكنيسة ، قاصدين قتل العمال والبنائين . فلم يجدوا سوى واحد منهم . إذ كان الآخرون قد هربوا فهدموا جميع البناء الجديد . ومن هناك ذهبوا إلى دير الروم ، فنهبوه . وسجنوا الرهبان في مخادعهم . وراحوا يبحثون عن الترجمان (أفريكيوس) ليقتلوه، إذ كانوا يعدونه رأس البلاء فيما جرى . إلا أنه قد اختفى.

بينما كان الانكشارية منهمكين في ثورتهم ، كان رسل مصطفى آغا قد وصلوا إلى الشام بعد يومين من مغادرتهم القدس وأخبروا يوسف باشا بما جرى . فهيأ على الفور قوة من الجند مؤلفة من عدد الخيالة المغاربة بقيادة ضابط يدعى (أبو ذريعة) . وساقهم إلى القدس عن طريق غير الطريق التي كان أهل القدس يتوقعون مجيء الجندي منها . فوصلت القوة بعد خمسة أيام من مغادرتها الشام .

غير أن خبر هذه الإمدادات كان قد وصل إلى القدس . فراح السكان يستعدون إلى مقابلتها . وأقاموا المتاريس في الحارات والخفراء على الابواب . وتسلحوا كلهم لا بينهم. ولكن قائد الجند ، وكانت رتبة بك باشي [1] وجنده كلهم من المغاربة كما قدموا ، أحكم التدبير بشكل جعل وصوله إلى القدس ليلاً . ودخل من الباب المعروف بباب ستنا مريم خفية . ولما كان الباب المذكور قريباً من الثكنة العسكرية ، فقد تمكن من الوصول إلى الثكنة هو وجنوده سالمين . ومكثوا فيها حتى مطلع الفجر دون أن يعلم بوصلهم أحد . وعندما طلع الفجر شعر الناس بوجود الجند بين ظهرانيهم . وما عتموا أن وجدوا المتاريس قد احتلت ، والأبواب قد ضبطت ، والثوار قد وقعوا في الشرك الذي نصب لهم ألقى الجند القبض على من عثروا عليه من الثوار . فالتجأ فريق منهم (يقدر عددهم بستة عشر) إلى دير الأرمن ، وفريقاً آخر إلى الدير حبس المسيح . فأنذرهم المتسلم ، وطلب إليهم الاستسلام ، وهددهم بهدم الدير بالمدافع إذا لم يستسلموا . وبالفعل جاء المتسلم بمدفع من مدافع القلعة وصوبها نحو الدير ، قاصداً هدمه .

إن هذا النوع من التهديد من ناحية ، ونفاذ المؤن والذخيرة من الدير من الناحية الأخرى جعل الثوار يستسلمون . فسلموا أنفسهم . فأخذهم المتسلم إلى القلعة ، ونكل بهم تنكيلا .

---

(1) رئيس الألف .

نقلت الرواية المتقدم ذكرها من مخطوط باسم (تاريخ الخوري ميخائيل بريكي الدمشقي) . راجع الصفحات 46 و47و48 منه . ولقد ختم الخوري ميخائيل حديثه بالعبارات التالية :

" أخذ المتسلم رؤوس الفتنة إلى القلعة . ومن آذان العشاء بدأ يخنق واحداً وراء واحد ، إلى أن خنق ثمانية وثلاثين في ليلة واحدة . فهدأت الأمور) .

فتنة عام 1821 والثورة ضد الروم :

عندما أعلن اليونان ثورتهم ضد الأرتاك في 1821/4/6 م ، كان على كرسي السلطنة العثمانية السلطان محمود الثاني ، وكانت القدس يومئذ تابعة لوالي الشام درويش باشا .

أخذ اليونان في بلادهم ينادون بالاستقلال عن تركيا ، وراح الروم في بيت المقدس يعضدونهم .

فأرسل السلطان محمود إلى الأهالي فرماناً قرأه عليهم المتسلم بتاريخ 1812/4/25م وقد جاء فيه [1] : "أن اليونان في حالة عصيان ، وأن مصلحة الأهلين تقضي بأن يكونا يقظين وأن يكونوا متسلحين ، وأن يعرفوا كيف يحمون أماكنهم المقدسة . وفيه تحذير بألاّ يصدقوا الأخبار والإشاعات التي يذيعها النصارى ولا سيما الروم ."

وفي الوقت نفسه أرسل درويش باشا من الشام سرية من الجند ، وأمرهم أن ترابط في القلعة استعداداً للطوارئ . فصودرت أسلحة النصارى بوجه عام وأمروا بلبس السواد وبنقل المدافع من مكان إلى مكان .

تسلح المسلمون. وهاجموا البطريركية ، وعلى رأسها المتسلم سليمان أفندي [2] وعساكر الانكشارية يقودهم تفنكجي باشي [3] موسى بيك الغزاوي.

---

(1) Annals by Neophytos

(2) يقول Neophytos أن سليمان أفندي هذا كان يهودياً ، ثم اعتنق الدين الإسلامي (Annals , P. 19) .

(3) رئيس البنادق ، وبعبارة أخرى قائد الحامية .

سادت الفوضى في القدس وحلّ بالنصارى ، وعلى سيما الروم منهم ، عذاب شديد . وكان المتسلم ضعيفاً ، فلم يأت بأي عمل مجد في سبيل تسكين الفوضى . لا بل راح يعمل على إيقاد النار ورفع الضريبة المطلوبة من المسيحيين من ستين ألف قرش إلى مئة ألف . فزادت الفتنة. وذاع بين الناس نبأ بأن لهم الحق في أن يشنقوا أي مسيحي يجدونه مسلحاً . لولا أن درويش باشا تلافى الأمر ، فأصدر من فوره أمراً قائلاً : بأنه لا يجوز شنق أي إنسان قبل محاكمته والحصول على أمر خطي يتضمن موافقة الوالي . وقرأ القاضي أيضاً بعد صلاة الجمعة في الحرم " يوم الجمعة 8 يوليو 1821م " أمر السلطان وقد جاء فيه ما يأتي : (لم يعرف قبلاً عن مسيحيي القدس أنهم خونة . ولم يسيؤوا للمسلمين في حياتهم، لا قول ولا فعل . وأنهم فقراء ، ولا ضرر منهم . ومع ذلك فقد صادرنا كل ما في أيديهم من أسلحة . ولئن تبقى في حوزتهم شيء ، فهو قليل بدرجة لا يؤبه لها. ولا تخيفنا . وهم في القدس قلائل ليسوا بأكثر من واحد بالمئة من المسلمين . فمن العار أن نخشاهم . ومن العار أن نتخذ هذا حجة لقتلهم . فارجعوا إلى منازلكم واستأنفوا أعمالكم ، واتركوا لنا حفظ السلام وتدبير الأمور ، ومن لا يطيع الأمر ويعتدي عليهم ينال عقابنا . هذا فضل عن أنه يكون قد عصى الله ولم يعمل بأوامر نبيه " .

وكذلك فعل أفندية القدس وأعيانها المسلمون [1] . فقد ظلوا يخطبون الشعب الهائج ثلاث ساعات حاضين على السلم والسكينة وعدم الاعتداء على المسيحيين وعلى تصديق الإشاعات التي يذيعونها المغرضون . وقد أذاعوا أيضاً بياناً أمضوه كلهم فيه الأمان والاطمئنان . فاطمأن المسيحيون وهدأت الأحوال وعادت المياه إلى مجاريها .

فتنة عام 1823 :

اشتعلت نارها في القدس عام 1823. والذي أشعلها هو المتسلم سليمان أفندي نفسه صاحب فتنة 1821. وقد كان هذا – كما قدمنا يهودياً فأسلم . ولما رأى ان الفتنة السابقة لم تنجح ، وأن الأمور قد هدأت اغتاظ ؛ فأخذ يقدح زناد قريحته وراح يفكر في طريقة ليثأر لنفسه من المسيحيين ، ومن المسلمين الذين حموا

---

(1) Annals by Neophytos

المسيحيين وحالوا دون القيام بمذبحة عامة . فظلم الفرقين ظلماً شديداً . وجمع منهما ضرائب أكثر مما كان مقرراً . وراح الناس يقترضون المال بفوائد فاحشة وأصبح سليمان أفندي ، حديث المقادسة في مجالسهم وقد لقبوه : (بيلاطس القرن التاسع عشر) .

وفيما كان سكان بيت المقدس يفكرون في طريقة للخلاص من هذا المأزق ، حدث حادث فجائي زاد في الفتنة، وزاد الأمور ارتباكاً إذ جاء من بيروت نبأ يقول أنه وصل إلى شواطئها إحدى عشرة سفينة من سفن الحرب اليونانية . فاتهم النصارى بالاتفاق مع الأجانب والتآمر على سلامة الدولة . وساد الإعتقاد بأن القصد من هذه الحركة هو احتلال القدس . فاشتعلت النار من جديد وحاول الأتراك ان يسجنوا النصارى في كنيسة القيامة لولا أن جاءهم خبر آخر بأن السفن قد أقلعت قبل أن تأتي بأي عمل يدل على العدوان .

الثورة ضد مصطفى باشا :

كانت القدس ، سنة 1824 تابعة إلى عكا . حاكم عكا يدعى عبد الله باشا. وكانت صلات هذا الباشا بالحكومة المركزية باستنبول سيئة لدرجة أنها حرّضت عليه ثلاثة من البشاوات المجاورين : درويش باشا والي دمشق، وراغب باشا والي طرابلس الشام ، ومصطفى باشا والي حلب . فحاصره هؤلاء في عكا . ودام حصارهم لها تسعة شهور . ولكن السلطان محمود عاد ، بناء على توسط والي مصر محمد علي باشا ، فعفا عنه . وأعاده إلى منصبه .

وبعد أن هدأت هذه الفتنة ، استبدلت الحكومة والي الشام درويش باشا بوالي حلب مصطفى باشا . وكان هذا (أي مصطفى باشا) ظالماً . ففرض على الناس ضرائب ما كان لهم عهد بمثلها من قبل [1] . ولقد أنتج هذا الضغط انفجاراً. فقامت في القدس اضطرابات اشترك فيها قسم كبير من الفلاحين .

اعتزم مصطفى باشا تسكين الفتنة وقمعها بالقوة . فأرسل إلى القدس مئة جندي ليرابطوا في القلعة. ولم يكن فيها يومئذ سوى ستين جندياً . وبعث إلى المتسلم كتاباً يأمره فيه بأن يحصل العشر ضعفين .

---

(1) يقال أن الاعشار التي حصاها وكلاء الباشا في تلك السنة عشرة أضعاف الأعشار التي فرضت في السنة التي سبقتها .

واستمراراً لفترة حكم العثمانيين على القدس جاء دور المصريين وخاصة عهد ولاية محمد علي باشا الذي أعد حملة عسكرية برية وبحرية ولى عليها ابنه للإغارة على الساحل الفلسطينيين فاستسلمت له عكا وجميع المدن التي كانت تابعة لها مثل غزة والرملة ويافا وحيفا والقدس فتكون القدس قد دخلت رسمياً في حوزة المصريين .

لكن السيادة المصرية على القدس لم تدم طويلاً بسبب جملة القوانين الجديدة التي فرضها المصريون على القدس والتي أدت إلى ثورة عارمة مثل فرض ضرائب باهظة على الناس والتجنيد الإجباري على الأهالي ومنعهم من حمل السلاح، كل ذلك أدى إلى الثورة بعد أن كانوا قد أعلنوا ولاءهم للحكم الجديد، مما جعل أمر عودة القدس إلى حظيرة العثمانيين ليس بالأمر الصعب.

أما الثورة في القدس فقد اندلعت بعد أن طلب إبراهيم باشا من كل خمسة من الشبان المقدسيين أن يجندوا واحداً منهم وفي قول من كل عشرة. ليكون مجموع العدد ثلاثة آلاف، فلم يتحمل أهالي القدس هذا المطلب مما حدا بهم للثورة التي عمت كل أرجاء القدس مع غياب ابراهيم باشا إلى يافا، وساعدهم على ذلك قلة عدد الجنود المصريين في القدس، فكان لا يربو عن ألف ، فاستغلها أهالي القرى المجاورة وقاموا بمحاصرة القدس بعدد لا يقل عن عشرة آلاف ثائر.

وخلال هذا الحصار تراءى للناس أن الزعماء الذين كانوا بداخل القدس يدافعون عنها ضد الثوار، ولكن سرعان ما تبين أن هؤلاء الزعماء على اتفاق مع الثائرين ، وتبين أن لا جدوى من الدفاع لأن كل السكان من زعماء وفلاحين عازمون على المقاومة، واشتد الحصار حتى نزل الجنود عن القلعة وأخذوا يلاحقون الثوار ويطاردونهم مما حد بأحد الثوار التسلل وفتح باب المغاربة فاندفع الثوار إلى داخل القدس وجرى صدام عنيف بينهم وبين الجنود تمخض عن انتصار الجنود وهروب الثوار.

واستمر الثوار لليوم التالي في الإغارة على القدس، حيث أن أول عمل قام به قائد الحامية القبض على أعيان القدس وسجنهم داخل القلعة لتخفيف هجوم قائد

الحامية القبض على أعيان القدس وسجنهم داخل القلعة لتخفيف هجوم الثوار واستكانتهم، ولكن ذلك لم يفلح لأن نجدة مؤلفة من ألفي رجل تقدمت من نابلس، مما اضطر قائد الحامية وجنوده إلى الانزواء داخل القلعة، لكن المقادسة فتحوا أبواب القدس الذي أمر قائد الحملة بإغلاقه فاندفع الثوار إلى الداخل، وكانوا على وشك احتلال القلعة لولا نيران المدفعية التي صوبها أفراد الحامية على الثوار بعد معركة استمرت لعدة أيام، ولكن إبراهيم باشا الذي كان في يافا انفذ إلى ابنه تسعة آلاف مقاتل لمهاجمة القدس، ولكن سرعان ما انتشر الخبر بين أهالي القدس الذي كانوا يتحصنون داخل المدينة، لكن إبراهيم استمر في شق طريقه صوب القدس على الرغم من تحصن الفلاحين والثوار في الكهوف والجبال المطلة على الأودية ولا سيما عند باب الواد حتى وصل إلى جبل صهيون فعسكر فيه، وخف إليه الأرمن واللاتين واليهود لاستقباله دون أن يخرج أحد من المسلمين الذين كانوا يتحصنون خارج المدينة بعد أن فروا منها، وحاول عبثاً إقناعهم بالعودة لأنه سيعفو عنهم إذا استجابوا لطلبه، ولكنهم رفضوا، فدخل المدينة وأمر الناس بممارسة حياتهم الاعتيادية، لكن الثوار ظلوا متحصنين بين القدس ورام الله في مكان يقال له قرية مخماس، مما أضطر إبراهيم باشا إلى إرسال جيش جديد لهم قوامه ثلاثة آلاف جندي ووقعت معركة حامية الوطيس بين هذا الجيش والثوار أسفرت عن انتصار جيش محمد على بعد أن قتل ما لا يقل عن ثلاثة آلاف من الثوار وأسر خمسمائة، وعاد محمد علي بالأسرى إلى القدس مكبلين فاستقبله اليهود والنصارى استقبال الفاتحين.

لكن ذلك لم يستمر لأن الثوار تجمعوا من جديد لمحاربة محمد علي وابنه، وتحصنوا في الجبال وبين الأشجار وأخذوا يقارعون محمد علي ويغيرون عليه، وعلى أي حال فإن محمد علي وابنه استطاعت بهذا العدد الضخم من الجيش الذي كان قوامه ثلاثة آلاف أن يقفوا في وجه الثوار لتنضوي القدس تحت لوائهم حتى سنة 1257هـ 1841م لحين إجبار محمد علي الخروج من القدس لتعود إلى السلطة العثمانية وحتى الاحتلال الإنكليزي[1] .

([1]) عارف العارف، المفصل ص 288-289 .

أما عن أهم الأعمال التي قام بها إبراهيم باشا وابنه في القدس خلال حكم المصريين عليها، فإنه قد سمح بإنشاء مجلس شورى في المدينة ليتعاون مع السلطات المصرية وينظر في الأمور الجزائية. وكذلك فإنه عامل أهل الذمة معاملة حسنة فأعفاهم من الضرائب والعوائد التي كانت تؤخذ من رؤوس النصارى واليهود، والغى الكثير من الرسوم التي كان يدفعها حجاج النصارى الذين يقدمون لزيارة الأماكن المقدسة مثل كنيسة القيامة وغيرها .

كانت مدينة بيت المقدس منذ فتحها المسلمون تلعب دوراً حضارياً متميزاً فهي مدينة جاذبة بحكم المقدسات الدينية بها ولمكانتها في كل الأديان. تميزت مدينة بيت المقدس بتنوع علاقاتها مع كثير من المراكز الحضارية الأخرى، ولعل مدينة القاهرة تأتي في مقدمة المدن التي كان لها خصوصية شديدة مع بيت المقدس تضمنتها حركة التاريخ وعمق التفاعل من خلال نضال طويل مشترك.

لقد كان الأزهر الشريف عاملا حيوياً وفعالاً في تجسيد هذه العلاقة فمنذ تأسيس الأزهر والعلماء بين المدينتين يترددون في حركة من التواصل والتفاعل المستمر. ويندر أن نجد عالماً أو فقيها في بيت المقدس لم يدرس في الأزهر الشريف بل أن كثيراً من المدارس والمعاهد العلمية في بيت المقدس قد تأثرت بنظام الدراسة في الأزهر.

وعموماً فإن نهاية دولة المماليك ووقوع الشام تحت سيطرة العثمانيين . لم يترتب عليه تغيير ملحوظ لمدينة بيت المقدس سواء في وضعها الإداري أو لوضع الاقليات الدينية فيها. على الرغم مما شهده العصر العثماني من تدفق ملحوظ من جانب الأوروبيين وخصوصاً بلاد الشام التي شهدت قدوم الأجانب كما وتنازلت الدولة العثمانية عن كثير من حقوقها في شكل امتيازات منحت لهؤلاء الأجانب لم تكن هذه الامتيازات خطراً على الدولة وهي في عنفوان قوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر أما بعد ذلك فقد تحولت هذه الامتيازات إلى حقوق اكتسبت شرعيتها تحت التقادم من جانب وضعف الدولة العثمانية من جانب آخر، وشملت هذه الامتيازات إعفاءات كثيرة لعل أخطرها السماح للأوروبيين بممارسة نشاطاتهم الدينية وخصوصاً في بلاد الشام وأصبح التسابق على أشده بين

الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت وأمتد الأمر نحو السماح ببناء العديد من المؤسسات التعليمية والتثقيفية وحينما أدركت الدولة العثمانية خطورة الموقف كان الزمن قد مضى وكان الرجل المريض (الدولة العثمانية) قد تدهورت حالته وتكالبت عليه المطامع الأوروبية التي أودت بحياته في النهاية .

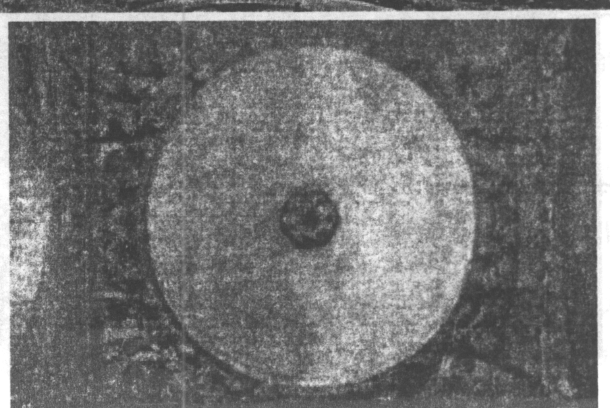
وفي ظل الامتيازات التي قدمها العثمانيون للأجانب عموماً لعب اليهود دوراً متزايداً لا يتناسب مع قلة عددهم فلم يزد عددهم في فلسطين عموماً خلال القرون الثلاثة الأولى من الحكم العثماني على عشرة آلاف نسمة وكانوا ثلاثة أمثال هذا العدد في بلاد الشام كلها.

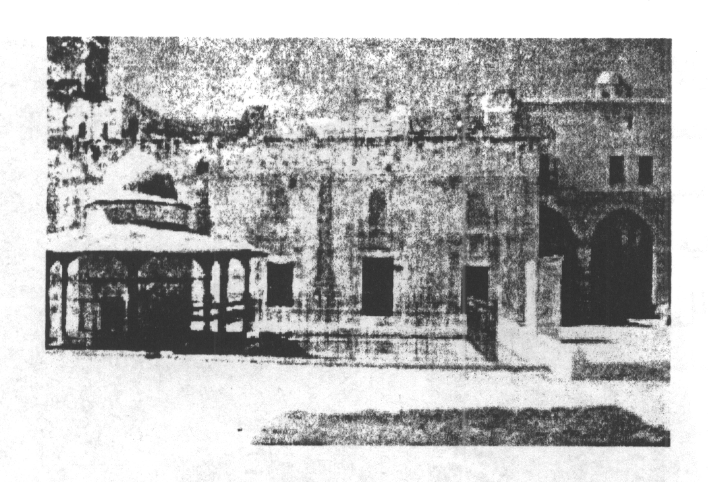
وبسبب سياسة التسامح التي انتهجها العثمانيون تزايد هذا العدد في أواخر القرن التاسع حتى بلغ حوالي المائة ألف، وأسسوا مدارس لتعليم العبرية وأقاموا مستوطنات في حيفا وسيطروا على تجارة صفد ودمشق وقاموا بدور بارز في الحياة الاقتصادية في حلب وبيروت وعكا وحيفا.

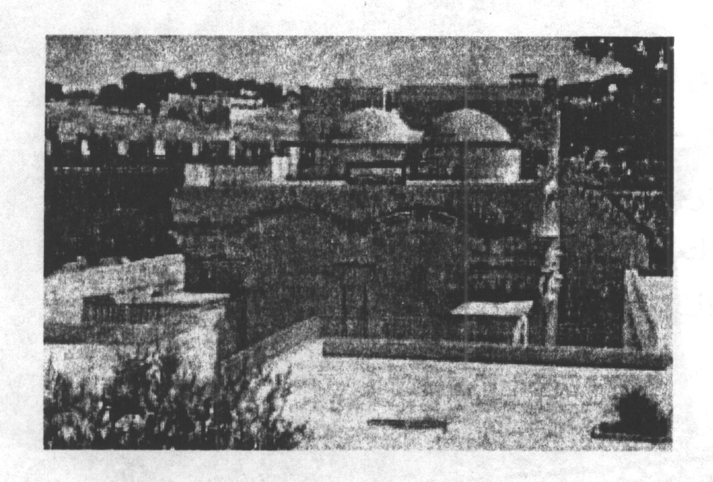
لقد أوجدت هذه الكثرة العددية الكثير من المسارب إلى القدس حيث نمت المؤسسات التعليمية لليهود بشكل ملحوظ وعندما أدركت الدولة العثمانية خطورة الامتيازات التي فتحت الباب على مصراعيه لم تستطع أن تحول دون نمو هذه الامتيازات التي أصبحت بمثابة مواثيق للعثمانيين حتى سقوط دولتهم عقب الحرب العالمية الأولى.

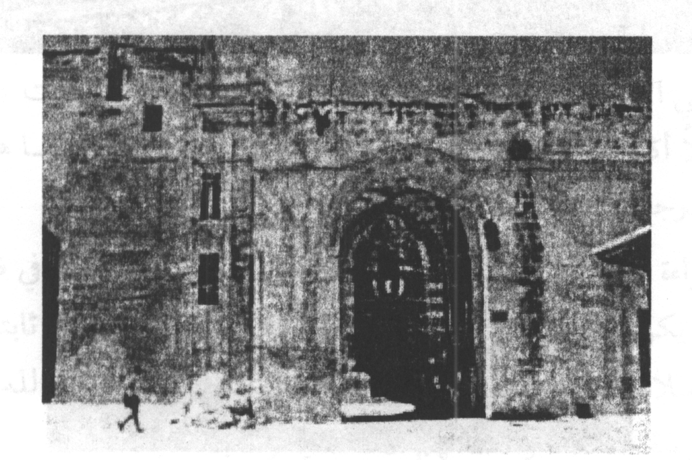
وعلى ضوء هذه المعطيات يمكن القول أن القدس بقيت منذ أن فتحها المسلمون مدينة إسلامية حيث ذابت فيها كل الثقافات الأخرى وظلت الهوية الإسلامية هي الأساس الذي حفظ للقدس ملامحها الخاصة التي بقيت عبر تاريخها الطويل دليلاً أكيداً على أن عودة القدس ليس مطلباً قومياً فقط وإنما هي ضرورة إسلامية بالدرجة الأولى.

والقراءة العلمية لمدينة القدس تشهد على أن التسامح الديني في ظل الإدارة الإسلامية لم يكن شيئاً استثنائياً أو طارئاً وإنما كان بمثابة استراتيجية ثابتة حكمتها الشريعة الإسلامية التي أقرها كافة الحقوق التي كفلت الحقوق لأهل الذمة وأعطت لهم حرية ممارسة عقائدها وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية .









والواضح أن مدينة القدس أسهمت بقدر هائل في نمو الحضارة الإسلامية وازدهارها من خلال الحركة العلمية التي شهدتها المدينة المقدسة وكانت المدارس والمعاهد والمكتبات مقومات أساسية لدفع الحركة العلمية التي نجم عنها أجيال من العلماء يصعب حصرهم في شتى مجالات المعرفة مما طبع المدينة بطابع إسلامي جعلها صورة مكررة في الكثير من المدن والضواحي الإسلامية الأخرى.

مخططات نابليون بونابرت لتهويد فلسطين

هناك محطات تاريخية احتلت مكانة بارزة في الكثير من الدراسات التي تعرضت لتاريخ القدس، لكن في المقابل هناك مشاهد خافية على الكثير من العرب والمسلمين .. وفي هذه الحلقة نلقي الضوء على نماذج منها ..

عندما سيطر الأتراك العثمانيون على الشام 1516 أصبحت القدس تابعة لهم بعد أن كانت تابعة من قبل لدولة المماليك. وأن أشمل الوثائق التي حددت التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية هي رسالة تركية عنوانها (قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان في سنة 1609م . وقد ورد في هذه الرسالة أن الدولة العثمانية كانت تقسم في ذلك التاريخ إلى 32 إيالة عربية ومن بينها إيالة الشام التي تنقسم بدورها إلى أحد عشر لواء كان من بينها لواء القدس.

وقد أصدرت الدولة العثمانية حولية رسمية سنوية بمعنى الكتاب السنوي للدولة العلية العثمانية وتشير الحولية الرسمية العائدة لسنة 1605م والتي لم يطرأ بعدها تغير يستحق الذكر على التقسيمات الإدارية المتعلقة بالبلاد العربية إنها كانت إحداها متصرفية القدس الشريف. وهي متصرفية مستقلة تتخابر مع وزارة الداخلية العثمانية مباشرة دون أن تتبع ولاية من الولايات ، وكانت تضم أربعة أقضية هي: يافا، غزة، بئر سبع، خليل الرحمن، وكان يتبع مركز المتصرفية والأقضية المذكورة 11 ناحية ، 384 قرية ومزرعة ، وكانت أهم القبائل التي تتبع قضاء بئر السبع هي : عزازمة، بناها، جبارات، ترابين، حناجرة.

ومن المعروف أن السلطان محمد الفاتح سمح لليهود بالاستقرار في استنبول وكافة أرجاء الدولة وعين لهم حاخام باشي أو حاخام أكبر، وخلع عليه سلطات واسعة شبيهة بتلك التي كان يمارسها بطريرك طائفة الروم- على كل يهود الدولة،

وعندما طرد اليهود من أسبانيا في عام 1492م أصدر السلطان بايزيد الثاني مرسوما يقضي بحسن معاملتهم في أملاكه. وبلغ النفوذ اليهودي أوجهه في عهد السلطان سليم الثاني ثم ما لبث أن انتهى نفوذهم بوفاة سليم الثاني وتولى مراد الثالث الذي استبعد حاخام اليهود ناسي من الاشتراك في شؤون الدولة وصادر أمواله بعد وفاته.

ومن الثابت أن الدولة العثمانية حرصت على مدار تاريخها على إرضاء رعاياها من اليهود والنصارى وإزالة الفوارق بينهم حتى مشاركتهم في الإدارة العامة وتقليدهم المناصب الرفيعة وإعلاء شأنهم واثبات حقوقهم. وكان لنزاع الطوائف فيما بينها أسوأ الأثر على الدولة العثمانية ، إذ استغلت الدول الأوروبية الحامية للطوائف خلافاتها الطائفية .

وفي عهد الإدارة المصرية للشام أعلن إبراهيم باشا المساواة بين جميع الطوائف : وعندما عاد العثمانيون إلى بلاد الشام في عام 1840 تابعوا إقرار المساواة بين الطوائف .. "ولكي يكون أهل الإسلام وباقي الملل الذين هم من تبعة سلطتنا السنية نائلين مساعداتنا هذه الشاهانية بدون استثناء أعطيت من طرفنا الشاهاني الأمنية الكاملة بمقتضى الحكم الشرعي لجميع أهالي مملكتنا المحروسة على نفوسهم وأعراضهم وناموسهم".

ومنذ تلك الأيام كان الكلام عن العودة إلى فلسطين نداء يتردد على لسان أحد الحاخامات بين حقبة وأخرى. وقد حاول نابليون بونابرت أن يعزف على الوتر الديني اليهودي وأساطيره في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بحيث تكون فلسطين وهي حينذاك من أملاك الخلافة العثمانية – التي يتسابق الكل على إرثها – الوطن الموعود والمختار لليهود برعاية فرنسا لتكون نقطة بداية لخططها الإمبراطورية في قلب أملاك الخلافة العثمانية، في وقت كان التنافس الدولي بين فرنسا وإنجلترا على أشده فضلاً عن القوى الاستعمارية الأخرى.

ومن الثابت أن بعض علماء الحملة الفرنسية بدأوا مبكراً في الاتصال ببعض حاخامات اليهود في فلسطين ، مثل (موسى موردخاي) و (جاكوب الجازي) وكانت ورقة نابليون التي أظهرها لليهود أمام أسوار القدس في عام 1799 نداء إلى يهود العالم لم يوزع في فلسطين وحدها ، وإنما جرى توزيعه آنذاك في فرنسا وإيطاليا

والإمارات الألمانية وحتى أسبانيا الأمر الذي يشير إلى أن القضية أكبر وأوسع من ظرف محلي واجهة نابليون حينما استعصت عليه أسوار القدس.

لقد أدرك نابليون أهمية مصر التي تتميز بموقعها الحاكم على طريق التوسع الإمبراطوري خصوصاً إلى الهند وما حولها وما وراءها وأن السيطرة على مصر تعد مقدمة ضرورية لأي قوة تريد أن تتصدى لبريطانيا وتريد أن تتحدى سيطرتها على التجارة وعلى البحار. كما رأى بونابرت أن مصر في اتصل غير قابل للانفصال مع السهل السوري الذي يشكل معها زاوية قائمة تحيط بالشاطئ الشرقي - الجنوبي للبحر المتوسط- وهذه الزاوية القائمة بضلعها الجنوبي في مصر تمد تأثيرها بالعرض إلى الساحل الشمالي لأفريقيا وبالطول إلى الجنوب حتى منابع النيل. ثم أنها بضلعها الشمالي في سوريا تلامس حدود بلاد ما بين النهرين (العراق) وشبه الجزيرة العربية والخليج. وحتى طرق الاقتراب البري والبحري إلى فارس والهند. وكما كان هذا شأن من سبقوه من الفاتحين فإن من يسيطر على الزاوية الجنوبية من البحر المتوسط لا بد أن يمد بصره إلى سوريا وهذا ما فعله فراعنة مصر وأباطرة الإغريق وقياصرة الرومان وأكاسرة الفرس، وهو نفسه ما قام به الخلفاء المسلمون في أعقاب عصر النبوة ثم تواصل بعدهم أمراء المؤمنين من الأمويين والعباسيين، وهو ما نفذه أحمد بن طولون وصلاح الدين الأيوبي وحتى مماليك مصر والأتراك والعثمانيون من بعدهم، أي أنه وعلى طول العصور كان لا بد أن تكتمل الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط لتدخل في إطار سياسي واحد يجعل كل ضلع منها تأمينا للضلع الثاني ضرورة جغرافية وعبرة تاريخ.

وكان نابليون يرى أن لكي يضمن عدم التقاء الضلعين عربياً وإسلامياً فإنه يزرع عند نقطة التقائهما أي عند مركز الزاوية شيئاً آخر لا هو عربي ولا هو إسلامي لكن هذا الزرع لا يمكن خلقه من العدم، وإنما يحتاج خلقه إلى بذور حتى وأن كانت من جينات حفريات الأنثروبولوجي. بحيث يمكن غرسها في التربة ، فإذا جرى ريها وأورق بعضها فحينئذ قد يصعب التمييز بين الأصل والدخيل، وبين الطبيعي والهجين، ومن هنا أتت ورقة نابليون اليهودية تصور للمستقبل رؤية - ربما لا تتحقق بسرعة - لكنها قابلة للتحقيق في مستقبل الأيام ..

وبها فقد ينشأ وطن يهودي يكون ضماناً إضافياً إذا أمكن، ويكــون عـازلاً إذا اقتضت الضرورات وفي صياغتها فإن صاحبها استخدم مطالب الإمبراطوريـة ودرس التاريخ وأساطير الأديـان القديمـة وحولهـا إلى اسـتراتيجية . والثـابت أن نـابليون لم يتخل عن تقديراته الاستراتيجية ، حتى بعد أن اضطر إلى التسلل ليـلاً مـن مصـر والعودة إلى فرنسا.

وراح يواصل من باريس صراعه للسيطرة على أوروبا إلى حيث تحملـه جيـاده وتصـل مرامـي مدافعـه، إلا أنـه دعـا في سـنة 1807 إلى عقـد المجمـع اليــهودي في (سانهردان) ليحضره كل يهود أوروبا ممثلين في رؤساء طوائفهم إلى جـانب مشـاهير حاخاماتهم، ليلم شمل الأمة اليهودية على حد قوله (وأن يدعوهم في القرار الثـالث من قرارات المجمع إلى ضرورة إيقاظ وعي اليهود إلى حاجتــهم للتدريـب العسـكري لكي يتمكنوا من أداء واجبهم المقدس الذي يحتاج إليه دينهم ولعل ذلك هـو الـذي أوحى إلى مفكر سياسي شهير مثــل (دولاجـار) بـأن يكتـب كتابـه اللافـت للنظـر (نابليون والعسكرية اليهودية).

المحاولات اليهودية والصهيونية لتغيير معالم القدس قديمة جداً، خلال كل الفترات والحقب التاريخية التي تعاقبت عليها، ولكن الحقبة التاريخية أكثر تغلغلاً هي فترة حكم العثمانيين بدءاً من سنة 1516م، فقد منحوا اليهود الحرية التامة لزيارة الأراضي المقدسة دون قيد أو شرط، وبدأ ذلك واضحاً في عهد السلطان سليم الأول.

وخلال الفترة العثمانية كذلك أصبح اليهود أحراراً في التنقل في جميع أرجاء الدولة العثمانية. ولم يكن هناك مانع يمنعهم أو يحول بينهم وبين ذلك، ونتيجة ذلك تزايد عددهم حتى أصبح في القدس وحدها في أواسط القرن السادس عشر سنة 1553م ما مجموعه (1634) نسمة من أصل سكان القدس البالغ عددهم آنذاك (13384) نسمة، لكن عدد اليهود أخذ يتناقص بالتدريج في أواسط القرن السابع عشر ليصل إلى 150 نسمة سنة 1688م، إلى أن يصل في القرن الثامن عشر سنة 1753 م إلى 115 نسمة.

على أن التأثير الفعلي والحقيقي لليهود في فلسطين عامة والقدس خاصة بدأ مع بدايات القرن التاسع عشر وذلك بتأثيرات وجهود البيوتات المالية في كل من أمريكا وبريطانيا وأوروبا وأسيا، حيث أن هذه الدول أخذت تشجع على الهجرات اليهودية الجماعية إلى فلسطين، وذلك تمهيداً لإنشاء الوطن القومي، ثم أخذت الأفكار الاستعمارية واليهودية إلى امتلاك وشراء الأراضي من خلال السلطة العثمانية الذين منحوهم امتيازات واسعة كما قلنا، وتمثلت هذه الأفكار والطروحات بالحصول على فرمانات من السلطان عبد الحميد سنة 1840م بكفالة حقوق اليهود وامتيازاتهم في فلسطين ، وبموجب هذه الامتيازات عين ممثلون ونواباً في الدولة العثمانية وفي فلسطين على الخصوص لإدارة شؤون اليهود، كما هو الحال في الحاخام سفارادي هاريشون لتسيون الذي منح سلطات واسعة للإشراف على شؤون اليهود في القدس إضافة إلى منحه سلطات واسعة في المجالين القضائي والسياسي معاً.

وبناءً على ما ذكرنـاه أصبحنـا أمـام وقـائع مـن الأعـداد اليهوديـة الهائلـة في فلسطين والدولة العثمانية لنرى أن العدد مثلاً يقدر بـ 2000 نسمة سنة 1806 م و 3000 نسمة سنة 1819م ، ليقفز إلى 5000 نسمة في القدس وحدها سنة 1850م .

وغني عن القول كيف أن القنصليات الأوروبية أخـذت تتنـافس علـى حمايـة هؤلاء اليهود وتأمين احتياجاتهم ومطالبهم مثلاً كان في القدس وحدها مـن اليـهود 3000 شخص تحت حمايـة النمسـا، و 1000 شـخص تحـت حمايـة بريطانيـا و 1000 شخص تحت حماية بريطانيا.

ثم أن أعدادا اليهود أخذت تتزايد في فلسطين بمساعدة الدول الغربية ، ومـع هذا التزايد أخذ اليهود يمتلكون الأرض ويشترونها وأخذ اليهود في عبور البلاد دون ضبط ليصل سنة 1890 إلى عشرين ألفاً ، مما حد بأهل البلاد الأصـليين من العـرب إلى رفع العرائض إلى السـلطات العثمانيـة والمطـالبة بوقـف الهجـرات اليهـودية ومنعهم من شراء الأراضي، ومع كل ذلك تزايد عدد اليهود ليصل إلى ثمان وعشرين ألفاً سنة 1895[1].

لأجل هذا التزايد في هجرات اليهود إلى فلسطين وبروز القرن التاسع عشـر أخذت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تتبلور وتتوضـح وعلـى الأخـص بعد أن ظهرت مقولة الإضطهاد الديني لهم في روسيا، فتأسست حركة أحباء صـهيون سنة 1882م، وتمخضت هذه الحركة عن ظهور الزعيـم اليـهودي (ثيـودور هـيرتزل) وفكرته في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين في كتابه (الدولـة اليهوديـة) وقـد نجـح (هيرتزل) في دعوة زعماء اليهود لعقد مؤتمـر لهـم في بـال في سويسـرا سـنة 1897م لإنشاء وطن قومـي لهـم في فلسـطين، وتمخـض هـذا المؤتمـر عـن إنشـاء المنظمـة الصهيونية العالمية للترويج لهذه الفكرة.

أما الوجه الآخر لهذا المؤتمر فهو اتصال هيرتزل بالسلطان عبد الحميد ليعرض عليه المشروع في السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين مقابل إغراءات مالية كبـيرة يقدمها اليهود للدولة العثمانية للتخفيـف عنـهم مـن وطأتـهم الماليـة لأن الدولـة

---

(1) سمير جريس ، القدس ص 17-19 .

العثمانية كانت تعاني من مشاكل مالية ، ومما قاله هيرتزل في مذكرته بهذا الشأن : (علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا، مليونان منها ثمناً لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها، ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها) لكن السلطان عبد الحميد رفض هذه الفكرة ورد رداً مشرفاً وقال لمن توسط عنده في ذلك: (انصحوا (هيرتزل) بألا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملك يميني بل ملك شعبي، بل هي ملك شعبي، وقد ناضل شعبي من أجل هذه الأرض وروها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت إمبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل البضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي، وهذا أمر لا يكون، إنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة) [1].

لكن هذا الرفض من قبل السلطان عبد الحميد لم يرق (لهيرتزل) وزعماء اليهود، وما عليهم إلا أن يدبروا حيلة للقضاء عليه وعزله، لكن (هيرتزل) توفي قبل عزله، فجاء (حاييم وايزمن) الذي استطاع إتمام فكرة هيرتزل بعزل السلطان عبد الحميد سنة 1909 م بواسطة جمعية الاتحاد والترق التركية الخائبة التي دبرت الانقلاب على السلطان عبد الحميد على إثر ثورة خلعته وولت مكانه أخيه محمد رشاد سلطاناً سنة 1909، وبالإطاحة بالسلطان عبد الحميد يكون اليهود قد حققوا أكبر أحلامهم فاعتبروا ذلك الحدث عيداً هاماً من أعيادهم.

هذا – فإن جمعية الاتحاد والترقي خيبت هي ورئاستها الثلاثية التي تكونت من (أنور وطلعت وجمال باشا) آمال العرب بإهمالها الكثير من شؤونهم وعدم تطبيق المساواة بينهم وبين الأتراك في إدارة الدولة، ومبدأ اللامركزية في حكم الولايات العربية، ومبدأ تحسين حالة اللغة العربية في مدارس الحكومة ودواوينها، وزاد الحال سوءاً بالاتجاه الجديد الذي تبنته في إعلاء شأن العنصر التركي ولغته على حساب العناصر الأخرى وفوق هذا كله ضمنت لليهود أعز أمانيهم، فأخذ اليهود

([1]) الطيباوي ، القدس ص 69 .

يصولون ويجولون في الأراضي المقدسة، وما حزب الاتحاد والترقي في واقعه إلا جماعات من يهود الدونمة الذين تظاهروا بالإسلام فحملوه سطحياً وحملوا آراء المنفذين لخططهم، فنجحوا أيما نجاح في إنشاء وكالة صهيونية في أستانبول [1].

هذا ومما قاله السلطان عبد الحميد في حزب الاتحاد والترقي نقتطف التالي:

(إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة، ورغم إصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين ليرة إنكليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: إنكم لو دفعتم ملئ الدنيا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلم أسود صحائف المسلمين، وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدوني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين[2].

وقد تفانى السلطان عبد الحميد في خدمة القدس ومما قاله فيها التالي:

(لماذا نترك القدس؟! إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض إسلامية لابد أن تظل القدس لنا .

والخلاصة أن حزب الاتحاديين (الاتحاد والترقي) قد خدم اليهود إلى أبعد حد فسمح لهم بالهجرة إلى القدس بالعدد الكبير كما قلنا وقدم لهم التسهيلات اللازمة.

أما في العهد الإنكليزي أو بالأدق خلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين عامة والقدس على وجه الخصوص فقد زادت مطالبة اليهود بإنشاء وطن قومي لهم، وخاصة بعد أن دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى ضد دول الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا سنة 1914م ، أما العرب فقد دخلوا الحرب إلى جانب الحلفاء طمعاً في وعد بريطاني عقدوه مع شريف مكة الحسين بن علي بواسطة هنري مكماهون لإقامة

([1])الطيباوي، القدس، ص 69 .

([2]) أحمد نوري، اليهود والدولة العثمانية ص 73 .

دولة عربية إسلامية في المشرق العربي، إضافة إلى السبب في سياسة التتريك التي أتبعتها تركيا ضد العرب.

ولكن موقف بريطانيا ضد العرب حال دون تنفيذ الوعد الذي قطعوه للشريف حسين، وعملت على اتفاقية سايكس بيكو سنة 1916 بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم بلاد الشام والعراق وفلسطين وجعل جزء من هذه مع القدس منطقة دولية يعين شكلها بعد استشارة الشريف حسين، لكن الإنكليز لم يستشيروه، بل كتموا المعاهدة عنه وذهبوا بالكتمان إلى حد الكذب عندما أخبروا الشريف جواباً على سؤاله أن المعاهدة لا وجود لها[1] .

كذلك سارعت بريطانيا في تنفيذ وعد بلفور وفي بذل جهودها لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فكان الوعد بمثابة حكم غيابي على العرب في فلسطين أصدرته حكومة لم يكن لها حينئذ حق السيادة على فلسطين أو على الأقل حق الأحتلال ، وإذ في يوم الأربعاء الحادي والثلاثين من شهر تشرين الاول عندما وافقت وزارة الحرب البريطانية على نص الوعد، وكان جيشها على أبواب فلسطين إلى الجنوب من غزة يحتل قطعة ضيقة من السهل الساحلي طولها سبع عشر ميلاً وعرضها سبعة أميال، تشتمل على بلدة خان يونس وقرى رفح وبني سهيلة وعبسان ودير البلح، وفيها بضعة آلاف من السكان العرب ولا أحد من اليهود، (أمضى وزير الخارجية البريطانية آرثر جيمس بلفور نص الوعد يوم الجمعة في الثاني من تشرين الثاني وأرسله إلى الصهيونيين) وأيضاً سارعت بريطانيا في احتلال القدس نفسها بواسطة السير اللنبي مستغلة ضعف الأتراك العثمانيين الذين كانوا يعانون من الضعف العسكري والضعف المادي، فخطوطهم الدفاعية كانت بحالة سيئة مع عدم توافر المؤن والأرزاق الكافية لدى الجند، إضافة إلى فشل الحملتين العسكريتين اللتين شنهما الأتراك العثمانيين على مصر لاحتلال قناة السوس شريان بريطانيا بين البحر المتوسط والمحيط الهندي. كل ذلك جعل الموقف التركي في حرج شديد مما حدا بعلي فؤاد باشا القائد التركي في القدس أن ينسحب من المدينة المقدس تاركاً إياها للانكليز ليحتلوها بهجوم الكاسح سنة 1917م، وفي هذا الأثناء أدرك أهالي القدس

([1]) الطيباوي ، القدس ص 81 .

أنها واقعة في أيدي الانكليز في محالة، فاستدعي مفتي القدس كامل الحسيني، ورئيس بلديتها حسين سليم الحسيني من قبل متصرفيها التركي عزت بك، ولما اجتمعوا إليه بداره ليلة 8 كانون أول سلم رئيس البلدية كتابة باللغة التركية موجهاً إلى قيادة الجيش الإنكليزي هذه ترجمته:

إلى القيادة الإنكليزية في اليومين الأخيرين والقنابل تتساقط على القدس الشريف، المدينة المقدسة عند كل ملة، ولما كانت الحكومة العثمانية رغبة منها في المحافظة على الأماكن الدينية من الخراب، فقد أمرت بسحب القوة العسكرية من المدينة وعينت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية ككنيسة القيامة والمسجد الأقصى، ولما كنت أمل أن تتبعوا أنتم هذه الخطة أيضاً، فإني مرسل لكم هذا الكتاب مع وكيل رئيس حسين بك الحسيني[1] .

متصرف القدس المستقل

12/8 عزت)

وعلى إثر تلك الوثيقة غادر المتصرف القدس إلى أريحا، وأنسحب الجيش العثماني في الصباح الباكر في اليوم التاسع من كانون الأول، وخرج بعدها رئيس البلدية الذي كان يتكلم الإنكليزية ومعه مدير الشرطة وبعض الموظفين ومعهم علم أبيض إلى ظاهر المدينة في الغرب، وهناك سلم رئيس البلدية كتاب المتصرف إلى الجنرال سير جون شي Sir John Shea فلم علم القائد العام السير أدموند أللنبي أن المدينة قد سلمت أمر أن لا يدخلها جندي، بل يقف الحرس على أبوابها إلى أن يدخلها هو في الحادي عشر من الشهر، واشتمل موكبه على ممثلي الدول المتحالفة، ولكن لم يكن فيه ممثل للعرب، والسبب في ذلك معارضة المندوب السامي البريطاني في القاهرة.

وفي صباح اليوم التالي 1917/12/9 م كانت القوات البريطانية تحتل القدس من كل جهاتها ما عدا الجهة الشرقية حيث كانت القوات التركية لا تزال مرابطة في جبل الزيتون، وعند الساعة الحادية عشرة والنصف أخذ الأتراك يطلقون نيران

([1]) مرجع سابق ص 81.

مدافعهم على الجيش البريطاني، فقابلهم البريطانيون بالمثل، واستمر إطلاق النار حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، ثم انسحبت القوات التركية، واتجه قسم منها عن طريق أريحا وأتجه القسم الآخر إلى نابلس[1] .

وأما الجنرال اللنبي الذي صوب نحو القدس والذي جمع مائة ألف مقاتل من قبل لفتحها فقد دخلها من باب الخليل راجلاً على الأقدام ومشى مع حاشيته إلى درج الباب الشرقي للقلعة حيث كان في استقباله رئيس البلدية ورؤساء الطوائف المختلفة في المدينة وأذاع البيان التالي:

(إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة: إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي، وفي الوقت الذي أذيع عليكم هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية، ولئلا ينالكم الجزع كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان، وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر اتباع الديانات الثلاثة الكبرى، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاثة المذكورة منذ قرون وأجيال، أود أن أحيطكم علماً بأن كل بناء مقدس ونصب ومكان مقدس أو معبد أو مقام أو مزار أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل وإلى أية طائفة من الطوائف الثلاثة، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات والعنعنات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكها).

ومع استمرار الإنكليز في احتلال القدس واعتلاء الجنرال اللنبي عليها استمروا في تهويدها حتى نضجت فكرتهم في إنشاء الوطن القومي لهم في فلسطين ومن ثمّ التفكير الجدي لإنشاء دولة إسرائيل، وخصوصاً بعد أن عُهد إلى (هربرت صموئيل) اليهودي بالتعيين كأول مندوب صهيوني في القدس بواسطة الجنرالي اللنبي[2].

([1]) عارف العارف، المفصل ص 374-383.

([2]) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية ص 49 .

وقد بدأت مراحل التهويد عقب احتلال الإنكليزي لها فقد زار (وايزمن) القدس وخطب في جماعة من الأعيان العرب حشدهم له الحاكم العسكري الإنكليزي في دار الحكومة، مظهراً ارتياحه لفتح الباب أمام الشهود للعودة إلى وطنهم ومعلناً أن اليهود لا يضمرون إلا الخير لسكان البلاد الآخرين، وقد أُستشير هؤلاء الأعيان فانسحبوا من الاجتماع.

أما من حيث التنفيذ الفعلي للتهويد ووضع التصاميم على الواقع فقد بدأ باستدعاء الجنرال اللنبي لمهندس الإسكندرية (ماكلين) سنة 8191م ليصمم الخطة الهيكلية للمدينة المقدسة، فوضع الخطة والمخطط والمقاييس والمواصفات المتعلقة بالبناء حيث قسم القدس بموجب هذا المخطط إلى أربعة أقسام:

أولاً: البلدة القديمة وأسوارها.

ثانياً: المناطق المحيطة بالبلدية القديمة.

ثالثاً: القدس الشرقية العربية.

رابعاً: القدس الغربية اليهودية.

ثم وُضعت التعليمات والقيود على إثر هذا التقسيم من حيث عدم جواز البناء في المناطق المحيطة بالبلدة القديمة وجعل المنطقة الغربية (القدس الغربية) منطقة تطوير، وقد سارع هذا التقسيم بعملية التهويد الذي يظهر فيه آثار التطويق للقدس العربية لمنع أي توسع متوقع[1] .

وفي السنة نفسها 1918م التي قسمت القدس بموجبها (زار وايزمن) القدس للمرة الثانية ليطلع علي مراحل التنفيذ ولتنفيذ برامج أخرى تتعلق بالتهويد بدعوة من حاكم القدس آنذاك (المستر ستورس)، وخلال مأدبة الغداء دار بين المجتمعين كلاماً حول مستقبل القدس أضطر معه مفتي القدس كامل الحسيني إلى الانسحاب احتجاجاً على ذلك[2].

وبهذه الفصول تكون عمليات التهويد قد مرت بمراحل متقدمة من عمر وتاريخ القدس بواسطة الدولة الإنكليزية التي ثبتت دعائم وجودها في القدس

([1]) سمير جريس، القدس، ص 23 .

([2]) عيسى السفري، فلسطين العربية ، ص 29 .

كدولة استعمارية منتدبة لتنفيذ سياسة التهويد وتنفيذ وعد بلفور الذي ينص صراحة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وذلك على أثر قرار مؤتمر فرساي الذي أصدرته مجموعة دول الحلفاء وأذيع في القدس في 20 شباط عام 1920م[1] .

ثمّ جاء دور عصبة الأمم لتبارك هذه الجهود في الانتداب البريطاني على فلسطين وتنفيذ وعد بلفور ووضعه موضع التنفيذ والذي جاء فيه:

(إن حكومة جلالة الملكة تنظر بعين العطف والرضا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وأعقب ذلك كله الصلاحيات الواسعة التي أعطيت للمندوب السامي البريطاني في فلسطين بحيث يكون مسؤولاً عن تشكيل المجلس التشريعي والمحاكم الدينية والمدنية، ولغات البلاد الرسمية في القدس وهي اللغات الإنكليزية والعربية والعبرية، وأيضاً التعليمات التي تتعلق بحرية السكان وحق الاعتراض على شروط الانتداب) [2].

ثمّ بموجب الصلاحيات التي منحت لهذا المندوب شكل المجلس الاستشاري الذي كان نصف أعضائه من الموظفين، والباقون كالتالي:

أربعة من المسلمين، وثلاثة من المسيحيين، وثلاثة من اليهود.

وفي ظل سياسة التهويد والانتداب ووعد بلفور والمندوب السامي البريطاني قدم إلى فلسطين ما بين 53-54 ألف يهودي خلال الفترة من 1903-1913 أكثرهم من روسيا.

وفي سنة 1944م أصبح عدد اليهود 97.000 ألفاً، وعدد المسلمين 30.630 ، وعدد المسيحيين 29.350، وآخرون 100 بما مجموعه 157.080 وعلى ذلك فإن عدد اليهود ظل في تزايد مستمر منذ سنة 1918 وحتى قيام الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1948م ، وكان ذلك بجهود الحكومة البريطانية التي وضعت فلسطين في ظروف سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية.

---

(1) مرجع سابق.

(2) مرجع سابق، ص 63-64.

هذا وقد ذكر الطيباوي والنتشة وعزمي إحصائيات جيلة عن عـدد المـهاجرين من اليهود إلى فلسطين، وسكان فلسطين، وسكان القدس يجدر بنا ذكرها كالتالي[1]:

من شهر كانون الثاني (يناير) إلى شهر تشرين الثـاني (نوفمـبر) سـنة 1919 (1.643) من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة 1919 إلى شهر حزيران (يونيو) سـنة 1921م (15.079) من شهر تموز (يوليو) سنة 1921 إلى شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة 1921 (4.784). سنة 1922 (7.844) المجموع (29.350).

وفيما يلي الإحصاء الرسمي الأول الذي تمّ في 22 تشرين الأول سنة 1922:

سكان فلسطين

المسلمون : 590.890

النصارى : 73.524

اليهود : 83.794

سكان القدس

	المسلمون	النصارى	اليهود
المدينة القديمة	9.345	7.262	5.630
المدينة الجديدة	4.668	7.437	28.332
المجموع	14.013	14.699	33.962
مجموع سكان المدينة	62.674		
مجموع المسلمين والنصارى	28.712		

أما عن المواقف والأحوال التي ترتبت عن الانتداب البريطاني علـى القـدس ووعد بلفور بإنشاء وطن قومـي لليـهود في فلسـطين، وعمليـات التـهويد للمدينـة المقدسة فإن المسلمين في أرجاء العالم عامـةً والعـرب في القـدس خاصـة قـد هزهـم المصير الذي آلت إليه القدس فبدءوا الثورة تلو الثورة والاحتجـاج تلـو الاحتجـاج كان من بينها:

---

(1) الطيباوي، القدس ص 55-57.

ثورة 1920 من نيسان التي اشترك فيها نحو أربعين ألف شخص، ومن ثمّ وقع الصدام الدموي الرهيب في تلك السنة بين العرب من جهة واليهود من جهة أخرى على أثر خطف اليهود العلم العربي أثناء احتفالات المسلمين بموسم النبي موسى عليه السلام في القدس، وقد قتل في هذه الإصطدامات أربعة من المسلمين وجرح واحد وعشرون، ومن اليهود قتل تسعة وجرح مائتين وخمسون. وتنادى العرب في تلك السنة أيضاً إلى الوقوف في وجه المؤامرة على القدس ورفعوا صور الملك فيصل ونادوا بالوحدة العربية والاستقلال ورفض الهجرة الصهيونية، أما موقف السلطات البريطانية من هذه المظاهرات فقد أعلنت الأحكام العرفية ومنعت الناس الخروج من بيوتهم بعد الساعة السادسة مساءً، وعطلت جميع الصحف فأضربت المدينة كلها وأغلقت أبوابها، وأصدرت المحكمة العسكرية حكماً غيابياً بالسجن عشر سنوات على كل من الحاج أمين الحسيني وعارف العارف اللذان شاركا بالمظاهرات والاضطرابات في تلك السنة[1] .

ثمّ ثورة 1921م التي تميزت بالثبات والاتساع والشمول، هاجم العرب فيها المستعمرات اليهودية، وهاجم اليهود بلدة قلقيلية ونهبوها مستعينين بالجيش البريطاني وطائراته، وتصدى الفلسطينيون وقاتلوا بشراسة وصدوا الاعتداءات وكانت حصيلة الإصطدامات التي استمرت أسبوعاً استشهاد ثمان وأربعين عربياً وقتل ثمان وأربعين يهودياً وجرح عدد كبير من الطرفين[2].

ثمّ ثورة 1929م التي أطلق عليها ثورة البراق، والبراق- كما هو معلوم- ذلك المكان الملاصق لجدار الحرم القدسي من الزاوية الجنوبية الغربية، وفيه الباب الذي دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج حين عرج به عليه السلام إلى السموات العلا، ويدعى هذا الباب أيضاً بباب محمد وسمي فيما بعد بباب المغاربة والسبب في ذلك أن جماعات كثيرة كانت تستفيد من الوقفيات حينما أصبحت القدس بعد الفتح الإسلامي موئلاً للقراء والعباد من جميع بقاع الأرض الإسلامية، فقطن في هذا المكان أي من الجهة الغربية للمسجد الأقصى

([1])الموسوعة الفلسطينية – 611/1-614

([2]) رفيق النتشة ، الإسلام وفلسطين ص 102 .

جماعات من المغاربة وذلك على إثر إيقاف الملك الأفضل نور الدين علي الابن الأكبر لصلاح الدين هذه الجهة عليهم، وبني لهم في هذا المكان مدرسة عرفت باسمه، وعرف المكان بحي المغاربة أو بحارة المغاربة ووقفية هذا المكان مؤيدة بصكوك محفوظة لدى دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس ولو أن صحيفتها الأصلية ضاعت، فأعيد تقييدها بأمر القاضي الشرعي، وبحسب الأصول الشرعية.

وبهذا فإن اليهود يدعون أن هذا الحائط هو حائط المبكى، فيعتقدون بقية من هيكل سليمان عليه السلام، ولذلك فإنهم أي اليهود يقدسونه ويقيمون بعض الشعائر التعبدية ويبكون عنده في احتفالاتهم وأعيادهم، ويحضرون معهم الكراسي والمقاعد والستائر ليفترشوها ويجلسوا عليها، كما فعلوا في الحادثة المشهورة سنة 1925م، فثارت ثائرة المسلمين عندما تصدوا لليهود، وكاد الأمر أن يؤدي إلى قتال لولا تدخل السلطات البريطانية، وأصدرت على أثره قراراً يمنع اليهود من مثل هذه الممارسات، لكن اليهود عادوا لتكرار هذه المحاولة سنة 1928م، وتدخلت السلطات البريطانية كما تدخلت المرة الأولى ومنعتهم.

وعلى أثر تلك الأفعال من اليهود ففي الحائط الذين يزعمون أنه المبكى تنادى العرب في فلسطين لمؤتمر إسلامي للتداول في هذا الأمر الخطير، وعقدوا مؤتمراً بالقدس سنة 1928م برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الأعلى وأطلق عليه (المؤتمر الإسلامي الكبير) وتداول المؤتمرون في أحقية اليهود في هذا المكان، وتعاهدوا على منع اليهود بأي ممارسة لهم من هذا القبيل في المستقبل، ومطالبة السلطات البريطانية من رفع أصواتهم التي تستهين بشعائر المسلمين، وقرروا كذلك إنشاء جمعية تعرف بجمعية (حراسة الأماكن الإسلامية المقدسة) وقد رفعوا مطالبهم تلك إلى السلطات البريطانية وإلى وزير المستعمرات البريطاني الذي قرر الاستجابة لهذه المطالب وإبقاء الوضع على ما هو عليه، لكن اليهود تحدوا هذه المطالب التي تقدم بها العرب مما حدا بالعرب أن يقابلوا ذلك بمثله[1].

وسرعان ما تحول هذه التحديات من كل من الطرفين العرب واليهود عند حائط البراق إلى اشتباكات حقيقية وذلك في العام نفسه 1929م، لأن اليهود

([1]) نجيب الأحمد، فلسطين، ص 184 .

احتشدوا عند الحائط ورفعوا العلم الصهيوني مستخفين بشعائر المسلمين، وهتفوا قائلين (الحائط حائطنا) ، وازداد التوتر عندما أحرق المسلمون منضدة لليهود وبعض الأوراق التي كانت موضوعة في ثقوب الحائط، وبعضها عليها تراتيل دينية تتعلق بصلوات اليهود، وبلغ التوتر حدته عندما هاجم المسلمون اليهود يوم الجمعة، 23آب 1929 فقتلوا منهم ، 135 وجرحوا، 340 بينما أستشهد من المسلمين العرب، 116 وجرح 240 حيث أن معظم الشهداء سقطوا بفعل القوات البريطانية الذين انحازوا لليهود، هذا وقد امتدت ثورة العرب في تلك السنة إلى كل بقاع فلسطين، وأعلنوا الاحتجاجات على القوات الإنكليزية التي تحالفت مع اليهود، كما وأعلنوا الإضرابات العامة في كل أنحاء فلسطين، لكن القوات الإنكليزية ألقت القبض على البعض وحكمت عليهم بالإعدام، لكنها عادت وغيرت الحكم إلى السجن المؤبد باستثناء ثلاثة نفذت فيهم حكم الإعدام وهم فؤاد حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم[1].

وقد أرسلت بريطانيا لجنة تحقيق برئاسة (والترشو) وقدمت تقريراً جاء فيه:

"للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي أملاك الوقف، وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير، يمنع جلب أية خيمة أو ستار أو ما شابههما من الأدوات إلى الحائط لوضعها هناك ولو كان ذلك لمدة محدودة" [2].

والخلاصة أن ثورة البراق كانت بسبب أمر يتعلق بعقيدة المسلمين وهو بقاء الموضع الذي انطلق منه سيد البشرية محمد بن عبد الله ليلة المعراج الشريف مفتوحاً للأجيال، وليظل كذلك علامة بارزة في تاريخ الإسلام مع أنه حائط ليس للتقديس ولكن لأنه يرمز إلى معان جليلة في الإسلام فإن له أهمية عظيمة عند المسلمين اعتبروه وقفاً لا يباع ولا يشترى ولا يوهب وقد كان.

([1])أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية ، ص 78 .

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، 10/ 268-269 .

أما عن طول الحائط وعرضه وارتفاعه، فإن طوله يبلغ مائة وست وخمسون قدماً، وارتفاعه ست وخمسون قدماً، ويبلغ طول بعض حجارته ستة عشر قدماً.

أما عن ثورة 1933 م فإنها قد نحت منحى آخر اعتقادا منها بأن الأمة العربية عامة، والقدس خاصةً هي نتيجة مؤامرات استعمارية تزعمتها الدولة الاستعمارية الأولى بريطانيا لتنفيذ الوعد الذي قطعته على نفسها بإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، ولذلك ما كان عام 1933م يأتي حين عقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعاً لها يوم 8 تشرين الأول وقررت ما يلي:

1- إعلان سخط الأمة العربية في فلسطين على عبث الحكومة البريطانية بحقوق أصحاب البلاد بفتحها أبواب البلاد للهجرة الصهيونية وتسهيلها انتقال أراضي العرب إلى اليهود واستبدادها بالحكم المباشر.
2- دعوة الأمة العربية إلى الإضراب براً وبحراً في جميع مدن فلسطين وقراها يوم الجمعة 13 تشرين الأول 1933م.
3- إقامة مظاهرات كبرى في اليوم المذكور في مدينة القدس في الساعة الواحد بعد الظهر على أن تبدأ من باب الحرم وتنتهي في باب العمود، وعلى مقربة من دار الحكومة التي يقيم فيها المندوب السامي (آرثر واكهوب).
4- بعد انتهاء المظاهرة يذهب جميع أعضاء اللجنة التنفيذية إلى دار اللجنة حيث يقررون حالاً القيام بمظاهرة ثانية في مدينة أخرى.
5- اشتراك جميع أعضاء اللجنة التنفيذية في كل مظاهرة.
6- إن مظاهرة القدس التي ستقام يوم الجمعة المقبل لا تُخاطب الحكومة في شأن الترخيص بها، وفي كل المظاهرات.
7- إن عرب فلسطين قد يئسوا يأساً تاماً من الحكومة،فهم لا يخاطبونها في شيء ولا يطلبون منها شيء.
8- العدول عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير المجدية.

هذا وعلى الرغم من تحذير الحكومة البريطانية بعدم القيام بالمظاهرات، إلاّ أن المظاهرات اشتعلت في موعدها المقرر، وانطلقت من ساحة الحرم القدسي

الشريف، ودارت اشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة فجرح 35 من المتظاهرين، و5 من رجال الشرطة، وما لبثت المظاهرات أن اندلعت في كل أنحاء فلسطين، وتحولت إلى ثورة عارمة، وراح ضحيتها عدد كبير من الشهداء والجرحى برصاص القوات العسكرية البريطانية[1].

أما عن ثورة 1936م،فإنه يمكن القول إنها استمرار للثورات التي سبقتها نتيجة الشعور بالظلم الذي اتبعته بريطانيا كدولة منتدبة في فلسطين وهذا سبب عام، أما السبب الخاص الذي يعد الشرارة الأولى لها هو استشهاد عز الدين القسام ورفاقه في أحراش يعبد على يد القوات العسكرية البريطانية في 20 تشرين الثاني سنة 1935م، فكانت الثورة هذه موجهة إلى الإنكليز واليهود معاً، فأعلن الإضراب العام في جميع أنحاء فلسطين ودوت صيحات الاستهجان والاستنكار من القدس، ودعت اللجنة العليا التي تشكلت من مفتي القدس الحاج أمين الحسيني ورئيس المجلس الأعلى للاستمرار في الإضراب حتى تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلاً أساسياً تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية[2].

واستمر العصيان في جميع أنحاء فلسطين وامتنع عن دفع الضرائب،وزاد تأجيج الثورة وتحولها من مرحلة العصيان إلى مرحلة الثورة المسلحة السماح بدخول 4500 مهاجر يهودي، فالتهبت مشاعر الناس واشتد الهجوم على المستعمرات اليهودية، وكثرت عمليات تدمير السكك الحديدية، وقلب القطارات ونسف الجسور، وتخريب الطرقات، وقطع الأسلاك والهجوم على المخافر[3].

واستمر الإضراب لستة أشهر كاملة، وتنادى الشعب العربي إلى المساعدة والنجدة، وهب الجميع خلف فوزي القوقجي القائد السوري الذي دعا العرب إلى الاستمرار في القتال حتى تتحرر فلسطين وتلتحق بقافلة البلاد العربية المحررة.

هذا وكان لقدوم القاوقجي تأثير وصدى كبير لدى عرب فلسطين الذين ازدادوا حماساً واندفاعاً أدى إلى امتداد الثورة واتساع نطاقها لتشمل معركة باب

---

(1) عيسى السفري، فلسطين العربية، ص 206-221 .

(2) مرجع سابق، 47/2.

(3) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية ص 198-199 .

الواد المشهورة والتي أطلق الثوار من خلالها النار على قافلة سيارات يهودية ذاهبة من يافا إلى القدس بالقرب من باب الواد، وفي الحال اشتبك حراس القافلة مع الثوار واشغلوهم برصاص البنادق والمدافع الرشاشة، فتراجع الثوار إلى ما وراء غابة الحكومة الواقعة على الجانب الآخر من الجبل، وجاءت طائرة إلى مكان القتال، وطلبت الإمداد لاسلكياً من القدس، فجاءت من هناك مفرزة مزودة بالمدافع الرشاشة والبنادق السريعة الطلقات والمدافع الجبلية والطائرات، وأحاطت بالثوار، وكان عددهم ستة عشر ثائراً، وكانت لديهم كميات وافرة من الذخيرة استطاعوا بها مداومة القتال نحو ساعة، وبإشارة من قائد الجند شرعت الطائرات تلقي قنابلها المحرقة على الثوار بكثرة فأحرقت الغابة كلها، واستشهد من الثوار 12 شخصاً تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين سنة[1].

واستمر الإضراب بل زاد حدة أمام إصرار الإنكليز عدم إيجاد الحلول المناسبة لثورتهم، مما اضطرهم إلى فرض الأحكام العرفية، وتدخل الزعماء العرب لإيجاد حلول مناسبة ، وتعهد الإنكليز بإيجاد حل يرضي العرب في فلسطين، وقامت بإرسال لجنة ملكية إلى فلسطين لتقصي الحقائق برئاسة اللورد (بيل)، وقد تقدم العرب بالمطالب التالية منها:

1- العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي.

2- إيقاف الهجرة اليهودية.

3- منع انتقال الأراضي العربية لليهود.

4- إنهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري[2].

لكن لجنة التحقيق الملكية هذه لم تقم بواجبها وضربت بالمطالب العربية عرض الحائط، وأصدرت قراراً بتقسيم فلسطين إلى المناطق الثلاث التالية:

1- منطقة تقام فيها دولة يهودية.

([1])عيسى السفري، فلسطين العربية 79/2.

([2]) مرجع سابق، 170/2-189.

2- منطقة تقام فيها دولة عربية.

3- منطقة الأماكن المقدسة فتبقى تحت إشراف بريطانيا.

أما ما جاء على لسان اللجنة بخصوص القدس: لا بد من منطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم، وتمتد حدودها من نقطة شمال القدس إلى يافا شاملاً مدينتي اللد والرملة، وهذه المنطقة تظل تحت الانتداب على إلا يسري عليها تصريح بلفور وتكون اللغة الإنكليزية اللغة الرسمية الوحيدة فيها، ويجب أن يشمل هذا الانتداب الناصرة وشواطئ بحيرة طبرية لقداستهما[1].

وما كادت توصيات لجنة بيل تظهر حتى عمت الاضطرابات من جديد وبدأت موجة من العنف والاستياء في جميع أنحاء فلسطين، ووقعت اشتباكات بين العرب والسلطات البريطانية مما حدا بتلك السلطات إلى وسائل القمع والتقتيل والنفي، فنفي الحاج أمين الحسيني إلى لبنان مع عدد كبير من الثوار، وتمكن الثوار في جهات أخرى من تحقيق بعض الانتصارات كما فعلوا عندما احتلوا القدس القديمة وسيطروا عليها سيطرة عظيمة، حتى أن وزير المستعمرات البريطاني المستر (ملكولم مكدونالد) أعترف بقوة الثورة وقوة ردود الفعل العربية وفي هذا الشأن قال:

(إن قمع الثورة ليس بالسهولة المظنونة).

واضطر الإنكليز أمام اشتداد الثورة وعدم القدرة على إيقافها الدعوة إلى مؤتمر عربي في لندن للتداول والتشاور في القضية الفلسطينية، وانتهى المؤتمر بالفشل بعد أن استمر انعقاده عدة أسابيع ،وبعدها أصدرت بريطانيا ما سمي بالكتاب الأبيض أعلنت فيه تراجعها عن فكرة تقسيم فلسطين، لكنها سمحت بدخول خمسة وسبعين ألف يهودي مهاجر إلى فلسطين خلال خمس سنوات، وقوبل هذا الطلب من العرب بالرفض والاستياء كما هو الأمر قبل صدور الكتاب الأبيض، واستمرت الاضطرابات والاحتجاجات إلى أمد غير قصير، وبتعبير أدق إلى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، وإزاء طول المدة بتعرض العرب إلى نقص في الإمدادات والذخيرة والمؤن والمضايقة من قبل فرنسا وبريطانيا مما أجبرهم الانتظار إلى ما سيكون عليه الوضع بعد الحرب العالمية الثانية.[2]

([1]) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيغية ص 111 .

([2]) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية ص 111، 123-137-147 .

يتعين التأكيد منذ البداية على ضرورة الاهتمام بالجانب القانوني في أبعاد هذه القضية التاريخية والدينية والسياسية لقضية القدس التي تعتبر الحجر الأساسي في قضية الصراع العربي – الإسرائيلي . ويعتقد الكثير من المراقبين أنه لا سلام ولا أمن في المنطقة إلا بحل عادل يلتزم بحكم القانون واحترام الحقوق في قضية (القدس الشريف) منارة الأديان.

وبموجب قرار تقسيم فلسطين الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 29 نوفمبر 1947 وقرارين لاحقين صدرا في 11 ديسمبر 1948 وفي ديسمبر 1949 تم وضع نظام للإدارة الدولية لمدينة القدس نظراً لاحتوائها على الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود ويشمل النظام الدولي بلدية القدس أي مدينة القدس بأكملها بما فيها من أحياء قديمة وحديثة والقرى المحيطة بها والتي تشكل معها وحدة واحدة وتم تحديد مكوناتها في خريطة ألحقت بقرار التقسيم الصادر في 29 نوفمبر 1947.

وقد تقرر في هذا التقسيم وضع القدس تحت السيادة الجماعية للأمم المتحدة بحيث يكون مجلس الوصاية مسؤولاً عن إدارتها ويعين مجلس الأمن حاكماً للمدينة المقدسة يعاونه مجلس تشريعي يتكون من أربعين عضواً توضع القدس في حالة حياد دائم ويكون لسكانها رعاية خاصة.

لكن النظام الدولي المقترح للقدس لم ير الحياة وبيان ذلك أن مجلس الوصاية قد كلف بوضع مشروع لهذا النظام تمهيداً لعقد اتفاق دولي بشأنه لكن هذا المشروع تعذر إقراره بواسطة الجمعية العامة نتيجة لمعارضة كل من البلاد العربية وإسرائيل لتدويل القدس فبقي التدويل معطلاً.

وظل القسم القديم من القدس تحت سيطرة الأردن وهو الجزء الذي يحتوي على الأماكن المقدسة أما القسم الحديث فقد احتلته إسرائيل منذ إنشائها سنة 1948. وفي 7 يونيو 1967 احتلت إسرائيل مدينة القدس بأكملها عقب عدوانها في 5 يونيو 1967 ومنذ ذلك العام – وحتى الآن– هناك انتهاكات إسرائيلية لا يمكن حصرها للحقوق المدنية والمعتقدات في مدينة القدس.

ولم تكتف سلطات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة بانتهاك حقوق الإنسان بل امتدت يدها للعبث بالمقدسات وخاصة في مدينة القدس حيث عملت على إجراء الحفريات حول الحرم الشريف في القدس واغتصاب وهدم وإزالة العقارات والمقدسات الإسلامية بها وتشريد سكانها مستهدفة إزالة الحرم الشريف ومسجد الصخرة والمسجد الأقصى وإزالة ما حولهما وما يجاورهما من تراث إسلامي ومسيحي وحضاري واستبدال كل ذلك بهيكل جديد مزعوم لليهود.

وقد عملت السلطات الإسرائيلية منذ احتلال القدس على مواصلة إجراءات الحفر حتى وصلت إلى أسوار الحرم الشريف من الجهتين الجنوبية والغربية . وقد حددا أحد علماء الآثار الإسرائيليين طول هذه الحفريات بـ 485 متراً كان قد تم حفر 32 متراً منها حتى أكتوبر 1970 ثم استمرت هذه الأعمال بصفة متدرجة حتى وصلت إلى أجزاء منها إلى اكتمال حفر إلى ما تحت قبة الصخرة والإعلان عن ذلك وفتح النفق للإسرائيليين والسائحين في سبتمبر 1996 .

وقد تجلت قمة الأعمال الإجرامية للسلطات الإسرائيلية بقيامها بإحراق المسجد الأقصى في 21 أغسطس عام 1969. في محاولة منها لتهويد القدس العربية والقضاء على أهم معالمها الإسلامية كل ذلك من أجل بناء هيكل اليهودية المزعوم مكان المسجد الأقصى.

وتؤكد قواعد القانون الدولي على حماية الأماكن المقدسة والأماكن الأثرية وذلك لأنها تعتبر تراثاً إنسانيا حضارياً ولا يقدر بثمن كما تلزم هذه القواعد سلطات الاحتلال احترام هذه الأماكن وعدم المساس بها والعمل على احترام حرية ممارسة الشعائر الدينية كما تحذر من التدخل في هذه الشؤون أو العمل على تعطيلها وعلى سبيل المثال اتفاقية لاهاي الرابعة لسنة 1907 في نص المادة 56 التي يقرر "أن امتلاك البلديات والمؤسسات الدينية والتعليمية ، حتى ولو كانت للدولة يجب أن تعامل كالأملاك الخاصة. وان الاستيلاء أو التدمير أو الأضرار المتعمد لهذه المؤسسات أو المباني التاريخية أو التحف الفنية محظور، ويجب أن تتخذ قيد المخالفين لنصوص هذه الاتفاقية كل الإجراءات القضائية".

كما جرى النص أيضاً على حرية ممارسة الشعائر الدينية والتزام السلطة المحتلة بوجوب احترام ذلك في نص المادة 27 من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949 الخاصة بحماية المدنيين والتي أكدت على حق السكان في المناطق المحتلة في ممارسة شعائرهم الدينية حسب عاداتهم وتقاليدهم.

وقد أكدت محكمة نورمبرج في أعقاب الحرب العالمية الثانية. على أن تعرض سلطات الاحتلال للأماكن الدينية أو المساس بها وكذلك إعاقة أو تعطيل الشعائر الدينية في الأراضي المحتلة، يشكل جريمة من جرائم الحرب، تدينها قوانين وأعراف الحرب والاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية والمبادئ العامة المعترف بها من قبل الدولة المتمدنة . وقد أصدرت محكمة نومبرج أحكاماً عديدة بإدانة الأشخاص الذين قاموا بإغلاق الأديرة وسلب أموال الكنائس والمعابد وانتهاك حرمتها وتدخلوا في ممارسة السكان المدنيين لعقائدهم الدينية واضطهادهم للقساوسة ورجال الدين.

إلا أن إسرائيل عملت على نقل الأملاك العربية في القدس إلى أفراد وهيئات إسرائيلية.

إذ أنه بعد قرار التقسيم لجأت القيادة الصهيونية إلى حيل وأساليب عديدة لترسيخ وجودها في الأراضي الفلسطينية واحتلال أكبر مسلحة منها، خاصة القدس الشرقية التي تتميز بخصوصية كبيرة لدى العرب والمسلمين. وفي هذا السياق وضعت خطة هجومية كبرى سمتها الخطة دال (لتنفيذ قرار التقسيم بقوة السلاح، وكان هدفها الأول احتلال العديد من القرى تمهيداً لاحتلال القدس بكاملها، وبالفعل بدأت الحكومة الإسرائيلية بتنفيذ الهجوم العام على القدس في الأسبوع الأول من إبريل 1948 عبر سلسلة من العمليات المحكمة الترابط وذلك قبل دخول الجيوش العربية بستة أسابيع وأدت هذه العمليات إلى سقوط ما سمي بالقدس الغربية بحلول 15 مايو 1948 .

وقد شكلت القدس الغربية المحتلة 84.13 في المائة من مساحة بلدية القدس الانتدابية ، وكانت تضم أهم مراكز التجارة والأحياء السكنية العربية خارج البلدة القديمة وكان يقطن هذه الأحياء 25000 مواطن مقدسي من المسيحيين والمسلمين من أصحاب المهن الحرة والتجار وكبار الموظفين . وقد شردوا جميعاً واستولت

إسرائيل على أملاكهم ولم تتعد ملكية اليهود في القدس الغربية المحتلة الـ 30 في المائة. وهكذا كان ما بقي في أيدي العرب في الخامس عشر من مايو 1948 وسمى بالقدس الشرقية لم يتعد 11.48 في المائة من مساحة بلدية القدس الانتدابية ولم تنقذ القدس الشرقية إلا بعد تدخل الجيش العربي في اللحظة الأخيرة.

من هنا يمكن القول أن وجود إسرائيل في القدس الغربية يقوم على الاحتلال العسكري خرقاً للقانون الدولي لكونه خرقاً لمشروع التقسيم وللكيان المنفصل الذي نص عليه المشروع، كما أن هذا الاحتلال يخضع قانونا لاتفاقات لاهاي وجنيف الخاصة بالأراضي المحتلة من خلال الحرب.

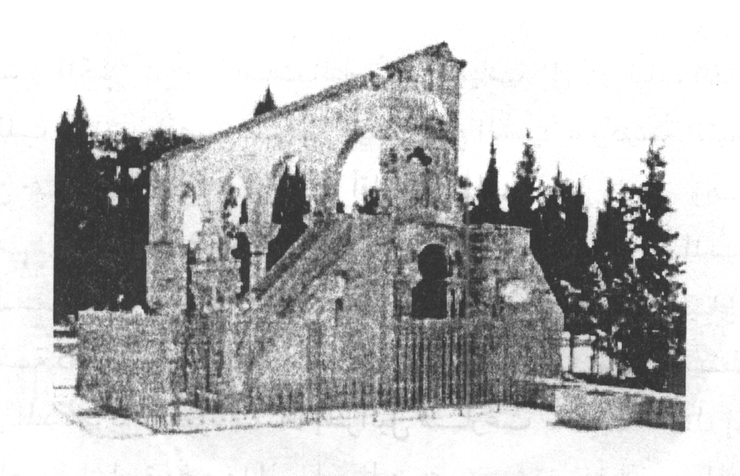
وبذلك فإن إسرائيل عملت طيلة السنوات 1949-1967 إلى نقل الأملاك العربية في القدس الغربية إلى أفراد وهيئات إسرائيلية وأعلنت القدس العربية عاصمة لها. وبنت على الأملاك المغتصبة أهم مؤسسات الرسمية ضاربة عرض الحائط بكل اتفاق أو قانون دولي، وهو ما يدفع معظم دول العالم إلى عدم الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على القدس الغربية حتى الآن.

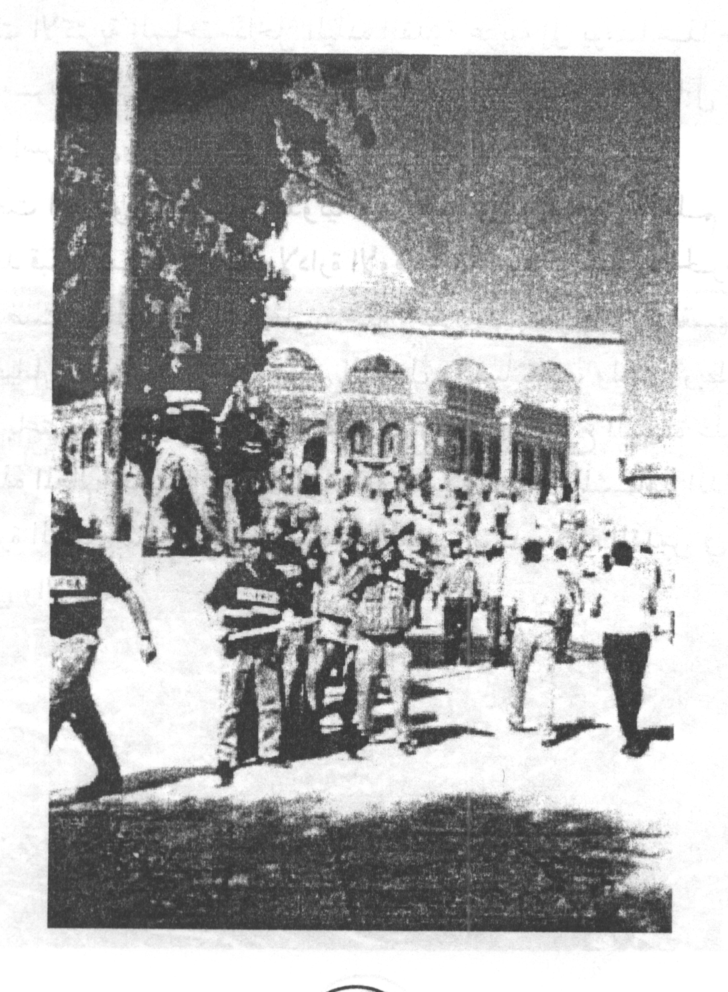
ومن هنا يقول وليد الخالدي أن السيطرة العسكرية اليهودية على الحرم الشريف وحائط المبكى في أعقاب حرب يونيو. وللمرة الأولى منذ أن هدم الإمبراطور الروماني هيكل هيردوس الثالث عام 70 للميلاد، أحدثت هذه السيطرة زلزالاً عاطفيا في أعماق نفوس اليهود وعلى يمين إسرائيل ويسارها على حد السواء فكانت سكرة لم يصحوا منها إلى الآن.

وفور احتلالها للقدس الشرقية أقامت إسرائيل استعراضاً عسكريا في باحة الحرم الشريف، ورفعت العلم الصهيوني على مسجد قبة الصخرة، ونفخ كبير حاخامي الجيش، عند الحائط إيذانا بالنصر، وانذر سكان حي المغاربة، أمام الحائط بمغادرة منازلهم خلال ساعات، ودكت الجرافات كل منزل فيه، وقضى بعض المسنين تحت الأنقاض، وتحول وقف (الأفضل أبن صلاح الدين) و(أبي مدين التلمساني) إلى باحة فسيحة ألحقت بحائط المبكى ، وكان هذا رد إسرائيل على لجنة التحقيق الدولية التي قدمت أثر ثورة البراق، وإعلان رفضها للثوابت العتيدة الذي بقي قائماً منذ العهدة العمرية.

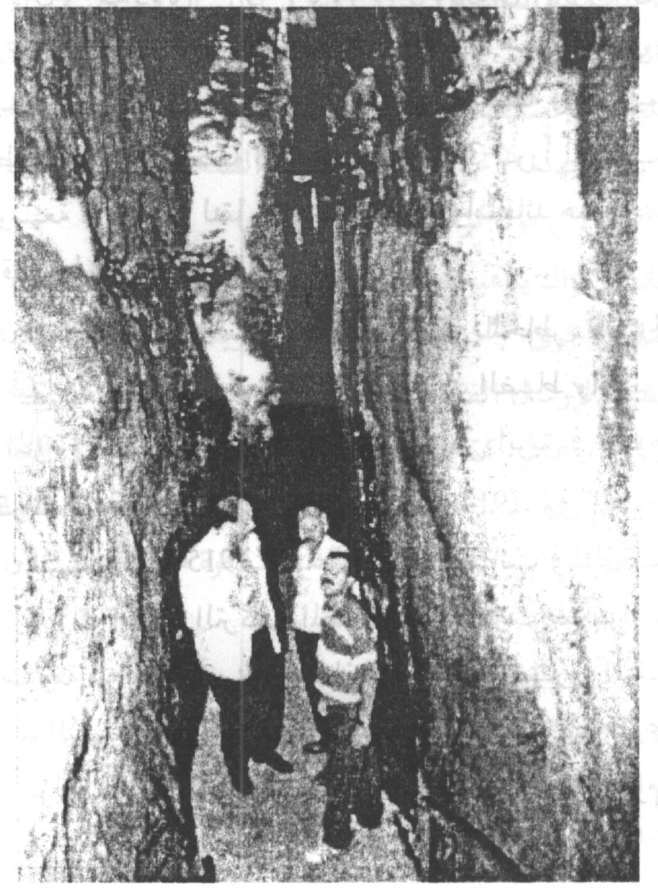
وتشير الكثير من الدراسات التاريخية والسياسية إلى أن البلدة القديمة داخل الأسوار قلب القدس وقصبة فلسطين حيث الحرم الشريف، وكنيسة القيامة والبراق تتألف من خمسة أجزاء مجموع مساحتها أقل من كلم مربع واحد. وهذه الأجزاء الخمسة هي : الحرم الشريف والحي العربي الإسلامي والحي العربي المسيحي والحي الأرمني المستعرب والحي اليهودي القديم قبل 1948 أصغر هذه الأحياء: لا تتعدى مساحته خمسة دونمات وتعود معظم ملكيته إلى وقف ذرية إسلامية يقطنه حوالي 2000 من المستأجرين اليهود بيد أن إسرائيل سارعت بعد الاحتلال إلى مصادرة الأملاك العربية المجاورة وضمها إلى الحي اليهودي بحيث تضاعفت مساحته عشرين ضعفاً أقيمت عليها مبان جديدة يسكنها اليوم حوالي أربعة آلاف إسرائيلي، ومع ذلك بقيت الأكثرية الساحقة داخل البلدة القديمة عربية إلى يومنا هذا حيث يبلغ تعداد العرب فيها حوالي خمسة وثلاثين ألف نسمة مقابل أربع آلاف وخمسمائة إسرائيلي.

وتحت الضغوط العربية والدولية قامت إسرائيل بإنزال العلم الصهيوني عن مسجد قبة الصخرة وسمحت لإدارة الأوقاف الإسلامية بإدارة الحرم الشريف ولكنها فرضت سيطرتها الأمنية على داخله وعلى أبوابه، وأباحت لنفسها الحفر من حوله وأحيانا تحته، ومنحت اليهود حق الدخول والصلاة فيه، ولكنها ربطت ممارسة هذا الحق باعتبارات أمنية يعود إليها تقديرها، وأبقت موضوع السيادة عليه مضمراً، فكانت هذه المعالم الجديدة التي فرضتها بقوة السلاح. ولعل المشاهد الدامي الذي خلفته زيارة السفاح شارون لباحة المسجد الأقصى تؤكد مكانة القدس في الوجدان الفلسطيني والإسلامي.









★ حملة الأتراك الأولى على قناة السويس :

كانت الغاية من حملة الأتراك على مصر [1] هي اشغال الانكليز وإبعادهم عن الدردنيل . وكان الأمل قوياً أن تثور مصر ومن ورائها السودان ، بمجرد اقتراب الجيش التركي من الحدود وعبور قناة السويس . فإذا سيطر الأتراك على هذه القناة ، عرقلوا وسائط النقل بين انكلترا والهند . فيضطر الانكليز إلى أن يجتازوا طريقاً للهند غير قناة السويس ، وهو رأس الرجاء الصالح . وفي هذا ما فيه من كلفة وعناء ووقت طويل .

هذا ما كان يرمي إليه الأتراك ، يعضدهم فيه حلفاؤهم الألمان . ولا سيما الميرالاي فرس فون قرسنشتاين الذي عين رئيساً لأركان الحرب في الفيلق الثامن . وكان هذا الفيلق الذي وجهه الأتراك لمهاجمة قناة السويس ، مؤلفاً من فرق المشاة 23 و25 و 27 وعدد من المتطوعين . وقد بلغ مجموع أفراد هذا الفيلق 12642 جندياً. وكان مجهزاً بسرية من الهجانة ، وعدد من المدافع الثقيلة والمتراليوزات والبنادق السريعة الطلقات . وكان معه 968 حصاناً و 328 ثوراً لسحب المدافع عبر الصحراء ، وسبعة آلاف جمل لنقل الأعتدة والمؤن . وأما قائد هذه الحملة فهو جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع .

غير أن الطريق إلى قناة السويس كانت محفوفة بالمخاطر . ذلك لأنها تمر من بادية لا زرع فيها ولا ماء . حتى أن قيادة الجيش أمرت الضباط والجنود أن يقتصدوا في استعمال الماء ، وأن لا يشرب الواحد منهم أكثر من ابريق في اليوم الواحد .

★ كتائب الأتراك تتجمع في شهر كانون الأول لعام 1914. وفي اليوم الرابع عشر من كانون الثاني سنة 1915 شرعت هذه الكتائب في الزحف ميممة قناة السويس . فعبرت الحدود التركية المصرية ، واجتازت صحراء سيناء ، دون أن تلقى أية مقاومة من الانكليز . إذ كان هؤلاء قد اختاروا البقاء وراء الضفة الغربية لقناة السويس . وحاول الأتراك عبور قناة السويس . وقد عبرتها بالفعل قوة صغيرة مؤلفة من ستمائة جندي في مكان يدعى (طوسوم - سرابيوم)

---

(1) راجع كتاب (فلسطين جبهة سي) ذلك الكتاب الذي أصدرته وزارة الحرب التركية بعد الحرب.

بالقرب من البحيرة المرة أمام الاسماعيلية . واستعمل هؤلاء المعديات[1] التي أعدت لهذه الغاية . إلا أن هذه المعديات لم تكن كافية . فما كاد هذا العدد الضئيل من الجند يعبرون القناة ، حتى تلقتهم المدفعية البريطانية بنيرانها الحامية . وكانت هذه تقذف حممها من بعض قطع الأسطول الذي كان راسياً في البحيرة المرة ؛ فصدتهم على أعقابهم ، بعد أن استشهد عدد كبير منهم ، وأسر آخرون . ولم ينجح الأتراك في حملتهم هذه إلا نجاحاً ضئيلاً ، وهو إرغام الانكليز على أن يبقوا في الضفة الغربية ، وتخريب مدرعة انكليزية كانت راسية في القناة . فقرر الأتراك الانسحاب رغم أنف (قرس بك) الذي كان (يفضل الموت على الانسحاب) . وقد انسحبوا بالفعل تاركين وراءهم 1300 شهيداً ، وعدداً كبيراً من الإبل التي نفقت بسبب الحر والتعب .

تأهب الأتراك للحملة الثانية : عندما فشل الأتراك في حملتهم الأولى ، أخذوا يستكملون نقائص جيشهم ، ويتأهبون للقيام بحملة ثانية . فأصلحوا منازلهم على طول الطريق ، ومدوا السكك الحديدية ، واستخدموا عدداً كبيراً من الجنود كعمال لهذه الغاية . وعهدوا بهذه الأعمال كلها إلى قيادة الصحراء التي وضعت تحت أمرة القائد الألماني (الميرالاي فون قرس بك) .

وفيما كان الأتراك يتأهبون للقيام بحملتهم الثانية على قناة السويس ، حدث في ساحات القتال الأخرى [2]حوادث اضطرتهم للتريث في الأمر.

فقد اضطروا لإرسال الفرق الثامنة والعاشرة والخامسة والعشرين من فرق الجيش الرابع إلى الدردنيل. كما أرسلوا فرقة من فرق الفيلق الثاني عشر إلى العراق، وأخرى إلى القفقاس. ثم أخذوا من الجيش الرابع جميع المدافع السريعة الطلقات والمتراليوزات التي كانت لديه. فانخفضت قوة هذا الجيش انخفاضاً هائلاً. وأصبح مجموع أفراده اثني عشر طابوراً فقط.

---

(1) حمل الأتراك هذه المعديات معهم عندما اجتازوا الصحراء وقد كانت قد قطعاً متناثرة، فركبوها عند وصولهم للقتال واستعملوها.

(2) كان الأتراك يحاربون خلال الحرب العالمية (1914– 1918) في خمس جبهات: فلسطين، العراق، القفقاس، رومانيا، والدردنيل.

أضف إلى ذلـك: الأنبـاء الـتي وصلـت عـن نشـوب ثـورة في بـلاد الأرمـن، والاستياء الـذي كـان واضحـاً للعيـان في البـلاد العربيـة مـن جـراء انتشـار فكـرة الاستقلال بين العـرب، والمفاوضـات الـتي كـانت تـدور حـول هـذا الموضـوع بـين الانكليز وبين الملك حسين ابن علي ملك العـرب الـذي ثـار ضـد الـترك وأعلـن استقلال العرب (1915).

فلم يتمكن الأتراك، بسبب الحوادث المتقدم ذكرها، من القيام بحملتهم الثانية على القتال؛ قبل أن يأتيهم المدد من جهة، وقبل أن يمهدوا السـبيل إلى هـذه الحملـة، وذلك بتعبيد الطرق، وإنشاء السكك الحديدية من جهة أخرى.

ولم يكن الانكليز بغافلين عما يفعله الأتراك في هذه الجبهة، فقد زار مصر في أواخر عام 1915م وزير الحربية البريطانية اللورد كيتشنر، واستحضر عدداً كبيراً من الفرق الإنجليزية التي كانت في فرنسا وسلانيك والدردنيل والهند. فأصبح لديـهم في مصر 300.000 جندياً. وعهدوا بقيادة هذا الجيـش والدفـاع عـن مصـر إلى الجـنرال السرا ارشيبالد موري وأما قوة الأتراك التي كانت يومئذ ترابط في هذه البلاد- مـن مصر إلى اطنه – فإنها لم تجاوز الأربعين ألفاً.

٭ حملة الأتراك الثانية على قناة السويس:

على الرغم من أن المدد الذي كان يتوقعـه الأتـراك لم يصلـهم وأن الوسـائل التي كانت لديهم قليلة؛ فإنهم تحت ضغط الألمان الملح، قـرروا القيـام بحملـة جديـدة على القناة (نيسان 1916).

ثم زحفوا باتجاه القتال. وكانت قوتـهم في هـذا الزحـف مؤلفـة مـن 20.000 جندي، نصفهم فقط محاربون. ولكنهم في هذه الحملة أيضاً فشلوا. وكانت خسائرهم في هذه المرة: ألف قتيل، وثلاثة آلاف أسير. وأما خسائر الإنكليز، فإنها – على قـول الأتراك أنفسهم – لم تجاوز 1130 قتيلاً.

٭ الإنكليز ينقلبون من طور الدفاع إلى طور الهجوم:

تبدل الموقف في هذه الجبهة، بعد فشل الحملة الثانية، تبدلاً محسوساً. فبعـد أن كان الأتراك مهاجمين، والانكليز مدافعين؛ انقلبت الآيـة: فـأصبح الانكلـيز مـهاجمين، والأتراك مدافعين. وراح الإنكليز يفكرون في الاستيلاء على فلسطين، بعد أن كـانوا

قانعين بالدفاع عن مصر فقط [1]. وكان ذلك بناء على قرار أصدرته وزارة الحرب البريطانية في بداية عام 1917م [2]. ولقد صدر هذا القرار في نفس الوقت الذي قرر فيه حلفاءهم الروس أن يقوموا بقيادة الغراندوق نقولا بحملتهم على القفقاس على أمل أن يسحقوا الجيش التركي.

* **قائد القوات البريطانية السرارشيبالد موري**، كان الجيش الذي تحت أمرته مؤلفاً من (330.000) جندياً، هذا هو تقدير الأتراك. وأما الإنكليز أنفسهم فيقولون أن قوتهم لم تتجاوز السبعين ألفاً.

وضع الشر ارشيبالد موري Sir Archibald Murray جميع الكتائب [3] الإنكليز الموجودة شرقي قناة السويس تحت أمرة اللفتنانت جنرال السر تشارلس دوبل Sir Charleds Dobell . وأما المياه فإنها وإن كانت متيسرة في المناطق الساحلية، إلا أنها لا تكفي للعدد الكبير من الجيوش التي كانت عليها أن تعبر الصحراء. ولهذا كان لابد من جر مياه النيل. وقد جرت بالفعل بواسطة أنابيب حديدية. وعهد إلى الاسطول البريطاني المعقود لواؤه للأميرال (وه ميس) بحماية هذه المناطق. وقد شرع الانكليز في نفس الوقت يمدون السكة الحديدية شمالاً، ليتمكنوا من نقل جنودهم وعتادهم.

---

(1) The Palestine Campaigns by. Colonel A. P. Wavell .

(2) ذلك لأن المستر لويد جورج Mr. Lioyes George الذي تولى رئاسة الوزارة البريطانية بعد السكويث (Mr. Asquith) في 7 ديسمبر سنة 1916 كان يرى أنه لابد من اشغال الألمان في جبهة اخرى غير الجبهة الغربية في أوروبا، وقد أبرق إلى الجنرال ارشيبالد موري يقول : (لابد من الحصول على نصر في الشرق.

(3) كانت هذه الكتائب مؤلفة من (آ) فيلق الصحراء، وهو مؤلف من (1) فرقة المنشأة الثالثة والخمسين و(2) فرقة الأتراك الفرسان و (3) فرقة الفرسان الأمبراطورية. (ب) والفرقة الثانية والخمسين (ج) والفرقة الرابعة والخمسين (د) ولواء من الفيلق الأمبراطوري للهجانة/ وأما فرقة الفرسان الإمبراطورية فقد كانت مؤلفة من اللواء الثالث للخيالة واللوائين الخامس والسادس للفرسان اليومانيين والبريطانيين واللواء الرابع للخيالة الاسترالين، وكان مع كل من اللواء الثالث والرابع كتائب من المستشفيات والمؤسسات الصحية التي تعمل متنقلة بين الكتائب المختلفة.وأما فرقة الاتراك الفرسان فقد كانت مؤلفة من اللواء الثاني للخيالة النيوزيلاندية والالاي الثاني والعشرين للفرسان البريطانيين.

* **انسحاب الأتراك من غزة:**

عندما اتصل نبأ هذه الاستعدادات بالأتراك شعروا بالخطر.

وقد جاء القائد العام أنور باشا من استانبول، وعقد مجلساً حربياً، حضره كل من جمال باشا وفون قرس بك للتشاور في الأمر. فقرروا الدفاع حتى النفس الأخير.

* **معارك غزة:**

انسحب الأتراك من العريش في 20 كانون أول عام 1916؛ ثم رجعوا إلى غزة، وأخذوا يتأهبون للدفاع عنها دفاعاً لا هوادة فيه. ولقد حصنوها تحصيناً تاماً. قامت في غزة معركتان: واحدة في 27 آذار 1917 والثانية في 19 نيسان 1917. وقد انتهت كلتاهما بفشل الإنكليز، وانتصار الأتراك. وخسر الإنكليز في الأولى 2700 قتيلاً و 4359 جريحاً. وأما خسائر الأتراك فقد كانت أقل من ذلك بكثير: 1750 بين قتيل وجريح.

* **الجنرال اللنبي يتولى القيادة بعد الجنرال موري**

أقال الإنكليز على أثر فشلهم هذا الجنرال دوبل من قيادة القوى الشرقية. واستبدلوه بالجنرال (شتوود). وجعلوا الماجور جنرال (شفل Chauvel) قائداً لقوة الصحراء، وتولى الماجور جنرال (شتيور E.W.C. Chaytor) قيادة فرقة الأتراك الفرسان. وأما القيادة العامة لجميع هذه القوى فقد انتزعت من يد السر ارشيبالد موري وسلمت في حزيران سنة 1917 ليد السر ادموند اللنبي بصفته القائد العام للحملة المصرية Sir Edmund , Allenby. Commander in Chief of the Egyptian Expeditionary Force .

منح اللورد اللنبي صلاحيات واسعة، وأعطى كل ما طلبه من جند، ومدافع وآلات ميكانيكية وذخائر وأعتدة، وأخذ يرسم الخطط، للاستيلاء على غزة فحسب، بل وعلى فلسطين بأسرها. وشرع في تنسيق القيادة، وقام بتمرينات عسكرية لاختبار حالة جيشه، وضاعف الجهود التي سبقت لمد الأنابيب وجر مياه النيل في الصحراء. وقد مدت هذه بالفعل على مسافة 135 ميلاً، كما مدت السكة الحديدية حتى وصلت إلى دير بلح، وأنشأ لها بعض الفروع، وقد اتخذت القنطرة مركزاً لتموين جيشه بدلاً من الاسكندرية. وأعاد تنظيم القوى التي وضعت تحت إمرته.

وكان مجموع القوى المحاربة التي وضعت تحت إمرة. اللورد اللنبي 100.199 رجلاً.

أن شخصية الجنرال اللنبي ومقدرته ونفوذ بصيرته، بدت للجند بزياراته الكثيرة المتوالية للقطعات، ولا سيما في المناطق الأمامية. وهذه الصفات أحدثت تطوراً عجيباً في معنوية الجيش الإنكليزية. وبعد أن كان الاعتقاد سائداً بأن هذا الجيش الذي كان يحارب في الجبهة الفلسطينية كان منسياً، تبدل هذا الاعتقاد، وانقلب اليأس إلى رجاء. ولا سيما عندما وصلت النجدات الجديدة ومعها طائرات حديثة الصنع.

*** موقف الجيش التركي:**

رأى الأتراك استعداد الإنكليز هذا؛ فحسبوا له حسابه، وراحوا يعدون العدة من جديد. وعقدوا في حلب مجلساً حربياً (27 حزيران سنة 1917) حضره كل من:

القائد العام	أنور باشا
قائد الجيش القفقاس	أحمد عزت باشا
قائد الجيش الثاني	مصطفى كمال باشا
قائد الجيش السادس	خليل باشا

مستشاروا وزارة الحرب التركية محمود كامل باشا وغيرهم من الرؤساء والقواد.

أن هذا المجلس وإن لم ينته يومئذ إلى قرار حاسم في صدد الخطة الواجب اتباعها [1]، إلا أن القيادة العامة عادت فقررت [2] إرسال الجيشين السابع والثامن من (جيوش بيلديرم [3]). أي جيوش الصاعقة إلى الجبهة الفلسطينية. ولما كان غازي

(1) كان بعض أعضاء هذا المجلس يرى وجوب الاهتمام بجبهة العراق، واسترداد بغداد التي سقطت بيد الإنكليز في 11 آذار سنة 1917، والبعض الآخر كان يؤثر الجبهة الفلسطينية على غيرها، لاعتقادهم بأن خسارة هذه الجبهة تعني خسارة فلسطين، وخسارة فلسطين، تعني خسارة القدس وأماكنها المقدسة. وهذا ما لا يريدونه. لأن للقدس أهميتها الدينية. في نظر الأديان والشعوب كلها.

(2) ولكن بعد خراب، وبعد تلكؤ دام أربعة شهور.

(3) كانت جيوش بيلديرم هذه بادي، ذي بدء مؤلفة من القطعات التالية: الفيلق الثالث (الفرق 42، 50، 59) والفيلق الخامس عشر (الفرق 19، 20)ثم أضيف إليها كل من الجيش السادس، والجيش السابع، والجيش الثامن.

باش قائد الجيش السابع مخالفاً لهذا الرأي، فقد استقال من القيادة بإيعاز من أنور باشا، وعهد بقيادة هذا الجيش إلى أمير اللواء فوزي باشا.

وفيما كانت هذه التبدلات في القيادة تجري، كانت أحوال الجيش التركي تسير من سيء إلى أسوأ. إذ كانت أرزاقه قليلة للغاية. ولم يحسن ضباط الجيش استعمال هذا القليل من الأرزاق، بدرجة أن الجوع كان يلازم الكثيرين من الجند في كثير من الأحيان. وقد جاء في التقارير الرسمية أنهم لم يستطيعوا توزيع كمية من الخبز أكثر من 75 طناً في أي يوم من أيام شهر أيلول 1917، مع أن احتياج الجيش اليومي للخبز كان 150 طناً على أقل تقدير. وقد فتكت الأمراض بالجند فتكاً ذريعاً، فأخذ عددهم يتناقص ما بين 3000 و4000 في كل شهر، دون أن يأتي من يقوم مقامهم ويشغل مراكزهم. وقد هلك عدد كبير من حيوانات الجيش، بسبب الجوع وقلة العلف. وأما حاجة الآهلين إلى الأرزاق والمؤن فقد كان أعظم من ذلك بكثير.

كان الأتراك يصادرون الحيوانات، دون أن يتركوا منها ما يصلح للتوليد والتناسل، حتى يضمنوا مواصلة إنتاج تلك الثروة الحيوانية في البلاد.

وكانوا يصادرون الحبوب، حتى أنه لم يبق منها ما يكفي للزراعة.

وكنت تجد عربات السكة الحديدية- على ضآلة السكك الحديدية في تركيا- مشحونة بالجند والعتاد، والحيوانات، وهي تسير من جبهة إلى أخرى على غير وعي.. ودون علم إلى أين ومن أين؟

وهذه الفوضى زادت في أسباب المجاعة، لا سيما في المدن حيث لا غنى للسكان عن محصولات الأرياف، ولكن من أين المحصولات الأرياف أن تصل إلى المدن وسط تلك الفوضى والاضطرابات؟

*** الجيش الإنكليزي يزحف صوب القدس:**

في تشرين الأول (أكتوبر) 1917 كان اللورد اللنبي قد أتم تعبئة جيشه. فأمر بزحفه. وقد استولى أولاً على بئر السبع (1917/10/31). ثم على غزة (1917/11/7). بعدئذ راح يزحف صوب القدس. وإليك تفصيل ما جرى:

= وكانت الغاية من تأليفها القيام بحملة جديدة في العراق واسترداد بغداد. وقد عهد بقيادتها الألماني الجنرال فالكنهايم. وقدر مجموع عدد الجنود الذين وضعوا تحت إمرته بخمسين ألفاً.

بعد سقوط غزة سار الإنكليز في فتوحاتهم قدماً احتلوا الرملة ويافا (1917/11/16). عندئذ أخذ اللورد اللنبي يفكر ما يصنع؟ أيتعقب الجيش التركي الثامن المتراجع نحو الشمال عبر السهل، أم يهاجم جيشهم السابع المرابط في الجبال باتجاه القدس. وبعد انعام النظر في الخطتين، قرر الاتجاه نحو القدس، في نفس الطريق التي سلكها من قبله الآشوريون والرومان والصليبيون. وأنها لطريق وعرة المسالك. أضف إلى ذلك أن ذخائر الإنكليز كانت قد قلت. وكذلك قل عن وسائطهم النقلية. وفصل الشتاء كان على الأبواب. والجيش الإنكليزي كان قد تعب من الحروب المتواصلة. وليس ثمة خرائط قليلة تبين دخائل المنطقة التي سيجتازها.

ولكن اللورد اللنبي، رغم هذه الحقائق كلها ورغم إنذار وزارة الحرب له، أراد أن لا يضيع الفرصة، ويهاجم الأتراك قبل أن يستعدوا ويستعيدوا نشاطهم، وقبل أن ينشئوا خطوطهم الدفاعية في الجبال. فلم يضيع من وقته سوى يوم واحد، هو اليوم السابع عشر من نوفمبر. قضاه في راحة وتهيئة راحة لجنده وتهيئة لوسائط النقل.

وفي اليوم الثامن عشر أتم تعبئة جيشه بالشكل التالي:

أ) أمر فرقة الفرسان الأتراك والفرقة الرابعة والخمسين اللتين جاءتا من غزة، بأن ترابطا في السهل لتقوما بمهمة الدفاع.

ب) وأمر القسم الباقي في الفيلق الواحد والعشرين أن يتقدم باتجاه الجبال: على أن تسير الفرقة 75 باتجاه الطريق التي تربط يافا بالقدس، والفرقة 52 على يسارها وعلى يسار الفرقة 52 تسير فرقة الفرسان اليومانيين، فتتبع طريق بيت عور باتجاه البير. ويسير آلاى من فرقة الفرسان الأوستراليين على يمين الفرقة 75 باستقامة الوادي الذي يمر منه الخط الحديدي.

وفي اليوم التاسع عشر لنوفمبر، شرع الجيش الإنكليزي بالزحف نحو الجبال، ميمماً من ناحية شطر سريس وقرية العنب. ومن الأخرى بيت لبقيا وبيت عور. وكان الجو يومئذ ماطراً، والضباب كثيفاً، والطقس بارداً للغاية. وكان الأتراك قد خربوا الطريق التي تربط يافا بالقدس. خربوها في أكثر من موضع واحد من مواضعها وأما طريق بيت عور فلم تكن معبدة، وما كان من السهل استعمالها: لا لسير السيارات ولا للجمال. فسار الجيش الإنكليزي في الطريق اليمنى. وهي طريق

صخرية ووعرة للغاية. سار فيها إلى أن وصل إلى سريس، فاحتلها (20 نوفمبر 1917).

وفي 21 نوفمبر احتلت الفرقة 75 قرية العنب، وسارت شمالاً إلى الشرق باتجاه البيرة. ولكنها لاقت المشقات من جراء دفاع الأتراك المرابطين في النبي صمويل. والجبل الذي تقع عليه قرية النبي صمويل مرتفع ومسيطر على جميع الأراضي المجاورة. ولكن الآلاي 234 احتلها قبيل منتصف الليل. وبإحتلاله هذا قبض على (مفتاح القدس).

بينما كانت الفرقة 75 تتقدم نحو النبي صمويل، كانت فرقة الفرسان اليومانيين تتراجع أمام الأتراك المرابطين في جبال بيتونيا. وقد رجعت فعلاً إلى بيت عور الفوقا. ذلك لأن بيتونيا كانت محصنة. وكان فيها ثلاثة آلاف جندي تركي مزود بالمدافع وما كان مع الإنكليز الذين هاجموها سوى أربعة مدافع جبلية عرفت ببطاريات هونغ كونغ وسنغافور.

بين 22 و 24 نوفمبر قامت الفرقتان 75 و 52 بهجوم على قرية الجيب الواقع على مرتفع كائن بين النبي صمويل وبيتونيا. إلا أنهما فشلنا. ولم تستطيعا أخذها. غير أن الفرقة 52 تمكنت من شق طريق لها من بيت لقيان فنقلت مدافعها إلى (بدو).

في هذه الأثناء قام الأتراك بثلاث هجمات معاكسة لاسترداد النبي صمويل، كي يتمكنوا من درء الخطر عن خطوطهم الدفاعية، لا بل وعن القدس نفسها.

وفي 24 نوفمبر أصدر اللورد اللنبي أوامره بعدم القيام بأي هجوم، وبالثبات في الخط الذي ضبط؛ إلى أن تأتيه الكتائب الجديدة والمدافع الجديدة التي طلبها. لأن الأتراك كانوا من القوة في مواقعهم، بحيث لا يمكن زحزحتهم عنها بالقوة التي لديه.

أن المحاولة الأولى للاستيلاء على القدس، وإن كانت قد فشلت، إلا أنها كانت ذات فائدة للجيش المهاجم. لأنه اختبر الطرق، وأختبر حالة البلاد، وأختبر قوة الدفاع التي يملكها الأتراك. وحال دون تمكين الأتراك من تحصين الجبال وتهيئة وسائل الدفاع. وفيما كان الإنكليز يستعدون لتقوية الجيش المهاجم في السهل،

تناوش الجيش الثامن الذي كان مرابطاً أمامها لتمنعه عن إرسال المدد إلى الجيش السابع المرابط إلى الجبال.

انقضت فترة بين الحملة الأولى على القدس والثانية، قام الجيش الإنكليزي خلالها باستكمال نقائصه، وتهيئة معداته، وبإنشاء الطرق وترتيب وسائل النقل. وقد جيء بالفيلق العشرين ليتولى الهجوم، بدلاً من الفيلق الواحد والعشرين الذي كان منهوك القوى. وأرسل هذا ليتولى مهمة الدفاع في السهل أمام يافا والرملة. وتلك المهمة التي أنيطت قبلاً بفيلق خيالة الصحراء.

واستبدلت الفرقة الخامسة والسبعون والثانية والخمسون بالفرقة الستين التي جاءت من غزة. وانضمت إليها الفرقة العاشرة والفرقة 74 لمهاجمة القدس. واحتفظ بالفرقة 53 وبكتيبة من الخيالة وبطارية من المدافع الثقيلة على طريق الخليل شمالي بئر السبع لمجابهة الطوارئ في تلك الجهة.

بدأت الحملة الثانية لاحتلال القدس في 27 الشهر. إذ جرى يومئذ اصطدام شديد بين اليومانيين وبين الجيش التركي في الناحية الغربية من بيتونيا. فقد تغلب الأتراك هنا لكثرة عددهم. وانسحب الإنكليز لا من بيتونيا فحسب، بل ومن بيت عور الفوقا. وفتح الأتراك ثغرة بين اليومانيين والفرقة 54. فأرسل الإنكليز من احتياطهم مدداً، هو من الخيالة السابعة وفرقة الفرسان الأوستراليين من الفرقة 52. فتمكنوا من سد الثغرة التي فتحها الأتراك وأبعدوهم إلى الوراء.

وفي نوفمبر 30 لسر الإنكليز 300 جندياً تركياً عند بيت عور الفوقا.

وفي 1 ديسمبر قام طابور تركي من فرقة الصاعقة التاسعة عشرة بهجوم سريع وموفق على فريق من الاستراليين كانوا مرابطين في البرج قبلي شلتا. فركض طابور من الفرقة 52 لنجدتهم وأنقذهم . وقتل من الأتراك مئة رجل، وأسر منهم 173 أكثرهم جرحى.

أن معركة شلتا قد أثرت في معنوية الأتراك. ويقول الإنكليز أن خسائرهم في هذه المعركة لم تتعد الستين.

وفي نفس اليوم رد الإنكليز هجمات قام بها الأتراك من جديد على النبي صمويل وبيت عور التحتا.

وفي الثاني من ديسمبر استبدلت الفرقة 52 بالفرقة العاشرة.

وفي 3 ديسمبر استولى طابور من الفرقة 74 على بيت عور الفوقا مرة أخرى. ولكنه عاد فاخلاها في نفس النهار، لأنها محاطة بتلال مرتفعة. وخسر الإنكليز في هذه المعركة 300 قتيلاً.

وهكذا تكون الحملة الثانية للاستيلاء على القدس أيضاً قد فشلت.

وعندما تقرر القيام بحملة جديدة للاستيلاء على القدس، قرر الجنرال السر فيليب شتوود General Sir Philip Chetwode قائد الفيلق العشرين أحداث تبديل أساسي في خطة الهجوم. فأمر بأن تحتل القطعات العسكرية الموجودة تحت قيادته المواضع المقررة لها:

أ) فمدت الفرقة العاشرة جناحها الأيمن بشكل يمكن الفرقة 74 من الصمود في النبي صمويل وقد تقرر أن تكون هذه النقطة مداراً تدور حوله رحى الحرب.

ب) واحتشدت الفرقة 60 قبلي طريق العنب- القدس. فتولى جناحها الأيسر ضرب هذه الطريق، واتصل جناحها الأيمن بالفرقة 53 على طريق الخليل. وكان على هذه الفرقة أن تقترب من خطوط الدفاع في بيت لحم في السابع من ديسمبر.

جـ) وقامت بعض القطعات الأخرى بصلة الوصل بين الفرقتين 60-53.

د) ودعمت ثلاث بطاريات من المدافع الجبلية وثلاث بطاريات من مدافع الهوتزار ذات الست بوصات وبطاريات ونصف من المدافع الخفيفة الهجوم بوجه عام.

ولكن الأمطار الغزيرة التي هطلت في 7 ديسمبر حالت دون تقدم الفرقة 53. لا، بل أنها سببت انزعاجاً عظيماً لجميع الفرق.

ومع ذلك فقد تمكن 179 من الفرقة 60 من القيام بهجوم على وادي الصرار. وحوالي الساعة 3.30 من صباح 8 ديسمبر استولى على التلال المرتفعة الكائنة جنوبي عين كارم. عندئذ بدأ الهجوم الأساسي على القدس، وكان الوقت قريباً من الفجر، وكان الضباب كثيفاً.

أن الجيش التركي السابع، ويقدر عدد رجاله يومئذ بـ 15.000 إلى 16.000 مقاتل؛ كان مشغولاً بتحصين التلال الواقعة غربي القدس، وتهيئة وسائل الدفاع

عنها. وفي الحقيقة أنه كان يعمل من أجل ذلك منذ عام أو يزيد. ولكن قوته المعنوية كانت قد انكسرت. ولم يكن دفاع الأتراك شديداً. ذلك لأنهم أنهكوا قواهم من غير لزوم، وذلك بقيامهم بهجمات تعرضية خلال الأيام العشرة الأخيرة.

ولهذا تمكنت الفرقة 74 المؤلفة من اليومانيين من الاستيلاء على التلال الواقعة غربي القدس عند بيتا اكسا، والفرقة 60 اللندنية على ديريس وعلى مواضع أخرى واقعة شرقي وادي الصرار. وكانت الفرقة 53 (المؤلفة من رجال البوليس) مرابطة في الجنوب.

٭ الجيش الإنكليزي يحتل القدس:

خسر الأتراك مواقعهم الحصينة في جنوب فلسطين، أيقنوا أن القدس ستسقط في يد الإنكليز لا محالة. وكان الجوع قد اشتد، والغلاء قد عم، والأمراض قد انتشرت. عندئذ أخذوا يتراجعون في ليلة 9/8 من ديسمبر: قسم منهم بهدوء والقسم الآخر بانهزام.

ولما أيقن المتصرف التركي، عزت بك، أن القدس لا محالة واقعة بيد الإنكليز، وأنه لا خير يرجى من المقاومة أكثر مما جرى، نادى إليه مفتي القدس كامل أفندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم أفندي الحسيني. فاجتمعا إليه في داره الكائنة بالقرب من مدرسة المطران بالشيخ جراح. فقال لهما :" ها قد أحاط الجنود الإنكليز بالقدس، ولا بد أن تسقط عما قليل بأيديهم. ولقد اعتزمت مغادرة المدينة بعد نصف ساعة. وأود أن ألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم، ألا وهو تسليم المدينة للفاتحين.

ثم ناول رئيس البلدية وثيقة التسليم التالية لسلمها للإنكليز:

"إنكليز قوماندوانلغنه:

هو ملتجه مقدس اولان قدس شريفله ايكي كوندن بري بعض أماكنه أوبرسلر دوشمكله در. حكومة عثمانية جه صرف أماكن دينية بي تخريبدن وقاية عسكر جكلمش. وقمامة ومسجد أقصى كبى أماكن دينيه نك محافظه سنه مأمورلراقامه ايدلشدر.

طرفكزدن ده بويولده معاملة ايديله جكي اميديله اشبوورقة بي بلديــه رئيـس وكيلي حسيني زاده حسين بك ايله كوند ريورم افندم".

قدس مستقل متصرف

1333/12/8 عزت

وترجمتها بالحرف الواحد"

إلى القيادة الإنكليزية

"منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كـل ملـة. فالحكومـة العثمانية رغبة منها في المحافظة على الأماكن الدينية من الخراب، قـد سـحبت القـوة العسكرية من المدينة، وأقامت موظفين للمحافظـة علـى الأمـاكن الدينيـة، كالقيامـة والمسجد الأقصى. وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم علــى هـذا الوجـه، فـإني أبعث بهذه الورقة مع وكيلي رئيس بلدية القدس حسين بك الحسيني".

متصرف القدس المستقل

1333/12/8 عزت

⋆ الحملة التركية تنسحب من القدس :

بعد أن سلّم متصرف القدس وثيقة التسليم لرئيـس البلديـة غـادر المدينـة ، ميمماً أريحا ؛ وكان الجيـش قبل ذلـك بقليل ، قد بـدأ بإخلائـها . وراح يتحصـن في جبل الزيتون .

وفي صباح اليوم التالي (الأحد 1917/12/9) انسحب الأتـراك مـن القـدس نهائياً. وقد كانت السماء ماطرة . وكان يخيم على المدينــة سـحب قاتمـة مـن الرهبـة والسكون . وفي نحو الساعة التاسعة ذهب رئيس البلدية يصحبه ابــن أخيـه توفيـق صالح الحسيني ومفتشاً الشرطة عبد القادر العلمي وأحمد شـريف ولشـرطيان حسـين العلي وابراهيم الزعنون وفريق من الشبان نذكر منهم رشدي محمد المهتدي وجـواد اسماعيل الحسيني وحنا اسكندر اللحام . وكـان هـذا الأخـير حـاملاً العلـم الأبيـض علامة التسليم .

والتقى هؤلاء بقائد الفرقة الستين الجنرال شــي Shea .Gen عنـد مستشـفى ولخ على طريق الشيخ بدر للغرب من المدينـة . فسـلموه وثيقـة الاستسـلام المتقـدم ذكرها . فدخل الجيش الانكليزي في الساعة العاشرة والنصف المدينة .

★ محاولات تركية فاشلة لاسترداد المدينة :

وفي اليوم نفسه تقدم أفراد الفرق 53 و 60 و 74 إلى المواضع المعينة لهم . فأحاطوا بالمدينة من جميع جوانبها : الفرقة 35 سارت في اتجاه الشرق نحو وادي الأردن. فقوبلت من الأتراك بنيران حامية . وكذلك قل عن الفرقة 60 التي تسير على طريق نابلس .فإنها قوبلت بنيران شديدة من قبل مؤخرة الجيش التركي التي كانت مرابطة على جبل الزيتون . ولكن هذه المؤخرة صدت بعد معركة قامت بينها وبين الانكليز بالسلاح الأبيض . وكانت خسارة الأتراك في هذه المعركة سبعين قتيلاً. وقصارى القول : أن المحاولات التي قام بها الأتراك بين 62و03 ديسمبر لأجل استرداد القدس فشلت . وقد اضطروا لمغادرتها . فغادروها ، بعد أن قضوا فيها أربعمئة سنة على التمام (1517-1917) .

★ أول بيان إذاعه اللورد اللنبي على الأهلين :

عندما دخل اللورد اللنبي القدس بعد يومين (أي 1918/12/11) دخلها ماشياً من باب الخليل . وأذاع على سكان بيت المقدس ، من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي :

" إلى سكان بيت المقدس وأهلي القرى المجاورة :

" إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي ، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي . وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ ، أعلن الأحكام العرفية . وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية . ولئلا ينالكم الجزع ، كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا ، أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون ، دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان .

" وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاثة الكبرى ، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاثة المذكورة منذ قرون وأجيال ؛ أود أن أحيطكم علماً بأن كل بناء مقدس ، ونصب ومكان مقدس ، أو معبد ، أو مقام ، أو مُزار ، أو أي مكان مخصص للعبادة

من أي شكل وإلى أية طائفة من الطوائف الثلاثة ؛ سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات والعنعنات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكها " .

* **غلب الأتراك على أمرهم :**

إن السبب في هذا الانحدار هو قلة استعداد الأتراك في هذه الجبهة ، وعدم انتباههم إليها في بادئ الحرب _ ، وعدم تعاون رجال القيادة من أتراك وألمان ، وقلة وسائط النقل وقلة الذخائر والمؤن . أضف إلى ذلك أن الدولة العثمانية كانت مفككة الأعضاء، لا تعرف النظام والتنظيم . وكانت عوامل الجهل والفوضى والاضطراب سائدة في كل مكان . وأما الانكليز فقد كانوا أعلم من الأتراك ، وكانت وسائطهم أكثر وأمتن . وكانت لهم سكة حديدية . وقد مدوا قساطل الماء على طول هذه السكة . وكان لديهم 74000عاملاً مصرياً يشتغلون بالطرق والاستحكامات الحربية ، وكان لديهم 28000جملاً . وكان لدى القيادة العامة فضلاً عن ذلك 25000جملاً . أضف إلى ذلك وسائط النقل البحرية . وقصارى القول كانت قوة الانكليز أربعة أضعاف القوة التركية . وكانت هذه القوة مجهزة تجهيزاً تاماً، وكانوا يسيطرون على البر والبحر والجو.

ومع ذلك فقد قاوم الأتراك مقاومة شديدة ، وأبدوا بسالة ممتازة استحقوا الإعجاب من أجلها . فكانت خسارة الانكليز في معارك القدس من 15نوفمبر إلى 9 ديسمبر 1917 (1667) قتيلاً . وأما مجموع خسائرهم بين بئر السبع والقدس ، فكانت 18000بين ضابط وجندي . وقد خسر الانكليز خلال الشهرين الأخيرين عشرة آلاف حيوان من خيل وجمال وحمير وبغال . وأما الأتراك فكانت خسائرهم 25000 رجل بين قتيل وجريح . وقد أسر منهم 12000رجلاً ؛ منهم 18000 تركي أسروا في جبهة القدس .

ويقول الذين تتبعوا مجرى الحرب في ذلك العهد ، أن الأتراك ما كانوا لينلحروا في هذه الجبهة لو كانت قلوب العرب سكان البلاد معهم . إذ كان هؤلاء تواقين إلى الاستقلال . وكانوا في أواخر الاحتلال التركي ، ينظرون إلى الأتراك نظرة بغض وازدراء . وقد هرب قسم كبير من الضباط والجنود العرب الذين كانوا في الجيش التركي ، والتحقوا أما بجيش اللنبي رأساً أو في الجيش العربي الذي كان

يقوده الأمير فيصل بن الحسين ، بعد أن أعلن أبوه الملك حسين بن علي الثورة ضد الأتراك في 5 حزيران سنة 1916. وكان الجيش العربي يؤلف الجناح الأيمن لجيش اللنبي . حتى أن اللورد اللنبي نفسه قد اعترف بعد انتهاء معارك فلسطين بفضل العرب الأكبر في سقوط العقبة وبئر السبع وغزة والقدس ؛ كما اعترف بفضلهم على الحلفاء بوجه عام ، والانكليز بوجه خاص من حيث كسب الحرب .

ولّما علم جمال باشا ، عندما وأيقن أن العرب لا يؤيدون الأتراك في جملتهم ، قبض على عدد كبير من أحرار بلاد الشام (سورية وفلسطين ولبنان) . فساقهم إلى عالية . وهناك حوكموا محاكمة صورية ، وحكم عليهم بالإعدام من قبل محكمة عسكرية ؛ لا لسبب ، سوى أنهم تمسكوا بقوميتهم وانضموا إلى الثورة العربية التي كانت تستهدف استقلال بلادهم. وكان بين الذين علقوا على أعواد المشانق في بيروت ودمشق والقدس (1915) عدد غير قليل من الفلسطينيين . وأما عدد الشهداء من سورية ولبنان فإثنان وثلاثون . وكان هذا من جملة الأسباب التي جعلت نار الثورة تزداد اضطراماً ، وأدت في النهاية إلى اندحار الأتراك وخروجهم.

*** الإدارة العسكرية :**

عندما احتل اللورد اللنبي فلسطين كلها أدارها إدارة عسكرية . وقد أطلق عليها يومئذ . Occupied Enemy Territory Administration أي إدارة بلاد العدو المحتلة . وراح يدير البلاد مدراء عسكريون ، باسم (المدير العام لبلاد العدو المحتلة) . وإليك أسماء المديرين الذين عهد إليهم بإدارة فلسطين في ذلك الحين :

البريجادير جنرال كلايتون	1917/12/9 - 1918/2/28
الميجور جنرال السرموني	1918/3/1 - 1919 /7/30
الميجور جنرال السرواطسن	1919/8/1 - 1919/12/31
الميجور جنرال السربولز	1920/1/1 - 1920/6/30

وقسمت مناطق التي تم احتلالها في بادئ الأمر (1917) إلى خمسة ألوية هي القدس ، ويافا ، وغزة ، وبئر السبع ، والخليل . ثم زيد عدد الألوية فجعل ثمانية (1918) . وعهد بإدارة البلاد إلى حكام عسكريين . ووضع في كل نابلس ، وجنين ، وطول كرم ، وحيفا ، والناصرة ، وعكا ، وطبرية ، وصفد ؛ حاكم عسكري .

وفي 1 يوليو 1920خفض عدد الألوية من ثمانية إلى سبعة : Districts وذلك بجعل جنين تابعة لنابلس ، وطول كرم إلى حيفا ، ويافا والخليل إلى القدس .

أسماء الألوية السبعة :

القدس ، يافا ، بئر السبع ، غزة ، فينيقيا (حيفا) ، الجليل (الناصرة) والسامرة (نابلس) .

اتخذ اللورد اللنبي ، في بادئ الأمر ، مدينة (اللد) مقراً له . وما كاد الأمر يستتب في (القدس (حتى جعلها هي المقر . وأقام عليها حاكماً عسكرياً هو الجنرال بل بورتون General Bill Borton . وكان هذا يحمل لقب (باشا) . وكان قبل مجيئه إلى فلسطين ، مديراً عاماً لمصلحة البرق والبريد في مصر . ولكنه لم يبق في منصب الإدارة أكثر من أسبوعين . إذ استقال من منصبه بسبب سوء صحته . فخلفه في الإدارة السرالكسندربيرد Sir Alexander Baird . ثم جاء السر رونالد ستورس Sir Ronald Stores . وكان هذا قبل مجيئه لفلسطين ، السكرتير الشرقي لدار المندوب السامي في القاهرة . ومكث طويلاً في القدس . إنه هو الذي أسس الجمعية التي عرفت فيما بعد باسم : (جمعية محبي القدس) . ومن أهدافها تحسين مدينة القدس من الناحية العمرانية والأثرية ، والاحتفاظ بقدسيتها . وقد استحضر من بلاد الانكليز مهندساً أخصائياً في شؤون التنظيم، ليقوم بهذه المهمة. إنه المستر آشبي، وقد ولاه أمانة السر.

إلا أن هدفها الأصلي - هو إفهام العالم الخارجي أن سكان البلاد - على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم - راضون (؟) عن الحكم البريطاني ! . يدلك على هذا أعضاء الجمعية . وهم خليط من الانكليز والعرب واليهود ومن رؤساء الطوائف المختلفة . وإليك أسماءهم :

رئيس البلدية موسى كاظم باشا (وقد خلفه في الرئاسة راغب بك النشاشيبي) . مدير الآثار . المفتي الأكبر كامل أفندي الحسيني . حارس الأراضي المقدسة ورئيس الآباء الفرنسيسيين . بطريرك الروم . بطريرك الأرمن . رئيس الطائفة اليهودية . رئيس المجلس الصهيوني . الأب ابل الكباتين بارلوزي . بن

يهودا. الكابتين كرزويل مفتش الآثار . الدكتور رايلر . البروفسور باتريك جدس . هاراري لوك . ماكي مفتش الآثار . ميوحاس . لازاروس بول . ريشموند . سلامة . ناحوم شلوش . يعقوب سبافورد . الأب فنسان . جون وايتنغ (أمين الصندوق) . داود يلين آشي (سكرتير) .

كان حاكم القدس في بدء عهد الاحتلال يقيم في فندق قائم تجاه السور وإلى الغرب من باب الخليل . ثم انتقل إلى البناء الألماني الواقع بباب العامود والمعروف بمنزل القديس بولس (مدرسة شميد الآن 1960) ، ثم انتقل إلى البناء الذي تملكه بطريركية الروم في داخل المدينة ، عند باب الخليل وعلى بعد مئتي متر من السور إلى الشمال (دار البلدية الآن 1960) . وأما مقر الحاكم العام ، فقد نقل من اللد إلى القدس . وكان في بادئ الأمر على جبل الطور في البناء الألماني المعروف (أوغوستا فكتوريا) ثم انتقل إلى الدار الجديدة التي بنتها حكومة فلسطين فوق جبل المكبر .

⋆ وعد بلفور:

وفيما كان سكان البلاد يتوقعون أن يُعهد إليهم بإدارة بلادهم عملاً بوعود الحلفاء وتصريحاتهم المتكررة ؛ أن البلاد راحت تدار بأيد انكليزية . وراح الانكليز يديرونها كما يشاؤون . لا ، كما يشاء الشعب نفسه وما تقضي به مصلحته . ليس هذا فحسب ، بل أن الأدمغة التي تدير أداة الحكم أدمغة يهودية بحتة: إنها دماغ السر هربرت صموئيل المندوب العام والمستشار القضائي للمندوب؛ ومن ورائهما (الوكالة اليهودية) التي ورد ذكرها بعدئذ في صك الانتداب .

وما لبث الشعب العربي أن سمع بوعد بلفور . ذلك الوعد الذي منحه الانكليز على لسان وزير خارجيتهم اللورد آرثر بلفور إلى اليهود عن طريق زعيمهم روتشيلد . إذ أرسل إليه في 2 تشرين الثاني (نوفمبر) 7191 كتاباً قال فيه:

عزيزتي اللورد روتشيلد

" يسرني جداً أن ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضا إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك ؛ على أن لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير

اليهود في فلسطين ، أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الأخرى " .

والغريب في الأمر أن هذا الوعد بقي في طي الخفاء . فلم يذع إلا بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، ولم يعد الانكليز في حاجة لرضا (؟) العرب الذين كانوا – قبل الحرب – يحرضونهم على ترك الأتراك والانضمام إليهم ...

★ وعد بريطانيا :

فراح العرب يتساءلون : أين هذا الوعد... وعد بلفور .... من الوعد الذي سبقه بسنتين ، وقد قطعته بريطانيا بأن تعترف باستقلال البلاد العربية من مرسين وأضنة شمالاً حتى البحر الهندي جنوباً ، ومن فارس وخليج البصرة شرقاً حتى البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط غرباً " . بل أين هو من الثورة نفسها التي أعلنت بتاريخ 26 حزيران 1916 والتي انضم إليها زهرة شباب العرب من فلسطين والعراق ومن كل مكان ، والتي قال عنها اللورد اللنبي في تقريره الذي رفعه إلى وزراء الحرب فور انتهاء القتال : " إن ثورة العرب ضد الترك قد ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب " .

★ معاهدة سايكس - بيكو :

وسمع العرب ، في الوقت نفسه ، بالمعاهدة التي عقدتها بريطانيا مع فرنسا ، والتي اقتسمت هاتان الدولتان المستعمرتان بموجبها هذا الجزء من الشرق . وقد تعهدتا ببسط حمايتهما على سورية (فرنسا) والعراق (بريطانيا) . على أن تنشئ كل منهما في المنطقة المخصصة لها أي نوع من أنواع الحكم (المباشر أو المراقب) بعد الاتفاق مع الحكومة المحلية ؟

وأما " فلسطين " فقد نصت المادة الثالثة من تلك المعاهدة التي سميت يومئذ: (معاهدة سايكس – بيكو) على انشاء إدارة دولية فيها ، على أن يعين شكل تلك الإدارة بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة .

وأعطت المادة الرابعة من هذه المعاهدة مينائي حيفا وعكا لبريطانيا . وفي المادة الخامسة نص على أن تكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها . ويجوز لفرنسا أن تستعمل السكك الحديدية في فلسطين .

وفي المادة الثانية عشرة والأخيرة نص ، تعهد فيه الفريقان أن يراقبا جلب السلاح ؟ إلى أي بلد من البلاد العربية .

هذا موجز لمعاهدة سايكس[1] - بيكو[2] اقتبسنا منها هنا النقاط التي لها صلة بفلسطين .

★ الإدارة المدنية والمندوب السامي الأول السر هربرت صموئيل :

في اليوم الأول من شهر تموز (يوليو) 1920 قلبت إدارة فلسطين من عسكرية إلى مدنية ، وجعلت تحت رقابة وزارة الخارجية . غير أنه لم يطل الوقت ، حتى انتقلت من وزارة الخارجية إلى وزارة المستعمرات .

وكان أول عمل عملته الحكومة البريطانية أن عهدت بإدارة هذه البلاد إلى مندوب سام هو : السر هربرت صموئيل E.B.G.C.Sir Herbert Samuel - P. إنه يهودي ، وصهيوني صميم . مكث في البلاد خمس سنين (1920- 1952) . وسن لها من الأنظمة والقوانين ما جعلها - في النهاية - صالحة : لا ، إلى انشاء وطن قومي يهودي فحسب ؛ بل إلى تأسيس (دولة اسرائيل) .

دخل السر هربرت صموئيل مدينة القدس بحراسة الجند ، تدعمهم المدافع والمصفحات والطائرات ؛ خشية أن يغتاله العرب . بدأ العرب يومئذ يشعرون أن الانكليز لا يريدون بهم خيراً . ولكي يخفف من حدة الغضب الذي استولى على الشعب العربي في فلسطين ؛ كان أول عمل عمله هذا المندوب ، أن أعلن العفو العام عن جميع المحكومين في الثورة التي قامت قبل مجيئه في القدس وفي جميع أنحاء البلاد احتجاجاً على (وعد بلفور) . إلا اثنين من المحكومين ، وهما عارف العارف والحاج أمين الحسيني ؛ فقد استثناهما من العفو ، إلا إذا استسلما للسلطة الحاكمة . وكانت المحكمة العسكرية قد حكمت عليهما بالإعدام ، بسبب اشتراكهما في القتال الذي جرى في القدس بين العرب واليهود في 4 نيسان 1920.

---

(1) أنه السر مارك سايكس Sir Mark Sykes وهو من رجال وزارة الخارجية البريطانية.

(2) أنه المسيو جورج بيكو M. Georges Picot .

وكان الجنرال قد خفض حكم الإعدام إلى السجن عشر سنين. وقد ظلا طليقين إلى أن صدر العفو عنهما. فرجعا إلى البلاد. وفي الوقت الذي كان هذا المندوب يبدي عطفه على العرب ويتقرب من زعمائهم، كان يحث بني قومه، وينشئوا أكبر جزء ممكن من وطنهم القومي على عهده!!

وفي عهده منح اليهود (امتيازات) للقيام بعدد من المشاريع العمرانية الضخمة . منها وأهمها : مشروع توليد الكهرباء من نهر الأردن وروافده ، وإضاءة قسم كبير من فلسطين . ذلك المشروع الذي منحته الحكومة للمهندس روتنبرغ وهو يهودي من أصل روسي .

واتخذ اليهود هذه المشاريع حجة لجلب أكبر عدد ممكن من أبناء قومهم من خارج البلاد . وآزرتهم الحكومة البريطانية . فراحوا يفدون إليها من كل حدب وصوب . وبعد أن كان عدد اليهود في فلسطين يوم دخل البلاد 53.000 أصبحوا يوم خروجه منها 103.000 .

وفي زمنه تضاعفت مساحات الأراضي التي تملكها اليهود . فأصبحت بنسبة 6 إلى 7 في المئة من مجموع الأراضي الفلسطينية .

ولن ننسى أن مئتي ألف دونم من أراضي مرج بن عامر العربية بيعت إلى اليهود على عهده بين سنتي 1921 و 1925. فأخليت واحد وعشرون قرية عربية من مجموع القرى التي كانت هناك وقدرها 22 من سكانها العرب . وقد بلغ عددهم يومئذ ثمانية آلاف . باعها آل سرسق من مسيحي بيروت . والحكومة الفلسطينية التي كان يرأسها هربرت صموئيل هي التي سهلت معاملة البيع والشراء ؛ هذا بالإضافة إلى أنها لم تهتم بمصير المزارعين الذين يعيشون من نواتجها .

ونشرت الصحف العربية التي كانت يومئذ تصدر في فلسطين [1] هذه الأرقام

---

(1) جريدة (الكرمل) لصاحبها نجيب نصار، وجريدة (فلسطين) في يافا لصاحبها عيسى العيسى. وجريدة (سورية الجنوبية) لصاحبها حسن البديري وعارف العارف. وكانت هذه أول جريدة صدرت في القدس بعد الاحتلال.

وقد أسمياها: (سورية الجنوبية) لاعتقادها بأن وحدة فلسطين وسورية أمر لا بد منه، إذا ما أريد إنقاذهما من الاستعمار والصهيونية. وهما من القائلين بوحدة عربية تشمل الجزيرة العربية

المخيفة عن الهجرة وبيع الأراضي ؛ فصعق أبناء البلاد ، وراحوا يمطرون الحكام برسائل الاحتجاج . وقامت مظاهرات صاخبة في طول البلاد وعرضها . وكانت قد أتتهم أخبار تقول أن الحلفاء ينوون فرض الانتداب على فلسطين ، وأن الحكومة البريطانية هي التي ستنتدب لإدارة البلاد . فقامت في طول البلاد وعرضها ، ولا سيما في مدينة القدس .. مركز الحكم .. مظاهرات صاخبة . اشترك فيها المسلمون والمسيحيون على حد سواء . واشترك فيها النساء إلى جانب الرجال . ونادى المتظاهرون برفض الانتداب ورفض الوطن القومي اليهودي . وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية وبيع الأرض لليهود . ووقف الجيش في أوجه المتظاهرين . فوقع عدد غير قليل من القتلى والجرحى . وسجن كثيرون . وأعلن الحكم العرفي في البلاد .

★ المجلس الاستشاري :

يبدو أن الانكليز اعتقدوا أن اشراك عدد من أبناء البلاد في الإدارة يخفف من غضبهم . فأعلنوا أنهم يعتزمون استشارة السكان في إدارة البلاد . وقد أسسوا بالفعل (أكتوبر 0291) مجلساً استشارياً من عشرة أعضا رسميين ، وهم من أعضاء حكومة فلسطين ؛ ومن عشرة غير رسميين ، يعينهم المندوب السامي : 4 من المسلمين و3 من المسيحيين و 3 من اليهود . ولكنهم ، عادوا فعدلوا عن هذه الفكرة ، عندما أيقنوا أن العرب لم يتحمسوا لها .

وحدثت ، بعد ذلك ، اضطرابات في يافا ؛ أدت إلى اقتتال العرب واليهود . فأقفلت المدينة وسادت الفوضى . وامتد لهيب الاضطرابات إلى المستعمرات اليهودية. فقتل من جراء ذلك 95 قتيلاً (48 من العرب 47 من اليهود) وجرح 219 شخصاً (73 من العرب و 146 من اليهود) . وتألفت ، أثر ذلك ، لجنة

=كلها: من أدناها إلى أقصاها. ولهذا تعرضا لغضب الحكومة، وكثيراً ما أغلقت جريدتهما، وعطلتها عن الصدور. وكذلك الجرائد الأخرى التي صدرت بعدها. ومنها: جريدة (مرآة الشرق) لصاحبها بولص شحادة، و(بيت المقدس) لصاحبها بندلي الياس مشحور. و (القدس الشريف) لصاحبها حسن صدقي الدجاني. و (الأقصى) لصاحبها صالح عبد اللطيف الحسيني. و (لسان العرب) لصاحبها إبراهيم سليم النجار.

للتحقيق في أسباب هذه الاضطرابات ؛ ترأسها قاضي السر توماس هيكرافت . فقال هذا في تقريره ما ملخصه : " أن ما حدث في يافا هو نتيجة حتمية لشعور القلق والكره السائد ضد اليهود . وهذا ناشئ عن الخطة التي تسير عليها الحكومة في تأييد فكرة " الوطن القومي اليهودي " .

ومع ذلك فقد مضت السلطة في تدابيرها القاسية للحد من الشعور الوطني ولتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي ، لافي يافا أو القدس وحدهما ، وإنما في فلسطين كلها . من ذلك أنها في الوقت الذي راحت تزود المستعمرات اليهودية بالسلاح وتدربهم على القتال ؛ حظرت على الأهلين حمل السلاح واستعماله ، وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والإعدام .

ولكي تحول دون اتحاد الشعب العربي في فلسطين فقد بذلت كل ما في استطاعتها لتضرب الأسر بعضها بالبعض الآخر . ولا سيما في القدس ، عاصمة البلاد ، ومستقر الزعماء . فأقالت من أقالت من مركزه الإداري ووضعت مكانه من شاءت كرئاسة البلدية، ورئاسة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى . وعملت على بث الفتنة ونشرها بين السكان. وسرى الانقسام إلى سائر الأسر والأحزاب ، فانقسم الفلسطينيون بوجه عام والمقدسيون بوجه خاص واغتنم الانكليز هذه الفرصة - التي كانوا هم من أهم الأسباب التي أدت إلى خلقها - فراحوا يوطدون دعائم وطنهم القومي . وكانوا يهدفون إلى امتلاك البلاد كلها ، وليس القدس وحدها . الأمر الذي جعل المخلصين من أبناء فلسطين يتنادون لعقد مؤتمر يضم شملهم .

*** المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع :**

وقد انعقد المؤتمر في القدس . وكان ذلك بتاريخ 25 حزيران 1921_ . وقرر المؤتمر انتداب وفد يسافر إلى اوروبا ، ليبسط القضية الفلسطينية أمام الرأي العام الأوروبي ، ولا سيما في بريطانيا. وسافر الوفد وهو الأول من نوعه إلى لندن عن طريق القاهرة وروما وباريس . وكان مؤلفاً من موسى كاظم باشا الحسيني (رئيساً) والحاج توفيق حماد ، وأمين التميمي ، ومعين الماضي ، وابراهيم الشماس ، وشبلي الجمل (أعضاء) . ولم يترك الوفد في أوروبا وفي بريطانيا باباً إلا طرقه: في الصحف والبرلمان وفي كل مكان . وطلب الوفد استقلال فلسطين والاعتراف بحقها الطبيعي

في إقامة حكم نيابي ، واتحادها مع باقي البلاد العربية . كما طلب إلغاء وعد بلفور ، وجلاء الجنود الأجانب عن البلاد . وبذل جهده للحيلولة دون فكرة الانتداب . ولكن الوفد فشل في مهمته . إذ كان يقوم على رأس وزارة المستعمرات البريطانية يومئذ رجل من أشد رجال الانكليز انتصاراً للفكرة الصهيونية ؛ ألا وهو: المستر ونستون تشرشل . وهو ، وإن كان انجليزياً، إلا أنه صهيوني صميم ! . وقد زار ونستون تشرشل القدس .

وقال في الخطاب الذي وجهه للوفد الفلسطيني بتاريخ 1 آذار (مارس) 1922: " ان ما ذهب إليه الوفد العربي من اعتقاد بأن حكومة صاحب الجلالة تعهدت في أثناء الحرب بإقامة حكومة قومية مستقلة في فلسطين ، اعتقاد لا يطابق الواقع . وأن الكتاب الذي استشهد به الوفد في حديثه - وهو الذي وجهه السر هنري مكماهون المندوب السامي في مصر إلى شريف مكة وهو اليوم الملك حسين ملك الحجاز وكان ذلك بتاريخ 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1915- وأن اعترف باستقلال العرب وبتعضيد ذلك الاستقلال ، إلا أن قيد ذلك الاعتراف بتحفظ القصد منه استثناء تلك الأقسام من سوريا الواقعة غربي قضاء دمشق . وما زالت حكومة جلالته ترى في هذا التحفظ تحفظاً يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل . ففلسطين كلها غربي الأردن أخرجت عن فحوى عهد السر هنري مكماهون".

وختم تشرشل خطابه بقوله : " إن حكومة صاحب الجلالة مقيدة بعهد سابق لعهد جامعة الأمم . فما يسعها بعد أن اضطلعت بالمسؤولية عن هذه البلاد لدى دول الحلفاء الرئيسية، أن تسمح بانتشار حالة دستورية فيها، قد تجعل القيام بتنفيذ تعهد جليل (؟) صدر عنها وعن أولئك الحلفاء في حيز عدم الامكان".

ففهم الوفد أن الحكومة البريطانية مصممة في المضي قدماً في تنفيذ (وعد بلفور) وتأييد اليهود إلى أبعد الحدود.

وعبثاً حاول الوفد إقناع الحكومة بخطأ سياستها. وفي الجواب الذي أرسله إلى الوزير بتاريخ 17 حزيران (يونيو) 1922 فند أقواله.

ومما قاله الوفد :"أن تأييد وعد بلفور مناف لما وعدت به الملك حسين ... وأن وعد بريطانيا للملك حسين صدر قبل وعدهما لليهود ... وإن هذا الوعد (أي وعد بلفور) مناف للتصريح البريطاني - الأفرنسي الذي أعلن في 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1918. كما أنه مناقض للمادة 22 من عهد عصبة الأمم. وبصدور هذه المادة من عهد العصبة أصبح وعد بلفور لغواً. فإن هذه المادة تمنح فلسطين انتداباً من نوع (آ) لا من نوع (ب). أي أنها تعترف باستقلال الأمة الفلسطينية بشرط أن تقدم لها المعونة والإرشاد الإداري دولة منتدبة".

⋆ المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس:

في 22 آب (أغسطس) 1922 تنادى عرب فلسطين، فعقدوا مؤتمراً في نابلس، هو المؤتمر الخامس. وفيه استعرضوا من ناحية أقوال تشرشل وزير المستعمرات، ومن الناحية الأخرى أقوال الوفد الذي عاد من لندن. وقد أيقنوا أن الحكومة البريطانية تماطلهم. وهي تنوي المضي قدماً في تمهيد السبيل وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

وقد عرضت عليهم الاشتراك في (مجلس تشريعي) قررت تأسيسه عملاً بالدستور الذي نشر في تلك السنة (1922)، على أن يكون هذا المجلس مؤلفاً من أحد عشر عضواً رسميين واثنى عشر عضواً غير رسميين، ينتخبهم الشعب: ثمانية من المسلمين واثنان من المسيحين واثنان من اليهود.

ولكن العرب رفضوه، لاعتقادهم أنه لا يحقق أمانيهم. ويحصر السلطة كلها بيد البريطانيين، وبيد المندوب البريطاني الذي أعطى: القول الفصل في جميع الأمور.

ولهذا اعتزموا المضي في كفاحهم. وقرروا إرسال وفد- هو الثاني من نوعه - إلى لوزان ولندن. وألف الوفد من موسى كاظم باشا. وأمين بك التميمي. والحاج توفيق أفندي حمادة. والسيد شبلي جميل.

⋆ صك الانتداب:

وفيما كان عرب فلسطين يعملون جاهدين، من أجل الوصول إلى أهدافهم القومية، كان اليهود يعملون بجد أعظم لتنفيذ صك الانتداب. ذلك الصك الذي أقرته (عصبة الأمم) في 24 تموز (يوليو) 1922. وقد وضع موضع التنفيذ في

فلسطين بتاريخ 29 أيلول (سبتمبر) 1922. وهذا نصه كما أقرته عصبة الأمم [1] في جنيف:

"لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذاً لنصوص المادة 22 من ميثاق جامعة الأمم –على أن تعهد إلى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة في إدارة فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة.

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في 2 تشرين الثاني سنة 1917 وصادقت عليه الدول المذكورة بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن، ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى.

ولما كان ذلك اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين والبواعث التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد.

ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين.

ولما كان الانتداب لفلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس جامعة الأمم لموافقتها عليه.

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب لفلسطين وتعهد بتنفيذه بالنيابة عن جامعة الأمم طبقاً للنصوص والشروط التالية:

ولما كانت المادة 22 المتقدمة الذكر في (الفقرة 8) تنص على أن درجة السلطة والسيطرة أو الإدارة التي تكون للدولة المنتدبة إذا لم يتم الاتفاق عليها بين أعضاء

---

(1) قال الدكتور وايزمان في مذكراته أن الذي وضع صك الانتداب في صيغته الحالية هو اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية واثان من مساعديه هما : E.F. Adam , Ben Cohen وهذا يهودي. وأنه هو أيضاً (أي وايزمان) قد استشير في صوغه.

جامعة الأمم، فإن مجلس جامعة الأمم ينص على ذلك نصاً صريحاً. فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتي:

1- يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة، إلا حيث أقيمت لهما حدود في نصوص صك الانتداب هذا.

2- تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي. كما جاء في ديباجة هذا الصك وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان.

3- يجب على الدولة المنتدبة أن تنشط الاستقلال المحلى على قدر ما تسمح به الأحوال.

4- يعترف بهيئة يهودية لائقة كهيئة عمومية لتشير وتعاون في إدارة فلسطين في الشؤون وتعاون في إدارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً.

ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عليها في ما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة لهذا الغرض. وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي.

5- تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل. عن شيء من أراضي فلسطين أو تأجيره أو وضعه تحت حكومة دولة أجنبية.

6- على حكومة فلسطين مع كفالة عدم إلحاق الضرر بحقوق جميع الطوائف، أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين في أحوال مناسبة، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار إليها في المادة 4 استقرار اليهود في الأراضي الزراعية وفي جملتها الأراضي المدورة والأراضي البور (الموات) غير المطلوبة للأعمال العمومية.

7- يتعين على حكومة فلسطين أن تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم على الرعوية الفلسطينية.

8- أن امتيازات الأجانب وفي جملتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهي التي كان الأجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات أو العرف في السلطنة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين. ولكن متى انتهى أجل الانتداب فإن هذه الامتيازات تعاد برمتها أو مع التعديل الذي يكون قد تم عليه الاتفاق بين الدول صاحبة الشأن، إلا أن كانت الدول التي ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في أول آب سنة 1914 قد سبقت فتنازلت عن حق تلك الامتيازات أو وافقت على عدم تطبيقها لأجل مسمى.

9- الدول المنتدبة مسؤولة عن أن يكفل النظام القضائي الذي ينشأ في فلسطين الحقوق القضائية للأجانب والوطنيين ويتضمن تمام الضمان احترام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما إدارة الأوقاف طبقاً للشريعة الدينية وشروط الواقفين.

10- تكون المعاهدة المبرمة بين الدول المنتدبة وسائر الدول الأجنبية عن تسليم الرعايا الأجانب المطلوبين من فلسطين مرعية إلى أن تعقد اتفاقات خاصة بذلك على فلسطين.

11- تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور في ماله علاقة بترقية البلاد، ويكون لها السلطة التامة لتدبير ما يلزم لوضع يد الحكومة أو سيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة أو التي ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة العهود الدولية التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها. وعليها أيضاً أن توجد نظاماً للأراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة أمور أخرى منها المنافع التي تنجم عن تشجيع إكثار المهاجرة واستغلال أعظم ما يستطاع من الأرض.

ويجوز لإدارة البلاد أن تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تجري أو تستثمر بشروط الانصاف والعدل الأعمال والمصالح والمنافع العمومية

وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الأمور مباشرة بنفسها. وإنما يشترط في هذه الاتفاقات أن الأرباح التي توزعها الهيئة القائمة بالعمل لا تتجاوز مباشرة أو غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال. وكل ما يزيد على هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه حكومتها.

12- يعهد للدولة المنتدبة في السيطرة على علاقات فلسطين الخارجية، وحق إصدار البراءات إلى القناصل التي تعينهم الدول الأجنبية. وللدولة المنتدبة الحق أيضاً في أن تشمل رعايا فلسطين وهم في خارج بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها.

13- تتقلد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة بالأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين. وهذا يشمل المحافظة على الحقوق الموجودة وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة مع المحافظة على مقتضيات الأمن العام والآداب. وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة أمام جمعية الأمم دون سواها من كل ما يتعلق بذلك، بشرط أن لا تحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على ما تراه الدولة المنتدبة لازماً لتنفيذ نصوص هذه المادة، بشرط أن لا يفسر شيء في هذا الانتداب تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض للإملاك الإسلامية أو التدخل في إدارة المعاهد الإسلامية المقدسة المحفوظة الامتيازات.

14- تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعيين الحقول والدعاوي المتعلقة بالأماكن المقدسة والحقوق والدعاوي التي تختص بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين. ويعرض المشروع الذي يتبع في تعيين هذه اللجنة وتأليفها ووظائفها على مجلس جامعة الأمم ليوافق عليها. ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس.

15- يجب على الدولة المنتدبة أن تتحقق أن الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتان للجميع، بشرط المحافظة على النظام العام والآداب فقط. ويجب أن لا يكون هناك تمييز من أي نوع كان بين سكان فلسطين بسبب الجنس والدين واللغة، وأن لا يحرم شخص ما من دخول فلسطين بسبب اعتقاده الديني فقط.

يجب أن لا تحرم أية طائفة كانت من حق المحافظة على مدارسها لتعليم أبنائها بلغتهم، إذ كان ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الحكومة.

16- تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن القيام بما تقتضيه المحافظة على النظام العام والحكم المنتظم على الهيئات الدينية والخيرية التي لجميع المذاهب في فلسطين. فإذا روعي هذا الشرط لا يجوز أن تتخذ تدابير في فلسطين لإعاقة أعمال مثل هذه الهيئات أو التعرض لها أو الإجحاف بأي ممثل لها أو عضو فيها بسبب دينه وجنسيته.

17- يجوز لحكومة فلسطين أن تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام والدفاع عن البلاد أيضاً بشرط أن تكون تحت إشراف الدولة المنتدبة. ولكن لا يجوز لإدارة فلسطين استخدام هذه القوات لأغراض أخرى غير الأغراض المعينة فيما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة. وفيما عدا هذه الأغراض لا يجوز لإدارة فلسطين أن تجمع قوات عسكرية أو بحرية جوية، ولا أن تبقيها عندها. وليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين، ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت أن تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانيها لحركات القوات ونقل الوقود والمهمات.

18- يجب على الدولة المنتدبة أن تكفل عدم التحيز في فلسطين على رعيا أية دولة تكون عضواً في جامعة الأمم (وفي جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدول) إذا قيسوا برعايا الدولة المنتدبة أو أية دولة أجنبية كانت في الأمور المتعلقة بالضرائب أو التجارة أو الملاحة أو تعاطي البضائع أو المهن أو في معاملة السفن التجارية أو الطيارات الأهلية . وكذلك يجب أن لا يكون هناك تحيز في فلسطين ضد عروض يكون منشأها في بلاد من بلدان الدول المذكورة أو تكون مرسلة إليها . وتطلق حرية مرور المتاجر (الترانسيت) عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة .

ومع مراعاة ما تقدم وسائر شروط صك هذا الانتداب ، يجوز إدارة فلسطين أن تفرض بإشارة الدولة المنتدبة من الضرائب والرسوم الجمركية ما تراه . ضرورياً.

وتتخذ من التدابير ما تظنه صالحاً لزيادة ترقية المواد الطبيعية في البلاد وصون مصالح السكان . ويجوز لها أن تعقد بإشارة الدولة المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع أية دولة كانت أملاكها كلها داخلة في تركيا الأسيوية أو شبه جزيرة العرب في سنة 1914 .

19- تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن حكومة فلسطين على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن والتي قد تعقد بموافقة جامعة الأمم في ما بعد ، من جهة الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة والاتجار بالمخدرات أو ما يتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور (الترانسيت) والملاحة والطيران وبالمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية بالممتلكات الأدبية والفنية والصناعية .

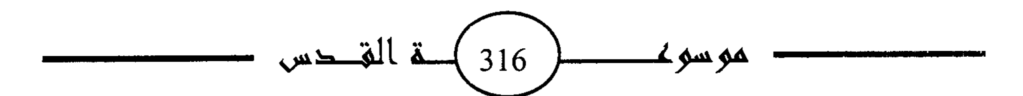
20- تعاون الحكومة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جامعة الأمم لمنع انتشار الأمراض وفي جملتها أمراض النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ما تسمح به الأحوال الدينية والاجتماعية وسواها من الأحوال .

21- تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات ينطبق على الأحكام الآتية ، ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جامعة الأمم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية .

22- تكون الانكليزية والعربية والعبرانية اللغات الرسمية في فلسطين . فكل عبارة أو كتابة بالعربية على طوابع أو عملة فلسطين تكرر بالعبرانية . وكل كتابة أو عبارة بالعبرانية تكرر بالعربية .

23- تعترف حكومة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين أيام راحة مشروعة لأفراد تلك الطائفة .

24- تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جامعة الأمم تقريراً سنوياً يرتاح إليه المجلس عن التدابير التي اتخذت في أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ، وترسل نسخ من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن أو تصدر في أثناء السنة مع التقارير.



25- يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جامعة الأمم أن تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للأحوال المحلية الحاضرة في الأملاك الواقعة بين نهر الأردن والحد الشرقي لفلسطين كما سعين في آخر الأمر وأن تضع من التدابير إدارة هذه الأملاك ما تراه ملائماً لتلك الأحوال بشرط أن لايعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد 15 و 16 و 18 .

26- توافق الدولة المنتدبة على أنه إذا وقع ما بينها (الدولة المنتدبة) وبين عضو آخر في جامعة الأمم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب وتطبيقها بعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعدل الدولي المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جامعة الأمم إذا لم يمكن حله بالمفاوضات .

27- يلزم موافقة مجلس جامعة الأمم على كل تعديل في شروط صك الانتداب هذا.

28- يتخذ مجلس جامعة الأمم من التدابير ، في حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هذا الصك للدولة المنتدبة ، ما يراه ضرورياً لصون استمرار الحقوق المكتسبة في المادتين 13 و 14 على الدوام بضمان الجامعة ويستخدم نفوذه لأن يكفل بضمان الجامعة احترام حكومة فلسطين الاحترام التام للعهود المالية التي اتخذتها إدارة فلسطين على عاتقها في عهد الانتداب . وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في المعاش والمكافأة .

تودع الصورة الأصلية من هذا الصك في محفوظات جامعة الامم . وترسل صور مصدق عليها بواسطة السكرتير العام لجامعة الأمم إلى جميع أعضاء الجامعة ."

انتهى صك الانتداب .

* **المؤتمر العربي الفلسطيني السادس :** عندما عاد الوفد الثاني من رحلته إلى لندن وجنيف ، عقد عرب فلسطين مؤتمرهم السادس . عقدوه في يافا . وكان ذلك في 16 حزيران (يونيو) 1923 . وقد بحثوا قضية فلسطين على ضوء البيانات التي ألقاها أعضاء الوفد ، بنتيجة مساعيهم . وقد فشلت جميع تلك المساعي بصدور صك الانتداب لصالح اليهود ، وبإصرار الحكومة البريطانية على تأييد اليهود . وأيقن الوفد أن الهدف الذي ترمي إليه بريطانيا من توطيد القومي

اليهودي في هذا الجزء من الشرق ، هو اتخاذه فيما بعد حجر عثرة في سبيل اتحاد العرب ، وتكئه يقفز الغرب منها إلى الأجزاء الأخرى من الشرق بقصد استعماره واستغلال خيراته .

وهذا ما حملهم (أي عرب فلسطين) على متابعة الجهد إحباط تلك المؤامرة . فقرروا انتداب وفد ثالث ليزور عواصم الغرب ، ويشرح للعالم كله ظلامة عرب فلسطين . وقد تألف الوفد يومئذ من موسى كاظم باشا وأمين التميمي ووديع البستاني.

* **المندوب السامي الثاني** : الفيلد مارشال باومر : بعد السر هربرت صموئيل صار مندوباً سامياً الفيلد مارشال بارون بلومر Field - Marshal Born Plumers , B. , G. E.M.G. , G.C.V.O. , G.B.E. وكان ذلك في عام 1925.

لم يختلط هذا بالشعب؛ لا في المدن ولا في القرى . وان همه الوحيد توطيد الأمن والنظام في البلاد . فأدارها إدارة عسكرية أكثر مما هي مدنية . ولقد أكثر من توظيف الانجليز في مختلف مصالح الحكومة ودواوينها . ولا سيما في دوائر البوليس . وطغى سيل الهجرة اليهودية على عهده ؛ فدخل البلاد من اليهود عدد كبير وصودق على مشروع استغلال البحر الميت . ولقد أعيد النظر ، على عهده ، في تقسيم فلسطين من الناحية الإدارية . فقسمت في 22 يوليو 1927 إلى لوائين فقط .

* **حوادث البراق** : ومن الحوادث التي حدثت على عهد هذا المندوب : أن اشتد الخلاف بين المسلمين واليهود في شهر أيلول (سبتمبر) 1925 حول (البراق). إذ ادعى اليهود أن هذا الحائط الذي يسمونه (حائط المبكى) هو من بقايا هيكلهم القديم ، وأنه من مقدساتهم ؛ وأن لهم الحق في الوصول إليه والوقوف عنده ليذكروا مجدهم القديم وادعوا أن لهم الحق أيضاً في جلب الكراسي والمقاعد والستائر معهم ، واستعمل هذه الأدوات أثناء تعبدهم وبكائهم هناك .

وعارضهم المسلمون في هذا الإدعاء ، قائلين : أنه لا يحق لليهود أن يجلبوا معهم الكراسي والمقاعد والستائر أو أية أداة أخرى من الأدوات التي تجعل المرء

يعتقد أن هذا المكان هو ملك لهم . وإن كانوا (أي المسلمين) لا يمانعون في وصول اليهود إلى ذلك المكان ، والبكاء عنده . وعليهم بعد ذلك أن يعودوا إلى حيث كانوا . هكذا جرت العادة منذ القديم . ولا بد من العمل بموجبها . ذلك أن هذا الحائط الذي يسميه اليهود (المبكى) ليس إلا جزءاً من (الحرم القدسي) الذي يملكونه المسلمون منذ مئات السنين . إنه ثالث الحرمين اللذين جاء ذكرهما في الحديث النبوي الشريف : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا " .

وهذا (المسجد الأقصى) هو الذي ورد ذكره في القرآن : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " .

وأنه لما أسرى بالنبي (عليه الصلاة والسلام) إلى هذا المكان ربط عنده (أي عند هذا الحائط) براقه . ومن هنا جاء اسمه : (البراق) . وظل هذا الاسم معروفاً عند المسلمين منذ الفتح . وهو وقف إسلامي .

وكاد الخلاف يؤدي إلى قتال ، لولا أن تدخلت الحكومة . فبحث الخلاف من جميع وجوهه . وأصدرت قرارها القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن ، محظرة على اليهود أن يجلبوا معهم أي شيء مما يدعون .

* **المندوب السامي الثالث** : السر جون تشانسلور : بعد الفيلد مارشال بلومو صار مندوباً سامياً اللفتنانت كولونيل السر جون تشانسلور Lieut - Colonel Sir Johon Chancellor , G.C.M.G . , G.C.V.O. . D.S.O. وكان ذلك عام 1928 .

* **المؤتمر العربي الفلسطيني السابع** : وفي زمن هذا المندوب عقد الفلسطينيون مؤتمرهم السابع . عقدوه في القدس . وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر جزيران سنة 1928 . ترأس المؤتمر موسى كاظم باشا الحسيني . وشهده زهاء مئتين وخمسين مندوباً من القدس ومن سائر المناطق وقرر المؤتمرون - فيما قرروا - المطالبة بحكومة برلمانية . وبضرورة وقف سن القوانين إلى أن تؤلف حكومة تمثل البلاد . واحتجوا - في الوقت نفسه - على اعمال الحكومة ؛ ومنها : الإكثار من الموظفين البريطانيين ، وترجيح العمال اليهود على العرب

في اشغال الحكومة ، واستغلال أملاح البحر الميت ومنح هذا الامتياز إلى شركة أجنبية.

وأرسل المؤتمرون إلى عصبة الأمم في جنيف قراراتهم : رافضين (الحكم الاستعماري المطلق) . ومطالبين بالحكم الذاتي أسوة بالبلدان العربية المجاورة. واختار المؤتمر لجنة تنفيذية لمواصلة العمل من أجل تنفيذ قراراته برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني .

وعلى عهده تجدد النزاع بين العرب واليهود حول (البراق) . هذا الحائط الذي يعتبره المسلمون جزءاً من المسجد الأقصى وهو وقف اسلامي . ويعتبره اليهود من بقايا هيكلهم القديم . وقد ذكرناه وذكرنا الخلاف بين الفريقين من أجله في موضع سابق.

ويبدو أن اليهود عندما رأوا أن عددهم في البلاد قد ازداد بسبب التسهيلات التي منحتهم اياها الحكومة للهجرة ، ازدادوا جرأة أيضاً . فراحوا يطالبون بإلغاء القرار السابق الذي أصدرته الحكومة في شهر أيلول (سبتمبر) سنة 1925 والذي أيدت فيه الوضع الراهن (الستاتيكو) . فحملوا معهم عندما زاروا حائط المبكى في (عيد الغفران) بعض الأدوات التي منعوا في السابق من جلبها ، ومنها (ستار) ووضعوه على الرصيف . وكان ذلك في 9 آب سنة 1928 . فاعتبر الموظف المسؤول عن الأمن في تلك المنطقة عمل اليهود هذا تحدياً لأوامر الحكومة . ورفع الستار بالقوة . لأن وضعه هناك من المحدثات التي تثير ثائرة المسلمين .

وبناء على ما حدث وتنادى المسلمون . فعقدوا في القدس مؤتمراً اسلامياً . عقدوه في اليوم الأول من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) 1928 . وقد استنكروا فيه أي عمل او محاولة ترمي إلى إحداث أي حق لليهود في مكان البراق . وهو مكان اسلامي . وحذروا الحكومة من أي تساهل أو تفاوض تقوم به ازاء مطامع اليهود . وقد أنذروها بصراحة أنها إذا توانت ولم تعمل على وقف تحدي اليهود ، فسيتولون هم بأنفسهم وقفه مهما كلفهم الأمر .

واغتنم المؤتمرون هذه الفرصة ، فكرروا مطالبهم السابقة من حيث الحصول على الحق الذي طالما طالبوا به منذ بدء الانتداب ؛ ألا وهو : (حق تقرير المصير) .

وإلى أن ينالوا هذا الحق ، ويحصلوا على الاستقلال المنشود ، طالبوا الحكومة بإصرار أن تعمل على صد تيار الهجرة اليهودية ، ومنع بيع الأراضي العربية لليهود .

وقد استمعت الحكومة لشكاوى العرب . ولكنها لم تفعل شيئاً لوقف الهجرة وبيع الأراضي . وأما الخلاف على البراق ، فقد أرسل وزير المستعمرات البريطانية إلى القدس لجنة أسماها : (لجنة البراق) . وبعد تحقيق قامت به هذه اللجنة وقد استمر شهراً كاملاً ، رفعت تقريرها [1] القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن .

وفي عهد هذا المندوب ازداد عدد اليهود الذين جاؤا لفلسطين كمهاجرين؛ فجاء فريق منهم سراً تحت طي الخفاء وآخرون جاءوا بإذن من الحكومة البريطانية . ولكي يجدوا مبرراً لإصدار وثائق هجرة جديدة ، راحوا يرسمون الخطط لإنشاء مشاريع جديدة . فبعد الامتياز الذي منحته الحكومة لبنحاس روتنبرغ لإنشاء (شركة الكهرباء) التي ذكرناها في عهد المندوب الأول هربرت صمويل (1921) ، منحت في عهد المندوب الثالث هذا وهو تشانسلور ، امتيازاً آخر لاستثمار البحر الميت واستغلال البوتاس وسائر الأملاح المعدنية فيه فقد. منحته لإثنين من رجال الأعمال اليهود هما : نوفومسكي وتولوخ ، كممثلين لشركة أسمياها : (شركة البوتاس الفلسطينية) . وعقد الاتفاق بين الشركة والحكومة في شهر حزيران (يونيو) 1929 . وقد وقّعه وكلاء التاج في لندن بالنيابة عن حكومة فلسطين وشرقي الأردن. وراح اليهود يطالبون بزيادة وثائق الهجرة بحجة وجود أعمال تستلزم استخدام العمال . ونشطوا في شراء الأراضي . ولم تتخذ الحكومة من التدابير ما يضمن حق العرب ، أو يدل على أنها جادة في الدفاع عن مصالحهم والاستجابة لرغباتهم . فراحت دماؤهم تغلي في عروقهم . وتوقعوا سوء المصير . فثاروا .

ثورة عام 1929 :

وقد اشتدت ثورة العرب في فلسطين في شهر آب 1929 فشملت البلاد كلها من أدناها إلى أقصاها . ولا سيما في القدس ونابلس وفي حيفا وصفد وفي يافا والخليل . واشتبك الفريقان في قتال حيثما التقيا . وقتل من اليهود 133 ومن

---

(1) الكتاب الأبيض رقم 229 تاريخ نوفمبر (تشرين الثاني) 1928 .

العرب 91 (87 مسلمون و 4 مسيحيون) . وجرح من اليهود 339 ومن العرب 181 . وكانت أكثر اصابات العرب من الجنود البريطانيين . ولولا هؤلاء الجنود ، لقضى العرب على اليهود . وقد دمرت في تلك الثورة ست مستعمرات يهودية تدميراً تاماً . وأتى البريطانيون من معسكراتهم في مصر . فسكنوا الثورة؛ وألقوا القبض على عدد كبير من الثائرين . فألقوهم في غياهب السجون . وساقوا بعضهم إلى المحاكم ، مصفدين بالأغلال . وأدانت المحاكم 792 عربياً . فحكمت على 20 منهم بالإعدام . وخفض مجلس الملك الخاص حكم الإعدام فيما يتعلق بسبعة عشر عربياً . خفضه إلى السجن المؤبد . وأعدم ثلاثة هم : عطا بن أحمد الزير ، ومحمد بن خليل جمجوم ، وفؤاد بن حسن حجازي . ولكي يثبت البريطانيون أنهم عادلون حكموا على يهودي بالإعدام ، أنه اليهودي الوحيد الذي أدين يومئذ . والتهمة التي وجهت إليه هي : قتل أسرة عربية بكامل افرادها ! . وقد اتخذ مركزه الرسمي كموظف في مصلحة البوليس وسيلة لقتلها ! . فقضت المحكمة بإعدامه . ولكن الحكم خفض بعد قليل إلى السجن خمس عشرة سنة . ثم عفى عنه .

وأرسلت الحكومة البريطانية . أثر هذه الأحداث ، لجنة للتحقيق برئاسة السر والترشو Sir Walter Shaw وثلاثة من الأعضاء يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة: المحافظين والعمال والأحرار. وهبطت اللجنة مدينة القدس. وبعد أن درست المشكلة الفلسطينية والأسباب التي أدت إلى الثورة ، أصدرت قرارها [1] في شهر آذار 1930 . وهذا ملخصه :

1- الفتنة نتيجة حتمية لمخاوف العرب ومخاوفهم ناجمة عن اعتقادهم بأن السياسة التي تتبعها الحكومة البريطانية المنتدبة بشأن الهجرة والأراضي ستؤدي حتماً إلى إخضاع العرب التام ، وإخراجهم من بلادهم . كما أنها ستحرمهم يوماً من وسائل العيش الشريف .

2- إن هذه المخاوف نفسها ستكون - بلا ريب - مصدراً لثورات وقلاقل أخرى لا بد أن تقع في المستقبل أن عاجلاً او آجلاً .

---

(1) الكتاب الأبيض رقم 3530 تاريخ آذار 1930

3- إن الأزمة التي وقعت في سنتي 1927 و 1928 نشأت في الواقع بسبب قدوم عدد من المهاجرين أكثر مما تستطيع أن تستوعبه البلاد . وهذا ما قاله السر جون ك بل أحد الخبراء في مسائل الاستعمار الذين انتدبتهم لجنة الأبحاث العامة المشتركة . تلك اللجنة التي ألفتها الجمعية الصهيونية بالاشتراك مع الزعماء اليهود غير الصهيونيين في الولايات المتحة سنة 1927.

4- إذا أجيب اليهود إلى طلبهم وسمح لهم بإدخال 25.000 مهاجر في السنة ، فإنهم يصبحون أكثرية في سنة 1948 .

5- يتوق اليهود إلى إيجاد (دولة يهودية) في فلسطين . سواء في ذلك المتطرفون منهم والمعتدلون ؛ إن اختلفوا من حيث الوسائل التي يجب أن يلجأوا إليها من أجل الوصول إلى أهدافهم .

6- يجب أن تكون الهجرة إلى فلسطين متناسبة مع قدرة البلاد الاقتصادية ، بحيث لا يصبح المهاجرون عبئاً ثقيلاً على أهالي فلسطين . ويجب - في أي حال - أن يؤخذ رأي الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة .

7- إن التدابير التي اتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ، ومنها قوانين انتقال الأراضي في 1920 و 1921 1929 لم تأت بالغاية المتوخاه . فقد بقي عدد كبير من المزارعين ، بسبب انتقال مساحات واسعة من الأراضي العربية إلى أيد يهودية ، بلا أرض يعيشون منها . وفي هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .

8- منحت بريطانيا العراق والأردن الحكم الذاتي . وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بلفور وهذا ما جعل العرب يعتقدون أن وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة في سبيل تحقيق أمانيهم القومية . وهم يعتقدون أيضاً اعتقاداً جازماً أن الوعد الذي قطعه مكماهون بالاستقلال يشمل فلسطين ، وأن بريطانيا خدعتهم حين وعدتهم بالاستقلال إذا ما ثاروا في وجه الأتراك .

وقد ختمت لجنة شو تقريرها بقولها : أن الشعب العربي في فلسطين يطالب بحكومة نيابية مستقلة . وهو في طلبه هذا متحد اتحاداً تاماً . وأن شعور الاستياء الذي يسوده ناشئ عن حرمانه من هذا الحق .. حق الحكم الذاتي وتقرير المصير . وأن هذا

الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الأخيرة . وعلى الحكومة المنتدبة أن تتخذ التدابير اللازمة لتجنب مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

وبناء على توصية هذه اللجنة (أي لجنة شو) هبط القدس بعد قليل (أيار 1930) السر جون هوب سمبسون بوصفه خبيراً في مشاكل الأراضي . وبعد أن درس الوضع درساً دقيقاً رفع إلى حكومته تقريره ، وقد جاء فيه :

1- أن الأراضي التي بيد العرب لا تكفي لسد حاجتهم .

2- إن الأسرة العربية الواحدة في فلسطين تحتاج إلى 130 دونماً من الأرض لتتمكن من القيام بأودها . وهي لا تملك الآن سوى 90 دونماً .

3- إن الأراضي التي بيد اليهود تزيد عن حاجتهم .

4- إن الأرض التي يشتريها اليهود من العرب تبقى بأيديهم إلى الأبد . فقد حرمت الجمعيات اليهودية على أصحابها اليهود بيعها ولا تسمح لهم بتأجيرها إلا إلى يهود. وعندما تؤجر إلى يهودي ، يشترط عليه أن لا يستخدم أي عربي فيها .

5- يدخل البلاد سنوياً ، بالإضافة إلى المهاجرين الشرعيين ، عدد كبير من المهاجرين غير الشرعيين. يدخلونها بطريق التهريب . وهذا يزيد مشكلة الأراضي سوءاً .

وما كاد هذان التقريران يصلان إلى لندن ، ويدرسان من لدن المسؤولين من رجالها ؛ حتى اصدرت الحكومة البريطانية (21 تشرين الأول 1930) بياناً اوضحت فيه واجباتها كدولة منتدبة ، والخطة التي تنوي أن تنتهجها في إدارة فلسطين وفقاً لصك الانتداب . وقد أسمته : (الكتاب الأبيض). ونشرته في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية بتاريخ 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1930 . وقد جاء فيه :

1- المقصود من (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين زيادة رقي الطائفة اليهودية. وليس معناه فرض (الجنسية اليهودية) على فلسطين اجمالاً .

2- من العبث أن يلح زعماء اليهود على حكومة جلالته كي تسير في سياستها فيما يتعلق بمسائل الهجرة والأراضي حسب أماني المتطرفين من الصهيونيين . فإنها إذا ما فعلت ، تكون قد أخلت بواجبها إزاء غير اليهود من أهالي فلسطين .

3- لا يمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

4- إن للوكالة اليهودية ، بموجب المادة 4 من صك الانتداب ، حق النصح والمعونة . وليس لها حق الاشتراك في حكم البلاد .

5- يجب ، في الوقت نفسه ، إيجاد الوسائل التي تصون مصالح غير اليهود من السكان صوناً تاماً . وأن تتاح لهؤلاء السكان الفرصة لتقديم المشورة لحكومة فلسطين فيما يتعلق بتلك المصالح .

6- إن الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن الفريقين متساوية .

7- إن حكومة جلالته ترى أن الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين نوعاً من الحكم الذاتي . وبناء على ذلك فهي تنوي أن تشكل مجلساً تشريعاً يتمكن العرب فيه من وضع آرائهم الاجتماعية والاقتصادية أمام الحكومة بوسائل دستورية.

8- ليس في فلسطين في الوقت الحاضر أية أرض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد . ومساحة الأراضي المحلولة التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها .

9- إن السياسة التي تتبعها الوكالة اليهودية فيما يتعلق بشراء الأراضي واستغلالها وتأجيرها لا يتفق مع التصريح الذي أدلى به المؤتمر الصهيوني سنة 1921 بأن الشعب اليهودي يرغب في أن يعيش مع الشعب العربي بسلام وصداقة متبادلين .

10- دخل البلاد كثير من الأشخاص دون أن يحصلوا على التأشيرة (الفيزا) اللازمة لدخولهم . كما دخلها وبقي فيها كثيرون ممن سمح لهم بالإقامة المؤقتة فقط . ذلك لأن الحكومة لا تراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .

11- يتحتم على الدولة المنتدبة إما ان تخفض المهاجرة ، أو أن توقفها في الحالات الضرورية . ذلك لأن المهاجرة غير المحدودة تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الأشغال الضرورية لمعيشتهم .

12- ليس ثمة أمل في تحسن العلاقات المتبادلة بين الشعبين ؛ ولا في تحقيق الوطن إلا إذا توطدت الطمأنينة والرفاهية ؛ وبذلك يسود السلام في فلسطين.

ركدت الهجرة اليهودية ، أثر صدور الكتاب الأبيض ، فهبط عدد اليهود الذين كانوا في كل شهر يفدون إلى فلسطين ، إلى الحضيض . لا بل راح بعضهم ينزحون عن البلاد إلى حيث كانوا . واضطربت المؤسسات الصهيونية .

وأصاب زعمائها يأس شديد . إلا واحداً من هؤلاء الزعماء وهو زعيمهم . إنه الدكتور حاييم وايزمان . إنه وإن كان قد استقال من منصبه كرئيس للوكالة اليهودية ، احتجاجاً على الحكومة البريطانية ؛ إلا أنه لم ييأس . وكان من زمرته كذلك اثنين من الزعماء الآخرين ، وهما : اللورد ميلشت والضون فليكس واربورغ . فقد استقال الأول من رئاسة مجلس الوكالة ، والثاني من عضوية اللجنة الإدارية . وراح الجميع يعملون معاً من اجل إقناع الحكومة البريطانية للعدول عن سياستها الجديدة، وإتمام المهمة التي أخذتها على عاتقها من أجل تأييد سياسة الوطن القومي اليهودي ، والعودة إلى سبيلها القديم من حيث فتح الباب ...باب فلسطين .. لليهود الوافدين ، والسماح لهم بامتلاك الأرض كما كانوا يفعلون منذ بدء الانتداب . ولم يكتفوا بالاقناع . بل ، راحوا يهاجمونها ويهاجمون وزارة المستعمرات بشكل خاص ، لأنها على حد قول وايزمان في الصفحة 413 من مذكراته – رضخت لتهديدات المفتي الحاج أمين ورفاقه أعضاء اللجنة العربية العليا ، ونزلت عند رغبات العرب ومطالبهم .

وحاول الدكتور وايزمان ، أثر صدور الكتاب الأبيض ، أن يقابل رئيس الوزارة البريطانية المستر رمسي مكدونالد Mr . Ramsay Mac Donald وكان هذا رئيساً لحزب العمال . وبعد أن رفض مكدونالد مقابلة وايزمان ، عاد فقابله . والفضل في ذلك عائد– كما يقول وايزمان في مذكراته [1] للسيدة استر Lady Astor وهي انكليزية تعطف على القضية الصهيونية . أنها هي التي مهدت السبيل إلى الاجتماع الذي جرى بينهما (وايزمان ومكدونالد) في جنيف . وتم ، بعد قليل، اجتماع آخرين بين الفريقين . حضره من الجانب اليهودي الدكتور

---

(1) اقرأ مذكرات وايزمان في كتابه Trail And Error . P . 411

وايزمان واللورد ريدينغ العضو في مجلس الأعيان واللورد ميلشت والأضون بنحاس روتنبرغ . ومن الجانب البريطاني رئيس الوزراء مكدونالد واللورد باسفيلد وعدد آخر من كبار رجال الحكومة . ورغم مقاومة اللورد باسفيلد لمطامع اليهود ، فقد نجح هؤلاء في قناع أعضاء الوفد البريطاني الأخرين . إذ استرد مكدونالد وعده ، ولما ينقض على صدوره سوى مئة يوم ! .. إنه لم ينشر بياناً رسمياً باسم الحكومة - كما فعلت الحكومة في بيانها السابق الذي أصدرته بتاريخ 21 تشرين الأول 1930 - ولكنه اكتفى بخطاب القاه في جلسة عقدها مجلس العموم بتاريخ 13 فبراير 1931. وقد وجهه إلى الدكتور حاييم وايزمان بوضعه رئيساً لوكالة اليهودية . وقد طمس فيه كل ما جاء في الكتاب الأبيض ...

أن نكوص الحكومة البريطانية على عقبيها ، وعدولها عن السياسة التي عبرت عنها في كتابها الأبيض ؛ جعل العرب يعتقدون أنه لا خير يرجى من البريطانيين . وأن النضال يجب أن يوجه بعد اليوم ضدهم ، قبل اليهود . فراحوا يضاعفون جهدهم للمطالبة بحق تقرير المصير ، وإلغاء الانتداب ، ومقاومة الهجرة وبيوع الأرض ، وإنشاء حكومة دستورية في البلاد .

واستقال المندوب السامي السرجون تشانسلور من منصبه أثر هذه الأحداث . وكان ذلك في 31 آب 1931 .

انتدبت الحكومة البريطانية ، بعد وقف الإضراب ، لجنة ملكية مهمتها التثبت من أسباب الاضطرابات التي حدثت في فلسطين . مع أنها كانت ولا شك ، تعرف الأسباب كلها حق المعرفة ، عن طريق ممثليها في فلسطين منذ سنين . وقد عهدت إلى تلك اللجنة أن تحقق في الطريقة التي نفذ بها صك الانتداب ، وأن ترفع إليها التواصي التي تراها مناسبة لإزالة الخلافات ومنع تكرار الاضطرابات . واستغرب العرب انتداب مثل هذه اللجنة للتحقيق . ولو شاءت لوفرت على نفسها كل هذا العناء ، وهذا التحقيق ... وإرسال اللجان .. وعملت من فورها على إزالة الظلم الذي لحق العرب ، وهي تعرف أسبابه . وكثيراً ما ذكرت تلك الأسباب في المذكرات التي رفعت إليها عن طريق الهيئات العربية العاملة بفلسطين ، وفي مقدمتها (اللجنة العربية العليا) . وهي الممثلة لجميع الأحزاب القائمة في البلاد .

جاءت اللجنة الملكية إلى فلسطين في 11 تشرين الثاني 1936 . وكانت مؤلفة من اللورد بيل (رئيساً) والمستر هوراس رامبولد (نائباً للرئيس) والمستر لوري هاموند ، وموريس كارتر ، وهارلود موريس ، وريجنالد كوبلاند (أعضاء) .

ولما كان وزير المستعمرات الذي أرسلها ، وهو المستر أورمسبي غور ، قد ألقى في مجلس العموم - وقبيل مجيء اللجنة ببضعة أيام (5 تشرين الثاني 1936) - بيناً جاء فيه : " أنه ليس ثمة أسباب اقتصادية أو اسباب أخرى تبرر توقيف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولو توقيفاً مؤقتاً ! وأن حكومة جلالته وافقت على توصية المندوب السامي بالسماح لألف وثمانمئة يهودي في ستة شهور ! ... " فقد قررت (اللجنة العربية العليا) مقاطعة هذه اللجنة . وأذاعت في 6 تشرين الثاني 1936 بياناً استنكرت فيه بيان وزير المستعمرات ، واعتبرته تحدياً لشعور العرب ، ودليلاً على فقدان النية الحسنة . ولكنها (أي اللجنة العربية عادت فألغت قرارها نزولاً عند رأي الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن ، ونصيحة الملك غازي ملك العراق ؛ الذين نصحوها بوجوب الاتصال باللجنة . فقررت الاتصال بها . وتقدمت إليها بياناتها المدعومة بالوثائق والتواريخ والأرقام ، وبشهودها وبياناتها . ولكن النتيجة كانت منافية لرغبات عرب فلسطين . فإن تلك اللجنة - وهي التي عرفت فيما بعد بـ : (اللجنة الملكية) و (لجنة بيل) - قررت تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية . وجعلت جميع الجليل ومرج بن عامر والسهل الساحلي من عكا وحيفا في الشمال حتى يافا وأسدود في الجنوب في الدولة اليهودية . والقسم الواقع إلى الجنوب والشرق من هذا الخط منطقة عربية تتحد مع شرق الأردن .

وأما القدس وما حولها فقد اقترحت بقاءها تحت الانتداب ، على ألا يسري عليها تصريح بلفور . وكذلك قالت عن الناصرة وشواطئ " بحيرة طبرية " فقد اقترحت ضمها إلى منطقة القدس ؛ على أن ييسر لها الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد من القدس إلى يافا شاملاً مدينتي اللد والرملة . هذا وقد اعترفت اللجنة الملكية في تقريرها أن رغبة العرب في الاستقلال وكرههم للوطن القومي واليهودي من أهم الأسباب التي أدت إلى ثورتهم ... وأن تلك الرغبة ، وهذا الكره ؛ قد تجاوزا حدود فلسطين إلى البلاد العربية الأخرى ... وهما اللذان سببا الاضطرابات التي حدثت في البلاد في 1920 و 1921 و 1929 و 1933

ونصحت اللجنة في تقريرها بالاستغناء عن خدمات الموظفين الذين يُرتاب في إخلاصهم، والاستمرار على الاستعان بموظفي المستعمرات من الانكليز. وانتقدت في تقريرها سياسة الحكومة من حيث انتقال الأراضي العربية إلى اليهود، بعد أن اعترفت أن الأراضي التي يمتلكها اليهود قد ارتفعت مساحتها في عشر سنين من 844.000 دونم (1925) إلى 1.332.000 دونم (1936).

وأما من حيث الهجرة، فقد اقترحت اللجنة أن تحدد هذه بإثني عشر ألف مهاجر في السنة. وذلك للسنوات الخمس المقبلة. وكان عدد اليهود، يوم جاءت إلى فلسطين، أربعمئة ألف.

هذا هو ملخص التقرير الذي وضعته (اللجنة الملكية). وهو أول تقرير تضمن فكرة التقسيم. وعندما نشرته الحكومة البريطانية في 7 تموز 1937 قالت أنها توافق اللجنة فيما ذهبت إليه لأن التجارب التي مرت بها خلال الأعوام المنصرمة، برهنت على أنه لا يمكن التوفيق بين أماني العرب وأماني اليهود في فلسطين. وأن تلك الأماني لا يمكن تحقيقها عن طريق الانتداب.

انشطر اليهود، أثر صدور هذا التقرير، إلى شطرين. أيده وأخذ ينادي بتنفيذه. وآخر استنكره! لا، لأنه لا يريد التقسيم؛ بل لأنه طامع في المزيد!.

وأما عرب فلسطين فقد رفضوا تواصي اللجنة الملكية رفضاً باتاً. ولم يكتفوا بالأبراق والاحتجاج [1] وتنظيم المظاهرات. بل أعلنوا الثورة. وأضربوا عن العمل. وعادت أعمال العنف والنسف والتدمير إلى ما كانت عليه قبل صدور قرار التقسيم. فدمرت مباني الحكومة ومخافرها. وفجرت انابيب البترول. ونسفت الجسور. وتدهورت قطارات البضائع والركاب. وقطعت أسلاك البرق والهاتف. واصطدم الثوار والجند حيثما التقوا. ولم يبال العرب بالقوات الكثيرة من الجند التي استحضرتها السلطة من مصر وقبرص ومن انكلترا نفسها، حتى نافت هذه

---

(1) أرسلت (اللجنة العربية العاليا) أثر صدوره مذكرات شديدة اللهجة إلى الحكومة البريطانية في لندن، وإلى لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف، فندت فيها قرار التقسيم، وطالبت بالاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام. وعقد معاهدة على غرار المعاهدات المعقودة مع العراق ومصر وسورية.

على خمسين ألف جندي . فراحوا يتحدون الحكومة وجيشها . وقتلوا حاكم الجليل المستر أندروس Lewis Andrews والبوليس البريطاني حارسه . وقتلوا حاكم جنين المستر موفات Walter Moffatt واشتدت السلطة في تدابيرها لقمع الثورة . فحلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية كلها . وأقالت رئيس المجلس الإسلامي الأعلى من منصبه . واعتقلت عدداً كبيراً من رجالات فلسطين [1]. ونفت من نفت منهم إلى جزير (سيشل) . فاضطربت البلاد مرة أخرى . واتسعت المعارك بشكل مخيف . ووضع (قانون الطوارئ) موضع التنفيذ من جديد . ففرضت احكام الموت على كل من حمل السلاح ، ولو كانت رصاصة فارغة ! .. وبلغ عدد الذين أُعدموا شنقاً في سجن عكا 148 شهيداً . وأما الذين حكم عليهم بالسجن مؤبد ، فإنهم أكثر من ألفين : بينهم شيوخ ونساء ، ولم يكونوا كلهم من الشباب المسلحين . وتعمدت السلطات العسكرية هدم الدور والمنازل. فهدمت أكثر من خمسة آلاف بيت .. وجاوز عدد الشهداء من أبناء فلسطين ثلاثة آلاف كما جاوز عدد الجرحى سبعة آلاف . وانطلقت صيحات الاحتجاج من سوريا ومصر والعراق يتنادون للأخذ بيد اخوانهم عرب فلسطين . ولئلا يتمكن هؤلاء من التسرب لفلسطين، أقام البريطانيون سوراً من الأسلاك الشائكة وسلسلة من القلاع المحصنة [2] على طول الحدود . وراء هذه الأسلاك والقلاع كتائب من الجند ومصائد من الألغام . إلا أن عرب فلسطين مضوا أكثر قوة يهاجمون الانكليز واليهود في آن واحد .

بعد السر تشانسلور صار مندوباً سامياً اللفتانانت جنرال السر آرثور غرنفيل واكهوب Lieut - General Sir Arthur Genfall Wauchope , K.C.B. , C.M.G.C.L.E. , D.S. O. وكان ذلك في 1 أكتوبر 1931 .

جاء هذا (المندوب) على أثر الثورات والاضطرابات المقلقة للإنجليز واليهود. فرأى أمامه شعباً مثقلاً بالضرائب . فزار الفلاحين . وأظهر اهتماماً زائداً

---

(1) يؤكد أكرم زعيتر في كتابه (القضية الفلسطينية) ص 121 أن عدد المعتقلين من أبناء فلسطين في مدد مختلفة بلغ نحواً من خمسين ألفاً ! . وكتابه طبع في القاهرة سنة 1955 .

(2) سميت باسم الشخص الذي ابتدعها / وهو السر تشارلس تيغارت . كان فيما مضى من كبار الموظفين في حكومة الهند . وهو خبير في مكافحة الثورات .

بشؤونهم . فأقرضهم القروض الزراعية ، وخفض عنهم بعض الضرائب ،وألغى البعض الآخر . وعمل على ترقية وسائل الزراعة ، وإنهاض المزارعين ؛ حتى لقب بـ (صديق الفلاح) . ولكنه في الوقت نفسه سمح لعدد كبير من اليهود بدخول البلاد . حتى دخلها منهم ، خلال السنوات الخمسة التي قضاها في فلسطين ، خمسون ألفاً في كل سنة [1] . ففي السنوات الثلاثة التي انقضت بين 1933-1935 دخل فلسطين 135.000 يهودياً . قالت الحكومة انها اضطرت إلى منحهم وثائق هجرة بسبب اضطهاد هتلر والحكم النازي في ألمانيا . وما كادت سنة 1937 تقترب حتى كان عددهم قد وصل إلى 400.000 نسمة . أضف إلى ذلك أنهم راحوا يستوردون مختلف أنواع الأسلحة من اوروبا .

ونشط اليهود على عهده لشراء الأراضي .

ولم يغتر العرب بابتسامته ، وبالوصف الذي أضفاه عليه الآخرون بقولهم : أنه صديق الفلاح ! .. وكان قد أتاهم خبر الحفل الذي اقامه الصهيونيون في لندن تكريماً له ، وقد شرب فيه نخب الصهيوينة ونجاحها! عندئذ أيقن العرب أنه منافق ذو وجهين . أخذ بيده اليسرى ، ما أعطاه بيده اليمنى . فعقدوا بالقدس وفي جوار الحرم الشريف (كانون الأول 1931) مؤتمراً اسلامياً حضره عدد كبير من المسلمين من فلسطين ، والأردن ، وسورية ، ولبنان ، واليمن، والعراق ، ومصر ، والحجاز ؛ ومن تونس ، وبرقة ، والجزائر ، والمغرب الأقصى ؛ ومن تركيا ، وتركستان الصينية ؛ ومن الهند ، والقفقاس ؛ ومن يوغسلافيا ، ونيجيريا ، وجاوا ، وسيلان . وترأس المؤتمر المفتي الحاج أمين الحسيني . وحضره عدد كبير من علماء فلسطين وشيوخها وزعمائها وأهل الرأي فيها . وقرر المؤتمرون ، فيما قرروا ، إيجاد كتلة عربية إسلامية تقف سداً منيعاً حيال مطامع اليهود في الأرض المقدسة ، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في جميع الأقطار الإسلامية ، وتنبيه العالم الإسلامي إلى الخطر الكامن وراء

---

(1) قال الدكتور حاييم وايزمن في مذكراته Trial & Error أن السر واكهوب كان يعطف على الوطن القومي اليهودي ، وكان يعتقد أن نجاح الصهيونية في فلسطين متوقف على الهجرة ؛ ولهذا سمح لستين ألفاً من اليهود بالهجرة إلى فلسطين في عام واحد ، هو عام 1935 .

الصهيونية ، وصد تيار الهجرة اليهودية ، ومقاومة بيع الأراضي لليهود ، ودعوة العالم الإسلامي لشرائها ، واستنكار الاستعمار بجميع ألوانه في أي قطر من الأقطار الإسلامية ، واعتبار قضية العرب الأرثوذكس جزءاً من القضية العربية .

وكان هؤلاء (العرب الأرثوذكس) قد عقدوا في يافا وقبل ذلك ببضعة أيام (تشرين الثاني 1931) مؤتمراً أيدوا فيه المطالب العربية القومية في فلسطين ؛ كما طالبوا بحقوقهم في الشؤون الدينية، تلك الشؤون التي حصرها اليونان من رجال الأكليروس الديني بأيديهم . وقرر العرب الأرثوكسيون في مؤتمرهم أن يكون البطريرك عربياً ، لا يونانياً أجنبياً كما هي الحال . وأن لا يعترفوا بأي بطريرك لا يشترك الشعب في انتخابه .

وعقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعاً (1933) درست فيه الموقف . وقررت أن تقام في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين مظاهرات يعبر فيها الشعب إن سخطه واستنكاره للسياسة القائمة . وما كادت الحكومة تتلقى الخبر حتى أصدرت بلاغاً رسميا حظرت فيه التظاهر . إلا أن اللجنة التنفيذية ثبتت في قرارها . وتقدمت المتظاهرين في صفوفهم . واشترك النساء مع الرجال في تلك المظاهرة . وجاء الانكليز بحرابهم ودباباتهم ؛ ففرقوا المتظاهرين ، بعد أن جرحوا منهم خمسة وثلاثين. وجرح خمسة من رجال البوليس . وكذلك قامت المظاهرات في يافا وفي سائر مدن فلسطين . وكانت أشدها في يافا . حيث قتل الانكليز ثلاثين عربياً . وجرحوا زهاء مئتين .

وعاد الاضطراب، في أواخر عام 1935 ؛ بسبب سياسة الحكومة وتغلغل النفوذ اليهودي في أداة الحكم ؛ وبسبب تلكؤ الحكومة في اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون انتقال الأرض إلى اليهود ، وتدفق سيل الهجرة إلى البلاد . وقد دخلها في ذلك العام وحده خمسون ألف يهودي . فقام عرب فلسطين بالاعتراض. وراحوا يطالبون الحكومة المنتدبة بوقف تيار الهجرة الذي طغى . كما راحوا يطالبون بالحكم الذاتي وتقرير المصير . ولما لم تلب الحكومة طلبهم أعلنوا (الإضراب العام) . وشمل الإضراب الذي بدأ في 25نيسان (إبريل) سنة 1936 البلاد كلها : من أدناها

إلى أقصاها . فوقفت الأعمال في المتاجر ، والمصانع ، والموانئ ، والمكاتب ، والمدارس، وفي كل مكان . وشمل الإضراب وسائل النقل على اختلاف أنواعها : في المدن والقرى . فلم يذهب العمال إلى أعمالهم ، والتجار إلى متاجرهم ، والمعلمون والطلاب إلى مدارسهم ، وامتنع المحامون عن ارتياد دور المحاكم ؛ إلا إذا دعاهم الواجب لإنقاذ عربي من مخالب السلطة . وسلم المخاتير أختامهم إلى السلطة، وامتنعوا عن تلبية دعوتها أو الإجابة عن أسئلتها . كما امتنع الفلاحون والمزارعون عن ارتياد الأسواق ليبيعوا منتجاتهم وخضارهم . واضربت (البلديات) عن كل عمل ، خلا أعمال التنظيف والتنوير وتزويد البيوت والمنازل بالماء . حتى السجناء فقد أضربوا عن العمل في سجونهم . كما أضرب رجال البوليس العرب ، فراحوا يطالبون بفصلهم عن زملائهم البريطانيين من حيث الأمر والنهي ، لأنهم يكرهون أن يكونوا أداة الضرب على يد إخوانهم. وراح رجال الدين من المسلمين ومسيحيين يعظون الناس في مساجدهم وكنائسهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ونجاة بلادهم .

وبذلك شمل الإضراب جميع مرافق البلاد . فلم يستثن منه سوى المطاحن والأفران والمستشفيات والعيادات الطبية والصيدليات . وأما الصحف الفلسطينية فقد اكتفت بالإضراب ثلاثة أيام ، علامة الانسجام مع الرأي العام . ثم عادت إلى الظهور ، كي ترشد الأمة إلى خيرها ، وتطلعها على ما يعترض سبيلها من عثرات . وكذلك فعلوا الموظفين العرب ذوي الرتب العليا ، فقد كتبوا إلى الحكومة مذكرة مشتركة قالوا فيها : أنهم يشاطرون أمتهم في شعورها ، ويؤيدونها في مطالبها ، ويطالبون بإعطائها حقها . واشتركت المرأة العربية الفلسطينية أيضاً في النضال إلى جانب الرجل . وعبثاً حاولت الحكومة أن تقنع زعماء الأحزاب كي يعدلوا عن الإضراب ، وينصحوا الناس كي يعودوا إلى أعمالهم .

لم تتحد الأحزاب الفلسطينية في ذلك الزمن كما اتحدت في ذلك اليوم والتي منها:

حزب الاستقلال العربي الذي تأسس في 4 آب 1932 وزعيمه المحامي عوني عبد الهادي . وحزب الدفاع الوطني الذي تأسس في 2 كانون الأول 1934وزعيمه

راغب النشاشيبي . والحزب العرب الفلسطيني الذي تأسس في 24 نيسان 1935 وزعيمه جمال الحسيني . وحزب الإصلاح الذي تأسس في 18 حزيران 1935 وزعيمه الدكتور حسين فخري الخالدي . وحزب الكتلة الوطنية الذي تأسس في 4 تشرين الثاني 1935 وزعيمه المحامي عبد اللطيف صلاح . والأحزاب الأربعة الأولى تأسست في القدس وجعلت مقرها الرئيسي فيها . وأما حزب الكتلة فقد تأسس في نابلس ، واتخذها مقراً لأعماله . وقد جاء في برامج الأحزاب كلها أنها تستهدف خير البلاد ، وترفض فكرة الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي . وتطالب بوضع حد للهجرة وبيع الأرض ، وتنشد استقلال فلسطين ضمن وحدة عربية كبرى. ولكن كل واحد منها (أي من الأحزاب) كان قبل ذلك التاريخ يعمل لوحده، وبوسائله التي يراها . ولما جدّ الجد ، وأيقن الجميع أن الحكومة الانكليزية لا تريد بهم خيراً ، وأن فلسطين ضائعة لا محالة إذا لم يتحدوا ؛ اتحدوا . وأعلنوا الإضراب . وألفوا لجنة أسموها : (اللجنة العربية العليا) . ألفوها من : الحاج أمين الحسيني ، راغب النشاشيبي ، أحمد حلمي عبد الباقي ، الدكتور حسين فخري الخالدي ، يعقوب فراج ، الفرد روك ، عوني عبد الهادي ، عبد اللطيف ، صلاح ، الحاج يعقوب الغصين ، جمال الحسيني . وانتخبت اللجنة لرئاستها الحاج أمين ، وأميناً لمالها أحمد حلمي ، وأميناً لسرها عوني عبد الهادي .

وفي الجلسة الأولى التي عقدت بتاريخ 25 نيسان 1936 قرروا المضي في الإضراب حتى يجاب الشعب العربي في فلسطين إلى مطالبه . ولخصت هذه المطالب بمنع الهجرة اليهودية منعاً تاماً ، ومنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود، وإنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي منتخب .

ودعت اللجنة العليا الشعب بمختلف طبقاته إلى مؤتمر عام . وعقد المؤتمر في القدس بتاريخ 7 أيار 1936 . فأيد المؤتمرون قرار الإضراب . وقد أضافوا إليه قراراً آخر هو : الامتناع عن دفع الضرائب . وقد امتنع الناس عن الدفع بالفعل اعتباراً من 15 أيار . واستمر الإضراب ستة شهور . وبعد ان كانت مقاومة العرب ، في غضون الشهر الأول من الإضراب ، منحصرة في الامتناع السلبي عن العمل ، وفي الكلام والخطب والأقوال التي تنتشر في الصحف وتقال من على المنابر ؛ انقلبت في شهرها الثاني إلى (ثورة علنية) شملت البلاد كلها : من أدناها إلى أقصاها . وراح

العرب والجنود البريطانيون يقتتلون حيثما يلتقون : في القدس وقراها ، وفي جبل نابلس وجبل الخليل ، وفي يافا وحيفا ، وفي اللد والرملة ، وعند باب الواد ، وفي السهل والوعر ، وفي الجبال والحراج والمغاور والكهوف والوديان ، وفي كل مكان .

وقطع الثوار العرب أسلاك البرق والهاتف . وهاجموا القطارات الحديدية ، فمنعوها عن السير . ونسفوا الجسور ، وقتلوا عدداً غير قليل من الجنود البريطانيين ومن اليهود . وسدوا الشوارع بالحجارة . ورشوا الطرق بالمسامير عرقلة لوسائل النقل وهاجموا المستعمرات اليهودية حيثما استطاعوا . هاجموها في الليل والنهار . وقد أُخلي بعضها من سكانها . وما كان اليهود ليستطيعوا السير والتنقل من مكان إلى مكان ، إلا في سيارات مصفحة بالفولاذ ، وتحت حراسة الجند .

ولم يقف الانكليز حيال ثورة العرب وقفة المتفرج . بل راحوا يقاومونها بأقصى ما لديهم من قوة .

إنهم لم يتركوا وسيلة إلا واستعملوها لمقاومة العرب ، واسكاتهم . فكان أول ما عملوه انهم اعلنوا قانون الطوارئ . واعتقلوا عدداً من خيرة الشبان ورجالات البلاد . فزجوا بعضهم في السجون . وأرسلوا البعض الآخر إلى المعتقلات . عدد من الزعماء حكم عليهم بالإقامة الجبرية في عوجا الحفير من أعمال بئر السبع في أقصى الجنوب من فلسطن والبعض الآخر في صرفند على مقربة الرملة . وحشد الانكليز قواتهم في المناطق العربية التي اعتبروها خطراً على الأمن . وارتفع عدد جنودهم بفلسطين من عشرة آلاف جندي إلى عشرين ألف جندي . تعززهم الطائرات والدبابات ومختلف أنواع الأسلحة والمعدات . ومنعت السلطة الناس من مغادرة منازلهم ، إلا في ساعات معدودة لقضاء حاجاتهم . ونسفت منازل العرب في عدد من المدن . ولا سيما في يافا . فقد نسفت منطقة واسعة مؤلفة من 220 منزلاً بحجة تجميل المدينة ! . واعترف وزير المستعمرات بعدئذ أنها نسفت لكونها مركزاً للمتربصين . وفرضت السلطة عقوبة الإعدام والسجن المؤبد على من يحمل السلاح .

ولم يكتف الجنود البريطانيون بتفتيش منازل العرب ومصادرة أسلحتهم ، بل راحوا ينسفون دورهم ومنازلهم . وحطموا كل ما وقعت عليه أيديهم في تلك المنازل

من آلات وأدوات ومن مواد غذائية . وقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً من الأهلين : لا فرق في نظرهم بين مسلم ومسيحي .. بين مدني وقروي .. بين رجل وامرأة .. بين شيخ مسالم أو شاب ثائر .. الأمر الذي حدا بالقرويين لهجر قراهم ، والمدنيين لهجر منازلهم .

وهؤلاء الذين هجروا قراهم ومنازلهم ، قد اعتصموا بالجبال . فزادوا النار لهيباً . وما كاد يمر على الإضراب مئة يوم ، حتى كانت هذه قد ازدادت ضراوة . وكان عدد من الإخوان السوريين والعراقيين قد دخلوا البلاد، وانضموا إلى إخوانهم المجاهدين من أبناء فلسطين . نذكر منهم فوز الدين القاوقجي ، وسعيد العاص ، وهما من كبار المجاهدين . وقد أبلوا جميعاً بلاءاً يستحق التقدير.

واستحضر الانكليز نجدات جديدة من معسكراتهم القائمة في مصر وقبرص. حتى ، ومن الوطن الأم . فبلغ عدد الجيش البريطاني المرابط في فلسطين خمسة وعشرين ألفاً . واستبدلوا قادتهم ، فعهدوا بقيادة قطعاتهم المعسكرة في فلسطين إلى رجل من أقدر رجالهم العسكريين ، ألا وهو : اللفتانت جنرال السر جون دل Sir John Dill ولم يترك هذا القائد وسيلة من وسائل البطش والتنكيل ، إلا واستعملها ؛ لإرغام الفلسطينيين على الرضوخ للاستعمار والعدول عن الإضراب .

ومن الوسائل التي استخدمتها الحكومة البريطانية لوقف الإضراب والثورة ، بالإضافة إلى التدابير العسكرية القاسية ، أنها لجأت إلى الأمير عبد الله أمير الأردن ، ونوري باشا السعيد وزير خارجية العراق ، وإلى غيرهما من الرجال ذوي النفوذ في هذا الجزء من الشرق ؛ لعلهم يقنعون الفلسطينيين في العدول عن الثورة . وعبثاً حاول هؤلاء في بادئ الأمر اقناع الفلسطينيين . ولكنهم ، بعد قليل ، نجحوا في مسعاهم . ولا سيما عندما انضم اليهم ملوك العرب ورؤسائهم الآخرون ومنهم : الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة السعودية ، والملك غازي ملك العراق ، والإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن . وأكد الملوك لزعماء فلسطين أنهم حصلوا على تعهدات من الحليفة بريطانيا أن تنصف عرب فلسطين ؛ ووعدوهم أيضاً (أي الملوك والأمراء) أن يأخذوا بيدهم ، فيدفعوا عنهم خطر الصهيونيين . وقبلت اللجنة العربية العليا وساطتهم . فأعلنت إنهاء الإضراب والثورة اعتباراً من يوم

الإثنين الموافق 12تشرين الأول 1936 . وهكذا يكون الإضـراب قـد دام مئـة وسـتة وسبعين يوماً .

كـان ربـح العـرب ، رغـم الخسـائر الـتي ألمـت بـهم في الأرواح وفي ميـادين الاقتصاد ، عظيماً . ذلك لأنهم كانوا ، قبل ذلك مختلفين . وقد وجهوا عدائـهم المـرة هذه نحو الحكومة المنتدبة نفسها ، بعد أن كـانوا يسـتهدفون اليـهود وحدهـم . وقـد اشترك مع أبناء فلسطين عدد من إخوانهم أبناء الأقطـار العربيـة المجـاورة . واشـترك الملوك والأمراء بالعمل ، فأصبحت (قضية فلسطين) قضية عربية عامة .

وأما الخسائر في الأموال والأرواح ، فكثيرة . نذكـر منـها مـا جـاء عـن طريـق الحكومة وإحصاءاتها الرسمية . فنقول :

	عرب		يهود		انكليز		المجموع
القتلى :	200	+	80	+	45	=	325
الجرحى :	810	+	300	+	260	=	1370

واما المصادر العربية ، فتقول :

	عرب		يهود		انكليز		المجموع
القتلى :	200	+	300	+	45	=	545
الجرحى :	803	+	252	+	260	=	1315

إن معظم القتى والجرحى من العـرب أصيبـوا برصـاص الجنـد . وبلـغ عـدد الذين زجوا في المعتقـلات والسـجون منـهم (أي مـن العـرب) ثلاثـة آلاف بـين معتقل وسجين .

هذا ما جرى في فلسطين خـلال السـنوات (أيلـول 1930 - شـباط 1938) التي قضاها السر واكهوب فيها . وقد غادرها بعدما قسمت فلسـطين (1931) إلى ثلاثة ألوية . هي:

أ) **اللواء الشمالي :** وهو مؤلف من الأقضية التالية :

حيفا ، عكا ، الناصرة ، طبريا ، صفد ، نابلس ، جنين ، طولكرم ، بيسان .

ب) **اللواء الجنوبي :** وهو مؤلف من الأقضية التالية :

يافا ، الرملة ، غزة ، بئر السبع ، عوجا – الحفير .

ج) **لواء القدس :** وهو مؤلف من الأقضية التالية :

القدس ، رام الله ، بيت لحم ، أريحا .

دخلت سنة 1938 والثورة ما زالت مشتعلة . فرأت الحكومة أن تستبدل قادة الجيش وحكام البلاد بغيرهم ، لعلهم يستطيعون ان يخمدوا الثورة ، أو يجدوا حلا للمشاكل القائمة . فاستبدلت الجنرال هاينغ بالجنرال ويفل قائداً عاماً . وجاء السر هارولد الفرد ماك مايكل . Sir Harold Alfred MacMichael . K.C.M ليحل محل السر ارثر غرينفل واكهوب .

وتسلم المندوب الجديد عمله في اليوم الأول من شهر آذار 1938 .

وجد هذا المندوب امامه شعباً يغلي ، وبلداً تمزقه الثورات . واستمر الثوار العرب في حركاتهم بعد مجيئه . فاحتلوا مدينة القدس (نيسان 1938) كما احتلوا الخليل (أغسطس 1938) . واحتلوا أيضاً مدينة بئر السبع (أيلول 1938) . وفي بئر السبع انطلق الثوار، وكان يقودهم يومئذ القائد عبد الحليم الجيلاني . فقد قطعوا قبل كل شيء ، أسلاك البرق والهاتف . وأقاموا في مداخل المدينة قوات كافية لمنع الدخول إليها والخروج منها . ثم راحوا يتعقبون الجنود البريطانيين الذين كانوا في المدينة . وقد قتلوا واحداً منهم برتبة نقيب . ثم راحوا يستولون على دور الحكومة . وحرقوا بعضها . وقد أطلقوا السجناء من سجونهم . واستولوا على مقادير كبيرة من الأسلحة والعتاد العسكرية . وظل الثوار في تلك البقعة من جنوب فلسطين مسيطرين ، يغشونها متى يشاءون ، زهاء سبعين يوماً .

واحتل الثوار أيضاً مدينة اريحا في الشرق ومدينة طبريا في الشمال ؛ فدمروا معظم المباني اليهودية والمنشآت الحكومية . وقتلوا من سكانها اليهود عدداً كبيراً .

جاءت إلى فلسطين لجنة يرأسها السر جون وودهيد . نزلت هذه في مدينة القدس في 27 نيسان " إبريل " سنة 1938 . وقالت اللجنة عن نفسها أنها (لجنة فنية) انتدبت لتدرس مشروع التقسيم المقترح من قبل اللجنة الملكية . وقد خولت الحرية في اقتراح التعديلات التي تراها مناسبة ، على أن تضع حدوداً فاصلة بين

المنطقتين العربية واليهودية والمناطق التي يجب الاحتفاظ بها، إن دائماً او مؤقتاً، تحت الانتداب البريطاني.

فاستقبلها العرب في فلسطين بالإضراب العام والمظاهرات. وقاطعوها. فلم يتقدم إليها خلال المدة التي قضتها في البلاد (من 27 نيسان إلى 9 تشرين الثاني 1938) عربي واحد ليؤدي شهادته. وقالت اللجنة في تقريرها " أن العرب لا يزالون يقفون من التقسيم موقفاً عدائياً " واعترفت اللجنة أيضاً أنه من المتعذر تقسيم بلاد صغيرة كفلسطين بشكل يكون للحدود التي تفرض لتفرق بين مناطقها.

وبعد أن استعرضت لجنة ووهيد جميع المشاريع التي اقترحت لتقسيم فلسطين، ومن بينها مشروع اللجنة الملكية، قالت أنها لا توصي بقبوله. لأن عدد العرب في الدولة اليهودية - فيما إذا نفذ مشروع اللجنة الملكية - سيكون مساوياً لعدد من فيها من اليهود! .. وأما الأراضي فما يملكه اليهود في الدولة العربية ضئيل لا يجاوز التسعين ألفاً من الدونمات، على حين ما يملكه العرب في الدولة اليهودية نحو 3.855.000 دونماً. واليهود لا يمكلون في دولتهم المقترحة أكثر من 1.140.000 دونماً!.

ومما جاء في تقرير لجنة وودهيد قولها: أن أي مشروع لتقسيم فلسطين يقضي بوضع عدد كبير من العرب تحت سيطرة اليهود في منطقة ليس لليهود فيها أكثرية. وليس ثمة ما يسوغ استعمال القوة إرغام هذا العدد الكبير الذي يقطن في منطقة عربية بحتة على قبول سيطرة اليهود. ولو فرضنا جدلاً انه كان بالإمكان سحق المقاومة العربية بالقوة، فإن هذا (السحق) لن يستمر طويلاً. وستبقى البلاد عرضة للقلاقل والثورات.

وقد اختتم التقرير بجملة جاء فيها: " ان تقسيم فلسطين امر لا يجوز أن يجريه الأوصياء دون موافقة شعب فلسطين. وهذا الشعب ليس بالشعب الساذج المفتقر إلى وصي، ولا هو بالعاجز عن اتخاذ قرار يحدد مصيره ".

عندما تلقت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الفنية (وودهيد) اصدرت بياناً رسمياً تاريخه 9 نوفمبر 1938. وقد اعترفت فيه أن تقسيم فلسطين، كما اقترحته لجنة بيل، غير عملي. ولهذا فإن " حكومة جلالته ستواصل الاضطلاع بمسؤوليتها في حكم فلسطين بأجمعها كدولة منتدبة ".

ولكن ! كيف السبيل لإيجاد تفاهم بين العـرب واليـهود ، وتوطيـد السـلام والأمن في البلاد .

فالثورة ما برحت قائمة . والجو لا يزال مضطرباً. وخزانة الحكومة تكاد تفـرغ من كثرة الإنفاق على الجيش والشرطة ، وتعمير المباني الحكومية والمحطات والجسـور التي هدمها الثوار . والأهم من هذا وذاك حماية اليهود الذين أقضـت ثـورة العـرب مضاجعهم . وقد أحدثت المقاطعـة الـتي فرضـها العـرب أثرهـا في جميـع أوسـاطهم التجارية والصناعية . فكسدت بضائعهم . وتوقفت مصانعهم . وكثر عدد العاطلين من عمالهم . وبلغـت الخسـائر في الأرواح والممتلكـات نتيجـة للثـورة العربيـة ، حداً مخيفاً [1] .

وقف وزير المستعمرات في مجلس العموم ، بتاريخ 24 نوفمـبر 1938 ، فأخـبر الأعضاء : " ان حملة الاغتيالات والعنف التي شهدها العرب ، قد نمت ، وأصبحـت ثورة عربية منظمـة واسـعة النطـاق ضـد السـلطة البريطانيـة " . وبعـد أن أوضـح للمجلس ما قامت به القوات العسكرية من تدابير لتوطيد الأمن ...تلـك التدابـير التي أدت إلى : " إخراج الثوار من القدس واسترداد سيطرة الحكومة على أريحا وغزة واحتلال بئر السبع من جديد " ؛ قال :

" إن باسـتطاعة جيشـنا أن يعيـد النظـام إلى نصابـه في فلسـطين ، ولكنـا لا نستطيع أن نوطد أركان السلام فيها . فالقضية سياسية وليست عسـكرية " . إلى أن قال :

" ونحن حين وعدنا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، لم نقطع علـى أنفسنا عهداً بأن نجعل فلسطين كلها موطناً ليهود العـالم . وفلسـطين لا تسـتطيع أن تحل مشكلة اللاجئين اليهود ، حتى ولو كانت خالية من أي شعب آخر . فكيف بها،

---

(1) جاء في تقرير (اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشـأن فلسـطين) بتـاريخ 21آب 1947 أن اللجنـة الملكية التي يرأسها اللورد بيل والتي انتدبت لتحليل أسـباب الاضطرابـات في فلسـطين ، قـدرت الخسائر بالأرواح نتيجة للثورة العربية 1936-1939 كانت حوالي 4000 شـخص ، وأن الأضـرار التي لحقت بالأمو درت بحوالي مليون جنيه .



وهي مأهولة بالعرب . دخلوها منذ قرون ، وهم يعيشون فيها سادة . ولم يؤخذ رأيهم عندما أعطي وعد بلفور ، وعندما وضع صك الانتداب . وقد احتجوا ، وما برحوا يحتجون . وها هم يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟ أما لهذا الغزو من نهاية ؟ .

وقال :

" إنا إذا لم نستطع أن نزيل مخاوف العرب في فلسطين من أن يصبحوا تحت سيطرة اليهود ، فسنجابه عداء العرب كلهم في الشرق الأدنى . وعلينا - في هذه الحالة- أن نضع قسماً كبيراً من الجيوش البريطانية بصورة دائمة في فلسطين . وفي هذا ما فيه من مصاعب وأعباء ثقيلة " .

لبّي العرب دعوة تلقوها من الحكومة البريطانية . فحضروا مؤتمراً عقدته في لندن . وكان ذلك في 7 شباط 1939 . وقد لبّها اليهود أيضاً . فحضروا المؤتمر نفسه . ولكن الفريقين (العرب واليهود) لم يجلسوا معاً . بل جلس العرب مع الانكليز في الصباح . وجلس اليهود معهم في المساء . وكان الاجتماع في قصر سان جيمس وقد استمر بضعة أسابيع . بسط العرب خلالها قضيتهم . وكذلك فعل اليهود . ولكن المؤتمر فشل في الوصول إلى حل يرضي أياّ منهم . ونشرت الحكومة بعد انفراط عقد المؤتمر بيانها في شكل (كتاب أبيض) تاريخه 17 أيار 1939 . وقد ذكرت فيه مطالب الفريقين والحجج التي يستند إليها كل منهما . وختمت بيانها قائلة : " إنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية ، ولا دولة عربية . وإنما هي ترغب في أن ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة يشترك فيها العرب واليهود...

وإلى أن يتم ذلك ، لا بد من مرور فترة انتقال تساعد على نشوء علاقات طيبة بين العرب واليهود . وفي خلال تلك الفترة تحتفظ الحكومة البريطانية بالمسؤولية النهائية بوصفها الدولة المنتدبة " .

وعلى ضوء هذا البيان أعلنت الحكومة البريطانية أنها :

أولا : ستمنح الفلسطينيين، في خلال عشر سنين ، نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم. وستوليهم زمام الحكم بمساعدة مستشارين بريطانيين .



ثانيا : تكون الهجرة اليهودية ، خلال السنوات الخمس التالية ، مقدار من شأنه أن يزيد عدد اليهود في فلسطين إلى ما يقرب من ثلث مجموع البلاد . وعلى هذا الأساس ستسمح بإدخال نحو 75.000 يهودي مهاجر خلال السنوات الخمس التالية ، اعتباراً من اول نيسان 1940 . ولدى انقضاء السنوات الخمس لا يسمح بهجرة يهودية أخرى ، إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد لقبولها .

ثالثا : سيمنح المندوب السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي العربية إلى اليهود .

حوى الكتاب الأبيض. كثيراً من التعهدات من شأنها أن تزيل الكثير من مخاوف العرب ، وقد اعتبره الكثيرون نصراً لهم ، لأنه دل على أن بريطانيا عدلت عن التقسيم ، وأنها اعترفت بمبدأ الاستقلال ، وحددت الهجرة وقيدت بيوع الأرض تحديداً لا بأس به ؛ إلا أن العرب رفضوه. لأنه جعل تحقيق الاستقلال منوطاً بإسهام اليهود ، واليهود لا ولن يقبلوا دولة ليست يهودية . أضف إلى ذلك أن بريطانيا احتفظت لنفسها بالقرار النهائي : من حيث الموافقة على إعلان الاستقلال أو تأجيله بعد فترة الانتقال ! .

وكذلك اليهود . فإنهم رفضوا الكتاب الأبيض ، لأنه لم يحقق رغباتهم . وقد أبعدهم عن الهدف الذي طالما نشدوه ؛ ألا وهو : إنشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين. ولهذا قرروا بذل كل جهد يملكونه من أجل إلغائه . وقد أعلنوا الثورة . معتقدين أن العرب ما كانوا ليستطيعوا حمل الحكومة المنتدبة على انتهاج خطتها الجديدة الرامية إلى استرضائهم لولا ثورتهم ، وإن ما أحدثته الثورة العربية يجب أن يزول بثورة يهودية .

بدأت ثورة اليهود بمهاجمة محطة الإذاعة . فقطعوا خطوطها قاصدين أن لا يذاع نبأ السياسة الجديدة التي اعتزمت الحكومة المنتدبة تنفيذها . وكان ذلك في 17 أيار 1939 . ثم أحرقوا الدوائر الرئيسية للمهاجرة . ونهبوا دار الحكومة في تل أبيب . واستطاعوا أن يدربوا عدداً وفراً من شبانهم على أيدي ضباط من اليهود تدربوا على الأعمال العسكريبة في الجيش البريطاني ، وعلى يد ضباط من الانكليز أنفسهم كانوا من المؤيدين للفكرة الصهيونية . ومن هنا نشأت القوة العسكرية

المعروفة ب (الهاغانا) . وأقاموا دائرة لتجنيد المتطوعين من أبنائهم . ووضعوا تلك الدائرة تحت إشراف الوكالة اليهودية . وجعلوا مدة الخدمة سنة للفتيات والفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و18 سنة . فعلوا هذا تحت سمع الحكومة وبصرها ، دون أن تفعل بهم ما فعلته قبلاً بالعرب ؛ عندما كانت تحكم على العربي بالإعدام شنقاً إذا ما وجدته يحمل ولو رصاصة واحدة ! ..

ليس هذا فحسب . بل رضي رئيس وزراء بريطانيا في تلك الفترة وهو المستر ونستون تشرشل ، أن ينشئ اليهود جيشاً يهودياً - بقواده وضباطه وجنوده بحجة هذا الجيش سيحارب إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (1939-1944) . وزود هذا الجيش بالأسلحة : بعضها شروه من مخازن الجيش البريطاني علناً ، وبعضها زودتهم به الحكومة دون ثمن ، والبعض الآخر سرقوه من معسكرات الجيش في الداخل أو هربوه خفية من الخارج .

ونشطت عصابات الأرغون وشترن في أعمالها الإرهابية في مطلع عام 1944 . تؤيدها المنظمة العسكرية اليهودية المعروفة بـ (هاغانا) . وإن قالت هذه أنها لا تقر أعمال الإرهاب . وكذلك الوكالة اليهودية التي اعترفت بها بريطانيا كهيئة استشارية ورد ذكرها في المادة 4 من صك الانتداب . فإنها كانت تمول العصابات المتقدم ذكرها وتدفعها إلى الأمام .

حتى البريطانيين الذين مهدوا لهم السبيل وآزروهم في الوصول إلى اهدافهم، فإنهم لم يسلموا من أذاهم . وفي أثناء ثورتهم ، قتلوا الكثيرين منهم ومن الذين قتلوهم ثمانية من رجال الأمن البريطاني (23 آذار 1944) وزير الدولة في الشرق الأدنى اللورد موين (6 تشرين الثاني 1944) . ونصبوا كميناً للمندوب السامي السر هارولد ماكمايكل (8 آب 1944) قاصدين اغتياله . نصبوه عند مدخل القدس من الغرب . فجرح سائقه . اما هو فقد نجا .

وقد دمر اليهود دوائر المهاجرة بالقدس وحيفا وتل أبيب في يوم واحد (12شباط سنة 1944) . كما دمروا (26 شباط) دوائر ضريبة الدخل في المدن

الثلاث المتقدم ذكرها هـذا بالإضافـة إلى تفجـير انـابيب البـترول ونسـف الجسـور ومراكز الأمن .

ولم يتخذ البريطانييون إزاء الحوادث المتقـدم ذكرهـا ، رغـم خطورتـها ، شـيئاً بجانب ما اتخـذوه فيمـا مضـى ضـد العـرب الذيـن اعتقلوهـم بالمئـات ، وزجوهـم بالسجون ، ونفوهم إلى خارج البلاد . وحكموا على كثيرين منهم بالإعدام لحملـهم السلاح واما اليهود الذين ارتكبوا الجرائم المتقدم ذكرها ، فلم يصـابوا بـاذى . امـا الكمين الذي نصبوه للمندوب السامي وكانوا يعـتزمون اغتيالـه ، فكـانت عقوبتـه غرامة قدرها 500 جنيه. وقد فرضت هذه على مستعمرة (جبعات شاؤول) الواقعـة في مدخل المدينة . ومع ذلك فإنهم لم يحصلوها ، بسبب (الضجة) التي أثارها عـدد من انصار اليهود في مجلسي العموم واللوردات في لندن ! .

وكل ما فعلته الحكومة في هذا الصدد ، هو أنها اصدرت بياناً رسميـاً ناشـدت فيه الإرهابيـين ان يمتنعـوا عـن هـذه الأعمـال التي تعرقل المجهود الحربي البريطـاني وتساعد العدو " .

الفيكونـت غـورت : Fild Marshal Viscount Gort : V.C.,G.C.B., . C.B.E. , D.S.O. , M..V.O. , M. C.

تسلم هذا المندوب السـامي السـادس الإدارة في 31 تشـرين الأول (أكتوبـر) 1944. وما كادت قدمه تطأ ارض فلسطين ، حتـى وجدهـا مخضبـة بالدمـاء واعمـال العنف والتدمير . وقد حاول اليهود اقناعه ، بأنهم على حق في ثورتهم، وإنـهم لـن يعدلوا عنها إلا إذا أجابتهم حكومته لمطالبهم . ولما شعروا منه تلكؤاً ، راحوا يرسمون الخطط لإرغامه. ومن الوسائل التي لجأوا إليها توصلاً إلى أهدافهم أنهم في العـرض الذي اقامته الحكومة بمناسـبة عيـد ميـلاد انكلـترا ، وضعـوا بطاريـة مـن مدافعـهم القوسية المعروفة (بالمورتر) في مكان ما من احيائهم ، وصوبوهـا نحـو المنصـة الـتي أعدت ليلقي فيها المندوب تحية الجنود ، وليتلوا عليهم خطابه . ولكن حيلتـهم هـذه ما برحت أن اكتشفت، وقد أحبطهـا رجال الأمـن . ومـع ذلـك فـإن أحـداً مـا، لم يسألهم : لماذا أقدموا على عملهم ذاك ؟ .

بعد هذا الحادث زادت الحكومة عدد الرجال المنتسبين إلى سلك البوليس . وبلغوا في عام 1945 خمسة عشر ألفاً . هذا غير الجنود المنظمين المنخرطين في الجيش البريطاني . وقد انفقت الحكومة من أجل صون الأمن في تلك السنة 4.600.000 جنيهاً. ورغم هذا كله فإن الأمن كان في كل يوم يزداد سوءاً .

انتقلت قضية فلسطين من صعيدها المحلي بفلسطين إلى صعيدها القومي العربي. وقد تبنتها (الجامعة العربية) ، يوم اجتمع ممثلو حكومات مصر وسورية ولبنان والعراق والأردن والسعودية في الاسكندرية (7 تشرين الول 1944) فأقروا ميثاقاً تضمن ، فيما تضمن من بنود ، بنداً يتعلق بفلسطين . وقد اعتبروها ركناً من اركان البلاد العربية . وتعهدوا بالدفاع عن حق العرب فيها .

ولما اجتمع ممثلو هذه الدول في القاهرة (12 آذار 1945) ، ووضعوا دستور الجامعة ، وظهرت الجامعة إلى الوجود نص دستورها على بند يختار (مجلس الجامعة)؛ بموجبه مندوباً عربياً من فلسطين ليشترك في أعماله ، إلى أن تتمتع (فلسطين) بممارسة استقلالها فعلاً . والاستقلال حق من حقوقها . وعلى هذا أصبحت قضية فلسطين شغل الجامعة الشاغل وكان أول عمل عملته من اجل انجاح هذه القضية أنها (أي الجامعة) قررت في 2 ديسمبر (كانون الأول) 1945 مقاطعة المنتجات والمصنوعات اليهودية ، ومنعها من دخول بلادها ، اعتبار من اليوم الأول من شهر يناير (كانون الثاني) 1946.

وراحت دول الجامعة بعد ذلك تتبنى قضية فلسطين في المجالين ، العربي والدولي، كلما سنحت الفرصة .

وتدخلت الولايات الأمريكية المتحدة أيضاً في القضية الفلسطينية . وكان ذلك بتأثير من اليهود المسيطرين هناك ، بما لهم من نفوذ وأموال وصحف وأصوات في الانتخابات ، على معظم معالم الحياة الأمريكية ؛ ولا سيما في دوائر المال والاقتصاد . وراح اليهود يحرضون الرئيس الأمريكي ترومان على التدخل ، وبذل الجهد من أجل نصرة قضيتهم ، والأخذ بيدهم . ولم يتردد هذا في النزول عند رغبتهم . فكتب ، أول ما كتب ، للمستر اتلي ؛ وكان هذا يومئذ (31 آب 1945)



رئيساً للوزارة البريطانية . وقد طلب إليه أن يفتح أبواب فلسطين لليهود ، وأن يسمح لمئة ألف منهم كي يدخلوها بامان . هذا بالإضافة إلى العدد الرسمي الذي كان قد تقرر في الكتاب الأبيض .

فعل ترومان هذا دون ان يستشير العرب . مع أن سلفه الرئيس روزفلت ، كان قبل ذلك بخمسة شهور قد وعد الملك عبد العزيز آل السعود في كتاب أرسله إليه في 5 نيسان 1945 " أن لا يتخذ أي قرار فيما يتعلق بالوضع الأساسي في فلسطين من غير استشارة تامة مع كل من العرب واليهود " .

السر ألن غوردن كاننغهام General Sir Alan .

Gordan Cunningham المندوب السامي السابع والأخير إنه من رجالات بريطانيا العسكريين . جاء إلى القدس في 31 تشرين الثاني (نوفمبر) 1945 يحمل أوسمة عديدة نذكر منها : وسام الخدمة الممتازة من رتبة رفيق (D.S.O.) ووسام الصليب العسكري (C.M.G.) . ومنها أيضاً : وسام الصليب الأكبر ووسام الحمام الرفيع من رتبة فارس .

وقد انتدبته حكومته على أمل أن يستطيع تهدئة الثورة . ولكنه فشل . ولم يستطع هدئتها . بل أنها زادت اشتعالاً . ذلك لأن حكومته كانت من الجبن بحيث لم تستطع أن تضع حداً لمطامع اليهود . وكان هؤلاء قد ازدادوا غلواً في مطالبهم . وبعد أن كانوا راضين بدخول أعداد معينة من مهاجريهم إلى فلسطين وبالتغلغل في جهاز الحكم إلى حد محدود ، راحوا يطالبون بفتح ابواب فلسطين كلها لهجرة يهودية لا تتناهى ، وبتأسيس دولة يهودية كاملة فيها .

وقد استمرت الهجرة في الواقع ؛ فارتفع عدد اليهود في فلسطين ، على عهده ، من 400.000 في سنة 1937 إلى 625.000 في سنة 1946 . كما ازداد عدد المستعمرات التي أسسها اليهود في البلاد من 302 مستعمرات زراعية تضم 97.000 نسمة من السكان إلى 300 مستعمرة تضم 140.000 . هذا غير المستعمرات التي أسموها : (يشوف) . ومدينة (تل أبيب) التي بلغ عدد سكانها في سنة 1946 مئة وثمانين ألفاً . وأما مدينة القدس فقد جاء في (الوقائع الفلسطينية) وهي الجريدة

الرسمية لحكومة فلسطين ، إنه كان يعيش فيها يومئذ (18 كانون الأول (ديسمبر) 1946) مئة وواحد وخمسون ألفاً من السكان ؛ إليك تفصيلهم حسب أديانهم :

العدد	الدين
92.000	يهود
32.000	مسلمون (كلهم عرب)
27.000	مسيحيون (أغلبهم عرب)
151.000	

وقد ارتفع هذا العدد في سنة واحدة (1947) إلى 164.500 وهذا تفصيلهم حسب أجناسهم وتوزيعهم في المدينة :

عرب	يهود	
33.600	2.400	في المدينة القديمة (داخل السور) .
30.000	9.000	في الجزء العربي من المدينة الجديدة (خارج السور)
1.500	88.000	في الجزء اليهودي من المدينة الجديدة (خارج السور)
65.100 +	99.400 =	146.500

هذا ما قاله المستر جون مارتن ، المستشار البريطاني في هيئة الأمم ، إلى إحدى اللجان في تلك الهيئة .

إن دخول الولايات المتحدة في قضية فلسطين لصالح اليهود من جهة ، ومجلس الجامعة العربية لصالح العرب من جهة أخرى ؛ قد حفزا بريطانيا إلى سلوك مسلك جديد . فقررت دعوة حكومة الولايات إلى التعاون معها في حل المشكلة . وبعد التشاور قررت الحكومتان تأليف لجنة مشتركة من أعضاء متساويين: انكليز وامريكين . مهمتها فحص الوضع في فلسطين وتقديم التواصي إلى الحكومتين ، البريطانية والأمريكية ، حول أحسن الحلول لمعالجة المشكلة . وتألفت اللجنة بالفعل

من اثنى عشر عضواً : نصفهم انكليز ، والنصف الآخر أمريكيون . وقد عرف معظمهم بكونهم من أنصار الصهيوينة .

أن مجلسي الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة ، اتخذا قبل أن تبدأ اللجنة عملها ؛ قراراً طالباً فيه الحكومة أن تتوسط لدى الدولة المنتدبة كي تفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية مطلقة ، وتقيم في فلسطين دولة يهودية ديمقراطية .

والأنكى من هذا، أن المندوب السامي البريطاني أيضاً - أصدر - قبل وصول اللجنة إلى فلسطين - بياناً قال فيه : " أنه ليس من العدل أن تقف الهجرة اليهودية انتظاراً لتوصيات لجنة التحقيق.

ولهذا قررت الحكومة البريطانية وجوب السماح باستمرارها بصفة مؤقتة بالمعدل المقترح ؛ ألا وهو : ألف وخمسمئة مهاجر في كل شهر " .

ومعنى هذا أن (الكتاب الأبيض) الذي وضعته الحكومة المنتدبة قبل بضعة شهور ، وقد رأى المعتدلون من أبناء فلسطين ومن ورائهم خيراً ! ... حتى انهم نصحوا الفئات المتطرفة من بني قومهم، ألا يرفضوا ! .. قد نسف من اساسه ولهذا لم يتوقع عرب فلسطين أي خير من مجيئها . وفيما كانوا يرسمون الخطط لدرء الخطر عن بلادهم ، أتتهم أخباراً تقول : أن لجنة التحقيق الانكلو - الأمريكية بدأت تحقيقها في واشنطن (4 يناير 1946) . وبعد ان زارت لندن وألمانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وايطاليا واليونان ، جاءت إلى القاهرة (28فبراير) حيث استمعت إلى بيانات عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية . وجاءت اللجنة بعدئذ إلى فلسطين (6 آذار) . وبعد ان استمعت في القدس إلى شهادات العرب واليهود ، سافرت (28 آذار) إلى العواصم العربية . فريق من أعضائها زار عمان ، وآخر زار دمشق وبيروت ، وثالث زار بغداد والرياض . ثم عادت إلى لوزان حيث وضعت تقريرها . وكان ذلك في 20 نيسان 1946 .

وقد اوصت في تقريرها اصدار مئة ألف شهادة هجرة لليهود ، قالت عنهم أنهم من ضحايا الاضطهاد النازي ! .. ومما جاء في تقريرها أن أي نوع من الحكم في فلسطين يجب أن لا يستهدف السيطرة : لا سيطرة العرب على اليهود ، ولا سيطرة اليهود على العرب . فإن فلسطين لن تكون دولة يهودية ، ولا دولة عربية . وريثما

تتلاشى الشحناء القائمة بين العرب واليهود . أوصت اللجنة ان تبقى فلسطين تحت الانتداب كما هي الآن ، إلى ان يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه تحت وصاية الأمم المتحدة . وأوصت اللجنة أيضاً الغاء نظام الأراضي لسنة 1940 . واستبداله بنظام يقوم على سياسة (حرية بيع الأراضي) واستغلالها . وعلى إدارة فلسطين مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالي الأخرى ، أن تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة ! ...

تأزم الموقف بعد صدور التقرير الذي وضعته لجنة التحقيق الانكلو - أمريكية . فاضرب عرب فلسطين مر أخرى . وتصاعدت أصوات الاحتجاج والاستنكار من كل مكان : من فلسطين نفسها ومن البلاد العربية المجاورة لها . وعُقد في الزهراء انشاص بمصر مؤتمر (28أيار 1946) . حضره ملوك العرب ورؤساؤهم، وتذاكروا في قضية فلسطين . ومن الذين حضروا هذا المؤتمر فاروق ملك مصر ، وعبدالله ملك الأردن ، وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وبشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ، والأمير عبدالاله الوصي على عرش العراق ، والأمير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ، وسيف الإسلام ولي عهد اليمن .

وقرر المؤتمرون ، فيما قرروا ، تأييد عرب فلسطين في نضالهم وشد أزرهم ، بالمال وبجميع الوسائل الممكنة . ذلك لأن فلسطين قطر عربي لا يمكن فصله عن الأقطار العربية الأخرى وأن مصيره مرتبط بمصير دول الجامعة كافة ، وان الصهيونية خطر دائم ليس على فلسطين وحدها، بل على البلاد العربية كلها، حتى الشعوب الاسلامية ". كما قرروا بذل كل جهد مستطاع لوقف الهجرة الصهيونية، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين .

هذه هي القرارت التي أصدرها ملوك العرب ورؤساؤهم وقد احالوها إلى مجلس الجامعة العربية . كي يتخذ الوسائل التي يراها مناسبة لتنفيذ تلك القرارات .

واجتمع مجلس الجامعة بعدئذ في بلودان من 8 - 12 حزيران 1946 . فدرس القضية درساً شاملاً . ودرس معها الكتاب الأبيض وتقرير لجنة التحقيق الأنكلو - أمريكية .



وأصدر قرارات علنية والأخرى سرية .

اما المقررات العلنية فتتلخص في : استنكار ما جاء في تقرير لجنة التحقيق الأنكلو - أمريكية .. ورفض أي شكل من أشكال التقسيم .. وإنشاء لجان للدفاع عن فلسطين في كل دولة عربية ... واصدرا طابع باسم فلسطين يرصد ريعه للقضية الفلسطينية .. ومقاطعة اليهود مقاطعة تامة في كل دولة .. وطلب المفاوضة مع بريطانيا للوصول إلى حل مرض ..

واما المقررات السرية التي عرفت فيها بعد فهي :

1) حثّ الشعوب العربية على التطوع لنصرة عرب فلسطين بجميع الوسائل : بالمال والسلاح والمجاهدين .

2) ان تنفيذ تواصي اللجنة الانكلو - أمريكية . يسيء للعلاقات بين انكلترا وأمريكا من جهة والبلاد العربية من جهة اخرى . ولهذا يجب رفضها . وإذا قبلت بها الدولتان : البريطانية والأمريكية ، فعلى الدول العربية ان تعيد النظر في علاقاتها مع تلك الدولتين . وعليها في هذه الحالة :

3) أن لا تسمح لهما او لأي كان من رعاياهما بأي امتياز اقتصادي جديد .

4) وأن تنظر في إلغاء ما لهما من امتيازات في البلاد العربية .

5) وأن تقاطعهما مقاطعة أدبية .

6) وان لا تؤيد مصالحهما الخاصة في أية هيئة دولية .

ومن المقررات السرية التي اتخذت في مؤتمر بلودان رفع الشكوى ضد هاتين الدولتين إلى مجلس الأمن وإلى هيئة الأمم المتحدة .

تلقى الشعب العربي في جميع أنحاء العالم العربي ولا سيما في فلسطين ، هذه المقرارات بالرضا والارتياح . وراحوا يتوقعون تنفيذها . ولكن شيئاً منها لم ينفذ . ولا سيما البند القائل بإلغاء الامتيازات السابقة ؛ وهذا يعني ، امتيازات النفط. فظل النفط العربي يتدفق على الولايات المتحدة وبريطانيا وعلى جميع أنحاء الغرب الذي كان يعمل جاهداً من أجل توطيد دعائم الاستعمار في هذا الجزء من الشرق .



ومن الأعمال التي عملها المؤتمرون في بلودان أنهم عملوا على توحيد الأحزاب وفي مقدمتهم : أحمد حلمي باشا وعوني عبد الهادي وراغب النشاشيبي ويعقوب الغصين وعبد اللطيف صلاح والدكتور حسين فخري الخالدي وجمال الحسيني . وقد اتفقوا جميعاً على ان المصلحة القومية تقضي بتوحيد الجهد . وقد تعهدوا بأن يقبلوا أي قرار يصدره المؤتمرون . واقترح المؤتمرون الغاء (اللجنة العربية العليا) و (الجبهة العربية العليا) . وتوحيدهما في لجنة واحدة أسموها : (الهيئة العربية العليا) . فقبل رؤساء الأحزاب الفلسطينية هذا الاقتراح . وتألفت الهيئة فوراً : من الحاج امين الحسيني رئيساً ، وجمال الحسيني نائباً للرئيس ، والدكتور حسين الخالدي سكرتيراً ، وأحمد حلمي باشا واميل الغوري أعضاء .

إن التواصي التي وردت في تقرير اللجنة الانكلو - امريكية ، وإن كانت في معظمها - ولا سيما في مواضيع الهجرة والأراضي - لما يرضي اليهود ؛ إلا أنهم لم يكتفوا بها . لأنهم كانوا قد بلغو من القوة بحيث أصبحوا لا يرضون بديلاً عن قيام دولة إسرائيل. ولهذا قرروا المضي في أعمال العنف والإرهاب . ومن الأعمال التي عملوها ، أنهم راحوا يقتلون الانكليز حيثما وجدوهم . وخطفوا ستة من الضباط البريطانيين واعتقلوهم . ونسفوا جانباً من فندق الملك داود . ذلك الجانب الذي اتخذته الحكومة مقراً لأعمالها . كما نسفوا الجسور العشرة التي تربط فلسطين بسوريا ولبنان والأردن ومصر . وهاجموا القطارات والمخافر والمستودعات الحكومية .

ورأت الحكومة أن تعمل على وضع حل للمشكلة قبل أن يتفاقم الخطب . فدعت الفريقين لمؤتمر عقدته في لندن . وامتد المؤتمر من 10 أيلول إلى 2 تشرين الأول 1946 . ولكنه لم يسفر عن أي حل . إذ رفض المندوبون العرب أن يجلسوا مع اليهود على مائدة واحدة . كما رفضوا جميع المشاريع التي عرضت عليهم من أجل تقسيم فلسطين . وكان بين تلك المشاريع ، مشروع وضعه المستر مورسين نائب رئيس الوزراء وهو من حزب العمال . ويقضي مشروعه هذا بتكوين دولتين : عربية يهودية . وحكومة مركزية مختلطة تسيطر على المنطقتين ولها السلطة في شؤون الدفاع والخارجية والجمارك . فرفضوه ، لأنه أقر فكرة التقسيم . أضف إلى ذلك أن

القول الفصل في الحكومة المركزية حصر في يد المندوب السامي، تعاونه هيئة تنفيذية معينة..

واستأنف مؤتمر لندن انعقاده مرة أخرى في 28 يناير 1947. واشتركت الهيئة العربية العليا فيه . كما اشتركت فيه وفود الدول العربية الأخرى . وأما اليهود فقد رفضوا الاشتراك فيه وفي أي مؤتمر غيره لا يحقق لهم مطلبهم الوحيد ؛ ألا وهو : قيام دولة يهودية .

وكان آخر اقتراح عرضته الدولة المنتدبة، هو الاقتراح الذي قدمه وزير خارجيتها المستر بيفن . إنه وإن كان لا يفرض التقسيم ، إلا انه يقوم على أساس استمرار الإنتداب خمس سنين أخرى . تنشأ خلالها حكومات ومجالس محلية عربية ويهودية تتمتع بالإستقلال الذاتي ، على أن لا يؤدي ذلك إلى التقسيم ، وان تكون الهجرة مختصرة في المنطقة اليهودية حسب قاعدة (الاستيعاب الاقتصادي) . ثم يعاد درس الموقف بعد خمس سنين .

فرفض العرب هذا الاقتراح . كما رفضه اليهود . وتمسك الفريقين بمطالبهما السابقة : العرب يرفضون الهجرة مهما كان عددها ونوعها ، ويطلبون الاستقلال عملاً بمبدأ تقرير المصير . واليهود يصرون على فتح ابواب فلسطين بهجرة غير مقيدة ، ويطلبون قيام دولة يهودية .

عندئذ أعلنت الحكومة البريطانية عزمها : التخلي عن الانتداب ، ورفع الأمر إلى الأمم المتحدة ؛ لتقرير ما تراه مناسباً حول مستقبل البلاد . وقد رفعته بالفعل في 2نيسان 1947 . وفي 29 تشرين الثاني 1947 أصدرت هيئة الأمم قرارها القائل بتقسيم فلسطين إلى دولتين : دولة يهودية ، وأخرى عربية . وأما القدس ، فقد تقررت تدويلها.

رحل المندوب السامي عن القدس في 14 أيار 1948 . وما كادت شمس الخامس عشر من الشهر تغيب ، حتى كان آخر جندي من جنود الجيش البريطاني قد رحل.

القدس إنها مدينة جبلية واقعة بين البحر الميت من الشرق والبحر الأبيض المتوسط من الغرب . تبعد عن الأول 18 ميلاً وعن الثاني 32 ميلاً . وهي مرتفعة 3800 قدماً عن سطح البحر الأبيض المتوسط . وهي واقعة عند تقاطع خط الطول 15 و 35 وخط العرض 47 و 31 .

وهي قسمان : القدس القديمة والقدس الجديدة . يفصل بينهما سور [1] محيطه ميلان ونصف ميل . وارتفاعه يتراوح بين 38 قدماً و40 . واما طوله فمن الشمال 3930 قدماً ، ومن الشرق 2754 قدماً ، ومن الجنوب 3245قدماً ، ومن الشرق 2754 قدماً ، ومن الجنوب 3245 قدماً . ومن الغرب 2086 قدماً .

بلغت مساحتها 19.331 دونماً [2]. منها 868 دونماً داخل السور و 18463 دونماً خارجه. يملك العرب منها 11.191 واليهود 4835 . وأما الباقي وهو 3305 دونماً فإنه عبارة عن طرق وميادين عامة، وذلك عام (1947).

يدخل في هذه الأرقام أراض كانت في الأصل من ممتلكات لفتا والملحة وبيت صفافا وصور باهر وعين كارم وما إلى ذلك من القرى المجاورة . وقد ضمت إلى القدس في السنين الأخيرة ، فأصبحت جزءاً منها .

كان عدد سكانها في نهاية (عام 1944) 155.314 شخصاً : منهم 32.128 عرب مسلمون و 28.149 عرب مسيحيون و 94.942 يهود و 95 ينتمون إلى اجناس وديانات أخرى .

وفي 8 نوفمبر 1947 كان عدد سكان مدينة القدس 164.500 [3] موزعون كما يلي:

---

(1) إنه هو الذي جدد عمارته الأتراك على عهد السلطان سليمان القانوني (943هـ - 1536م).

(2) الدونم الفلسطيني عبارة عن ألف متر مربع . والأرقام المذكورة هنا مقتبسة من سجلات مصلحة الأراضي والتسوية التابعة لحكومة فلسطين (1947) .

(3) هذه الأرقام من تقرير رفعه المستر جون مارتن ، المستشار البريطاني لمندوبي بريطانيا في هيئة الأمم المتحدة بليك سكس (1947) .

عرب	يهود
33.600	2.400 في البلدة القديمة .
30.000	9.000 في الجزء العربي من البلدة الجديدة .
1.500	88.000 في الجزء اليهودي من البلدة الجديدة .
65.100 +	99.400 = 164.500

وأما عدد السكان في فلسطين كلها ، فقد كان في عام 1946 كما يلي :

العدد	
1.076.783	مسلمون
608.225	يهود
145.063	مسيحيون
15.481	آخرون
1.845.552	

أحياء القدس يسمى المقدسيون كل حي منها : (حارة). ويجمعونها على (حارات) ،. ومن الحارات المعروفة في المدينة القديمة : باب حطه ، باب السلسة ، باب العمود ، حارة الشرف ، حارة الواد ، حارة السعدية ، حارة النصارى ، هذه الأحياء كلها بين الأسوار . وهي ، باستثناء حارة النصارى ، أحياء اسلامية بحتة . وأما التي خارج السور فمنها : باب الساهرة ، الشيخ جراح ، كولونيه اليونان ، وادي الجوز ، المصاروة ، النبي داود ، ماملا ، دير ابي ثور ، وادي النباح ، البقعة الفوقا ، البقعة التحتا ، الطالبية ، النمرية ، القطمون، الشيخ بدر ، هذه الأحياء كلها عربية ، وأما الأحياء اليهودية فهي في داخل السور : حارة اليهود . وفي خارجه : روميما، رحافيا (1922) ، نحلات صادق ، تزكرت موشه ، تل بيوت (1922) ، سنهاداريا ، نبي شعنان ، رحاما، آرفونا ، يمين موشه (1862) ويسمونها منتفيوري ، جبعات شاؤل ، زكرون يوسف (1925) ، بيت اسرائيل (1885) ، كرم ابراهام ، نحلات صهيون ، ميكور حايم، شخونات هابوعاليم ، بيت هاكيرم (1922) ، بيت فيغان ، قريات شموئيل ، شعارى حيسد ، ميشورم (1875) البخارالية (1892) .

سورها : اعتاد الناس ان يقولوا أن سور القدس الحالي بناء السلطان العثماني .. السلطان سليمان الثاني .. المعروف بالقانوني. والحقيقة أنه (أي السور) من آثار الأقدمين : كاليبوسيين والعبرانيين والرومان والبيزنطيين والصليبيين والأيوبيين والمماليك . فما من امة دخلت القدس واستقرت فيها ولو حيناً إلا وعملت على تحصينها وإقامة سور من حولها وكان سورها حيناً يبقى على ما كان عليه، ويعمُر بشكل يجعله أمتن من قبل . وأحياناً كان يتسع ، بحيث يشمل الأحياء الجديدة التي ظهرت مع الأيام.

وفي الفصول التي اوردناها في صفحات سبقت من هذا الكتاب ، ذكرنا كل ما أتى على أسوار هذه المدينة من احداث : منذ اليوم الذي بناها فيه اليبوسيون.

وأن القسم العلوي من السور ، هو من صنع الأتراك العثمانيين . وكان سورها في معظم أجزائه ، عندما دخلها هؤلاء ، متهدماً . فعمره السلطان سليمان . ودامت عمارته خمسة اعوام (1536-1540) . وبقي السور على حاله أثناء الاحتلال البريطاني (1917-1947) . محيط السور ميلان ونصف الميل ، وارتفاعه يتراوح بين 38 و 40 قدماً . طوله من الشمال 3930 قدماً ومن الشرق 2754 ومن الجنوب 3245 ومن الغرب 2086 قدماً وله أربعة وثلاثون برجاً . وأحد عشر باباً : سبعة منها مفتوحة ، يرتادها السكان متى يشاؤون . وأربعة أبواب مسددة . اما الأبواب المفتوحة ، فهي : باب الساهرة وباب العمود من الشمال ، وباب الأسباط من الشرق ،وباب المغاربة وباب الخليل من الغرب ، والباب الجديد من الشمال الغربي . وهذا هو أحدث الأبواب .

وأما الأبواب المسدودة ، فهي : باب الرحمة وباب التوبة . وهما بابان كبيران متلاصقان سدا أثناء الحرب الصليبية لأسباب تتعلق بالأمن . أنهما في الحقيقة باب واحد ، في وسطه عمود ضخم يرتكز عليه قوسان من صنع بيزنطي . ويسميه الفرنجة : The Golden Gate أي الباب الذهبي . والمعتقد ان السيد المسيح دخل من هذا الباب إلى المنطقة الهيكل في (أحد الشعانين) . وأن هرقل الملك أيضاً دخل المدينة من هذا الباب عندما استرد القدس من الفرس . ويسميه المقدسيون باب توما توما .

ومن الأبواب التي سدت للسبب نفسه : باب الجنائز . إنه في القسم الشرقي من السور . وقد سمي كذلك ، لأن الناس كانوا في العهود الغابرة يخرجون منه بموتاهم بعد أن يصلوا عليهم في المسجد الأقصى ، وهناك في القبرة الملاصقة للسور يدفنونهم .

وهناك في القسم السفلي من جدار السور ومن الناحية القبلية بابان مسدودان . وكانا ، قبل بناء المسجد الأقصى ، مفتوحين .

هناك كلمات منقوشة بالنسخ العثماني على بلاطات تم تثبيتها فوق البواب . وهي تشير إلى السور الذي أنشأه السلطان سليمان ، والأبواب التي فتحها . فالبلاطة التي رأيتها على العمود تحمل تاريخ 944هـ - 1537 م وباب الأسباط 945هـ - 1538 م وباب الخليل 945هـ - 1538هـ م وباب النبي داود 947هـ - 1540 م وباب المغاربة 947هـ-1540م .

أما الخندق الذي حول الناحية الشمالية الغربية من السور فالذي حفره صلاح الدين (583هـ 1187م) . واما الحائط الذي يسند الخندق فإنه من صنع السلطان محمود (1144 هـ - 1731 م) .

وهناك ، تحت السور ، وعلى مقربة من باب العمود - ومنه إلى الشرق - مغارة كبيرة ؛ هي التي ذكرها مجير الدين ، فأسماها : (مغارة الكتان) . وأما الفرنجة فيسمونها : Cotton Grotto وقد أسماها قبلاً يوسيفوس : المقابر الملكية . وفي الأساطير إنها تمتد حتى الصخرة التي بني عليها عبد الملك بن مروان قبته . والحقيقة أنها مغارة طبيعية تحت الأرض ، وكانت فيما مضى عبارة عن محجر يقتطع منه السكان ما يحتاجون إليه من حجارة لمنازلهم .

كانت هناك حول السور ، ولا سيما عند (باب العمود) مبان ملاصقة للسور؛ فهدمتها الحكومة (1919-1921) بإيعاز من (جمعية محبي القدس) . وهي التي منعت البناء هناك وفي الأطراف الأخرى الملاصقة للسور .

طقسها : طقسها لطيف . وجوّها صاف . وهواؤها عليل . إنه من الهواء المعروف: (هواء بحر الأبيض المتوسط) . يهب عليها من البحر نسيم بليل ، فيلطف حرها في

أشهر الصيف ، ويبرد هواءها في الليل . ويكثر فيها الندى ، فيتبلل به وجه الأرض.

الربيع فيها والخريف معتدلان . تتراوح حرارة الصيف بين 77 و 86 بميزان فارنهايت . وقد ترتفع إلى 100 ومتى ارتفعت صحبها هبوب ريح جافة من الشرق والجنوب . وأما في فصل الشتاء فتتراوح درجة الحراة بين 45 و 50 .

هواؤها ناشف ، إلا عندما تهب الرياح القبلية ، وهي حارة فإنه يكون خانقاً .

لا تهب الرياح الشمالية فيها إلا نادراً . وألطف الرياح هي التي تهب من الشمال الغربي . واما الرياح الشرقية فإنها ، وإن لم تكن كثيرة الهبوب ، إلا أنها باردة . واما الرياح الغربية فإنها كثيرة الهبوب في فصل الشتاء . ويعقبها مطر في أكثر الأحيان . امطارها معتدلة ، ومتقطعة ؛ تظهر خلالها أشعة الشمس ، وتتبدد السحب.

فصل الشتاء يستمر - في أغلب السنين - من شهر ديسمبر (كانون الأول) إلى شهر مارس (آذار) . ويهطل الثلج في بعض السنين . إلا أنه لا يدوم طويلاً .

امطارها ومياهها : كان هناك خمسة ينابيع غزيرة ، ينبع الماء فيها في الصيف والشتاء . ويسيل في قناة اسمها : قناة وادي البيار .

اما الينابيع الخمسة الكائنة في وادي البيار ، فهي : رجم السبيط ورأس العد وعين فاغور وخربة القط وعين العصافير .

وأما البالونج ويسمونه أيضاً : عين الخضر . فهو واقع شرقي الخضر عند الكيلومتر 13 على طريق القدس - الخليل .

هذه الينابيع الكائنة في وادي العروب ووادي البيار والبالوع ، تصب ماءها في برك سليمان . ومن هذه البرك يخرج الماء ، ويلتقي بمياه عيون أرطاس ، وتسيل كلها في قناة واحدة ، إلى أن تصل بيت لحم ، فالقدس .

اما عيون ارطاس فأربعة : عين عطاف وعين الفروجة وعين صالح وعين البرك.

واما برك سليمان فإنها ثلاثة ، ويسمونها : برك المرجيع : البركة الفوقا أعلى من سطح البحر 797 متراً ونصف متر .

البركة الوسطى اعلى منه 783 متراً وعشرين سانتيمتراً .

والبركة التحتا أعلى منه 768 متراً .

واما القناة التي تسيل فيها الماء ، قبل وصوله إلى القدس ، فإنها قناة رومانيــة . وقد عمرت في العهود الإسلامية الفائتة مــراراً . وكــانوا يســمونها : قنــاة الســبيل . وكان الماء الذي يصل إلى القدس عن طريق هذه القناة ، ينصــب في آبــار حفــرت في حفرت في أرض الحرم ، وفي سبل أنشئت فيه وفيما حوله من أحياء .

حتى هذه البرك والعيون والآبار ، لم تكن كافية لتزويد القدس بحاجتها إلى المــاء . الأمر الذي جعل المجلس البلدي يفكر في موارد أخرى . فسحب الماء من (عين فارة) .

كان ذلك في سنة 1926 . وهي تبعد زهاء 14 كيلو متراً عن القــدس ، ومنــها إلى الشمال الشرقي ، ليست القدس وحدها هي التي تتزود بالمــاء مــن هــذه العــين . فإن مدن وقرى ومؤسسات أخرى أيضاً تعيش من مائها. منها : قــرى الطــور وعناتــا وحزماً والعيسوية وشعفاط والرام ومخماس وكفر عقب وقلندية وبيت حنينا ومدينتي رام الله والبيرة وبعض القرى التابعة لهما .

وفي عام 1931 راحت القدس تتزود بالماء من عين الفوار أيضاً . وهي واقعــة على بعد 6 كيلو مترات من عين فارة إلى الشرق . وكذلــك عــين القــط الواقعــة في الوادي نفسه . فقد تزودت القدس بالماء من هذه العين في سنة 1934 .

ولما تم مشروع راس العين في الســنة الــتي تلتــها (1935) وراحــت القــدس تتزود بالماء منها . أهملت مياه عين فوار وعين القط . وراحت تعتمد على ميــاه راس العين . واحتفظت بعين فارة لحين الحاجة .

إنها في السهل الواقع بين القدس واللد باتجاه البحر . تبعد عن القــدس 37 ميلا وهي منها إلى الشمال الغربي . وقد ســحب ماءهــا إلى القــدس في مطلــع عــام 1935 .

ماؤها عذب وغزير ، ينبع منها في الساعة الواحــدة مــا يزيــد علــى مئــة ألــف غالون . ويجري منها الماء في أنابيب قطرها 18 بوصة . وطولها 60 كيلــو مــتراً . وهــي مصنوعة من الحديد والفولاذ . وهناك أربع محطات للضخ بين راس العين والقدس :

راس العين واللطرون وباب الواد وسريس وفي كل محطة ثلاثة مضخات كبيرة ، قوة كل واحدة منها 360 حصاناً . وعند راس النبع مصفاة لتصفية الماء .

جبالها وأوديتها : كانوا فيما مضى يقولون أنها قائمة على خمسة تلال هي موريا[1] . أوفل [2]. صهيون [3] . عكرة [4] . بير زيتا [5]، وقد اتسعت القدس من جميع النواحي، فجبالها وتلالها اكثر مما كانت عليه في الماضي. ولا بد لنا من الإشارة بوجه خاص إلى : الطور ، وسقوبس ، والمكبر ، وجبل صهيون ، والقطمون، ووعر الضبع .

- **جبل الطور** : ومن اسمائه (طور زيتا) و (جبل الزيتون) . واقع شرقي القدس . وهو أعلى منها بـ 197 قدماً . تاريخه متصل كل الاتصال بتاريخ المدينة . إنه ، من الناحية الاستراتيجية ، بمثابة الروح من الجسد .

فيه حطت جيوش الرومان رحلها يوم جاءت لفتح القدس بقيادة تيطس . وفيه عسكر المسلمون يوم جاءوا لفتحها . وكذلك فعلت جيوش الأمم التي هبطت هذه المدينة من قبل ومن بعد .

عندما غادر داود اورشليم بسبب الثورة التي أشعل نارها ولده ابشالوم حوالي 1049 قبل الميلاد أم جبل الزيتون . وفيما كان يصعد نحو القمة من سفحه الغربي التفت إلى أورشليم وألقى عليها نظرته الأخيرة . فراح يبكي .

وكذلك فعل عيسى عليه السلام من بعده (30 ب. م) . فإنه كان يتردد إلى هذا الجبل مع تلاميذه . وعندما شعر بأن اليهود ينوون ان يغدروا به غادر المدينة متجهاً نحوه .

---

(1) الأكمة التي يقوم عليها الحرم القدسي .

(2) السفح المطل على قرية سلوان من ناحية الحرم .

(3) التل المطل على بركة السلطان من الغرب وقرية سلوان من الشرق . والذي يقوم عليه حي النبي داود .

(4) حارة النصارى والسوق الجديدة .

(5) باب حطه وباب العمود وما حولهما .

والاعتقاد سائد بين المسيحيين بأن السيد المسيح صعد من هناك إلى السماء . وقد بنت الملكة هيلانة فوقه الكنيسة المعروفة بـ : (كنيسة الصعود) . وللنصارى على هذا الجبل عدة كنائس وأديار .

إنه مقدس في نظر المسلمين . وهو أحد الجبال التي ورد ذكرها في القرآن . إذ قال الله سبحانه وتعالى : " والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين [1] " .

ومن الأسباب التي رفعته إلى درجة التقديس ؛ أن الجيش الإسلامي كان معسكراً فيه عندما جاء لاحتلال بيت المقدس . وفيه اقام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وفيه دفن جماعة من شهداء المسلمين في الفتحين ، العمري والصلاحي ، منهم الصحابي المشهور سلمان الفارسي . ولما قدمت صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس صعدت عليه وصلت به . وفيه دفنت (رابعة العدوية) المشهورة بأم الخير .

وكانت أشجار الزيتون تغطيه فيما مضى. إلا أن الجراد والعمران قد أتوا على هذه الأشجار . وهناك ، بين القدس وجبل الزيتون ، واد عميق يسميه الفرنجة : (وادي قدرون) واليهود (وادي يهوشافاط) والعرب المسيحيون (وادي ستنا مريم) والعرب المسلمون (وادي جهنم و (وادي النار) و (وادي سلوان) و (الواد الأسود) .

إنه واد طويل . طوله زهاء ثلاثة كيلو مترات . يبدأ بالقرب من حي الشيخ جراح . وينتهي عند (وادي الربابة [2]) قبلي بركة سلوان . والسبب في نسبته إلى جهنم أن الناس كانوا يعتقدون أن الصراط في يوم القيامة سينصب فوقه : من جبل الطور في الشرق إلى سور الحرم في الغرب . ويعتقدون أيضاً أنه تكون عندما " زلزت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها ، بان ربك

---

(1) روي عن ابي هريرة أنه قال : (التين مسجد دمشق ، والزيتون طور زيتا عند بيت المقدس ، وطور سينين حيث كلم الله موسى ، وهذا البلد الأمين مكة) ،

(2) يمتد هذا الوادي من مكان بالقرب من ماملا إلى بركة السلطان ، ومنها ينحدر باتجاه قبلي المدينة حيث يفصل بين تل صهيون وجبل المكبر ، وفي نقطة وراء بركة سلوان يلتقي بوادي سلوان ومن اسمائه (وادي حنوم) . وكان اليهود فيما مضى يذبحون اطفالهم فيه ، ويقدمونهم قرابين للآلهة . وأصبح مع الزمان مزبلة المدينة . وفيه قبو منحوتة في الصخر .

أوحى لها .. " إلى آخر ما جاء في الآية . وفي هـذا الـوادي نفسـه وعلـى سـفح جبـل الزيتون من ناحية الجنوب مقابر اليهود . والأرض التي تقوم عليها هـذه المقـابر هـي وقف للمسلمين . وفيه أيضاً قبور المسلمين .

جبل سقوبس : جبل واقع في شمال المدينة ومتصل بجبل الزيتـون . لا بـل انـه يعتبر كجزء منه . يسميه المقدسيون : (المشهد) . وله أسماء اخرى منـها : الصوانـة ، وراس المشارف . عسكرت فيه أكثر الجيوش التي جاءت لفتـح المدينـة . وفيـه مقـبرة الجنود الانكليز الذين لاقوا حتفهم عند احتلالها في الحرب العالميـة الأولى(1917). وعليه تقوم الجامعة العبرية ومستشفى (هداسا) اليهودي .

بينه وبين المدينة من الناحية الشمالية الشرقية واد غير عميـق يسـمونه : (وادي الجوز) . وفي هذا الوادي ، وعلى سفوح هذا الجبل يقوم عدد كبير من منازل المسلمين .

جبل المكبر : جبل مرتفع كائن قبلـي المدينـة وإلى الشـرق مـن محطـة السـكة الحديدية . يفصل بينه وبين جبل الطور وادي سـلوان ، وبينـه وبـين جبـل صـهيون وادي الربابة .

كانوا فيما مضى يسمونه : (جبل المؤامـرة) و (جبـل المشـورة الفاسـدة) . ويعتقد البعض أنه كانت تقوم عليه دار المجمع المعروف بـــ (السـنهدريم) . تلـك الدار التي قابل فيها يهوذا الأسخريوطي رؤساء الكهنة وقواد الجنـد ، واتفـق معـهم على تسليم السيد المسيح . وقيل أيضاً أن قصر قيافا رئيس الكهنة كان فوق هذا الجبل. وفيه اجتمع الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي لأجل التآمر على صلب المسيح .

وبجانبه هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد الإسلامي المعروف بـ : (أبي ثور) . ومن هنا جاء اسم الحي الذي يقوم على هذه الهضبة : حي أبي ثور . والاسـم الآخـر لهذا الجبل : جبل الثوري .

وأما (أبو ثور) الذي ينسب إليه هذا الجبل والحي الذي يقـوم عليـه ، فإنـه من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح بيت المقدس مع صلاح الدين .

ذكره مجير الدين [1] والسيد علي المرتضـي [2] والرحالـة الإسـلامي مصطفـى

---

(1) الأنس الجليل ص 410

(2) بحر الأنساب في الديار القدسية ص 70 و 71 .

اللقمي [1] وعدد آخر من المؤرخين المسلمين . قالوا عنه ما خلاصته : " أن الشيخ الإمام الزاهد العابد المجاهد شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن جمال الدين أبو عبدالله بن عبد الجبار المعروف بالقرشي والمشهور بأبي ثور . حضر فتح بيت المقدس مع الملك الناصر صلاح الدين . وكان يركب ثوراً ويقاتل عليه . فسمي بأبي ثور " .

وقد وقف عليه الملك العزيز ، أبو الفتوح عثمان ابن الملك صلاح الدين القرية التي بالقرب من باب الخليل . وهي قرية صغيرة من بناء الروم . كانت تعرف فيما مضى بدير مار بغوص . وتعرف الآن بدير أبي ثور . ووقف العزيز عليه أيضاً[2] أراضي القمرة الشرقية والغربية وأراضي خربة بيت سمرة المجاورة للقرية المذكورة .

بني الروم على جبل المكبر كنيسة (1874) باسم القديس برفريوس .

وبني الانكليز عليه ، في عهد الاحتلال ، دارا اتخذوها مقراً للمندوب السامي. كما بنوا عليه الكلية العربية .

جبل صهيون : كان الناس كلهم ، حتى أواسط القرن التاسع عشر ، يعتقدون أن صهيون اليبوسية التي بنى داود بعدئذ مدينته على انقاضها ، كانت تقوم على التل الواقع قبلي القدس الحالية إلى الغرب . ولكن كثيراً من العلماء راحوا ، بعد ذلك التاريخ ، يشكون فيما إذا كان هذا القول يطابق الواقع . وتأسست في الأعوام الأخيرة (1892) نظرية تقول أن صهيون واقعة على جبل اوفل قبلي منطقة الحرم . وهو الذي نسميه بالظهورة ونعتبره جزءاً من سلوان .

وأنه ليس في أي من هذين القولين ما يناقض الآخر . وأن هذا الاسم يشمل المرتفع الذي يمتد من الظهورة في الشرق حتى الأكمه المطلة على بركة السلطان في الغرب .

وعلى هذا المرتفع يقوم الحي الإسلامي المعروف بحي داود . ومدرسة صهيون الانكليزية التي أسسها المطران (غوبات) . وكنيسة نياحة العذراء (دورسيثيون)

---

(1) جوانح الأنس في رحلتي لوادي القدس . مخطوطة ص 176 .

(2) هذه المعلومات من حكم صدر من المحكمة الشرعية بالقدس بتاريخ 1221هـ - 1806م وبتوقيع القاضي السيد أحمد نجيب .

للألمان – الكاثوليك . وكثير من المقابر المسيحية .

القطمون : من التلال التي تقوم عليها منازل القدس. وهو واقع غربي المدينة إلى الجنوب . وهناك بينه وبين محطة السكة الحديدية سهل فسيح يسمى (البقعة) . كان هذا السهل فيما مضى خالياً من البنيان في جانب من جوانبه الحقول والبساتين، وفي الجانب الآخر مسارح الغزلان .

ذكره اللقمي [1] ، فقال : " إن الشيخ الخليلي كان يسكنه يومئذ . وله فيه رياض . وكان بهذا الوادي قصور وبساتين محتها الأيام ،فلم يبق منها سوى الأخبار :

قفا بي على الوادي المقدس برهة لا ندب أطلالاً وهت وقصورا

ولا تعذلاني إن بكيت تأسفاً قد أورثتني قبل ذاك سرورا

سقى الله منها معهداً قد نزلته فرأت به للعارفين سطوراً

ظلت (البقعة) خالية من العمران والسكان إلى أن أنشئ الخط الحديدي بين القدس ويافا (1892) . حتى أن الشركة التي تولت إنشاء هذا الخط كانت تدفع إلى مشايخ المالحة وباقي قرى بني حسن المجاورة لها مبلغاً من المال يسمونه: (الخاوة) .

وبعد أن تم إنشاء الخط بدأ العمران ، وكثرت المنازل ، وانتشر السكان في ذلك المكان . وبقيت تلك البقعة الممتدة من المحطة في الشرق إلى القطمون في الغرب تعتبر من أجمل بقاع المدينة وأعمرها .

وعر الضبع : هو أحد المرتفعات التي تقوم عليها مدينة القدس. وهو كائن إلى الشمال الغربي من المدينة . ويسميه البعض : (وعر اللفاتوه) لأنه نطل على قرية لفتا ؛ بل إنه جزء من أراضيها . عليه تقوم مدرسة شنللر وكثير من الأحياء الجديدة . بينه وبين قرية شعفاط واد عميق يسمونه : (وادي لفتا) . وهو الذي يحد المدينة من ناحيتها الشمالية الغربية .

---

(1) (سوانح الأنس) ص 176 .

أبنيتها : جميلة للغاية . كلها من الحجر الصلب . سقوفها في المدينة الحديثة فبالاسمنت المسلح . وهناك ، حول القدس ، الحجر الكلسي المتبلور الذي يمكن صقله واستعماله في هذه الصناعة . وهو مختلف الألوان . فمنه الأصفر والأخضر والأحمر . وهذا الأخير شائع وكثير الاستعمال في صناعة البناء . وليس في مدن سوريا وفلسطين مدينة كالقدس تستطيع أن تتباهى بمبانيها الجميلة المتقنة التي تجمع بين الذوق الجميل والفن الهندسي العربي القديم وبين مطالب العصر الحديث .

طرقها : في المدينة نفسها طرق عديدة ،

وطرق كثيرة تربط مدينة القدس بالمدن المجاورة : منها طريق القدس – يافا [1] وطريق القدس – نابلس [2] وطريق القدس – أريحا .

وفيها محطة للسكة الحديدية [3] تربطها بمدينة يافا .

وبلغت نفقات الحكومة في صيانة الطرق والمباني والأشغال الحكومية في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنوات الانتداب (48/1947) 916.800 جنيهاً فلسطينياً . وأما موظفو دائرة الأشغال هذه ، فقد بغت رواتبهم ف تلك السنة 353.566 جنيهاً .

حدائقها : في القدس أربع عشرة حديقة وميدان من الحدائق والميادين العامة . مجموع مساحتها معاً سبعة وسبعون دونماً . وكلها خارج السور . ومن هذه الحدائق : (حديقة المنشية) على طريق القدس – يافا وعلى بعد بضعة أمتار من عمارة

---

(1) انشئت لأول مرة سنة 1284 للهجرة – 1867 م .

(2) بدأ الأتراك في إنشائها سنة 1903 وانتهوا منها سنة 1907 ولم يكن ثمة طريق معبدة قبل ذلك التاريخ .

(3) كان أول تخطيط لهذه السكة في سنة 1964 قدمه الدكتور زاميل الأمريكي الألماني . ومنح امتياز هذا الخط إلى يوسف نافون أفندي في 28أكتوبر سنة 1888 لمدة 71 سنة . وقد باع صاحب هذا الامتياز امتيازه من شركة الخطوط الحديدة العثمانية ليافا – القدس وتمديداتها الفرنسية المؤسسة في باريس في شهر كانون الأول سنة 1889 بمبلغ مليون فرنك . بوشر بإنشاء الخط في نيسان 1889 واستغرق العمل ست سنوات . وانتهى في أيلول سنة 1892 . طوله 87 كيلو متراً . وهو خط ضيق منفرد . وعرضه متر . يجتاز 176 جسراً ، سبعة منها حديدية .

المسكوبية وإلى الجنوب منها . إنها هي الحديقة الوحيدة التي كانت في القدس في العهد التركي . و (حديقة البلدية) على بعد كيلو متر واحد من أمام الشيخ جراح وإلى الغرب منه . و (حديقة الحيوانات) وهي ملاصقة لحديقة البلدية . وهناك (حديقة عامة) اسسها اليهود في حي الراتيزبون (1945) .

ملاهيها : إن القدس التي قامت وقعدت في زمن من الأزمان من أجل (القهوة) والتي قضى علماؤها أياماً طوالاً يتناقشون [1] فيما إذا كان هذا المشروب الجديد حلالاً أم حراماً ، تعج في يومنا هذا لا بالمقاهي فحسب ، بل والحانات التي تباع فيها جميع أنواع الكحول والمسكرات ، والتي يجري في جنباتها جميع ضروب اللهو والمنكرات ، من جميع الأجناس والشعوب والأديان .

وفي القدس ثماني دور للصور المتحركةو (السينما) هي : أديسون ، والشرق، وصهيون، وعدن ، وركس ، وريجنت، وستوديو ، وتل أور ؛ هذا عدلا الصالة الكبيرة التي تعرض فيها الصور المتحركة أحياناً في بناية جمعية الشبان المسيحية .

محطات الإذاعة: فيها محطتان للإذاعة : واحدة باسم محطة القدس للإذاعة الفلسطينية ، والثانية باسم (محطة الشرق الأدنى) . أما المحطة الأولى فقد أنشأتها الحكومة في آذار 1936 وكانت تابعة لمصلحة البرق والبريد العامة . إلا أنها فصلت عنها في عام 1945 .

كانت في بادئ الأمر محطة صغيرة يديرها عدد قليل من الموظفين ، في غرفتين من غرف (فندق بالاس) من أملاك الوقف في شارع ماملا . ثم اتسعت في أوائل الحرب العالمية الثانية (1939) . وانتقلت إلى دار استأجرتها من الأحباش في الشارع المعروف بشارع (الملكة مليسنده) . ومن ثم أصبحت تسع غرف الإذاعة وخمس للأعمال الهندسية . وتذاع الأخبار والأحاديث عشر ساعات ونصف ساعة من كل يوم : أربع ساعات ونصف باللغة العربية ، وثلاث ساعات ونصف باللغة العبرية ، وساعتان ونصف باللغة الانكليزية ..

---

(1) عثر المرحوم الشيخ خليل أفندي الخالدي ، بين أوراق المحكمة الشرعية ، على ورقة جاء فيها ذكر هذا النقاش الذي انتهى بانتصار رأي المفتي الذي أفتى بعدم حرمانية القهوة رغم التخدير البسيط الذي تحدثه لأنها زرعت في اليمن وشربت فيها وفي الحجاز .

تنقل الأصوات من هذه المحطة إلى رام الله . ومنها تـوزع في الفضـاء بواسـطة محطة أقيمت لهذه الغاية على بعد بضعة أمتار من دار الحكومة إلى الشـمال ، وعلـى الطريق المؤدية إلى بئر زيت . وأما مديـر الإذاعـة فـهو انكلـيزي [1] . وكذلـك كبـار موظفيها . إلا المذيعين وبعض صغار الموظفين ، فإنهم عرب يهود .

وفي فلسطين عام (1947) 58.000 آلة راديو . وكان هذا العدد في سـنة 1936 عشرين ألفاً وخمسماية . تقاضت الحكومة عنـها رسـوماً بلغـت مئـة ألـف جنيـه في السنة . ولقد كلفت محطة الإذاعة هذه الحكومة في آخر سنة مـن سـنوات الانتـداب (48/1947) 193.433 جنيهاً . منها 45.038 جنيهاً رواتب للموظفين والباقي لشراء اللآلات والأدوات .

مدارسها : في القدس 205 مدارس لمختلف الأجناس والعناصر والأديان. وفيما يلـي أسماؤها وأسماء الطوائف التي تمتلكها ؛ وقـد اقتبسـت ذلـك مـن سـجلات مصلحـة التربية والتعليم الحكومية بتاريخ 31 كانون الأول (ديسمبر) 1945 م .

فيها سبع مدارس اسلامية خصوصية ؛ هي : دار الأيتام الإسلامية [2] . مدرسة البنات الإسلامية . كلية روضة المعارف الوطنية [3] ، الكلية الإبراهيمية .[1] المدرسـة

---

(1) إنه المستر أدوين صموئيل Edvin Samuel ابن المندوب السامي ؛ وهـو أيضـاً ، كأبيـه ، يـهودي وصهيوني صميم .

(2) أسس هذه الدار المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة المفتي الحاج أمين الحسيني . وكـان ذلـك حـوالي سنة 1921 . ويتعلم أيتام المسلمين فيها التجارة والطباعة والحدادة وتجليد الكتـب وصنـع الأحذيـة والخياطة والحفر والزخرفة والأعمال الكهربائية والميكانيكيـة وصناعـة القـش والكراسـي وصنـع المكانس والحصر . هذا بالإضافـة إلى مبـادئ القـراءة والكتابـة والحسـاب . وينفـق عليـها المجلـس الإسلامي من مال الوقف .

(3) تأسست سنة 1324هـ – 1906م . ومؤسسوها الشيخ محمد الصالح والشيخ حسـن أبـو السـعود واسحق درويش وعبد اللطيف الحسيني . فيها قسم ابتدائي ، وآخر استعدادي وثلث علمـي . ولهـا مكتبة ومجلة وجمعية للطلاب . وفيها فرق متعددة للكشافة . وخريجوها يقبلـون في المعـاهد العلميـة بسوريا ولبنان ومصر وتركيا . يؤازرها المجلس الإسلامي الأعلى . فيها قسم داخلي . وبعد أن كـان عدد طلابها في القسم الخارجي ، عام 1918 ، 72 وفي الداخلي 17 . أصبح هذا العدد ، عام 1938، في الخارجي 237 وفي الداخلي 70 وانخفض هـذان العـددان إلى 145 و 50 خـلال الحـرب العالميـة الثانية (1939) . شعارها (العلم العربي) . ولغة التعليم فيها لغة الضاد . وتعـنى العنايـة كلـها بإنماء الروح الوطنية من ناحية قومية بحتة .

المحمدية . مدرسة الفلاح . مدرسة الحكمة .

وفيها إحدى عشرة مدرسة حكومية عربية (إسلامية ومسيحية) ؛ هي :

الكلية العربية . دار المعلمات . المدرسة البكرية . مدرسة المصرارة . المدرسة العمرية . الكلية الرشيدية [2] . مدرسة الشيخ جراح . المدرسة العلومية . مدرسة البقعة . المأمونية [3] القديمة . المأمونية الجديدة .

وفيها أربعون مدرسة مسيحية خصوصية ؛ هي : المدرسة الاستعدادية للروم الأرثوذكس . المدرسة الأرثوذكسية للبنات . مدرسة السريان الأرثوذكس . مدرسة الأرمن الابتدائية ، وكلية اللاهوت الأرمنية . مدرسة تراسانطة للبنين . مدرسة تراسانطة للبنات . ميتم تراسانطة للبنين . ميتم تراسانطة للبنات . كلية تراسانطة[4]. مدرسة الفرير للبنين . كلية الفرير [5] . مدرسة مار يوسف . ميتم

---

(1) أسست هذه الكلية عام 1931 . كانت في حي الصرارة ثم في حي باب السهارة . ومؤسسها الشيخ راشد القاسمي والشيخ عز الدين الشريف وابراهيم عبد المعطي بدر . ثم انسحب الشيخ عز الدين وحل مكانه نهاد أبو غربية. وهو اليوم صاحبها ومديرها المسؤول . وقد أضيف إليها ، عام 1937 ، قسم داخلي . كانت ابتدائية ، وأصبحت عام 1941 ، ثانوية . وطلابها يقبلون في الفحوص المعروفة بالمترك . وبين أساتذتها عدد غير قليل من خريجي الجامعات ومن دار العلوم . وبعد أن كان فيها ، عام 1931 خمسون طالباً أصبح فيها عام 1944 خمسمئة طالب ، منهم خمسة وستون داخلياً .

(2) في هذه التسمية قولان : قول بأنها سميت (الرشيدية) لأنها بنيت على يد متصرف القدس رشيد بك (1906) في زمن السلطان عبد الحميد ، وهذا هو الأرجح . وآخر يقول أنها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد (1908) . ولكنهم حرفوها ، ونسبوها إلى (هارون الرشيد) خطأ .

(3) هكذا يسميها المقدسيون ، وينسبونها إلى الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد . ويرى البعض أن الأصل فيها (الميمونة) نسبة إلى المير فارس الدين أبي سعيد ميمون بن عبد الله القصري خازن الملك صلاح الدين . وهو الذي وقفها في جمادي الأولى سنة 593 هـ - 1196 م .

(4) بناؤها شيد من قبل (جمعية القديس بولس) الميلانية عام 1926 . وهو واقع بين الطالبية ورحافيا غربي المدينة . والمدرسة افتتحت في عام 1929 . فأحيلت البناية عامئذ للفرنسيين . ووضعت المدرسة تحت رعاية جمعية (حراسة الأرض المقدسة) الفرنسيسية .

(5) College des Freres أسست سنة 1892 على عهد بطريرك اللاتين (يوسف فاليرغا) . فيها 750 طالباً كلهم مسيحيون ، خلا أربعين تلميذاً فإنهم مسلمون . تدرس فيها اللغات الثلاثة : الفرنسية ، والعربية ، والانكليزية . وفيها مكتبة قيمة .

نوتردام دوسيون . مدرسة نوتردام دوسيون . مدرسة الارسالية الفرنسية . المدرسة الساليزية . كلية شميت الألمانية للبنات . مدرسة سان جورج الانكليزية . كلية البنات الانكليزية [1] . مدرسة صهيون [2]. مدرسة كنيسة يسوع للبنات . المدرسة السويدية . مدرسة الأرمن البوروتستنت . . بستان الروم للأطفال . المدرسة الأرثوذوكسية الوطنية . مدرسة الأرمن الكاثوليك . مدرسة سيلة صهيون الانكليزية . مدرسة الجالية الانكليزية . مدرسة الأمة . كلية النهضة . مدرسة الشفقة . المدرسة الأسقفية. دار الأيتام السورية (شللنر) . الكلية الأكليركية (الصلاحية) . كلية التجارة والمحاسبة . المعهد الوطني لفن التجارة واللغات [3] المعهد العالي للإدارة والسياسة والاقتصاد [4] .

وفي القدس 27 مدرسة يهودية عمومية تشرف عليها الوكالة اليهودية ؛ وهي:

مدرسة عيروني الابتدائية . مدرسة تحكموني الابتدائية . المدرسة العبرية للبنات (وهي ذات ثلاث شعب) . مدرسة بيت هاكيرم الابتدائية . مدرسة تل بيوت الابتدائية . مدرسة رحافيا الابتدائية . مدرسة شقولي الابتدائية . مدرسة

---

(1) أسست هذه عام 1920 وفي زمن المطران ماكنز Bishop Rennie Mac Innes وقد عمل على تأسيسها كل من جمعية التبشير المسيحية . C. M.S. وجمعية يهود لندن L.J.S. والمجمع الكنسائي الوطني بفلسطين P.N.C.C. .

(2) واقعة وراء الزاوية الغربية القبلية من السور ، وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الجنوب . وهي مبنية على أساسات كانت تقوم عليها فيما مضى الأبراج القديمة التي بنيت على عهد اليبوسيين . أسس هذه المدرسة المطران صموئيل غوبات الذي كان مطراناً للانكليز بالقدس من عام 1846 إلى 1879 ولذلك تدعى : مدرسة المطارن غوبات Bishop Gobats School

(3) أسسه يوسف نعواس (1940) . وله ثلاثة فروع في القدس ويافا وحيفا . يرتاده التجار والموظفون .

(4) أسسه موسى ناصر من بئر زيت (1946) . وغايته اعداد أشخاص يصلحون لقيادة الشعب من النواحي الفكرية والسياسية والتجارية والصناعية . ويحتوي مناهجه على قسم كبير من دروس القانون . ويشتمل على ما يحتاج إليه الإنسان من صفات في الأعمال الحرة والوظائف الحكومية . مدة الدراسة فيه أربع سنوات . وهو يرمي إلى إيصال طلابه إلى درجة يحصلون معها على شهادات علمية من درجة (بكالوريوس علوم في الإدارة العامة) .

صوقولوف الابتدائية . كتاب الأولاد المزراحيين . كتاب الأولاد السفرادين . كتاب البنات المزراحيات (وهو ذو شعبتين) . مدرسة رحافيا للبنات . كتاب بيت مناحيم . كتاب أبناء اليمن . مدرسة دروش صهيون . مدرسة العمال . المدرسة البلدية الابتدائية . مدرسة بيت هاكرم الثانوية . مدرسة (بغروت) الاستعدادية . مدرسة (معلى) الثانوية . دار التربية . دار التعليم العبرية . دار المعلمين المزراحيين . دار المعلمات المزراحيات . مدرسة (اليس سالزبرغ) . مدرسة رفقة صوماخ . مدرسة بصاليل الصناعية . وفيها تسعة بساتين أطفال لليهود في كل من : زكرون موشه . يمين موشه مذكرت موشه . محنة يهودا . شمعون صادق . جبعات شاؤل . بيت هايلد . كرن ابراهام .

وفيها عشر مدارس يهودية خصوصية ؛ هي مدرسة أفليناذي روتشيلد . مدرسة آلوما الثانوية . مدرسة هوريف . مدرسة الاتحاد الاسرائيلي . مدرسة الحقل الزراعي. المدرس اليهودية . المدرسة التجارية . دار المعلمات . دار الفنون . المدرسة الزراعية للبنات .

هذا بالإضافة إلى 19 مدرسة ابتدائية خصوصية تملكها مؤسسات يهودية مختلفة . وكذلك 5 مدارس ثانوية . وداربن لتمرين المعلمات . وست دور للأيتام . و 33 داراً لتعليم التلمود . و 35 بستاناً للأطفال . جميعها خصوصية .

وإليك فيما يلي مجموع عدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات في المدارس المتقدم ذكرها :

العدد		طالب	طالبة	معلم	معلمة
7	المدارس الإسلامية الخصوصية	1101	280	46	14
11	المدارس العربية الحكومية	1900	1861	68	57
38	المدارس المسيحية الخصوصية	4311	3553	113	269
30	المدارس اليهودية العمودية	4043	5188	277	203
69	المدارس اليهودية الخاصة	6630	5395	362	307
155		17985	16277	946	850

وبعبارة أخرى :

	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المسلمون	3502	2307	107	53
المسيحيون	3416	3098	200	287
اليهود	11067	10872	639	510
	17985	16277	946	850

وفي القدس جامعة لليهود هي : الجامعة العبرية) . إنها واقعة على جبل الزيتون . وتعد من أعظم المؤسسات الثقافية اليهودية في الشرق .

إن اول من فكّر في تأسيسها هو الدكتور (هرمان شابيرا) Dr .Hermann Schapira استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرغ بألمانيا . يوم نشر في الصحف ، بين عامي 1882 و 1884 ، سلسة مقالات دعا اليهود إلى إقامة جامعة تحفظ تراثهم العلمي والأدبي القديم ، وتسهم في نهضتهم العلمية الحديثة .

وأبدى الدكتور شابيرا رأيه هذا للمؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 ، ولكن آراء بقيت عند حد القول .

وفي عام 1901 حاول الدكتور وايزمان أن يقنع المؤتمر الصهيوني الخامس ، كي يقوم بدراسة دقيقة ليقرر فيما إذا كان بالإمكان تأسيس جامعة يهودية . ولكن الدكتور هرتسل لم يضع هذا الاقتراح للتصويت . بل اكتفى بأن وعد أن يدرس المسألة في اجتماع المجلس الصهيوني العام .

وفي عام 1902 استأنفت االدكتور وايزمن مساعيه ، وأسس في جنيف مكتبا غايته السعي لإيجاد مؤسسة للدراسات العالية . ونشر بياناً بالاشتراك مع الدكتور مارتين بوبر والدكتور بروثلد فايول . وفي شهر مايو من نفس السنة رفع الدكتور هرتسل عريضة للسلطان يطلب فيها السماح لليهود بتأسيس جامعة بالقدس .

ولكن السلطان رفض طلب الدكتور هرتسل بتأسيس جامعة في القدس . وفي عام 1913 أقر المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الخطة المرسومة لأجل تأسيس

جامعة يهودية . وكان ذلك بناء على طلب قدمه إلى المؤتمر الدكتور أوسيشكن ، وعاضده في ذلك الدكتور حايم وايزمان .

فابتاع اليهود ، في تلك السنة (1913) ، والأرض التي يقوم عليها بناء الجامعة . وفي 24 تموز سنة 1918 وضع الدكتور وايزمان الحجر الأساسي للبناء ، وفي أول نيسان 1925 تم تدشين الجامعة .

والحكومة لا تسيطر على شؤون التعليم ، لا في هذه الجامعة ، ولا في المدارس اليهودية الأخرى ، سيطرتها على شؤون التعليم في المدارس العربية . ذلك لأن المدارس اليهودية تسيطر عليها المنظمات اليهودية ، وفي مقدمتها الوكالة اليهودية . وقد نجحت هذه الوكالة في الحصول على (حصة اليهود) من المبالغ التي تخصصها الحكومة للتعليم في موازنتها السنوية . فراحت تدير مدارسها وترسم مناهج التعليم فيها كما تشاء . وهي (أي الوكالة اليهودية) حرة في تعيين المعلمين ونقلهم وإقالتهم . على النقيض من المدارس العربية التي تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة فهي التي تعين المعلمين والمعلمات ، وتنقلهم وتقيلهم متى شاءت . وهي التي تسيطر على سير التعليم وليس للعرب (حصة) خاصة ، كما هي الحال مع اليهود.

والأهم من هذا كله : مناهج الدراسة . فقد كانت هذه ترسم للمدارس العربية وفق هدف معين تسيطر عليه الحكومة المنتدبة . وأما المدارس اليهودية ، فلا تتدخل الحكومة في برامجها .

ومصلحة التعليم الحكومية في القدس يقوم على رأسها (1947) مدير انكليزي ، يساعده خمسة من رجال الانكليز . ويعمل تحت امرته في الإدارة العامة اثنان وعشرون موظفاً فلسطينياً : إثنى عشر منهم عرب مسلمون ، وستة عرب مسيحيون ، وأربعة يهود . وهناك مفتشة انجليزية تدير شؤون مدارس البنات وفي الإدارة العامة سبعة وعشرون كاتباً وكاتبة : ثلاثة منهم انجليز ، وخمسة عرب مسلمون ، وسبعة عشر عرب مسيحيون ، ويهوديان .

هذه الآلة الحكومية الموجودة بالقدس مسؤولة لا عن إدارة مدارس القدس فحسب ، بل مدارس فلسطين كلها . ولقد أنفقت الحكومة على مدارس فلسطين وشؤون التعليم في آخر سنة من سنوات الانتداب (48/1947) 1.561.521 جنيهاً

من مجموع نفقاتها التي بلغت في تلك السنة 24.635.066 جنيه . ونفقات المعارف هذه تؤلف البند الثالث من بنود النفقات في الميزانية .

ولكن هذه الآلة الحكومية لا تسيطر على المدارس اليهودية ، سيطرتها على المدارس العربية . وقد شعر العرب بهذا الغبن ، وكثيراً ما حاولوا رفعه ، ولكنهم عبثاً كانوا يحاولن . ذلك لأن صك الانتداب [1] يفرض على الدولة المنتدبة " ان تضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي ... "

- **دور الكتب :** نذكر لك فيما يلي دور الكتب الكائنة في مدينة القدس . حسب قدمها ولم ندمج في عدادها المكاتب الخصوصية التي يملكها الأفراد من أجل استعمالهم الخاص ،

أخذت معظم هذه المعلومات عن كراس نشرة مدير الآثار بحكومة فلسطين لمصلحة الصفوف التوجيهية في القدس عام 1945 . وقد أضفت إليها شيئاً كثيراً من معلوماتي الخاصة .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
1	مكتبة القديس المخلص	1558	25000	اللاتينية ، الافرنسية الإيطالية ، العربية.
2	مكتبة الجليل	1725	7000	العربية
3	مكتبة البطريريكية الأرثوذوكسية	1865	5000	اليونانية ، العربية ، الانكليزية ، الفرنسية
4	المكتبة الانجيلية الأثرية الافرنسية	1890	25000	الفرنسية ، الانكليزية ، الألمانية
5	مكتبة كنيسة القديس جورج	1890	5000	الانكليزية ، والعبرية، وعربية
6	مكتبة الجامعة العبرية	1890	460000	الانكليزية ، العبرية ، الافرنسية، الالمانية، العربية .

(1) اقرأ المادة الثانية من هذا الصك .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
7	مكتبة الجمعية الروسية الارثوذوكسية			الروسية ، العربية
8	المكتبة الخالدية [1]	1900	12000	العربية ، الانكليزية الفرنسية ، الفارسية التركية .
9	مكتبة المدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية	1901	7000	الانكليزية . الألمانية ، العبرية .
10	مكتبة المعهد الألماني الإنجيلي لدراسة البلاد المقدسة في العصور الوسطى			
11	مكتبة بصليل الصناعية	1906	14000	الألمانية ، الافرنسية ، الانكليزية .
12	مكتبة الكلية العربية [2]	1920	7000	العربية ،الانكليزية
13	مدرسة الآثار البريطانية	1920	2500	الانكليزية ، الافرنسية ، الألمانية
14	مكتبة مصلحة الزراعة	1920	3600	الانكليزية، العربية
15	مكتبة مصلحة المعارف	1920	2500	الانكليزية ، العربية
16	مكتبة القوانين الحكومية المركزية لمحكمة العدل العليا	1925	3000	الانكليزية ، العربية العبرية ، الافرنسية
17	مكتبة المتحف الفلسطيني	1928	17000	الانكليزية ، الافرنسية ، العربية الألمانية .

(1) أنشأها الشيخ راغب الخالدي بمال تبرعت به أمه السيدة خديجة بنت موسى الخالدي . وعمل على ترتيبها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وكان يومئذ يعيش في القدس منفياً .

(2) بعثرت هذه المكتبة عندما اشتد القتال بين العرب واليهود (1947) ونهب اليهود بعض الكتب القيمة التي كانت فيها . أما معظم الكتب فقد نقلت إلى الرشيدية في الجزء العربي من المدينة بعد وقف القتال .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
18	مكتبة المسجد الأقصى	1927	1800	العربية
19	مكتبة الآباء اليسوعيين	1928	3500	الانكليزية ، الافرنسية ، الألمانيةالايطالية ، الاسبانية .
20	مكتبة مدرسة نيومن للارساليات	1928	3000	الانكليزية ، العربية وفيها بعض الكتب الافرنسية والألمانية والايطالية .
21	مكتبة غولبنجيان طوريان . اسم البطريرك طوريان مادينا ثاران	1929	27000	الأرمنية ،الانكليزية الافرنسية
22	مكتبة الدراسات الانجيلية الفرنسيسية	1929	5000	اللاتينية ، الانكليزية الالمانية ، الافرنسية الايطالية
23	مكتبة اورشليم (بني بريث)	1930	15000	العبرية ، الانكليزية ، الألمانية
24	مكتبة جمعية الشبان المسيحية	1933	22000	الانكليزية ، العربية
25	مكتبة دار التمرين على الخدمات الاجتماعية	1934	6000	الانكليزية ، الالمانية وفيها بعض الكتب الافرنسية والعبرية والتشكية والبولونية
26	مكتبة شوقن	1935	4000	العبرية ، الالمانية الانكليزية .
27	مكتبة مصلحة الاحصاءات	1936	8200	الانكليزية
28	مكتبة معهد الأبحاث الاقتصادية التابع للوكالة اليهودية	1936	4000	الانكليزية ، الافرنسية، العبرية، الالمانية .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
29	مكتبة مصلحة الإذاعة الفلسطينية	1936	1800	الانكليزية، العربية، العبرية
30	مكتبة المركز الثقافي الافرنسي	1937	4000	الافرنسية .
31	مكتبة يشورون	1939	4000	العبرية، الالمانية، الانكليزية .
32	مكتبة العمال	1940	5500	العبرية، الانكليزية.
33	مكتبة المجلس البريطاني	1944	6000	الانكليزية .
34	مكتبة دائرة المطبوعات	1944	900	الانكليزية .

وهناك مكتبات أخرى ، نذكر أكثرها يخص بعض الأسر القديمة ، وقد أصابها البلاء. نذكر منها :

المكتبة الفخرية : كانت قسماً من الزاوية الفخرية ملك آل أبي السعود . وهي عائلة معروفة النسب تقطن القدس منذ نيف وسبعة قرون . كانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية . وكان عدد الكتب فيها يقدر بنحو عشرة آلاف مصنف . غير أن أفراد العائلة اقتسموا هذه المصنفات فيما بينهم . فبعثرت .

مكتبة الشيخ خليل الخالدي : أسسها المرحوم الشيخ خليل الخالدي وهو رئيس سابق لمحكمة الاستئناف الشرعية . إنه من الأئمة الأعلام . اصطفاه الله إلى جواره سنة 1941 . وقد جمع فيها ما يقرب من خمسة آلاف مخطوط كلها من المخطوطات العربية القيمة .

مكتبة آل البديري: مكتبة نفيسة فيها مخطوطات كثيرة قسمها الأكبر في عهدة أحد أبناء هذه العائلة الشيخ محمد أفندي عائلته التي قطنت القدس منذ أكثر من ستماية سنة . ومكتبة آل البديري في الحرم الشريف . وقد بعثرت كتبها .

مكتبة آل قطينة : فيها بعض المخطوطات التاريخية . وفيها مصنفات عديدة في الرياضيات . واقعة بباب العمود . أصحابها آل قطينة من العائلات القديمة . ذكروا في مستندات القرن التاسع للهجرة . وقد بعثرت كتبها .



مكتبة آل الموقت : أسسها الشيخ أحمد ابن محمد يحي الشهير بالمحدث . وهو مغربي الأصل من مراكش . كان فيما مضى مفتي القدس . وفي وقفيته المؤرخة 1181هـ – 1767م قدرت أثمان الكتب التي تركها بتسع وخمسين ألف زلطة . تبعثرت كتبها ، فنقل بعضها إلى المكتبة الخالدية ، وأخذ بعضها الآخر الشيخ طاهر الجزائري فنقله إلى دار الكتب بدمشق .

مكتبة عبدالله مخلص : إنها مكتبة قيمة . فيها كتب علمية وأخرى تاريخية . وفيها بعض المخطوطات . كانت في منزله بحي الشيخ جراح . وعندما اضطربت السياسة بسبب التقسيم نقلت إلى دير القربان على مقربة من الباب الجديد . ولما نسف ذلك الدير أثناء القتال ، بقيت الكتب تحت الأنقاض .

وفي القدس عدد من المكتبات التجارية ، عربية وافرنجية . بعضها داخل السور، والبعض الآخر خارجه . منها ما تعني ببيع الكتب فقط ؛ ومنها ما تعني ببيع الصحف والمجلات والقلم والقرطاس ، بالإضافة إلى بيع جميع أنواع الكتب ؛ وإنا لذاكرون منها : مكتبة الأندلس ومكتبة بيت المقدس ، ودار الكتب ، ومكتبة فلسطين ، ومكتبة صندوقة ، ومكتبة المعارف ، ومكتبة النهضة ، ومكتبة لورنس ، ومكتبة الشناوي ، ومكتبة اليرموك ، ومكتبة المنار ، والمكتبة العالمية .

فلا كتاب يطبع في الشرق أو في الغرب، ويذيع صيته ، إلا وتجده في إحدى هذه المكتبات ؛ ولا سيما إذا كتب أو ترجم بإحدى اللغات الحية .

متاحفها : في القدس متحف حكومي للبحث عن الآثار وحفظها . أنشئ بمال وهبه (1927) الثري الأمريكي روكفلر J. D. Rockefeller ورصد لهذا المشروع مليونين من الدولارات . صرف منها نصف مليون للبناء ونصف مليون للتأثيث وشراء الكتب . واحتفظ في بنوك انكلترا بمليون ليصرف ريعها على إدارة المتحف . والذي تولى عمارته هو كبير المهندسين الحكوميين المستر هاريسون A . St . B. Harrision , F . R . I . B A . وافتتح المتحف للجمهور سنة 1938 . وهو كائن تجاه الزاوية الشرقية الشمالية للسور ، وعلى بعد بضعة أمتار منه . بين الحي المعروف بوادي الجوز وباب الساهرة . فيه مجموعة قيمة من النقوش والحجارة

والآثار الفلسطينية وفيه أيضاً مكتبة قيّمة وتقـوم في أحـد أجنحتـه مصلحـة الآثـار الحكومية بمديرها وموظفيه وأكثرهم من الخبيرين في علم التاريخ والآثار .

وفي 22 نيسـان 1948 (أي قبـل أن يرحـل الانكليـز عـن فلسـطين) عـين المندوب السامي مجلس أمناء على هذا المتحف من اثنى عشر عضواً ، اثنان انتدبهما هو (أحدهما بريطاني والثـاني أمريكـي) تـرك أمـر تعيينـهما للجامعـة العربيـة ، وواحد تنتخبه الجامعة العبرية ، والسبعة الآخرون من الطوائف المختلفة .

وهناك (المتحف الاسلامي) أسسه المجلس الاسلامي سنة 1341 هـ (1933) في مكان لائق من الأبنية التابعة للمسجد الأقصى . يحتوي على مجموعـة قيمـة مـن الخزف القاشاني النفيس ، ومجموعة من النقوش العربية بـالقلم الكـوفي ومنـها مـا يرجع إلى أوائل القرن الرابع الهجري ، ونموذجان من النوافذ القديمة المصنوعـة مـن الجاص والمرصعـة بالزجـاج الملـون ممـا صنـع برسـم قبـة الصخـرة ، ومجموعـة مـن المصاحف الشريفة بعضها يرجع إلى أواخر القرن الأول للـهجرة مكتـوب علـى رق بالقلم الكوفي ، ومجموعة من النقود الاسلامية بعضها يرجع إلى سنة 152 للهجرة . وعدد وافر من الدراهـم الفضيـة والنحاسـية ، والأوزان الزجاجيـة ومـا إلى ذلـك . ومجموعة من الطنافس والبسط والأواني الاسلامية القديمة .

جمعياتها ونواديها : بلغ عدد الجمعيات والنوادي التي تسجلت في القدس من بدء الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام 1945 الفين وثلاثة وعشرين . منها ما هـو أدبـي وثقافي ، ومنها ما هو رياضي ، ومنها ما هو خيري ، ومنها ما تأسس لمصلحـة طائفيـة بحتة سواء أكانت اسلامية أو مسيحية أو يهوديـة . إن 85 بالمئـة مـن هـذه الجمعيـات والنوادي فلسطينية 15 بالمئة أجنبية . ومن الجمعيـات والنـوادي الفلسـطينية 30 بالمئـة منها اسلامية و 20 بالمئة مسيحية و 35 بالمئة يهودية .

وفيها سبعون جمعية تعاونية أكثرهـا لليـهود . وهـذه الجمعيـات تعمـل علـى تكتيل أرباب العمل والعمـال وأصحـاب المتـاجر والمشـاغل والصناعـات المختلفـة وصيانة حقوقهم . كان يتولى تسجيلها في بادئ الأمر ، مسجل الشركات الاعتياديـة ، وفي سنة 1933 عهد بهذا الأمر إلى (مسجل الجمعيات التعاونية) .

ومن الجمعيات التي يشار إليها بالبنان في بيت المقدس : جماعة الإخوان المسلمين وجمعية الشبان المسيحيين .

جماعة الإخوان المسلمين : فإنها منبثقة عن الجماعة التي تأسست في الاسماعيلية بمصر حوالي سنة 1930 . ومؤسسها (الشيخ حسن البنا) . كان مدرساً بالمدارس الأميرية بالاسماعيلية . ويسمونه (المرشد العام) . والذي حدا به لتأسيسها فكرة خطرت في ذهنه ترمي إلى توحيد جهود المسلمين وتوجيههم التوجيه الصحيح، ليتمكنوا من درء الشر الذي يحيق بهم والمضي قدماً إلى الأمام في سبيل تحقيق مثلهم العليا .

فما لبث هذه الفكرة أن انتشرت في جميع أنحاء مصر . وصار لها اتباع كثيرون ومؤازرتهم يعدون بالملايين . وها هي تسري إلى البلاد الاسلامية المجاورة .

ولقد تأسست (جماعة الإخوان المسلمين) بالقدس سنة 1945 ورأت من تشجيع سكان بيت المقدس والمدن المجاورة له ما شجعها على المضي بعملها . فمضت . وكبرت . واتسعت إلى أن أصبح ينضوي تحت لوائها آنذاك آلاف من المسلمين. وتأسست جماعات مثلها في يافا وغزة والرملة واللد ونابلس وخان يونس وبئر السبع والناصرة وعكا وسلوان وغيرها من البلدان .

جمعية الشبان المسيحية : ويرمزون إليها عادة بالأحرف التالية : Y . M . C . A . وهي جمعية تأسست في القدس حوالي عام 1876 . إنها تأسست على غرار جمعية الشبان المسيحيين بلندن حوالي عام 1844 . هذا ثابت من القانون الأساسي الذي وضعه القس ب . كنعان والد الدكتور توفيق كنعان بتاريخ 8 يناير 1878 .

بتاريخ 10 نوفمبر 1890 انتخب جورج ويليامس George Williams مؤسس أول جمعية للشبان المسيحيين في العالم (لندن 1844) ،رئيساً لها . وقد تبرع هذا لجمعية القدس بمبالغ وفيرة . وكانت يومئذ ذات فرعين : فرع انكليزي – عربي وآخر – انكليزي يهودي . ثم انفصل فرع القدس العربي عن الجمعية المركزية (1892) فوضع لنفسه دستوراً ، وأصبح مستقلاً .

كانت الجمعية ، في بداية عهد تأسيسها ، تجتمع في دكان لبيع الكتب تابعة لجمعية التبشير بالقدس على طريق يافا . ثم انتقلت إلى الطابق العلوي من العمارة

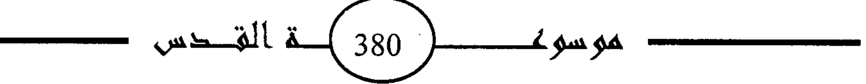
الكائنة بباب الخليل والتابعة لدير الروم . ثم انتقلت إلى دكان على طريق ماملا . ثم العمارة القائمة تجاه بنك باركلس على طريق يافا . وفي سنة 1909 انتقلت الجمعية إلى العمارة الكائنة شمالي الطريق المؤدية إلى ماملا . ثم (1920) إلى عمارة كائنة على طريق يافا .

وفي سنة 1909 كان سكرتير الجمعية مستر ستوارت ثورن Mr . Stuart Donnithorne وعلى عهد ازداد عدد أعضائها من 40 إلى 200 .

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى (1914) أغلقت الجمعية أبوابها في مدينة القدس خشية أن تعرض نفسها لريبة الأتراك ، وراحت تعمل في صفوف الجيش البريطاني الذي اعتزم فتح فلسطين فأثبتت كيانها في المحطات التي احتلها الجيش المذكور في القنطرة والروماني وبئر العبد ، والمزار ، والعريش ، ورفح ، وخان يونس، ودير البلح . وعندما احتل اللورد اللنبي القدس راحت تستأنف عملها في مقرها الذي تركته عند نشوب الحرب . وكان من أهم أغراضها يومئذ ارشاد الأشخاص الذين يفدون إلى القدس من جميع أنحاء الامبراطورية إلى الأماكن والأبنية الأثرية الكائنة في المدينة المقدسة .

في 1920 تولى سكرتيرية الجمعية الدكتور هارت Dr . A . C. Harte سكرتير اللجنة الدولية لجمعيات الشبان المسيحية في أمريكا الشمالية . وعلى عهده تبرع (1924) صديق له يدعى مستر جيمس نيو بيكن جارفي James New Benig Jarvie من مدينة مونتيلر من أعمال نيوجرسي بأمريكا بالمبلغ الازم لأجل بناء دار للجمعية على الطراز الحديث وهي الدار التي أقامت فيها الجمعية سنة (1946) وحملت اسمها على شارع جوليان في الناحية الغربية القبلية من المدينة وفي الحي المعروف بالنيكيفورية .

إن الأرض التي تقوم عليها دار جمعية الشبان المسيحيين كانت في الأصل ملكاً لدير الروم الأرثوذكسي . اشترتها اللجنة الدولية لجمعيات الشبان المسيحيين في أمريكا الشمالية ثم وهبتها إلى جمعية القدس . ولقد اشترك في هذه الهبة المجلس الملي البريطاني وفريق من يهود مانشستر .



في 23 أغسطس 1926 بدأت عمليات الحفر ، وفي 23 تموز 1928 وضع اللورد بلومو المندوب السامي الثاني لفلسطين الحجر الأساسي للبناء . والمهندس الذي تولى أمر البناء هو المستر آرثر لومكيس هارمون من نيويورك Arther Loomis Harmon ولقد ساعده في عمله هذا المكتب الهندسي التابع لجمعيات الشبان المسيحيين في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأعضاء مجلس الإدارة والهيئة المحلية التي ألفت في القدس لأجل الإشراف على أعمال البناء . عندما اعتزل الدكتور هارت العمل في 1930 تولى السكرتيرية بالوكالة أحد مساعديه المستر نيقولاي لاطوف Mr . Nicholas M . Lattof ثم تولاها أصالة وفي نفس السنة المستر والدو هاينريخ Waldo H . Heinrichs

إن دار الجمعية من أجمل عمارات المدينة آنذاك. إنها تحتوي مئة غرفة . منها الطابقان العلويان وهما المخصصان لنزول الزائرين وفيهما 82 غرفة (64 ذات سرير واحد و 18 ذات سريرين) . وفي كل منهما غرفة استقبال وعدد كاف من المراحيض والحمامات .

وللبناية برج مرتفع يسمونه (برج المسيح) يشرف المرء منه على جميع أنحاء المدينة . وفي البرج خمسةوثلاثون جرسا ، أكبرها يزن طنا ونصف طن . وقد نقشت عليه الكلمات التالية :

" المجد لله في العلى ، وعلى الأرض السلام " .

وفيها بهو واسع وجميل ، ومعبد ، وغرف عديدة للقراءة والجلوس . وقاعة واسعة للمحاضرات فيها ستماية واثنين وسبعين مقعداً . وغرف للألعاب الرياضية ومكتبة فيها اثنان وعشرون ألف مجلد من الكتب القيمة . وحمام للسباحة طوله عشرون متراً ، وعمقه يتراوح بين أربعة أقدام وتسعة . ويتبع لخمسة وخمسين ألف من الجالونات .

والبناء من الطراز البيزنطي القديم الذي بنيت على نسقه أكثر كنائس الشرق الأدنى مع شيء من التعديل يتلاءم وطلبات العصر الحديث ، ولقد نقشت على واجهته الأمامية الكتابات الثلاثة التالية ، تمثل الأديان الثلاثة المنتشرة في القدس وهي .

لا اله الا الله (باللغة العربية) .

لااله الا الله (باللغة العبرية) .

لا اله الا الله (باللغة الأرامية) .

وفي داخل العمارة آيات كثيرة من الإنجيل وصور تمثل حياة السيد المسيح في أكثر نواحيها .

وهناك جمعيات عديدة للبحث عن الآثار ، منها مدرسة الآثار البريطانية ، وجمعية البحث عن مدرسة الآثار البريطانية ، وجمعية البحث عن الآثار الفلسطينية The British Sch . of Archeology The Pal . Exploration Fund والمدرسة الافرنسية للبحث عن التوراة والآثار القديمة Ecole Biblique et Archeologique Francaise . والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو The Oriental Institute of The Uneversity of Chicago والجامعة العبرية ، والجمعية اليهودية للبحث عن الآثار الفلسطينية ، والمعهد الشرقي الألماني ، والمعهد الإنجيلي الألماني للبحث عن آثار القرون الوسطى في البلاد المقدسة Deutches Evangelishes Institute fur Altrerthum wissenschaft des Heiligen Landes والمدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية American Scool of Oriental Research .

المدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية:

في عام 1838 م هبط القدس عالم أمريكي يدعى الدكتور ادوارد روبنسون Dr Edward Robinson . وقد اهتم بدراسة آثارها . وفي عام 1848 هبطها الملازم لينش Wm . F . Lynch وكان على رأس بعثة أمريكية جاءت لتدرس وادي الأردن والبحر الميت . ثم هبطتها البعثة الأمريكية الفلسطينية التي يرأسها الدكتور روزويل د. هتشقوق Dr . Roswell D . Hitchcock رئيس كلية الالهيات في الولايات المتحدة .

وفي عام 1895 قام الاستاذ ثاير Thayer يحث أصدقاءه وزملاءه على تأسيس مدرسة أميركية لدراسة الآثار الشرقية بفلسطين . فلبى هؤلاء نداءه وما كاد ينقضي على هذا النداء خمس أعوام حتى تأسست المدرسة (1900 م) وكان يديرها

الدكتور شارل كتلر توري Dr. Charles Cutler Torrey من ييل ، برعاية مجلس من الأمناء يمثلون الجمعيات الثلاثة الآتي ذكرها وهي التي أمدتها بالعون والمال :

1) جمعية الآثار الأميركية

2) الجمعية الشرقية الأمريكية

3) جمعية التوراة الأدبية

ثم تولى إدارة هذه المدرسة الدكتور ويليام ف. آلبرت من سنة 1920 إلى 1929 ومن سنة 1933 إلى 1936 .

وفي سنة 1909 تولاها الأستاذ روبرت هاربر Robert F . Harber من جامعة شيكاغو . وفي عهده اشتريت الأرض التي بنيت عليها المدرسة .

وفي سنة 1925 أنشيء بناء المدرسة الجديد بفضل الدكتور جيمس نيس ب. Dr. James B. Nies وقرينتــه. وفي عـام 1931 أضيـف إلى ذلـك البنـاء جنـاح مـن الناحية القبلية . واتخذ هذا الجناح منزلا لسكن المدير .

وبذلك أقيمت على قطعة من الأرض مساحتها أربعة دونمات . في أجمل بقعـة من بقاع المدينة . وعلى بعد ربع ميل من باب الساهرة إلى الشمال . تدار كما تــدار الجمعيات التعاونية . ويشترك في إدارتها ستون كلية وجامعة مــن الكليـات الأهليـة والجامعات العلمية في الولايات المتحدة وفي كندا وتدفع كل واحدة منها مبلغاً معينـاً من المال في كل سنة . وفي سنة 1929 تبرعت مؤسسة روكفلر بمئتـين وخمسـين ألـف دولار . وفي سنة 1939 تبرعت المؤسسة نفسها بثلاثمئة وخمسين ألف دولار .

في المدرسة مكتبة تحتوي على ثمانية آلاف وخمسمئة مجلـد . هـذا خـلا الكتـب التي تخص مدرسة الآثار البريطانية والموجودة في البناء نفسه . وفيـها نـزل يـنزل فيـه العلماء وطلاب الجامعات المتقدم ذكرهــا الذيـن يـهبطون الأرض المقدسـة بقصـد دراسة آثارها القديمة .

أمراض القدس ومستشفياتها : لم نعثر في كتب التاريخ القديم على أخبار واضحــة عن الأمراض التي كانت معروفة في مدينة القدس وفيما جاورها من ديـار ؛ خـلا مـا قرأناه هنا وهناك عن انتشار (الطاعون) . وكان الأقدمون يصفونه بقولهم ، أنه وباء

ذو حمى شديدة الحرارة خبيثة تفسد بـه الأمزجـة والأبـدان . و (الكولـيرا) وكـانوا يسمونها الهيضة ؛ وهي انطلاق البطن . وكثيراً ما سمعنـا عـن (وبـاء) انتشـر هنـا وهناك ! . وقضى على السكان ! . دون أن يذكر المـؤرخ نـوع الوبـأ ! . ومـا إذا كـان الوبأ الذي حدث قبل بضع سنين ! .. أضف إلى ذلك أنا لم نعثر ، على أرقام تشـير إلى مبلـغ الخطـر الـذي تعـرض له السـكان سـوى قولهـم : أن الوبـاء قضـى علـى خلق كثير ! ..

من ذلك مثلا ، ما قاله مجير الدين عندما ذكر أحداث عام 873 هـ - 1468 م في الصفحة 621 من كتابه (الأنس الجليل) . إذ قال : " ان الوباء تفشي عـامئذ في مدينة القدس ، فأصاب الناس ضرر عظيم " ! .. ولم يذكـر أي نـوع مـن الوبـأ هـو الذي أصابهم؛ وإن قال أنه (أي الوباء) استمر أربعين يومـاً ، وأن الأمـوات كـانوا يغسلـون ليلاً ويحملون إلى صحن الصخـرة ، ومـن هـاك ينقلـون إلى المقـابر حيـث يدفنون .

وعاد في صفحة أخرى من صفحات كتابه - عندما ذكر أحداث سـنة 881هـ - 1476 م - فقال : " أن الوباء انتشر بـالقدس في تلـك السـنة ، واسـتمر تسـعة شهور . ومات من جرائه خلق كثير " .

وكثيراً ما كان المرء يقضي نحبه بمرض من الأمراض ، فيسأل الناس عن مرضه وعن الأسباب التي أدت إلى موته ؛ فيقال لهم : أوجعه بطنه ! . فمات ! .. وقد يكـون لوجع البطن هذا صلة بالمعدة أو الأمعاء أو المـرارة أو الكبـد أو أي نـوع آخـر مـن الالتهابات الباطنية .. أو السل والسرطان .. وما إلى ذلك من الأمراض التي لم تكـن معروفة في ذلك الزمن بأسمائها.

ولم يكن ثمة شيء يقال له : (إحصاء) وكـانت أول مـرة عرفـت فيـها مدينـة القدس احصاء المواليد والوفيات بطرق علمية كان ذلك، في أوائل القرن العشرين . وإنا لذاكرون فيما يلـي أرقامـاً اقتبسـناها مـن السـجلات الرسميـة لدائـرة الصحـة الحكومية عن المواليد والوفيات ، وعن الأمراض المعروفة أكثر من غيرهـا في مدينـة القـدس ، وعن عـدد الأشـخاص الذين أصيبوا بها وماتـوا مـن جرائـها ، في عـدد من السنين :



المرض	1928		1930		1933		1935		1937	
	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات
النزلة الصدرية	172	146	118	89	154	127	157	136	128	126
التدرن الرئوي	122	63	76	52	68	57	152	46	102	47
التيفوئيد	279	32	164	7	241	11	273	27	366	21
مرض الزهري	174	3	158	5	207	7	97	4	143	–
الحمره	53	6	36	6	44	9	58	18	21	3
الحصبة	68	4	91	8	112	9	102	4	29	5
الديزنتارية	95	6	57	1	36	5	31	2	35	4
داء الخانوق	28	2	17	3	17	–	46	10	27	9
السعال الديكى	140	1	15	–	45	3	4	1	50	1
الحمى النفاسية	14	7	4	1	8	3	8	6	7	3
الالتهاب السحائى	–	–	–	–	1	1	44	19	2	2
الالتهاب الحاد فى الأعصاب	7	2	2	1	3	2	1	1	1	1
الكزاز	3	1	3	1	2	1	2	2	8	5
الجذام	3	1	4	1	7	–	2	2	7	6

وتعرف القدس من الأمراض أيضا الانفلونزا ، والحمى القرمزية ، والحمى المعروفة بالمالطية ، والجمرةوالملاريا والتيفوس .

وفيما يلي نسبة المواليد والوفيات لجميع الأجناس والطوائف التي عاشت في بيت المقدس :

عام	المواليد	الوفيات
1925	2337	1435
1926	2549	1164
1927	2725	1493
1928	2970	1454
1929	3083	1327
1930	3201	1281
1931	3385	1337
1932	3265	1485
1933	3402	1503
1934	3489	1601
1935	3973	1808
1936	3977	1160
1937	3441	1311
1938	4090	1916

وفيما يلي نسبة وفيات الأطفال لجميع الطوائف التي تعيش في القدس :

125	157	في الألف
126	111	في الألف
127	120	في الألف
128	123	في الألف
129	101	في الألف
130	97	في الألف
131	104	في الألف
132	117	في اللف
133	107	في الألف
134	105	في الألف
135	93	في الألف
136	96	في الألف
137	92	في الألف
138	91	في الألف

هـذا عـن الأمـراض . وأمـا عـن المستشـفيات فقـد ذكـر في مواضـع سـابقة المستشـفيات الـتي عرفتـها القـدس في تاريخـها . ولا سـيما في العـــهود الفاطميــة والصليبية والصلاحية . وفيما يلي أسماء المستشفيات التي أقيمت في مدينـة القـدس وبقيت قائمة إلى عام 1947.

مستشفى مار يوحنا : لأمراض العيون . مطل علـى وادي حنـوم مـن الشـرق وبركة السلطان من الشمال . واقع في منتصف الطريق [1] التي تربط محطـة السـكة الحديد بباب الخليل . وله فرع في سوق الحصر بالمدينة القديمة داخل السور .

أسس في زمن الصليبيين . وفي قول أن نواته كانت مغروسة هناك منذ العـهد البيزنطي . وأما بناؤه على طريق المحطة فقد أنشئ في عام 1882 م . وقـد أدى لمدينـة القدس وما جاورها من ضياع خدمات جلى ، ولا سيما من حيث أمـراض العيـون . عدد الذين عولجوا فيه في كل عام (1946) مئة وخمسين ألفاً بعد أن كـانوا في بـدء تأسيسه سبعة عشر ألفاً . وتديره جمعية بريطانية . يسمونها : The Order OF The Hospital Of St . John

المستشفى الروسي : واقع في المسكوبية خارج السور . بناه الروس سنة 1859 بنوه لأنفسهم ولمن يفد إلى القدس بقصد الحج من أبناء روسيا . وهو أول بناء يقوم خارج السور في أواخـر العهـد العثمانـــي . وكـانت القـدس محصـورة قبـل ذلـك ضمن الأسوار .

اتخذتـه حكومـة فلسـطين بعـد سـقوط القـدس بيـد البريطـانيين (1917) مستشفى لموظفيها . ثم صار للناس أجمعين . وقد أطلـق عليـه بعـد ذلـك التـاريخ : مستشفى الحكومة .. وأما المرضى من البريطـانيين ، فقـد أعـدت لهـم عمـارة خاصـة بجانب باب المسكوبية من الشرق .

المستشفى الموراني ويسمونه مستشفى البرص مخصص لمداواة المجذومين . واقع بين حي الطالبية والكولونية الألمانية . أشرف على إدارته الدكتور توفيق كنعان مـن أطباء بيت المقدس باسم الجمعية المورافية بلندن والبناء لبلدية القدس . وقد بنته في عام 1867 . وتمده الحكومة بالمال .

---

(1) الأرض التي بني عليها هذا المستشفى منحهم إياها السلطان عبد الحميد الثاني (1882) .

المستشفى الافرنسي : ويسمونه أيضاً مستشفى القديس لويس . بني عام 1880 . واقع شمالي المدينة وعلى بعد بضع خطوات من السور عند الباب الجديد . وتمده الحكومة الفرنسية بالمال .

مستشفى الإرسالية الانكليزية : ويسمونه أيضاً مستشفى جمعية يهود لندن . بناه مطران الانكليز جورج فرنسيس بويهام بلايت . وكان ذلك حوالي سنة 1887 . والغاية من تأسيسه مساعدة اليهود ، ولا سيما أولئك الذين يراد تنصيرهم . إنه واقع في حي النبي عكاشة وسط الأحياء اليهودية غربي المدينة .

المستشفى الألماني : من اكبر المستشفيات في المدينة . عند مفترق الطرق المؤدية إلى رحافيا وشنلر وباب العمود . بني عام 1894 . ويسميه المقادسة : مستشفى المجيدي. ذلك لأن كل مريض يدخله كان عليه أن يدفع ريالاً مجيدياً عثمانياً . أغلق في الحربين العالميتين : الأولى والثانية . ففي الأولى استعمله الانكليز مستشفى لجنودهم. وفي الثانية ثكنة عسكرية .

المستشفى الإيطالي : يقع طريق القديس بولس .. عند مفترق الطرق المؤدية إلى باب العمود وباب الخليل وحي مياشورم بني حوالي عام 1910 م إنه من أكبر المستشفيات القائمة في المدينة الجديدة خارج السور . وله برج يطل على جميع أطراف المدينة .

مستشفى الموسبيس : واقع على درب الالام . عند مفترق الطرق المؤدية إلى باب العمود وحارة الواد . بناه في الأصل النمسويون نزلا لامبراطورهم فرنسوا جوزيف . وقد نام فيه ليلة عندما زار القدس سنة 1869 . ولكنه لم يستعمل كمستشفى إلا في أواخر الاحتلال البريطاني .

مستشفى بيت صفافا : بنته حكومة فلسطين في أراضي بيت صفافا . وخصصته لمعالجة الأمراض السارية . إنه واقع في مكان قريب من مفترق الطرق المؤدية إلى بيت صفافا وبيت لحم والقدس .

ولليهود في القدس مستشفيات، نذكر منها :

مستشفى المجانين : إنه عبارة عن ملجأ للمجانين والمعتوهين . أسسته جمعية يهودية تدعى عزرات نشيم . لا يقبل اليهود فيه أحداً من المرضى ، إلا إذا كان هذا

من أبناء جنسهم . وهو واقع غربي القدس في الحي المعروف برحافيا .

وللحكومة مستشفى للمجانين واقع في بيت لحم يقبل فيه المرضى من جميع الأجناس .

مستشفى روتشيلد : وقد سمي بعدئذ : مستشفى هداسا : كان قبل الاحتلال البريطاني يقوم في عمارة خارج السور ، بعد المسكوبية وكنيسة الحبش ، ولكنهم بعد الاحتلال نقلوه إلى عمارة ضخمة بنوها على جبل الزيتون . وكان ذلك في أوائل الاحتلال البريطاني . وإنه من اكبر المستشفيات القائمة في المدينة .

مستشفى تيخو : للعيون . أسسته جمعية يهودية تدعى (لمعنا صهيون) . وكان ذلك في سنة 1906 . ولما كان يديره طبيب للعيون يدعى تيخو، فقد أطلقوا على المستشفى أيضاً . إنه واقع قبالة المستشفى الإيطالي ، عند مفترق الطرق المؤدية إلى مياشروم والشيخ جراح .

وهناك مستشفيات أخرى . نذكر منها :

مستشفى ولخ . ومستشفى مزغاب لادخ . ومستشفى سادوفسكس . ومستشفى بيكو خوليم . كلها واقعة غربي المدينة خارج السور . إلا المستشفى الأخير وهو (بيكور خوليم) فإن له فرعين : أحدهما خارج السور ، قبالة المستشفى الألماني ؛ والآخر في الحي اليهودي داخل السور .

وفي القدس اليوم جمعية طبية يسمونها (الجمعية الطبية العربية . إنها فرع من فروع الجمعية الطبية العربية الفلسطينية التي تأسست عام 1944 . إنها في الحقيقة وليدة الجمعيات الطبية التي كانت في القدس . فقد تأسست فيها ، في ابتداء الحقبة الرابعة من القرن الحالي ، جمعية طبية كانت تعرف آنذاك بالجمعية الطبية لخريجي جامعة بيروت الأمريكية . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية (1939) أصبحت تعرف بالجمعية الطبية العربية . وفي عام 1944 تقرر تأليف جمعية تضم جميع الأطباء العرب الفلسطينيين وأسميت هذه (الجمعية الطبية العربية الفلسطينية) ولها فروع في القدس ؛ وحيفا ، ويافا ، ونابلس ، وغزة ، وبعض المدن الفلسطينية الأخرى .

رئيسها الدكتور توفيق كنعان ، وأمين سرها الدكتور محمود طاهر الدجاني .

ولها مجلة تصدر مرة في كل شهرين . نصفهـا باللغة العربية والنصف الآخر بالانكليزية .

وقد ساهمت هذه الجمعية في جميع المؤتمرات الطبية السنوية التي عقدت في العواصم العربية .

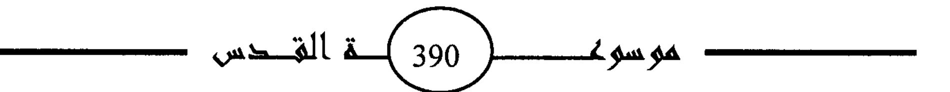
واعترف بها دولياً فاشتركت مع كثير من الجمعيات الطبية في العالم من أجل خير البشر .

وفي القدس مصلحة تعنى بـ (الصحة العامة) . يديرها مدير انكليزي . وأطباء بريطانيون يساعدهم أطباء فلسطينيون : مسلمون ومسيحيون ويهود .

وبلغت نفقات هذه المصلحة في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنين الانتداب (48/1947) 1.110.644 جنيهاً . وهذا البند هو الرابع من حيث الضخامة بين بنود النفقات التي تكبدتها الحكومة في تلك السنة .

مجاري القدس: في أواخر القرن التاسع عشر ، ولتصريف الأقذار في المدينة القديمة كان هناك مجرى قديم ، وأن هذا المجرى الذي أنشأه الرومان ينتهي عند سلوان . وظل وضع المجرى غامضاً إلى أن شاء القدر ، فانخفض جانب من الطريق عند باب القطانين من الغرب بفعل السيول والمطار (1931) . ولما قامت البلدية تسعى لتعمير المكان المنخفض ، ظل عمالها يحفرون في الأرض إلى أن عثروا ، على عمق مترين وتسعين جزء من مئة من المتر من سطح الأرض ، على قطعة من الأرض مرصوفة بالبلاط المعروف بالمزي والمصقول صقلاً جيداً . طول البلاطة يتراوح بين المتر والنصف المتر وسمكها ثلاثون جزءاً من المئة المتر . فاعتقدوا إنها جزء من شارع قديم ، عرفوا من حجارته ومن نوع الفخار الذي وجدوه هناك أنه من صنع الرومان في القرن الرابع للميلاد. ثم راحوا يتعمقون بالحفر في المكان نفسه . وظلوا يحفرون إلى أن عثروا على آثار شارع آخر . وهذا أيضاً مرصوف بالبلاط . ولكن بلاطة أقل صقلاً من الشارع الأعلى . وبين الشارعين ، الأعلى والأسفل ، متران وعشرة أجزاء من مئة من المتر .

ومما يجدر ذكره أنهم وجدوا ، على جانب الشارع الأسفل من الناحية الغربية،



مجرى عرفوا من حجارته ومن نوع الفخار الذي عثروا عليه هنـاك ، إنـه مـن صنـع الرومان في القرن الأول الميلادي .

وفي سنة 1942 حدث ، بالقرب من باب المغاربة وبفعل السـيول والأمطـار ، انخفاض آخر في الأرض . ولما شرعت البلدية في تعمير المكان المنخفض عثر عمالهـا على جزء آخر من المجرى الروماني المتقدم ذكره . فحفر على أثر ذلك ثلاثة أنفاق .

الأول بداخـل السـور ، في السـاحة الكائنـة إلى الغـرب مـن الخاتونيـة وإلى الجنوب من مكان حارة المغاربة ، وعلى بعـد مئـة مـتر تقريبـاً مـن جـدار الحـرم إلى الغرب . والثاني في الأرض المحاذية للسـور مـن الداخـل ، وإلى الغـرب مـن بـاب المغاربة . والثالث بين النفقين المتقدم ذكرهما ، وعلى بعد مئة متر من النفق الأول . والرابع خارج سـور المدينـة مـن الناحيـة القبليـة . ولقـد عـثروا في النفقـين الأول والرابع على آثار الشارع والمجرى اللذين اكتشـفا عنـد بـاب القطـانين سـنة 1931 واللذين تم ذكرهما في الأسطر المتقدمة .

أما الشارع فعرضـه عشـرة أمتـار وثلاثـون جـزءاً مـن مئـة مـن المـتر . وهـو مرصوف، كما قدمنا ، بالبلاط المعروف بالمزي والمصقول صقلا جيداً . وعلـى جانبيـه مصرف مفتوح تسيل فيه مياه الأمطار ، وهو عبارة عن تجويف بسيط عرضه ثلاثـون جزءاً من مئة من المتر.

وأما المجرى فإن الشطر الأكبر منه بالحجارة الكلسية ، والآخر محفور بالصخر . عرضه متر ، وارتفاعه متر ونصف . ولا شك في أنـه كـان لوضـع المدينـة وتكوينـها الطبيعي دخل كبير في تخطيطه . إذ أنه اتبع الأماكن المنخفضة في المدينـة . ومـا كـان هناك مكان أكثر انخفاضاً من الوادي الذي كانوا يسمونه بيومئذ : (وادي التروبين) وبقي يسمى (الواد) . وبعبارة أخرى أن المجرى الروماني القديم يقطع المدينـة مـن الشمال إلى الجنوب ، فيبدأ عند باب العمود ، ثم يمـر بحارة الـواد وبـاب السلسـلة وحارة المغاربة ، إلى أن ينتهي عند القرية المعروفة بسلوان قبلي المدينة .

هذا هو المجرى الأساسي . وكانت له مجار فرعيـة تصـل مـا بينـه وبـين أحيـاء المدينة الأخرى . لكن هذه الفـروع ليسـت مـن الحجـم والضخامـة بالدرجـة الـتي وصفت في الأسطر المتقدمة .

انتفعت المدينة من هذا المجرى قرابة خمسة عشر قرناً . ولقد ظهر من الحجارة المتنوعة التي استعملت في بنائه أنه رمم ، بعد عهد الرومان ، مراراً وتكراراً . وهناك آثار تدل على أن يد التجديد والترميم عملت على صونه وإبقائه بعد الفتح الإسلامي ، وفي العهد الصليبي، وفي زمن الأيوبيين ، والمماليك والأتراك أيضاً . ودلت تلك الآثار على أن المجرى الأساسي أصابه ، أثناء ترميمه ، شيء من التغيير والتبديل من حيث الاتجاه ونوع البناء .

ويظهر أن القسم الواقع شمالي السور من المدينة الجديدة والكائن بين باب العمود والمصرارة فالكرم المعروف بسعد وسعيد ، كان في أواخر العهد التركي ، مرتبطاً بالمجرى الروماني المتقدم ذكره .

ولقد بوشر ببناء مجار على الطراز الحديث حوالي سنة 1920 . فإنشيء عامئذ القسم الواقع بين باب الخليل وفندق اللنبي على بعد نصف ميل من الباب المذكور إلى الغرب . وعند باب الخليل تم اتصاله بالمجرى القديم .

ثم شرع بإنشاء المجاري العمومية على مقياس واسع في المنطقة الشمالية الغربية وهي المنطقة التي تشتمل على الأحياء الآتي ذكرها : ميشورم ، بيت اسرائيل، شارع بينا ، شنللر ، كرم رصاص ، طريق الحبس شارع تشانسلور ، روحاما، شارع ماملا ، القسم الواقع بين دار القنصلية الأمريكية والمركز التجاري القسم الكائن بين محنة يهودا وباب الخليل من شارع يافا ، قسم من وادي الجوز الكائن بين جبل الزيتون والمتحف الفلسطيني ، المنطقة الكائنة بين معسكر الجيش المعروف بكمب اللنبي على طريق بيت لحم وبركة السلطان .

وحفرت البلدية ، حوالي سنة 1938 ، مجرى كبير لتصريف الأقذار ؛ يبدأ عند باب العمود من خارج السور ، فيمر بوادي الجوز بين المتحف الفلسطيني وجبل الزيتون ، ومن هناك يسير باتجاه الجسمانية ، فوادي قدرون ، إلى أن ينتهي عند وادي السواحرة قبلي قرية سلوان .

ولقد كان طول المجاري الكائنة في مدينة القدس آنذاك (1947) ستة وخمسون كيلو متراً . ثمانية منها من النوع المعروف بالمجاري القديمة (ستة في داخل السور وإثنان في خارجه) . ثمانية وأربعون منها من النوع المعروف بالمجاري الحديثة .

والمجاري الحديثة مرتبطة بالمجرى الروماني القديم . وهي عبارة عن قساطل مصنوعة من الخزف المدهون ، ذات قطر يتراوح بين الست بوصات والأربع والعشرين بوصة. أتي بها من انكلترا وألمانيا .

وينفق على إنشاء المجاري العمومية من أموال البلدية . وأما المجاري الفرعية (أي التي تربط المنازل بالمجاري العمومية) فيتولى الإنفاق عليها أصحاب المنازل . ولا تتقاضى البلدية أجراً أو رسماً تلقاء ربط المجاري الفرعية بالمجاري العمومية . وإنما هي تتقاضى من الساكن رسماً معيناً قدره 2٪ من قيمة الإجار المخمنة تلقاء أعمال الصيانة .

وهناك مصارف ، غير هذه ، لتصريف السيول والأمطار ؛ وهذه مصنوعة من الاسمنت المسلح . لا يزيد سمكها عن المتر الواحد . وهي تختلف ، في داخل المدينة ، اختلافاً كلياً عن مجاري الأقذار . وأما خارج المدينة فقد أباحوا في بعض الحالات توحيد مصارف المياه ومجاري الأقذار .

صناعاتها : ليست القدس من المدن الصناعية . والصناعات القليلة التي قد تجدها فيها أقل اتقاناً من غيرها من المدن الساحلية . غير أنها تستهلك مصنوعات البلاد الأخرى بكثرة . إنها تعج بالمعاهد الدينية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية . وفي هذه المعاهد والمؤسسات ما لا يحصى من الموظفين المدنيين والعسكريين . ومن رجال الدين وأفراد الطوائف المختلفة . وهذا يجعلها سوقاً تجارية هامة لاستهلاك البضائع والمصنوعات التي تستوردها من البلاد الأخرى . هذا وأن القدس كانت فيما مضى مركزاً هاماً من مراكز صناعة الصابون في الشرق. إنها كانت تصنع الصابون وتصدره إلى مصر . إذ كان فيها وفيما حولها من الأراضي والجبال مساحات واسعة من أشجار الزيتون . وكثيراً ما قرأنا عن (الصابون القدسي) في اوائل العهد العثماني 975 هـ - 1567 م .

وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها في القرآن الكريم ، وفي أسفار العهد القديم . والذي يتتبع هذه الأسفار يرى أن أول من أتقن زراعة الزيتون وصناعة الزيت هم الكنعانيون . وقد أخذ الفلسطينيون عنهم هذه الصناعة فقد كانوا يعنون بشجرة الزيتون اعتناء شديداً . وورث المقدسيون عن آبائهم الأقدمين هذا الميل . فاعتنوا بزراعة الزيتون عناية تامة . وكان عندهم عدد كبير من معاصر

الزيت وكانوا يخزنون الزيت في آبار يحفرونها تحت الأرض لهذه الغاية . وكان هذا من الكثرة بدرجة أن المقدسيين [1] سكبوا في سنة من السنين الزيت القديم المتجمع لديهم، ليجدوا أوعية كافية لخزن الزيت الجديد . وكانوا يستعملون الزيت للأكل وللضوء وللعلاج . فيدهنون به جروحهم وأطراف بدنهم عملاً بالحديث النبوي الشريف : كلوا الزيت وادهنوا به " . ثم راحوا يصدرونه إلى الخارج . ولما راجت تجارة الزيت زاد اعتناؤهم بزراعة الزيتون . ثم راجت بينهم صناعة الصابون. وانتعشت هذه في زمن من الأزمان إلى درجة أن القدس راحت تباهي المدن الأخرى بصابونها . وكان فيها عدد كبير من المصابن . وكان صابونها رائجاً في أنحاء فلسطين الأخرى وفي أسواق الشرق الأدنى ولا سيما في مصر .

عندما جددت المقابر المختلف عليها بين المسلمين والمسيحيين فوق جبل صهيون سنة 1023 هـ -1614 م ؛ ذكر (التل المطل على بركة السلطان والذي يتجمع فيه صلصال [2] المصابن) كنقطة لأخر حدود القسم الذي حكم به قاضي المسلمين للمسيحيين من المقبرة .

غير ان هذه الصناعة تضعضعت بعد سنة 1876 يوم اكتسحت المدينة أسراب كثيرة من الجراد ، وأتت على قسم كبير من أشجار الزيتون [3] فلم يبق في القدس يعد ذلك التاريخ سوى سبع مصابن : خمسة للمسلمين واثنتان للمسيحيين. وكانت هذه المصابن تنتج في ذلك الحين 280.000 رطلاً من الصابون في كل سنة . والمصابن السبع التي ذكرناها في السطور المتقدمة لم تعش طويلاً . إذ أتى الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1917) ، على ما تبقى في القدس وفي ما حولها من البلدان من أشجار الزيتون. ليستعملوا حطبها للوقود بدلاً من الفحم الحجري في تسيير القطارات . فقضى بذلك على معظم أشجار الزيتون التي كانت تحيط بالمدينة من كل جانب .

---

(1) الوثيقة 20 من مجموعة اسطفان .

(2) الطين وهو ما يسميه أرباب هذه الصنعة بالطفل .

(3) Warren , P . 500

وبعد أن كانت القدس من المدن الفلسطينية المعروفة بزيتها وصابونها ، أصبحت في المؤخرة من هذه الناحية وليس فيها اليوم مصبنة واحدة ، وقد دلت الإحصاءات التي قامت بها مصلحة الزراعة بفلسطين على أن القدس تأتي في الدرجة العاشرة بين المدن التي تزرع الزيتون في فلسطين ، كما ترى ذلك في الكشف التالي وهو يبين المساحات المزروعة زيتوناً في فلسطين عام 1931 م والتي بلغت نصف مليون دونم ، وعدد أشجار الزيتون المغروسة فيها 4.059.950 وهذه توزع بين المدن الفلسطينية بالنسبة الآتية :

عدد	المدينة
634185	نابلس
624885	عكا
600000	جنين
507120	الرملة
495000	طول كرم
357500	رام الله
225000	صفد
150000	حيفا
141435	الناصرة
90000	القدس
77865	طبريا
68400	الخليل
45000	بيت لحم
29250	يافا
10965	غزة
3045	بيسان
300	أريحا

صناعة النسيج : كان في القدس ، أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1917)، بضع مئات من الأرمن اللاجئين . ولقد فكرت جمعية الصليب الأحمر الأميركية في تشغيل هؤلاء اللاجئين بقصد الاستفادة منهم ، وتمرينهم على أعمال يربحون بها رزقهم . وبدلا من توزيع الهبات عليهم أستت لهم أنوالاً . فراح هؤلاء يغزلون وينسجون . وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج في مدينة القدس .

عندما غادرت هذه الجمعية القدس بسبب انتهاء الحرب ، تولت أعمالها من هذه الناحية ، جمعية محبي القدس . وراحت تعمل هذه الجمعية على جعل هذه الصناعة ، صناعة الغزل والنسيج ، صناعة دائمية ترتكز عليها مدينة القدس من الناحية الصناعية . وقررت أن تقوم هذه الصناعة في (سوق القطانين). تلك السوق التي عمرتها سنة 1919 .

عادت صناعة النسيج فانتعشت خلال الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) . وأسست في القدس عدة مصانع للغزل والنسيج . منها ما هو عرب ، ومنها ما هو افرنجي ، أو يهودي . ولكن هذه الصناعة ما برحت في حاجة إلى التوسع والتحسين .

صناعة القاشاني: كانت في أوائل الاحتلال الانكليزي، منحصرة في رجل ارمني، اسمه : (أوهانسيان). وفي دار الأيتام السورية المعروفة باسم : (شنللر الألمانية). فعملت جمعية محبي القدس، بمساعدة مصلحة المعارف، على إحياء هذه الصناعة وتشجيعها. إذ أنها من الصناعات التي كانت فيما مضى من الأزمان معروفة في القدس. وقد قام عدد من صناع الخزف والقاشاني المسلمين بصنع البلاط القاشاني الملون الذي احتاج إليه المجلس الاسلامي من أجل عمارة الصخرة (1920-1922).

صناعة القزاز والخزف: تأسس في القدس، وفي الطريق المعروفة بدرب الآم، وبتشجيع من جمعية محبي القدس، عام 1921. استخدم فيه عدد من الخلايلة الماهرين في هذه الصنعة. ولكن هذه الصناعة لم تنجح كثيراً، رغم أنها من الصناعات التي كانت معروفة بالقدس فيما مضى من الأزمان.

صناعة البلاط: من الصناعات التي عملت على إحيائها جمعية محبي القدس (1919م)، ومن الغريب أنه بينما كانت الاعانات والهبات المجموعة بقصد إعانة

اللاجئين من الارمن هي التي استخدمت، في بادئ الأمر، من أجل إحياء صناعة النسيج؛ وقد استفاد منها العمال المسلمون. فإن الأمر كان على عكس ذلك في صناعة البلاط. تلك الصناعة التي انتشعت بفضل الأموال التي أنفقتها مصلحة الوقف الإسلامية، واستخدمت فيها عمالاً من الارمن. ولقد ساعدت الحاجة على انتعاش هذه الصناعة. إذ أن المجلس الإسلامي يرغب في الحصول على مقادير وافية من البلاط، ليضعه مكان البلاط الذي سقط والذي أصبح على وشك السقوط في مسجد الصخرة. واستحضر عمالاً ماهرين ومن دمشق، لأجل مناظرة العمل. وكان بينهم عدد من الارمن أيضاً. وخلال البحث عن ذلك عثر على الأفران القديمة التي كان يصنع فيها البلاط قديماً في منطقة الحرم الشريف. وقد تم فيها صنع مقادير وافرة من البلاط المعروف بالصيني، وكان ذلك بإدارة مصلحة الوقف ونظارة خبير ارمني جاء من كوتاهية خصيصاً لهذه الغاية، إلا وهو : (داود ارهانسيان).

صناعة الشمع: أنها من الصناعات التي اشتهرت في القدس. والشمع المقدسي يصنع بأحجام كبيرة. ومنها ما يحتوي على تعاريج وتجاعيد جميلة. والبعض يطبع عليه صور وأوراق وزهور. ويباع الشمع بكثرة في الأعياد. ومن هنا نشأت تجارة الشمع. وهي تجارة رابحة.

صناعة خشب الزيتون: وبالأحرى صناعة النقش والحفر في خشب الزيتون. ومنهم من يستطيع أن يحفر في الخشب مناظر تاريخية تلفت النظر باتقانها. ومن الخشب يصنعون أدوات مكتبية دقيقة الصنع، ولعب للأطفال مختلفة الأشكال والألوان.

البيض: أنها من الصناعات القديمة التي اشتهرت في القدس. فتراهم يثقبون البيضة بثقوب صغيرة بواسطة إبرة دقيقة لإخراج آصها (بياضها) ومحها (صفارها). وبعد الانتهاء من تنظيفها يطرزون عليها بالإبرة العادية رسوم وتعاريج وزهور تبهج النظر. وهي توضع عادة في أقفاس جميلة مصنوعة من النخل المجدول.

جدل النخل: للمقدسيين تفنن خاص في جدل النخل. ويتجلى هذا في أيام الأعياء.

الصور النباتية: وهناك صناعة الصور النباتية. وهي قطع من الكرتون المصقول اللامع، تطبع عليها الرسوم. ثم يلصق حول هذه الرسوم بعض الزهور الجميلة الألوان التي تظهر علاة في سهول فلسطين وجبالها وأوديتها بعد تجفيفها وكبسها.

تجارتها: أنها تستورد الحبوب التي تحتاج إليها من شرق الأردن وحوران وجنوب فلسطين. والخضار من سلوان وعين كارم وبيت صفافا والقرى الأخرى المجاورة لها. ومن المدن القريبة منها كأريحا والرملة ويافا. وفي بعض الأحيان تستوردها من مصر والشام. ولهذا تكاد الخضار لا تنقطع من أسواقها: لا في للصيف ولا في الشتاء، ويستطيع المرء أن يجد فيها الملفوف والقرنبيط والخس والشمندر والجزر والخيار والبندورة والكوسا والباذنجان والبصل والثوم والفجل والبازلا والفليفلة والهليون والأرضي شوكه والعنب والبطيخ والتفاح والليمون والبرتقال وجميع أنواع الفواكه والخضار.

أوزانها ومكاييلها:

الأوزان القانونية المستعملة في الأسواق المتقدم ذكرها في سنة (1947):

الدرهم [1] = 3.205 غرام.

الأوقة [2] = 400 درهم = 1.282 كيلو

القنطار [3] = 100 رطل = 225 أوقة

= 288.450 كيلو غرام

الرطل [4] = 12 أوقية = 2.250 أوقة

= 900 درهم = 2.884 كيلو غرام

الأوقية [5] = 75 درهم = 240.637 غرام

وأما المكاييل القانونية فهي كما يأتي:

الذراع [6] = 24 قيراط

الذراع [7] = 67.75 سانتمتر (للثياب)

الذراع[8] = 75.80 سانتمتر للأراضي والأبنية

الدونم [9] = (التركي) = 1600 ذراع مربع

= 919.3 متر مربع

الدونم [10] (المتري) = 1000 متر مربع.

(1-2) و (6-10) هذه الأوزان والمكاييل مستعملة في جميع فلسطين، وأما (3-5) فإنها مستعملة في القدس وفي جنوب فلسطين فقط. وأما في الخليل وفي شمال فلسطين فتختلف عنها بعض الاختلاف.

أسواقها:

ومن أسماء الأسواق المنتشرة في مدينة القدس: سواء أكانت في داخل السور أو في خارجه.

سويقة علوان: تمتد من الموقف الكائن تجاه القلعة من الغرب حتى ملتقى طريق البازار وحارة النصارى من الشرق. يهبط المارة منها في درجات مرصوفة متتابعة.

سوق البازار: تمتد من سويقة علون غرباً حتى ملتقى سوقي الحصر واللحامين شرقاً.

سوق الحصر: سوق قديمة صغيرة. واقعة في آخر سوق البازر من الشرق تجاه سوق اللحامين من الجنوب.

سوق اللحامين: تبتدئ عند منتهى سوق البازار من الشرق وتسير في اتجاه شمالي حتى سوق النحاسين. وهي سوق مقبوة في سقفها نوافذ مفتوحة يدخل منها النور والهواء.

سوق النحاسين: واقعة إلى الشمال من سوق اللحامين، وإلى الجنوب من باب خان الزيت.

سوق العطارين: سوق طويلة مقبوة، في سقفها نوافذ منها أشعة الشمس فتضيئها. أنها واقعة بين سوق التجار من الشرق، وسوق اللحامين والنحاسين من الغرب.

سوق الباشورة: تجاه سوق العطارين من الجنوب. كانت فيما مضى مقر الحكام المماليك.

سوق التجار: كائنة إلى الشرق من سوق العطارين، وتسير على محاذاة نصفها القبلي، ثم تتصل بها. وهذه السوق أيضاً مقبوة. وفي سقفها نوافذ تنفذ أشعة الشمس منها فتضيئها. ويسميها البعض (سوق الصياغ).

سوق اليهود: مقابلة لسوق التجار والصياغ، يفصل بينهما بعض دكاكين. وهي سوق طويلة تمتد من نقطة تلتقي عندها سوق التجار بالسوق الكبير في الشمال، إلى مكان قريب من النبي داود في الجنوب. كان معظم تجارها من اليهود. ولما ثار العرب على اليهود (1936) بسبب وعد بلفور، هجرها معظم اليهود. فحل مكانهم عدد كبير من تجار الخليل المسلمين.

السوق الكبيرة: ويسمونها سوق الخضرة. تبدأ عند ملتقى سوق اليهود بسوق التجار غرباً، وتمتد حتى باب السلسلة شرقاً. وإذا ما سار المرء في اتجاه شرقي، وجب عليه أن يهبط في درجات واسعة متتابعة. بعض أقسامها مقبوة، ولها نوافذ في سطحها. وفي منتصفها إلى الشمال خان رحب يعرف بخان السلطان. فيه بعض المطاحن والمعاصر.

سوق باب السلسلة: واقعة في الجانب الأخير لسوق التجار من الشرق، متصلة بها وبسوق الدلالين، كأنها كلها سوق واحدة. ومن هذه السوق يتفرع نحو الجنوب زقاق يهبط المار منه في درجات. وهذا الزقاق يؤدي إلى البراق (حائط المبكى) إلى الغرب من سور الحرم.

سوق باب القطانين: غربي الحرم وملاصقه له. تمتد من الشرق إلى الغرب. فيها دكاكين يظهر من بنائها أنها ليست قديمة العهد. وأما السوق نفسها فإنها قديمة العهد. كانت على عهد المماليك من أحسن أسواق المدينة وأكثرها ازدحاماً وأتقنها بناءاً أو ارتفاعاً. وكانت تباع فيها أقمشة قطنية وأخرى حريرية تأتي من الهند. في وسطها حمام يعرف بحمام الشفا وهو خاص بالرجال، وعند منتهاها الغربي حمام آخر يعرف بحمام العين. يرتاده الرجال والنساء في أوقات مختلفة. وأمامها من الناحية

الغربية شارع موصل إلى دار الأيتام الإسلامية، فحارة القرمي فسوق باب خان الزيت.

سوق باب خان الزيت: شرقي كنيسة القيامة وعلى بعد ثلاثمئة ذراع منها. تبدأ من الناحية القبلية عند ملتقى سوق القطانين بالسوق الموصلة إلى كنيسة القيامة، وتنتهي من الناحية الشمالية عند ملتقى سوق باب العمود بدرب الآلام. أكثرها مقبوة، في سقفها نوافذ، إلا أنها قليلة، لا تساعد على نفوذ أشعة الشمس منها إلا قليلا.

سوق باب العمود: كائنة بين باب خان بيت الزيت في الجنوب وباب العمود في الشمال. وبين السوقين زقاق إذا ما سار صاعداً باتجاه الغرب جال إلى الخانقاه الصلاحية، فحارة النصارى. وإذا ما سار هابطاً نحو الشرق جال إلى الحارة المسماة بـ (الواد). وهذه السوق قديمة العهد بعضها، وهو القسم القبلي وجانب من القسم الشمالي، مقبو، والبعض الآخر، وهو الوسط، مفتوح.

سوق باب حطه: كائنة في الحي المعروف بحي باب حطه شمالي الحرم. مستقلة عن جميع أسواق المدينة ومنفردة.

السوق الجديدة: بباب الخليل وعلى بعد سبعين ذراعاً منه إلى الشرق تجاه القلعة. يراها الداخل إلى المدينة القديمة من باب الخليل على يساره.

سوق افتيموس: من أملاك البطريركية الأرثوذكسية. اشترى أرضها البطريرك اثنابيوس سنة 1837 [1]. وبنى فوقها ارشمندريت افتيموس[2] سوقاً سميت فيما بعد على اسمه. وهي واقعة إلى الغرب من كنيسة الدباغة وبالقرب من شارع البرنس فريدريك وليم.

سوق حارة النصارى: سوق كبيرة وطويلة وقديمة. تمتد من سويقة علوان في الجنوب إلى الخانقاه الصلاحية في الشمال.

---

(1) تاريخ كنيسة اورشيد ص 191.

(2) أحد رهبان دير الروم. كان رئيساً لكنيسة القيامة 1884 .

ومن هذه السوق تتفرع سوق أخرى باتجاه الكنيسة. وهذه السوق مقبوة. فيها دكاكين تباع فيها الشموع والمسابح والصلبان والأواني المستعملة في الصلوات والطقوس الدينية.

وبعد الخروج من الباب الشرقي لساحة الكنيسة، تأتي إلى سوق مفتوحة ومبلطة؛ ولكنها قصيرة، لا يزيد طولها عن مئتي متر. وهي واقعة إلى الشمال من سوق افتيموس وكنيسة الدباغة.

وأما الأسواق التي في خارج السور. نذكر منها:

سوق باب الخليل: إلى الجنوب من الباب المذكور. كان في القسم الجنوبي منها فيما مضى خندق ملاصق للسور. فطمته البلدية وجعلته سوقاً. ثم انقلب إلى موقف عام للسيارات والباصات. يقابله في الناحية الثانية عدد كبير من الحوانيت والمطاعم والدكاكين التي تباع فيها الخضار. وكذلك القسم الغربي عند مبدأ شارع يافا فإنه ذو صفين: الصف الأيمن منه فيه المخازن المعدة لبيع الأقمشة والملبوسات والمقاهي والصيدليات، والأيسر فيه بعض المطاعم والمطابع والبنوك.

سوق طريق ماملا: تتفرع عن سوق باب الخليل. وتسير باتجاه مقبرة ماملا. إنها من أوسع الأسواق الكائنة خارج المدينة وأنظمها، وهي سوق عربية. فيها عدد كبير من المكاتب والوكالات والبنوك والمخازن والمصالح الحكومية وغير الحكومية.

سوق روميما : كائنة في حي روميما . وهو آخر الأحياء الكائنة غربي المدينة . إنها ملاصقة للحي العربي المعروف بحي الشيخ بدر .

سوق باب العمود : شمالي السور . وعلى بعد بضعة أمتار من الباب المذكور . تسير في اتجاه حي المصرارة . وتباع فيها الفواكه والخضار بالجملة . وفيها أيضاً عدد من الصيدليات والمخازن المعدة لبيع الحبوب وأدوات البناء . كما أن فيها عدداً من المقاهي والخياطين وعيادات الأطباء ومواقف الباصات والسيارات .

سوق المصراره : فرع من سوق باب العمود .

سوق مياشورم : سوق طويلة ، يكثر فيها بيع السمك والخضار والدواجن والألبان ، والحاجيات المنزلية . وهذه السوق يهودية بحتة .

وفيما يلي عدد المخازن والدكاكين الكائنة في المدينة، مصنفة بالنسبة إلى أنواع الحرف والصناعات وبنسبة الأديان التي ينتمي إليها محترفوها، فيقول:

في القدس 5110 دكاكين: منها 1358 للمسلمين و 954 للمسيحين و2798 لليهود. وذلك كما يلي:

عدد متسلسل	نوع الحرفة أو الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
1	مطاحن القمح والحبوب	1	2	5	8
2	المخابز والأفران	7	6	31	44
3	الدكاكين المعدة لبيع الخبز	4	3	13	20
4	الدكاكين المعدة لبيع اللحوم	43	8	78	129
5	الدكاكين المعدة لبيع السمك	2	-	28	30
6	الدكاكين المعدة لبيع السقط (المصارين)	3	-	8	11
7	معامل النقانق واللحوم المقددة	-	-	1	1
8	سماسرة الفواكه والخضار	20	1	14	35
9	الدكاكين المعدة لبيع الفواكه والخضار	63	5	105	173
10	الدكاكين المعدة لبيع الألبان	2	1	26	29
11	الدكاكين المعدة لبيع الدواجن	3	-	19	22
12	الدكاكين المعدة لبيع البيض	5	-	16	21
13	مخازن البقالة (بالجملة)	14	15	45	74
14	مخازن البقالة (بالمفرق)	293	84	450	827
15	معامل الحلويات	15	2	7	24
16	الدكاكين المعدة لبيع الحلويات	29	6	30	65
17	معامل المعكرونة	-	-	2	2
18	معامل الثلج	1	1	1	3
19	مخازن الثلج	-	-	2	2
20	الدكاكين المعدة لبيع المثلجات	17	17	11	45
21	مطاحن البن	6	3	11	20
22	المصابن	-	-	2	2

23	معاصر الزيت	9	4	-	13
24	معامل المياه المعدنية	1	-	5	6
25	الفنادق والمنازل	17	18	44	79
26	المقاهى والمطاعم	79	48	99	226
27	دور السينما	-	2	5	7
28	معامل البيرة ومعاصر الخمور	-	-	4	4
29	مستودعات المشروبات الروحية	-	8	8	16
30	الحوانيت المعدة لبيع الخمور	-	15	39	54
31	مستودعات السجاير والتبغ والتمباك	-	-	3	3
32	الدكاكين المعدة لبيع الدخان والتمباك (بالجملة)	1	2	4	7
33	الدكاكين المعدة لبيع الدخان والتمباك بالمفرق	2	3	19	24
34	معامل الكبريت	-	-	1	1
35	الدكاكين المعدة لبيع أدوات التجميل	1	5	6	12
36	صالونات التجميل	1	1	7	9
37	الحلاقون	46	30	62	138
38	الدكاكين المعدة لبيع الزهور	-	-	13	13
39	معامل الروائح العطرية وأدوات الزينة .	-	-	1	1
40	المختبرات الباثولوجية.	-	-	2	2
41	معامل المواد الكيماوية والعقاقير والمستحضرات الطبية.	-	-	2	2
42	مستودعات العقاقير (بالجملة)	-	8	7	15

الاتصالات والمواصلات:

وأما مخابراتها البرقية ، فإنها تجري بواسطة أسلاك البرق الممتدة بينها وبين بلاد الشرق المجاورة لها . ومع أوربا بواسطة الأسلاك الممتدة بينها وبين حيفا . ومن هناك بخط بحري (Cable) إلى أوربا . ومن الولايات المتحدة عن طريق لندن .

وهناك اتصال لاسلكي بينها وبين أوربا ، وبينها وبين الولايات المتحدة وأنحاء العالم الأخرى. تقوم به شركة ماركوني الإيطالية ، ومقرها في مصر .

وأما اتصالاتها الجوية فإنها تجري مع أوروبا وإفريقيا وأوستراليا بواسطة طائرات شركة الطيران الإنجليزية – The British Overseas Corporation لما وراء البحار ، ومع الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة طائرات شركة الطيران الأمريكية Pan-American AirWays Service وهذه الشركة تنقل البريد من القدس إلى أمريكا عن طريق إفريقيا الغربية وميامي .

وهناك مواصلات جوية بين القدس وسوريا أيضاً وبينها وبين العراق ومصر .

وبلغت نفقات الحكومة على مصلحة البرق والبريد في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنوات الاحتلال البريطاني (1947–48) 1.375.333 جنيهاً . وهن أكبر بند في الميزانية بعد مصلحة الأمن .

البلدية :

أن أول بلدية منظمة للقدس تأسست في سنة 1863 . وأنها كانت عبارة عن هيئة محلية صغيرة ذات سلطة محدودة وواردات ضئيلة لم تكن تتجاوز الـ 500 جنيه سنوياً . ولبثت الميزانية في تزايد حتى بلغت في الحرب العالمية الأولى (1914–1917) احد عشر ألف جنيه .

سارت الحكومة الإنجليزية في فلسطين في بادئ الأمر ، على الخطة التي سار عليها الأتراك قبل الاحتلال من حيث إعطاء لشعب حق الانتخاب . فكان دافعوا الضرائب ينتخبون ممثليهم في المجلس البلدي . وعدد الأعضاء ستة : أربعة من العرب ، واثنان من اليهود . وكانت الحكومة تختار من بين هؤلاء الأعضاء رئيساً من ذوي الأهلية والاقتدار . وظلت تسير على هذا المنوال حتى أوائل عام 1927 .

وكان رئيساً للبلدية عند بدء الاحتلال ، حسين سليم أفندي الحسيني ، فموسى كاظم باشا الحسيني ، فراغب بك النشاشيبي . ثم انتخب للرآسة الدكتور حسين فخري الخالدي . وفي سنة 1945 اعتقلته الحكومة ونفته إلى سيشل فأقامت مكانه مصطفى بك الخالدي . ولما توفي هذا تسلمها بالوكالة الأضون دانيال أوستر . ولم يكن الأعضاء العرب راضين عن هذا الوضع . إذا لم يسبق أن تولى رئاسة بلدية

القدس يهودي . ولذلك فقد استقالوا . عندئذ عينت الحكومة لجنة (11 تموز 1945) لإدارة الشؤون البلدية ؛ رئيسها وجميع أعضائها من الإنكليز . ووظيفة المجلس البلدي تنحصر في أعمال النظافة والتنوير وفتح الطرق ورصفها ومراقبة البناء والتنظيم وما إلى ذلك من الشؤون التي تعود بالخير على سكان المدينة. وقد بلغت موازنتها في العام (47/1946) 557.296 جنيهاً . وأما في هذه السنة (48/1947) فإنها 750.000 جنيه .

القدس من الناحية الإدارية والسياسية :

إنها ليست فقط مركز اللواء الإداري الأول المعروف باسم (لواء القدس) . بل هي عاصمة فلسطين كلها من أدناها إلى أقصاها . وفلسطين (1947) واقعة تحت الانتداب البريطاني . يديرها مندوب سام انتدبته بريطانيا ، بصفتها دولة منتدبة من لدن عصبة الأمم . ويساعده في إدارته مجلسان : مجلس استشاري ، وآخر تنفيذي. فالمجلس الاستشاري مؤلف من : المندوب السامي (رئيساً) والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، ومدير البوليس ، ومدير الصحة ، ومدير الأشغال، ومدير المعارف ، ومدير الزراعة ومصايد الأسماك ، ومدير الجمارك والتجارة ومدير السكك الحديدية ، وحكام الألوية ، ومدير البرق والبريد ، ومدير مصلحة الإحصاء والمهاجرة ، ومدير تسجيل الأراضي ، والمستشار الاقتصادي ، ومدير مصلحة العمل (أعضاء) .

وأما المجلس التنفيذي فمؤلف من المندوب السامي (رئيساً) ، والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، وحاكم لواء القدس فقط (أعضاء) .

والقدس مركز اللواء الذي يحمل نفس الاسم : لواء القدس . وهو مؤلف من أربعة أقضية هي :

(1) القدس (2) بيت لحم – أريحا

(3) خليل الرحمن (4) رام الله

أما قضاء القدس فيتبعه 66 قرية هي : أبوديس ، إم طوبا ، بتير ، بيت دقو ، بيت حنينا ، بيت اجزا ، بيت اكسا ، بيت عنان ، بيت جمال ، بيت محسير ، بيت نوبا،

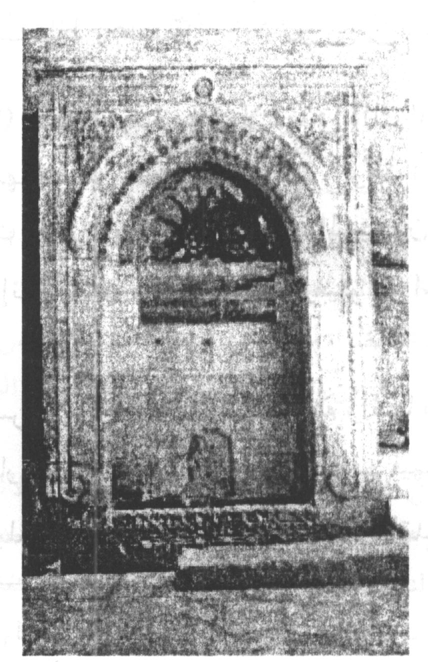
بيت صفافا ، بيت سوريك ، بيت ثول ، بيت ام الميس ، بدو ، بير نبالات ، البريج، جبعة ، جرش ، الجيب ، الجديرة ، الجورة ، حزما ، خربة اسم الله ، خربة العمور ، خربة اللوز ، دير أبان ، دير الشخ ، دير رافات ، دير ياسين ، دير عمرو ، رافات ، الرام ، ساريس ، سلوان ، شرفات ، شعفاط ، اشوع ، ساطاف ، صوبا ، صرعة ، صور باهر ، الطور ، عسلين ، العيزرية ، العيسوية ، عين كارم ، عين رافا ، عرطوف ، عقور، لفتا ، عناتا ، العنب ، قالونيا ، قطنة ، قلندية ، القسطل ، القبيبة ، كسلا ، كفر عقب ، المالحة ، مخماس ، النبي صموئيل ، نطاف ، الوجلة .

وأما مساجد القدس وجوامعها الأخرى ؛ فهذه أسماءها ومواضعها، (1947).

عدد	اسم المسجد أو الجامع	الحي الذي يقوم فيه
1	جامع قبة موسى	داخل الحرم أمام باب السلة
2	جامع باب حطة	داخل الحرم عند باب حطة
3	جامع كرسي سليمان	داخل الحرم في الجهة الشرقية
4	جامع المغاربة	داخل الحرم عند باب المغاربة
5	جامع باب الغوانمه	داخل الحرم عند باب الغوانمة
6	جامع دار الإمام	داخل الحرم عند باب المجاهدين
7	جامع خان الزيت	خارج الحرم داخل السور فى سوق خان الزيت
8	جامع حارة اليهود الكبير	خارج الحرم فى الطرف القبلي لحارة اليهود
9	جامع حارة اليهود الصغير	خارج الحرم فى الطرف الشمالى لحارة اليهود
10	جامع سويقة علون	خارج الحرم في سويقة علون
11	جامع القلعة	داخل القلعة بباب الخليل
12	جامع الخانقاه	خارج الحرم . داخل السور. إلى الشمال الشرقى من كنيسة القيامة
13	جامع قمبر	خارج الحرم . داخل السور. على يمين الداخل من باب الحديد
14	الجامع العمري	خارج الحرم . داخل السور. قبلي كنيسة القيامة
15	الجامع اليعقوبى	خارج الحرم . داخل السور
16	جامع بني حسن	خارج الحرم . داخل السور .

عدد	اسم المسجد أو الجامع	الحي الذي يقوم فيه
17	جامع حارة الأرمن	خارج الحرم . داخل السور.
18	جامع طريق النبي داود	خارج الحرم . داخل السور .
19	جماع حارة الجوالدية	خارج الحرم . داخل السور .
20	جامع الشيخ لولو	خارج الحرم .داخل السور
21	الجامع الصغير	خارج الحرم . داخل السور
22	جامع البراق الشريف	خارج الحرم . داخل السور
23	جامع خان السلطان	خارج الحرم . داخل السور
24	جامع القرمي	خارج الحرم . داخل السور
عدد	**اسم المسجد أو الجامع**	**الحي الذي يقوم فيه**
25	جامع حارة النصارى	خارج الحرم . داخل السور
26	جامع البازار	خارج الحرم . داخل السور
27	جامع الزاوية النقشبندية	خارج السور
28	الجامع المسعودي	خارج السور
29	جامع الشيخ جراح	خارج السور
30	جامع وادي الجوز	خارج السور
31	جامع حجازي	خارج السور
32	جامع النبي داود	خارج السور
33	جامع عكاشة	خارج السور
34	جامع المطحنة	خارج السور





مقابر المسلمين وتربهم في القدس

للمسلمين في القدس مقابر كثيرة : منها ما كان مستعملاً فيما مضى ، واندثر مع الزمن . ومنها ما لا يزال مستعملاً. وهي:

1- **مقبرة ماملا :** وتسمى أيضاً مأمن الله . إنها من أكبر المقابر الإسلامية في بيت المقدس . مساحتها تقرب من مئتي ألف متر مربع . واقعة غربي المدينة وعلى بعد كيلو مترين من باب الخليل . كانت فيما مضى بعيدة عن العمران . وقد أصبحت في وسط البنيان بسبب اتساع المدينة وازدياد عدد السكان . ولهذا أصدر المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه المفتي الحاج أمين الحسيني أمراً يحظر دفن الأموات فيها . وكان ذلك في عام 1927.

اختلف الباحثون في تسميتها . فمن قائل : إنها (ماملا) . وهذه الكلمة مشتقة من (ماءملا) . وملا اسم ذاك المكان قديماً. وفي ذلك قال الشاعر[1]:

رعى الله وادينا المقدس أنه حوى روضة الفردوس أجداث ماملا

مآثر رضوان ومهبط رحمة أحيت من عالم الغيب ماء ملا

وقيل أن (ماملا) اسم لقديسة بنيت لاسمها في ذلك المكان كنيسة بيزنطية ، وإن هذه الكنيسة هدمها الفرس عام 614 للميلاد . وألقوا في البركة التي كانت قائمة هناك والتي كانت تدعى (بركة ماملا) بجثث المسيحيين الذين قتلوهم .

ومن قائل [2]: إنها مشتقة من (ماء ميلو) وميلو هو اسم الحي الذي كان هناك في سابق الأزمان .

وروي عن الحسن [3] أن أصلها : (مأمن الله وأنها مدفن الخلاصة الأبرار الوارد في فضلها الأخبار والآثار . إلى أن قال : إن من دفن فيها كأنما دفن في السماء) .

وقد ذكرها النابلسي في رحلته فقال : إنها بظاهر القدس من جهة الغرب .

---

(1) سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس) للرحالة اللقمي ص 163 .

(2) (السير السليم في يافا والرملة واورشليم) ص 243.

(3) (سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس) للرحالة اللقمي ص 163.

أكبر مقابر البلد . وفيها خلق كثير من الأكابر والأعيان والشهداء والصالحين ، وفيها عدد كبير من الصحابة والتابعين . إلى أن قال "وقيل أن أصلها (مأمن الله) وقيل (باب الله) . ويقال (زيتون الملة). واسمها عند اليهود (بيت ملو) وعند النصارى (بابيلا) والمشهور على ألسنة الناس (ماملا) .

ومهما كان مصدر اسمها ؛ فإنها أقدم مقابر القدس عهداً ، وأوسعها حجماً ، وأكثرها شهرة . ولقد ساير تاريخها تاريخ المدينة . ففي هذا المكان دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين اثناء الفتح الإسلامي 636 ب.م . وفيه عسكر صلاح الدين يوم جاء ليسترد القدس من الصليبيين 1187 ب.م . ولقد كانت ولا تزال في أيدي المسلمين منذ قرون . يجلونها إجلالاً منقطع النظير . وذلك لأنها تعج بالعدد الوفير من الصحابة والمجاهدين والعلماء والأقطاب الصالحين . منهم :

1- الفقيه ضياء الدين أبو عيسى محمد الهكاري [1] .

2- الشيخ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد القرشي الهاشمي [2]

3- قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة (675 هـ - 1276 م).

4- الكمال ابن أبي شريف .

5- الأمير علاء آيد وغدي بن عبدالله الكبكي [3]

---

(1) مستشار صلاح الدين. افتداه الملك بستين ألف دينار عندما أسره الصليبيون. توفي في الخروبة قرب عكا سنة 5585-1289. فحمل إلى القدس. ودفن بماملا.

(2) مغربي أصله من الجزيرة الخضراء بالأندلس. قدم إلى بيت المقدس وأقام إلى أن توفي 599 ـ-1202م ودفن بماملا، وكان من الصالحين، له ضريح جدد عمارته الشيخ أبو بكر الصدقي سنة 72هـ-1322م.

(3) ورد ذكره في (المنهل الصافي) لأبي يوسف بن المغرب بردتي الأنابكي. مخطوط أخذت صورة فوتوغرافية له وهي محفوظة في مكتبة الجامعة العبرية بالقدس. حضر الوقعة بين المعز أيبك التركماني والملك الناصر صاحب دمشق (947هـ-1250م). وتنقلت به الأحوال حتى صار من جملة إمراء الديار المصرية، فتولى في زمن الظاهر بيبرس نيابة صفد، ثم نيابة حلب، ثم حبس. ثم أطلق سراحة.

6- المقر العالي عمر بن ابراهيم بن عثمان بن علم الواسطي (684هـ -1285م) .

7- الأمير صلاح الدين محمد ازدمر السلحدار الناصري (697هـ - 1297م) .

8- ابراهيم بن محمد (708هـ - 1308م) .

9- القاضي شرف الدين منيف الحاكم بالقدس الشريف (714هـ - 1313م) .

10- الشيخ شرف الدين عيسى إمام الحرم القدسي (719هـ - 1319م) .

11- ايدمر الشيخاني ناظر الحرمين (721هـ - 1321م) .

12- الشيخ العابد الزاهد جلال الدين العقيلي المعروف بابن القلاني. بنى له الأمراء بمصر زاوية ، وترددوا عليه . ثم انتقل إلى القدس فتوفي بها سنة 722هـ - 1322م ودفن بماملا.[1]

13- الشيخ الصالح أبو عبدالله محمد بن ابراهيم المصري . توفي سنة 723هـ - 1323م ودفن بماملا .

14 - الحاج عليوان بن ابراهيم الرندي .

15- شهاب الدين بن جبارة المقدسي النحوي الحنبلي . له تصانيف كثيرة منها : شرح الشاطبية ، والرائية ، وألفية ابن معطي . توفي سنة (728هـ - 1327م).

16- الشيخ حسام الدين .

17- قاضي القضاة عماد الدين القرشي[2] (734هـ - 1333م) .

= كان أميراً شجاعاً. وكان فارساً ماهراً. قالوا أنه إذا ركب فرسه كان يضع تحت إبهام رجله درهما في الركاب. فلا يقع. وأن الدرهم الذي كان يضعه في ركاب فرسه كان من النوع المعروف بـ(القبق). وهو نوع من العملة التي كانت فيما مضى مستعملة في هذه البلاد. ومن هنا جاء اسم (القبقية) وهو اسم القبة التي مدفون فيها بماملا. ذكرها محي الدين في كتابة (الانس الجليل) ج2 ص414 كما ذكرها المستشرق الهولندي (ماكس فان برشام). وكذلك فعل المستشرق الإفرنجي (كيلومانت غانو) في كتابة Archeologica Researhes in Palestine Vol 1, 286.

(1) مؤلف قدير اكتشف قبره سنة (1946) وهو إلى الشمال من قبة القبقية)

(2) شارح الصحيح مسلم.

18- الشيخ أبو عبدالله الهندي (773هـ - 1371م) .

19- شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفدا اسماعيل القرقشندي (778هـ - 1376م) .

20- بهادر أخوالت طنشق [1] المظفرية (789هـ - 1387م) .

21- الشيخ عبدالله البسطامي [2] (794هـ - 1391 م)

22- الشيخ الإمام القدوة أبو بكر الشيباني [3](797هـ - 1394م) .

23-الشيخ محمد بن أبي جوز .

24- شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم . تولى التدريس في المدرسة الصلاحية . وتوفي سنة 815هـ - 1412م . ودفن بماملا .

25- قاضي القضاة شمس الدين الخالدي الديري (847 هـ - 1423م) .

26- شيخ الإسلام أبو عبدالله محمد الرازي من ذرية فخر الرازي . ولي نظر القدس والخليل . وكان يدرس بالصلاحية . توفي بالقدس سنة 829هـ - 1425م . ودفن بالبسطامية بماملا .

27- قاضي القضاة وشيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس الأموي المصري المشهور بابن الحمرة . ولي تدريس الصلاحية . وتوفي سنة 844 هـ - 1440م).

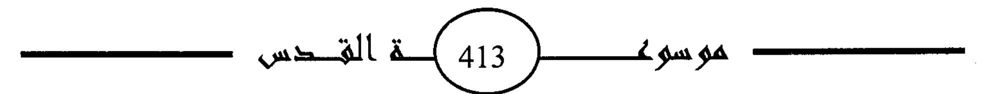
28- أبو الحسن البدري (844م - 1440م) .

---

(1) هي التي بنت الدار الكبرى التي فيها مدرسة الأيتام الإسلامية. وقد دفنت في القبة الكائنة مقابل الدار المذكورة في عقبة التكية. وقد بنت قبل موتها فوق قبر أخيها بهادر الذي دفن بماملا قبة. كان في الموقع الذي تقوم عليه هذه القبة كنيسة العهد البيزنطي تعرف بـ (الدير الأحمر). ثم حولت إلى زاوية إسلامية عرفت فيما بعد بـ (القلندرية) نسبة إلى بانيها الشيخ ابراهيم القلندري ولم يبق من القلندرية شيء.

(2) مدفون في الحوض المعروف (البسطامية) بماملا. وكان يدفن فيه فقراء هذه الطريقة، اندثرت آثاره فلم يبق منه سوى قبر الشيخ علي العسفي المعروف بمرشد السالكين، وهو في أقصى المقبرة في الشمال.

(3) من كبار مشايخ الصوفية .



29- النجم بن شهاب الدين (844هـ- 1440م).

30- أبو الحسن البدري (844م-1400م).

31- شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن آرسلان [1] (844هـ - 1440م) .

32- الإمام أبو عبد الله الذرعي [2] (848هـ - 1444م) .

33- القاضي برهان الدين أبو اسحق الخزرجي المشهور بابن نسيبة (852هـ - 1448م) .

34- قاضي القضاة تقي الدين أبو بكر الرصاصي .

35- الأمير ركن الدين منكورس الجاشنكير .

36- شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد المشهور بابن الهائم (شيخ العلوم الرياضية بالمشرق) .

37- القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن شمس الدين الخالدي . ولي نظر الحرمين بالقدس والخليل . (856هـ - 1452م) .

38- المحدث عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن برهان الدين القرقشندي (861هـ - 1456م) .

39- الشيخ عثمان الحطاب المصري من أعيان الصالحين بمصر (892هـ - 1486م).

40- قاضي القضاة خير الدين أبو الخير الإمام المقري الغزي المقدسي . ولي قضاء القدس سنة (876هـ 1471م) . ودرس بالمعظمية . توفي بالقدس سنة (894هـ - 1488م) . ودفن بماملا .

41- الشيخ أحمد بن علي بن يس الدجاني [3] (969هـ - 1561م) .

---

(1) مؤلف (صفوة الزبد) ، وشارح (سنن أبي داود) . وشارح (البخاري) و (منهاج البيضاوي). ذكره مجير الدين في كتابه (الأنس الجليل) ص 487 .

(2) صديق القرمي والبسطامي .

(3) جد العائلة الدجانية . ذكره ابن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) ج8 ص 355 فقال عنه أنه الإمام العالم العامل العارف بالله أحد أصحاب سيدي علي بن ميمون وصاحب سيدي محمد بن عراق ، كان يحفظ القرآن ومنهاج النورس . رأى النبي (صلعم) في نومه وهو في خلوته بالأقصى ، فأشار عليه بتعلم النحو . فتعلمه . دخل دمشق في سنة 951هـ بسبب قضاء حوائج

42- نجم الدين الخيري الرملي بن خير الدين الرملي [1] .

2 - **مقبرة الساهرة :** عند سور المدينة من الشمال ، وعلى بعد بضعة أمتار من الباب المعروف بالساهرة . إنها من المقابر الإسلامية الكبيرة . قديمة العهد . ذكرها النابلسي في رحلته فقال : أنها تشتمل على قبور عدد كبير من الصالحين ، وأنها واقعة فوق الزاوية الأدهمية . وذكرها أيضاً مجير الدين الحنبلي في تاريخه. فقال عنها : " أنها البقيع الذي إلى جانب طور زيتا من جهة الغرب". وعن إبراهيم بن أبي عبلة أنها هي التي أشير إليها في القرآن الكريم عند قوله تعالى " فإذا هم بالساهرة " .

ومن اسمائها : (مقبرة المجاهدين) . ذلك لأن المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين وقضوا نحبهم أثناء الفتح ، قد دفنوا فيها .

كانت فيما مضى أكبر وأوسع مما هي عليه. وقد عثر المتأخرون على قبور كثيرة في البقعة التي تقوم عليها دار جماعة الإخوان المسلمين وغيرها من العمارات القائمة إلى الشمال والغرب من المتحف الفلسطيني . وكان الناس فيما مضى يسمون هذه البقعة . (مقبرة المجاهدين) . والاعتقاد سائد بأنها ليست إلا جزءاً من المقبرة الكبيرة التي يطلق عليها : (مقبرة باب الساهرة) .

3- **مقبرة باب الرحمة :** عند سور الحرم من الشرق . أنها من المقابر الإسلامية المشهورة . كانت فيما مضى أوسع [2]،فضاقت حتى أصبحت لا تتسع إلا إلى عدد محدود من القبور . فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا في فتح

=الناس عند نائب الشام وكاتب الولايات . وخطب في جامع دمشق خطاباً ارتاح إليه الناس ، وزار الشيخ محي الدين بن عربي . وكان صالحاً قانتاً عابداً خاشعاً .

(1) كان مفتي الأحناف بالقدس .

(2) عندما وسع المجلس البلدي الطريق التي تمر من أمام كنيستي مريم والجثمانية ، عثر العمال على قبر مؤرخ القدس الشهير مجير الدين .. مؤلف كتاب (الأنس الجليل) .. عثروا عليه في مكان لا يبعد عن كنيسة مريم سوى بضعة أمتار . فرفعوا العظام من مكانها . ونقلوها إلى مكان آخر قريب منه . وبنوا على قبره الجديد قبة صغيرة ترتكز على أربعة أعمدة . وقد كتبوا على (الحجر الشاهد) هذه الكلمات : " هذا قبر الفقير إلى الله تعالى القاضي عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين العلمي الفخري المقدسي مؤرخ القدس توفي سنة سبع وعشرين وتسعماية .

بيت المقدس أثناء الفتحين : العمري والصلاحي . ومن المدفونين فيها عبادة بن الصامت الأنصاري البري الذي توفي سنة 34 للهجرة - 654 م وشداد بن أوس النصاري الذي مات سنة 58 للهجرة - 677 م . وقد جاء ذكرهما في كتب التاريخ الإسلامية . كما ذكرهما اللقمي في كتابه (سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس) ص 72 فقال :

يمم مقام عبادة بن الصامت	والشهم شداد بباب الرحمة
فهما الإمامان اللذان تفيئا	من صحبة المختار اينع دوحة
شهدا المشاهد والمواقف كلها	بشراهما فإذا بأرفع رتبة
فإذا وصلت إلى الحما فانزل به	متأدباً وأجرى سواكب عبرة
والثم ثرى أعتابه بتذلل	وأهدى مع الرضوان حسن تحية

ذكرها العالم الهولندي المشهور : (ماكس فان برشام) . فقال : أنها كانت مدفناً للأخشيديين .

4- **(المقبرة اليوسفية)** : عند باب الأسباط وإلى الشمال من مقبرة باب الرحمة . كل ما نعرفه عن ماضيها أن الذي عمرها هو الأمير (قانصوة اليحياوي) كافل المملكة الشامية . وكان ذلك سنة 872 للهجرة - 1467 م . ويدفن فيها المسلمون موتاهم .

5- **مقبرة النبي داود** : واقعة في حي النبي داود على جبل صهيون . وأنه يوجد هناك ثلاث مقابر ، لا مقبرة واحدة . كلها لآل الدجاني . إحداها كبيرة وهي واقعة شرقي النبي داود . أنها مخصصة لعائلة الشيخ سليمان الدجاني وحفدته . والثانية متوسطة وهي لعائلة الشيخ أنيس الدجاني وحفدته . والثالثة صغيرة وهي مخصصة لدفن أطفال آل الدجاني . ويسمونها (تربة المنسي) نسبة للشيخ محمد المنسي . وهو صحابي وأنه الجد للعائلة الدجانية[1] .

والشيخ محمد المنسي ذكره الحنبلي في تاريخه فقال : " أنه اشترك في فتح بيت

---

(1) عارف العارف، القدس، ص 510 .

المقدس [1]. وتوفي فيها. ودفن في محلة بالقرب من سيدنا داود عليه السلام. وأراد أمير الأمراء موسى باشا أن يعمل عليه قبة ، وعين من حفر الحدود وجور الجور ورمى الحجارة . عندئذ قام النصارى ومنعوه . ولما جاء خلفه مصطفى باشا راح أهل القدس يرجونه (صدقة عنه وعن ولده) أن يجعل عليه قبة .فصدر أمره إلى معمار باشي القدس الشريف بأن يعمر به قبة من حجارة قصر النقيب [2].

رأيت مقبرة المنسي . وهي مقبرة صغيرة طولها 15 متراً وعرضها 15 واقعة جنوبي مقبرة الأرمن والسريان ومحاطة بسور.

وهناك ترب كثيرة أخرى في القدس ؛ نذكر منها [3] :

1- **تربة علاء الدين البصيري :** بباب الناظر من أبواب الحرم من الناحية الغربية إلى الشمال . مدفون فيها آيدغدى بن عبدالله الركني الأمير علاء الدين الأعمى الزاهد ناظر الأوقاف بالقدس الشريف . له آثار جميلة بالقدس والخليل والمدينة المنورة . عاش في القدس إلى أن مات (سنة 693هـ - 1293 م) . وقد ذكره أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي في مخطوطه (المنهل الصافي [4]) . " ولعل لقب البصيري أطلق عليه لأنه وإن كان أعمى من حيث الجسم أنه كان بصيراً من حيث الفعل والفكر " .

2- **التربة الأوحدية :** قريبة من باب حطة شمال الحرم . ذكرها مجير الدين [5] فقال : إن منشئها هو الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى . وكان ذلك في 20 ربيع الثاني 697هـ - 1398م .

---

(1) السجل 203 الصفحة 48 .

(2) يقصد نقيب الأشراف بالقدس السيد محمد الذي ثار على لأتراك سنة 1517هـ - 1705م فتغلبوا عليه وهدموا قصره .

(3) جمع (تربة) . والتربة هي المقبرة إذا أريد التعميم . والقبر إذا أريد التخصيص .

(4) ج2، ص 36.

(5) الأنس الجليل . ص 391 .

3- **التربة الجالقية** : في رأس درج العين بطريق باب السلسلة عند ملتقى هذه الطريق بطريق الواد . ذكرها مجير الدين [1] فقال : أنها وقف ركن الدين بيبرس الصالحي العجمي المعروف بالجالق . وهو مدفون بها . توفي في 10 جمادى الأولى سنة 707 هـ - 1307م . وكان من أمراء الشام في دولة الملك المنصور قلاون .

4- **التربة السعدية** : بباب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية عند مدخل الحرم . واقفها الأمير سعد الدين مسعود بن الأمير االاسفهسلار بدر الدين منتصر بن عبد الله الجاشنكر الرومي الحاجب بالشام في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون . تاريخ وقفها 27 ربيع الآخر 711 هـ (1313/9/12) .

5- **التربة الكيلانية** : في جوار المدرسة الطازية من الغرب . إنها منسوبة إلى الحاج جمال الدين بهلوان بن الأمير شمس الدين قراد شاه بن شمس الدين محمد الكيلاني اللاهجي المشهور بابن الصاحب كيلان .

عندما ذكرها مجير الدين [2] قال : أن المذكور جمال الدين أوص ابنه الأمير نظام الدين كهشروان بأن يصرف من ثلث مئة ألف درهم فضة ، ويدفع ذلك إلى ابن أخي الأمير الموصى علاء الدين علي بن بهاء الدين سالار بن شر ملك الكيلاني ، ليبتاع بذلك مكاناً ويعمره تربة بالقدس الشريف أن تهيأ نقله ودفنه هناك . تاريخ الوصية 10 شعبان 753 هـ - 1352 م . وقد عمرت هذه التربة وبها ضريحه ونقل إليها كما أوصى به .

6- **تربة توركان خاتون** : إلى الشمال من طريق باب السلسة عند التقاء هذه الطريق بطريق الواد . مدفون بها توركان خاتون بنت طقتاي بن سلجوتاي الأزبكي . ماتت سنة 753هـ - 1352م .

7- **التربة الطشتمرية** : بالقرب من الكيلانية . وقف الأمير طشتمر العلائي . أنشأها سنة 784هـ - 1382 م . وتوفي بها بعد سنين .

---

(1) الأنس الجليل . ص 396 .

(2) الأنس الجليل . ص 396 .

8- **تربة القرمي :** هو الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد القرمي بكسر القاف وفتح الراء . مولده في سابع عشر ذي الحجة سنة عشرين وسبعماية . نشأ في دمشق . وسمع الحديث بها . ثم أقام ببيت المقدس . وبنى بها زاويته المعروفة وتوفي بالقدس نهار الأحد التاسع من صفر سنة ثمان وثمانين وسبعماية (1386م) . ودفن بزاويته المشهورة . ودفن عنده ولده الشيخ زين الدين عبدالقادر . وكان رجلاً صالحاً من أعيان بيت المقدس . توفي سنة 843هـ .

9- **تربة المثبت :** على بعد بضعة أمتار من تربة القرمي إلى الشمال من الغرب . على الطريق بين باب خان الزيت والحرم . مدفون بها الشيخ أحمد المثبت . ذكره النابلسي فقال : " أنه كان نقيب الشيخ محمد القرمي ، وأن قبره تجاه قبره ، بينهما زقاق في مكان معمور " .

10- **تربة الملك حسام الدين بركه خان مقابل المدرسة الطازية بخط داود بالقرب من باب السلسلة** . عمرت هذه التربة سنة 792 هـ . وفيها المكتبة الخالدية (1389م) .

11- **التربة المهمازية :** ذكرها مجير الدين فقال : أن واقفها هو الأمير ناصر الدين المهمازي . وكانت على عهده مسكناً أما الأمير ناصر الدين فربما هو الأمير ناصر الدين الذي ولي نظر القدس والخليل على عهد الملك الناصر محمد بن قلاون (729هـ - 1328م) وكان يطلق عليه لقب (مشد الأوقاف) أو ربما هو الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر الفخر بن الظاهر الذي كان نائباً عن السلطان على عهد الملك الظاهر بقرقوق (789 هـ - 1387 م) ؟ أو ربما الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب الذي تولى نيابة السلطنة على عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي (882 هـ - 1488 م) .

12- **تربة الست :** واقعة في عقبة التكية إلى الشمال من دار الأيتام الإسلامية . ويسمونها أيضاً تربة خاصكي سلطان . ذلك لأنه مدفون بها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان (960 هـ - 1552 م) . اسمها الأصلي روكسيلانة . وقيل أنها روسية الأصل . ثم أسلمت .

13- **تربة الشيخ جراح :** على طريق نابلس وعلى بعد كيلو مترين من سور المدينة إلى الشمال . كانت هناك زاوية لها وقف وموظفون . وقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي أحد أمراء الملك صلاح الدين . توفي في شهر صفر سنة 598 هـ - 1201 م ودفن فيها . عندما ذكرها مجير الدين قال: " أن بظاهر هذه الزاوية من القبلة قبور جماعة من المجاهدين يقال أنهم من جماعة الجراحي " .

14- **القيمرية :** واقعة بالقرب من مزار سيدنا عكاشة في الحي الكائن غربي القدس . ذكرها مجير الدين فقال : قبة محكمة البناء بظاهر القدس الشريف من جهة الشمال مما يلي الغرب . نسبتها لجماعة من الشهداء المجاهدين في سبيل الله قبورهم بها . وهم : الأمير الشهيد حسام الدين أبو الحسن بن أبي الفوارس القيمري . وفاته في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وستماية (1250 م) . والأمير ضياء الدين موسى بن أبي الفوارس . وفاته في عاشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وستماية (1250 م) . والأمير حسام الدين بن حسن القيمري ووفاته في رابع عشر الحجة سنة إحدى وستين وستمائة (1262 م) . والأمير ناصر الدين ابن حسن القيمري . وفاته في عشرين صفر سنة خمس وستين وستماية (1266 م) . وبالقبة المذكورة قبر الأمير ناصر الدين محمد جابر بك أحد أمراء الطبلخانة بالشام وناظر الحرمين بالقدس الشريف والخليل. وفاته ليلة الاثنين حادي عشر المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة (1374م) . وبظاهر القبة المذكورة تربة بها قبور جماعة من المجاهدين .

15- **ضريح عكاشة :** واقع في حي معروف باسمه . ويسمونه : حي النبي عكاشة . إلى الشمال الغربي من المدينة . أنه قريب من القبة المعروفة بالقيمرية بناء محكم ، في داخله ضريح الصحابي الجليل عكاشة . وفيها مسجد كان المسلمون المقيمون على مقربة منه يغشونه ويصلون فيه صلواتهم الخمس .

الأماكن المسيحية المقدسة

لكل طائفة من الطوائف المسيحية في القدس كنائس وأديار . وهناك ارساليات دينية جاءت من الغرب .. ونزلت القدس في تواريخ مختلفة ، ولهذه

الارساليات أيضاً كنائس وأديار . ومن الأماكن المسيحية المقدسة ما يلي:

كنيسة القيامة :

بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين (335) . بنتها في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب الذي صُلب عليه المسيح كما يعتقد النصارى. وأحرقها الفرس (614) . وأحرقوا معها جميع الكنائس والأديار التي كانت يومئذ في القدس. فأعاد بناها (636) الراهب مودستوس رئيس دير العبيديين في ذلك الحين .

ولما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس (636م) أعطى النصارى أماناً لأنفسهم ولكنائسهم ، ولم يصبها بأذى ؛ حتى أنه أبى أن يصلي في كنيسة القيامة وقد حان وقت الصلاة وهو فيها ، رغم أن البطريرك صفرونيوس أشار عليه بأن يصلي حيث كان ، إلا أنه اعتذر وصلى على مقربة منها . وخشي إن هو صلى في الكنيسة أن يتخذ المسلمون ذلك من بعده حجة وأن يطالبوا بحق لم يكن لهم فيها.

ولقد رمم البناء الذي أقامه مودسطس ، البطريرك توما الأول (817م) ؟ وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون . وأحرقت الكنيسة وسقطت قبتها في عهد الإخشيد سلطان مصر (965 م) . وجرت بعد ذلك محاولات كثيرة لبناء القبة من جديد ، إلا أن تلك المحاولات انتهت بالفشل . ولكنهم عادوا فعمروها في زمن البطريرك يوسف الثاني (980م) . وأمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها ، فهدمت (1099 م) . وهدم معها الأقرانيون وكنيسة قسطنطين . ولكنه عاد فأجاز للنصارى أن يعيدوا البناء من جديد . فشيدوا يومئذ كنيسة القبر المقدس فقط . شيدوها على غير شكلها الأصلي . وحال فقرهم دون اتمام الباقي . وسمح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (1035م) . للنصارى ببناء الكنيسة من جديد . فشرعوا في بنائها . وتمّ البناء الجديد على عهد قسطنطين منوماخس (1048م) .

ولما احتل الصليبيون القدس (1099م) وجهوا اهتمامهم إلى تعميرها ، ولقد حافظوا على ما كان فيها من مبان . غير أنهم جمعوا المعابد في كنيسة واحدة ، فوحدوا كنيسة أنسطاسيا وكنيسة الشهداء والمعابد الأخرى . وبنوا شرقي القبر كنيسة هي التي عرفت بعدئذ بكنيسة (نصف الدنيا) . وشادوا برجاً للأجراس .

وعندما احتل صلاح الدين القدس (1187م) أشار عليه بعض أصحابه أن يهدمها ، كي لا يبقى الغرب حجة لغزو البلاد المقدسة ؛ فرفض إشارتهم ، بل آثر الاقتداء بعمر بن الخطاب ، فأبقاها ، وأمر المسلمين بألا يصيبوها بسوء . غير أنه اقتطع جانباً من دار القسوس المجاورة لها فاتخذها مسجداً ورباطاً (خانقاه) للصلحاء الصوفيين .

ولقد رممت كنيسة القيامة بعد ذلك التاريخ مراراً عديدة . كما رمم بناء القبر المقدس في وسطها . وكان أهم الحوادث ما جرى لها في 1808 م ؛ يوم استعرت النار في معبد الأرمن ، امتد اللهب إلى أنحاء الكنيسة ، فسقطت القبة . ولم يسلم من الأذى إلا جانب من الجلجلة وكنيسة القديسة هيلانة ومعبد اللاتين ..

وحصل الروم على إذن من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة ، فرمموها (1810م) . وشادوا فوق القبر المقدس البناء الذي تراه في يومنا هذا . وتصعدت الكنيسة أثر الزلزال الذي حدث في القدس على عهد ابراهيم باشا (1834م) . وآخر ترميم جرى لها في أواخر القرن التاسع عشر ، يوم اتفقت الدول الثلاث (فرنسا وروسيا وتركيا) على أن تقوم الدولتان (فرنسا وروسيا) بنفقات التعمير وأن تتولى تركيا الإشراف على التعمير . وهذا ما جرى . ولقد بلغت النفقات التي صرفت لتعميرها يومئذ (1869 م) أربعين ألف ليرة ذهباً .

ولقد أصاب كنيسة القيامة ما أصاب غيرها من العمارات القديمة إثر الهزة الأرضية التي ألمت بالقدس عام 1927م . فتداركت الحكومة البريطانية المنتدبة الأمر بما تيسر من الوسائل التي تساعد قليلاً في درء خطر عاجل ، ولا تنفع كثيراً في إزالة خطر آجل . وشدت البناء في مواضيع معينة بالخشب والاسمنت المسلح بالحديد (1930 - 1933 م) . وكذلك الزلزال الذي تبعه . حتى أن الحكومة نصحت الناس ألا يدخلوا الكنيسة قائلة إنها لا تتحمل أية مسؤولية إذا هم أصروا على الدخول .

ويرى الناظر إلى كنيسة القيامة من الخارج، قبتين كبيرتين الواحدة أكبر من الأخرى بقليل . فالكبرى ، وهي إلى الغرب ، هي القائمة فوق القبر المقدس . والأخرى ، وهي إلى الشرق ، هي قبة كنيسة نصف الدنيا . تلك الكنيسة القائمة تجاه القبر المقدس .

وتنضوي إلى هاتين القبتين كنائس أخرى مختلفة في المساحة والشكل والقدم . وتتألف من هذا كله مجموعة من الكنائس يطلق عليها : (كنيسة القيامة) .

وتقدر مساحة الأرض القائمة عليها كنيسة القيامة بنحو ثمانين متراً في ستة وستين متراً .

وفي كنيسة القيامة ، عدا عن قبر المسيح كما يعتقد النصارى، سبعة قبور : اثنان منها ليوسف الرامي وأسرته وهما في معبد كائن غرب القبر المقدس . وإثنان في مدخل الغرفة التي تراها إلى يمينك إذا ما دخلت الكنيسة من بابها القبلي الكبير. وهما لغودفري وبولدوين من ملوك الصليبيين . وواحد في حجرة للروم يسمونها : (حبس المسيح)، ولا يدري أحد لمن هو هذا القبر ؟ وهناك أمام الكنيسة من الخارج قبر سادس لانكليزي من قادة الصليبيين ، هو فيليب دويتي . والسابع قبر (الأربعين شاهد) عند كنيسة مار يعقوب .

ولقد عثر القائمون على كنيسة (مار يعقوب) الملاصقة لكنيسة القيامة من ناحيتها القبلية، على خمسة قبور محفورة في جدار الكنيسة المذكورة من الداخل ، قالوا أنها لا بد وأن تكون لعدد من البطاركة الأقدمين .

وهناك في كنيسة القيامة ، ثلاث عشرة بئراً تتجمع فيها مياه الأمطار .

وكان الناس فيما مضى يخلعون نعالهم قبل أن يدخلوا الكنيسة . ويظهر أن هذه العادة دامت حتى أوائل القرن التاسع عشر . ثم زالت .

وفيما يلي أسماء الأشخاص من نصارى بيت المقدس الذين يحملون الإعلام في سبت النور سنة (1947) :

الترتيب	اسم العائلة	اسم الشخص
1	عائلة سلمان	الياس أو صليبا أو عيسى سلمان
2	عائلة الأجرب	جيران الأجرب
3	عائلة الحبش	نخلة متري الحبش
4	((الحرامي والبغل	جرجي الحرامي
5	((القرعة	زخريا جريس القرعة
6	((كتوعة	سمعان أو عيسى كتوعة

7	((الشماع	موسى الشماع
8	((كتن	حنا جريس كتن
9	((المحشي	يعقوب المحشي
10	((أبي زخريا	داود أبو شهلة
11	((منصور	ميخائيل منصور
12	((عائلة علوشية	نقولا عنصره
13	((أبي زخريا	ستاوري زخريا

ويقوم على حراسة أبوابها عائلتان اسلاميتان ؛ وهما :

(أ) . آل جودة .

(ب) . آل نسيبة .

وقد اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الذي تولتا فيه هذه المهمة . وأن اتفقوا في القول إن (آل جودة) هم الذين يحتفظون بالمفاتيح وأن (آل نسيبة) هم الذين يفتحون الكنيسة في مواعيدها المقررة . ومتى فتح هؤلاء الباب ، أعادوا المفاتيح إلى أولئك . وهكذا دواليك .

هناك قول يؤيده آل نسيبة أن هذه الوظيفة بأيديهم منذ زمن عمر بن الخطاب (636م) ، أن أول من تسلمها هو جدهم عبد الله ، وأن هذا هو ابن امرأة من الخزرج تدعى (نسيبة) . وكان لها ولدان : أحدهما (حامد) ظل في المدينة، والثاني (عبدالله) اشترك في الفتح القدسي ، وكان من الصالحين . ولما تم للمسلمين فتح القدس ، ودخلها عمر بن الخطاب ، سلمه البطرك صفرونيوس مفاتيح القيامة [1] ، فناولها عمر إلى عبد الله بن نسيبة مؤتمناً إياه لزهده وتقواه وتوارث آل نسيبة هذه المهمة منذ ذلك الحين .

---

(1) فعل القائد الانكليزي اللورد اللنبي مثل هذا الفعل عندما دخل القدس في 9 كانون الأول 1917 فدخل المدينة في اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور ، وزار الكنيسة وتسلم مفاتيحها ، ثم سلمها إلى آل جودة وآل نسيبة ، ليتولوا مهمة الفتح كما كانوا يفعلون منذ القدم .

وتقول فئة " ان آل نسيبة ظلوا على أبوب الكنيسة من الفتح العمري حتى الفتح الصليبي . وأنهم عند مجيء الصليبيين رحلوا عن القدس مع من رحل عنها من المسلمين من المسيحيين الشرقيين الأرثوذوكسيين . فنزلوا قرية بورين من أعمال نابلس وسكنوا فيها . ولم يعد آل نسيبة إلى القدس بعد الفتح الصلاحي مباشرة " .

" فأمر السلطان صلاح الدين أن تسلم المفاتيح إلى آل غضية وهم أجداده آل جودة . ولما عاد آل نسيبة من قرية بورين طالبوا بحقهم ، فعزّ على القاضي آنذاك أن ينقض حكماً مضى عليه زمناً ، فقضى بأن تبقى المفاتيح بيد آل غضية على أن يتولى آل نسيبة فتح الأبواب . ورضي بحكمه الطرفان . وهكذا درجت العادة منذ ذلك الزمان :

ويقول آخرون أن آل جودة : " أنهم أمناء مفاتيح القيامة منذ عهد صلاح الدين (1187) وأن آل نسيبة يقومون بمهمة الفتح منذ ذلك العهد أيضاً . وأن السبب الذي حدا بصلاح الدين لعمله ذاك أنه ، بعد أن سمح للصليبيين أن يغادروا المدينة بعد دفع الفدية المتفق عليها . خشي أن يعودوا فيسربوا إليها بثياب الحجاج والرهبان ! وأن يصبحوا ، مع الزمن ، من الكثرة بحيث يتكتلون ويؤلفون قوة تهدده وجنده في المدينة . وكان للكنيسة يومئذ مدخلان كبيران فأغلق السلطان أحدهما وأبقى الثاني " .

وتوارث آل جودة ، وكانوا قبلاً يدعون (آل غضبة) ، هذه الوظيفة عن آبائهم وأجدادهم .

وهناك قول ثالث : " أن هذه المهمة في يد المسلمين منذ عهد المماليك " .

فهنالك دلائل على تقرير وضع في عهد الانتداب البريطاني (1917 - 1947) ، ويظهر أن واضعه من كبار موظفي حكومة فلسطين ، وقد جاء فيه أن تلك العادة (أي عادة احتفاظ المسلمين بمفاتيح القيامة وفتحها) وضعها المماليك سنة 1389م .

ومن خلال قراءة هذا التقرير، يتبين أنه كان على كرسي السلطنة يومئذ السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون . وقد عقد هذا السلطان مع الفرنج هدنة (1283م) جعلت جميع الديار المصرية والحجازية والشامية والأردن وفلسطين

- بما فيها القدس - تابعة لـه . وبعـد ذلـك بسـنتين (1285م) أصـدر السـلطان مرسوماً يقضي بألا يسـتخدم في وظـائف الدولـة أحـد مـن أهـل الذمـة- اليـهود والنصارى - في وظائف الدولة . هذا مـا ذكـره المؤرخـون . ولعـل تسـليم مفـاتيح القيامة للمسلمين جاء في أعقاب ذلك المرسوم الذي أشار إليه الطبري في الصفحـة 118 من الجزء الرابع عشر من كتابه (تاريخ الدول والملوك) والدكتـور محمد جمـال الدين سرور في الصفحة 233 من كتابه (دولة ابن قلاوون في مصر) .

وهناك من يقول أن السلطان سليمان القانوني (1540 م) هو الذي عهد إلى المسلمين بتلك المهمة . وأن ابراهيم باشا عندما هبط القدس (1840) أيدها .

درب الالام :

وهناك درب الالام وهي مقدسـة في نظـر المسـيحيين لاعتقـادهم بـأن السـيد المسيح سلكها حاملاً صليبه يوم ساقه جند الرومان للصلـب ، بعـد أن حكـم عليـه الوالي الروماني بالموت .

إن هـذه الـدرب الـتي نسـميها اليـوم درب الالام ويسـميها الفرنجـة Via Dolorosa عبارة عن أربع عشـرة مرحلة : تسـع منها خـارج كنيسة القيامـة وخمـس في داخلها .

أما المرحلة الأولى فإنها تبدأ في الموضع الذي اتخـذه الـوالي الرومـاني تيطـس مقراً له ، يوم أصدر حكمه بموت السيد المسيح . ويعتقـد معظـم المؤرخـين أن ذلـك الوالي كان يقيم في مكان ما . وفي البقعة التي تقوم عليها الآن مدرسـة (الروضـة) ومدرسة راهبات صهيون وما بينهما من بقاع . وأنه هنـا تم تتويـج المسـيح بـإكليل من الشوك.

وفي المرحلة الثانية وهي القريبة من المكـان المتقـدم ذكـره ، طلـب الجنـد مـن المسيح (كما يظنون) أن يحمل صليبه فحمله . وعلى مقربـة مـن هـذا المكـان قـوس يسمونه Ecce Homo . إنه الجزء من العمارة التي تملكها راهبات صهيون . ويعتقـد المسيحيون أن الوالي الروماني خاطب اليهود الذين كـانوا مجتمعـين في هـذا المكـان ليروا ما حل بالمسيح . خاطبهـم مشـيراً بيـده إلى المسـيح -كما يظنون - ، قائـلاً: Ecce Homo أي : هـذا هـو الرجل!

واما المرحلة الثالثة فإنها عند الزاوية القائمة على مفترق الطريقين : طريق الالام والطريق التي تصل بين الواد وباب العمود . حيث يقوم دير الأرمن الكاثوليك والبولونيين . هنا وقع السيد المسيح على الأرض مغشياً عليه .

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي على بعد بضعة أمتار من الثالثة . هنا التقى المسيح - كما يظنون- بأمه مريم البتول .

والمرحلة الخامسة تراها عند الزاوية الكائنة عند ملتقى طريق الواد بأول العقبة المعروفة بـ (عقبة المفتي) . هنا شعر السيد المسيح - كما يظنون- بثقل الصليب الذي كان يحمله ، وكاد يسقط على الأرض . فجاء سمعان القيرواني وساعده في حمله .

وإذا ما سرت غرباً مررت بالمرحلة السادسة حيث ترى إلى يسارك معبداً للروم - الكاثوليك المعروفين بالملكيين . وفي هذا المكان يقوم منزل القديسة فيرونيكا Veronica وقبرها . إنها هي التي مسحت عرق المسيح - كما يظنون- من على جبينه .

والمرحلة السابعة عند ملتقى درب الالام بالطريق التي تربط باب خان الزيت بباب العمود . ويسميها الفرنجة Porta Judicaria . وفي قول أن السيد المسيح - كما يظنون- من هذا الموضع خرج من المدينة وسقط على الأرض مغشياً عليه للمرة الثانية .

وأما المرحلة الثامنة فإنها واقعة في عقبة الخانقاه عند الدير المعروف بدير خارالامبوس للروم الأرثوذكس . وفي الموضع خاطب السيد المسيح - كما يظنون- المرأة التي كانت تسير من خلفه باكية . وفي قول : النسوة اللواتي كن يسرن من خلفه باكيات . فخاطبهن قائلاً : لا تبكين علي ، بل ابكين على بلدكن التي ستؤول إلى خراب ! ..

والمرحلة التاسعة عند دير الأقباط إلى الشرق من كنيسة القيامة ؛ حيث رزح المسيح - كما يظنون- تحت الصليب من الحمل وشدة التعب .

وأما المرحلة العاشرة فإنها في داخل الكنيسة عند الجلجثة .. وكذلك المراحل الثلاثة : 11 و 12 و 13 . واما المرحلة الرابع عشرة والأخيرة فإنها عند القبر المقدس نفسه - كما يعتقد النصارى-.

قبر البستان :

قبر البستان ويسميه الفرنجة : Garden Tomb اختلف المسيحيون في تعيين المكان الذي صلب فيه السيد المسيح - كما يعتقدون- : فمنهم من يقول ، ومعظم هؤلاء من الكاثوليك ومن أتباع الكنائس الشرقية ، أنه صلب في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة . وهو الموضع الذي اكتشفت فيه الملكة هيلانة خشبة الصليب . وهذا ما حدا بها لبناء كنيسة القيامة . وقولهم هذا أقدم عهداً وأكثر انتشاراً من غيره .

ومنهم من يقول ، وهؤلاء فئة قليلة من الانكليز البروتستانت ، إنه صلب في الوضع الذي يقوم عليه قبر البستان . ويقع هذا شمالي المدينة وعلى بعد بضع مئات من الأمتار من سورها تجاه الباب المعروف بباب العمود . وهذا رأي حديث العهد .

وهناك كثرون لا يزالون يترددون في قبول هذا الرأي أو ذاك لاعتقادهم بأن الدليل القاطع لم يقم بعد.

ويقول هؤلاء أنه لم يرد في الإنجيل ما يشير بالضبط إلى موضع الصلب - كما يعتقدون-، وإن جاء فيه ما يدل على أنه " صلب في موضع يقال له (الجمجمة) أو (الجلجثة) [1]، وان ذلك الموضع كان قريباً من المدينة [2] ، وأنه كان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان ، قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط [3] " .

وما تم ذكره في السطور يؤيد الرأي الأول، وهو القائل بأن السيد المسيح دفن في المكان الذي تقوم عليه كنيسة القيامة - كما يعتقدون-وهي أقدس مكان في نظر

---

(1) انجيل متى الأصحاح 27 العدد 23 . وانجيل يوحنا الأصحاح 1+9 العدد 17 . وانجيل مرقس الصحاح 15 العدد 22 .

(2) انجيل يوحنا الأصحاح 19 العدد 20

(3) انجيل يوحنا الأصحاح 19 العدد 41 .

المسيحيين ، وفيما يلي نعرج في السطور التالية على ما تيسر جمعه عن الموضع الآخر : وهو (قبر البستان) .

إن أول من قال بهذا الرأي ، وهو أن السيد المسيح صلب في هذا المكان وليس في المكان الذي تقوم عليه الآن كنيسة القيامة ، وهو الجنرال غوردن الذي قتله الدراويش في الخرطوم (1834) . فقد كان الجنرال - كلما زار القدس - يأتي إلى هذا المكان ، ويصلي فيه . وكلما صلى وأطال النظر فيما حوله كان يزداد اعتقاداً بأن السيد المسيح لا بد وأن يكون قد صلب ودفن في هذا المكان ، لوقوعه على مقربة من التل الذي كان اليهود يجمون فيه المحكومين ويصلبونهم ويلقون بجثثهم في الوادي القريب منه . وكذلك كان يفعل الرومان .

فالقبر هنا محفور في الصخر . والصخر متصل بالسور . وهو (أي الصخر) محفور بشكل يشبه الجمجمة أو الجلجثة . وهذا ما حدا بغوردن إلى الاعتقاد بأن هذه الأوصاف مطابقة للأوصاف التي وردت في الإنجيل عن المكان الذي صلب فيه المسيح ودفن .

ولقد حذا نفر من أتباعه حذوه بعد حين . فراحوا يذيعون بين الملا أن المسيح صلب في هذا المكان ، وليس في المكان الذي بنيت فيه كنيسة القيامة متخذين الخريطة التي رسمها رسام الخرائط المعروف خريسنيانوس ادريخوم لمدينة القدس عام 1584 ، وفيها يرى الناظر موضع الجلجثة ومكان القبر المقدس خارج الباب إلى الشمال من سور المدينة .

ويمضي مؤيدو هذا الرأي في حججهم فيقولون أن مكان الكنيسة الحالي لم يكن يوم صلب السيد المسيح خارج السور . بل كان هذا (أي السور) يمتد إلى أبعد من ذلك . دليل أن بركة حزقيا الواقعة على بعد بضعة أمتار من كنيسة القيامة من الجنوب الغربي والمعروفة في يومنا هذا بـ : (بركة حمام البطرك) كانت في زمن الرومان داخل السور ، ولم تكن خارجه . وقد حفرها حزقيا خصيصاً لتشرب المدينة من مائها أثناء الحصار .

وجدير بالذكر أيضاً أن القائلين بنظرية قبر البستان ، ينكرون الاتجاه الحالي لدرب الالام ؛ فيقولون انها تبدأ عند قصر بيلاطس (مكان الروضة) ثم تتجه نحو باب العمود وتنتهي عند الزاوية الأدهمية حيث مكان الجمجمة .

تأسست سنة 1893 جمعية باسم (جمعية قبر البستان بالقدس) The Garden Tomb (Jerusalem) Association Church of England وهي خاضعة لكنيسة انكلترا وهي التي تقوم على حراسة هذا المكان الذي تم شراؤه سنة 1872 .

إنه اليوم عبارة عن غرفة منقورة في الصخرة ، ارتفاعها ستة أقدام وسبع بوصات ، وعرضها أحد عشر قدماً وبوصتان . والغرفة مقسومة إلى قسمين : في القسم الشرقي منها ثلاث جور ، تسع كل واحدة منها لجثة انسان . واحدة منها تامة الصنع . والأخريان لم تتما . احدهما تبدو كأنها أعدت لإنسان بالغ ، والأخرى لطفل .

وهناك بستان جنوبي القبر . يحده من الشمال والشرق تل مرتفع ، عليه مقبرة هي المعروفة بمقبرة الساهرة ، وهي بيد المسلمين .

إن المستر ماي [1] . R. S . W .May الموظف المشرف على قبر البستان في (1947) من الذين يشكون في صحة الرأي القائل أن السيد المسيح صلب أو دفن في هذا المكان ! حتى أنه استقال من منصبه بسبب الشك الذي ساوره في هذا الصدد طوال السنين التي قضاها في الإشراف.

الروم الأرثوذكس

دياراتهم كثيرة نذكر منها :

1- **دير أبينا ابراهيم :** في ساحة كنيسة القيامة في الناحية الشرقية إلى الجنوب . عمّرته الملكة هيلانة حوالي سنة 335 م . وخربه الفرس 614 م . وظل موضعه خراباً إلى أن أخذه الروس من الأتراك (1887 م) . فأعطوا قسماً منه للروم ، حيث بنوا ديرهم هذا . وبنوا هم على القسم الآخر ديرهم القريب من باب خان الزيت والمعروف بـ (المسكوبية) . فيه كنيستان : أحدهما صغيرة باسم (أبينا ابراهيم) . والأخرى كبيرة باسم (الرسل الإثنى عشر) .

---

(1) أنه انكليزي الجنسية وبروستانتي المذهب .

2- **دير مار يوحنا المعمدان :** بين سويقة علون والشارع المؤدي إلى حارة النصارى . فيه كنيستان : واحدة تحت الأرض .. طرازها بيزنطي .. بنيت سنة 450 م ، والأخرى فوقها بنيت عام 1048م . عندما احتل الصليبيون القدس اتخذوا الدير والكنيستين مستشفى ومقراً لفرسان مار يوحنا (1099م) . وعندما استرد صلاح الدين القدس أعاد البناء مع ما أعاده من الأبنية الأخرى إلى الروم (1187م) .

3- **كنيسة ستنا مريم :** في وادي قدرون عند ملتقى الطرق المؤدية إلى باب الأسباط وسلوان وجبل الطور . بناها ماركيانوس امبراطورية بيزنطية (450-457م) . وفيها قبور يواكيم وحنة والدي مريم البتول - كما يعتقدون- وقبر مريم نفسها ويوسف النجار . إنها للأرمن والروم . وفيها حجرة يصلي فيها الأقباط والسريان.

4- **دير مارسابا** : على مقربة من سلوان ، بناها القديس سابا حوالي 484م . فيه كنيسة أنشئت عام 503 م . وعمارات أضيفت إليه على عهد الامبراطور جوستانيان (527-565 م) . وفيه مكتبة فيها ثلاثة آلاف مجلد . ولا يجوز دخول النساء لهذا الدير عملاً بوصية القديس سابا الذي لم يسمح حتى لأمه بدخوله .

5- **دير العذراء :** ويسمونه دير ستنا مريم واقع إلى الجنوب من كنيسة القيامة ، بينها وبين المسجد العمري . أنه دير بيزنطي قديم . بني في عهد البطريرك الياس الأول (494 م) .

6- **الدير الكبير:** ويعرف بدير قسطنطين . ويسميه اليونان (كندركسون مناستريون) أي الدير المركزي . حيث يقع إلى الجنوب من بطريركية الروم في حارة النصارى . بناه البطريرك الياس الأول (ايليا) الذي تولى شؤون البطريركية سنة 494 ميلادية . ويعتبر قاعدة أديار الروم في فلسطين . فيه ثلاث كنائس : (1) كنيسة القديسة هيلانة (2) كنيسة القديسة تقلا (3) كنيسة مار يعقوب . وفي هذه الكنيسة معبدان صغيران : واحد باسم (الشهداء الأربعين) . والثاني باسم (حاملات الطيب).

7- **دير القديس تيؤدوسيوس :** أنشئ في نفس التاريخ الذي أنشئ فيه دير مار سابا (484م) . واقع بين بيت لحم ومار سابا . ويسميه العرب دير ابن عبيد . لأنه

كائن في المنطقة التي تعيش فيها عشيرة العبيديين ذكره ابن البطريق فقال : أنه دير الدواكس . وكان به مودسطس الراهب الذي عمر كنيسة القيامة بعد أن دمرها الفرس .

8- **دير المصلبة** : في ظاهر القدس إلى الغرب . أنه دير قديم أنشأه [1] الأمير ماريام الكرجي أيام الملك قسطنطين حوالي سنة 330 للميلاد . وفي قول آخر أن الذي بناه هو الأمبراطور يوستانيوس ، وان ذلك جرى بين عامي 527 و 65د للميلاد. فيه كنيسة .

9- **دير البنات** : مجاور لخان الأقباط من ناحية الشمال . بناه البطرك الياس (594) . فيه كنيستان : إحداهما أرضية باسم (القديسة ميلانيا) . والأخرى فوقها باسم (مريم الكبيرة) أو (العذراء البكر).

10- **دير مار الياس قبلي القدس** ، على طريق بيت لحم . إنه دير قديم . أنشأه هرقل الملك خلال القرن السابع للميلاد (610 م) . فهدمه الفرس (614 م) . وأعيد بناؤه سنة 1165 م من لدن عمانوئيل قومنينوس . وتجدد في زمن البطريرك ذوستيوس سنة 1678 م . فيه كنيسة .

11- **دير الجليل** : فوق جبل الطور . فيه كنيسة قديمة يسميها الروم (غاليليا) والمقدسيون (إليا) . يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد قيامه لأول مرة في هذا المكان . وقد بنوا في الموضع نفسه كنيسة أسموها (كنيسة العذراء) .

12- **دير القطمون** : في الحي المعروف بالقطمون غربي القدس ، كان بيد الكرج ، ثم صار إلى الروم . فيه كنيسة . وفي داخل الكنيسة قبر القديس سمعان . وكانوا يسمونه (دير سمعان) . إنه مقر الكرسي البطريركي في فصل الصيف . وكان الروم ينزلون فيه الحكام والمتصرفين .

13- **وهناك ديارات نذكر منها** : (حبس المسيح) على طريق الالام .و (دير مارخر الامبوس) بعيد الخانقاه الصلاحية من الجهة الشرقية . و (دير السيدة) على

---

(1) هذا ما قاله المؤرخ اليوناني بنيامين يوانديس في الصفحة 264 من كتابه الذي طبعه في مطبعة دير الروم بالقدس سنة 1877 م .

مقربة من الخانقاه المتقدم ذكرها . و (دير مار افتيموس) وهو ملاصق لدير السيلة من الشمال و (دير العدس) ويسمونه دير مار نيكوديمس ، فوق حبس المسيح - كما يعتقدون- في حارة السعدية . و (دير صهيون) على جبل صهيون . و (دير مار جرجس) وهو ملاصق لدير اللاتين من الشرق . وهناك دير آخر بهذا الاسم إلى الشرق من دير الأرمن . و (دير مار ميخائيل) مجاور لبطريركية الروم من الشمال . و (دير القديسة كاتري) في حارة النصارى بين الخانقاه الصلاحية ودير الاتين . و (دير مار سبيريدون) في حارة الحدادين . و (دير مار ديمتري) في حارة النصارى على طريق الكازانوفا . و (دير مار نقولا) غربي البطريركية . و (دير مار تادرس) بجانب الدار الجدية المعروفة بالكازانوفا. و (دير القديس انوفريوس) في الوادي الكائن بين جبل صهيون وجبل أبي ثور . و (دير أبي ثور) على جبل المكبر . و (دير العازر) في العيزرية على مقربة من القدس إلى الشرق . وفي كل واحد من هذه الأديرة معبد يعبدون الله فيه .

وللروم الأرثوذكس بطريرك هو (تيموثيوس) . وقد تولى البطريركية قبله خمسة وتسعون بطريركا . أولهم الأسقف (يوفيناليوس) وهو أول من سمي بطريركا لأورشليم . وقد تم ذلك سنة 451 ميلادية . وهو الذي أقر الاحتفاء بعيد الميلاد في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) .

ومن بطاركة الروم الذين اشتهروا في عهدهم الياس (إليا) 494 م . وكان هذا عربي الأصل من نجد . وله آثار في القدس منها دير قسطنطين . ومنهم صفرونيوس الأول (634م) . وعلى عهد فتح المسلمون بيت المقدس . وصفرونيوس هذا عربي الأصل ، وإن كان اسمه يونانياً (معناه العفيف أو ذو العقل السليم) . ذلك لأن البطاركة درجوا على عادة تسميتهم بالأسماء اليونانية .

وعندما احتل الصليبيون البلاد (1099م) ، ساد فيها حكم الكنيسة الغربية. وعندما انهزم الصليبيون على يد صلاح الدين تنفس الروم الصعداء . وكان جميع البطاركة الأورشليميين (من سنة 1291 إلى سنة 1525) عرباً . أي أن الأساقفة العرب افردوا في إدارة شؤون الكنيسة الأورشليمية مدة 234 سنة .

على عهد البطريرك داميانوس الأول (1897 م) اشتد الخلاف بين طائفة الروم من أبناء ورجال الاكليريوس اليونانيين . وقد حاول أبناء البلاد ولا يزالون يحاولون التخلص من سيطرة رجال الدين الأجانب .

الروم الكاثوليك :

في القدس ارشية للروم الكاثوليك ، انشأها البطريرك مكسيموس مظلوم سنة 1848م . تقوم هذه الأبرشية في حارة الموارنة . وفيها نائب بطريكي هو الارشمندريت. يرجع في أموره إلى بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق . وهو صايغ بطريرك انطاكية وسائر المشرق والاسكندرية وأورشليم .

وللروم الكاثوليك في القدس كنائس وأديرة نذكر منها :

1- **كنيسة القديسة حنة** : بين باب حطه وباب الأسباط ، إلى الشمال من الحرم القدسي . يعتقد المسيحيون ، أنه هنا في هذا المكان كان فيما مضى من الأيام مسكن يواكم وحنة والدي مريم البتول . وفي هذا المكان بركة حسدا حيث أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته . وفيه بني في القرن الرابع للميلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول في سنة 530م . ويظهر أن هذه الكنيسة احترقت مع ما احترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام 614م . فأعاد الصليبيون بناءها عندما دخلوا القدس 1099م . وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة . وجعل صلاح الدين هذه الكنيسة رباطاً للصالحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة 1188م . وكانت هذه تعرف فيما مضى بـ (صند حنة) . وسميت بعد الفتح الصلاحية المدة الواقعة بين 1821 و 1842 م . هدمت على أثره جدران الدير . فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت بها الثكنة العسكرية المجاورة له .

وعندما انتهت حرب القرم بانتصار تركيا (1855 م) سلم السلطان عبد المجيد هذا المكان إلى نابليون الثالث اعترافاً بفضله . ذلك لأن فرنسا عاضدت تركيا في حربها مع الروس . وسلمه المتصرف كامل باشا إلى الفرنسيين (1856م) . فأنشئت فيه مدرسة (1878م) . وانقلبت هذه إلى كلية إكليركية (1882م) . وفي الحرب العالمية الأولى احتلها الجيش التركي وحولها القائد جمال باشا إلى كلية

اسلامية أسماها : (كلية صلاح الدين) . وأما الكنيسة فلم يمسها ضرر . ولما احتل الانكليز القدس (1917م) أعادوا العمارة إلى الآباء البيض . فأنشأها هؤلاء فيها مكتبة ومتحفاً .

2- **وللروم الكاثوليك في القدس دار يسمونها** : (دار القديسة فيرونيكا) . واقعة في عقبة المفتى ، على درب الالام . بنيت في المكان الذي مسحت فيه هذه القديسة وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملاً صليبه - كما يعتقدون- وكانت الأرض ملكاً لمسلم من سكان القدس هو (عبد الرحمن حدوثة العلم). فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهباً . وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ 1894 فأنشأوا فوقها كنيسة باسم القديسة فيرونيكا .

الارساليات الكاثوليكية وبطاركة اللاتين :

عندما أنشأ الباب بيوس التاسع عشر بطريركية الاتين في أورشليم (1847) نشأ خلاف بين البطريرك (يوسف فاليركا) الذي أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيسيين . إذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم في إدارة الأماكن اللاتينية . وأنقسم اللاتين إلى فئتين : فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريرك . وأخرى تعضد الآباء الفرنسيسيين . وراح البطريرك يحث الرهبان في القارة الأوربية على المجيء إلى فلسطين . ومما شجع هؤلاء على المجيء إلى هذه الديار الضغط الذي ألم بالجمعيات الدينية بفرنسا ، والتشريعات الجديدة التي سنت فيها لمطاردة الرهبان بإيعاز من المحافل الماسونية .

الأماكن اليهودية المقدسة

ليس لليهود في القدس سوى بضع كنس حديثة العهد وبعض القبور . وسنأتي على ذكرها في السطور التالية :

(حائط المبكى) ويتلخص القول في الاعتقاد السائد بأنه بقية من سور أورشليم القديم ، وأنه الحائط الخارجي للهيكل الذي رممه هيرودوس (18ق. م . ودمر جانباً منه تيطس (70م) وأتى على ما تبقى منه ادريانوس (135م) . واليهود يزورونه بين الحين والآخر ، ولا سيما في تسعة آب ؛ وكلما زاروه تذكروا مجدهم الضائع . وبكوا.

وتم ذكر الخلافات التي قامت بين المسلمين واليهود حوله ، واللجان التي انتدبت للتحقيق في مصيره . وانتهى القول إلى أنه ليس لليهود سوى الدنو من الحائط والبكاء عنده ، دون ان يحملوا معهم أية أداة من أدوات الجلوس والعبادة .

وأما المقبرة التي يدفن اليهود فيها موتاهم في سنة (1947) ، وهي الواقعة على طريق القدس - اريحا بين سلوان والطور ، فإن أرضها من الأوقاف الإسلامية . وقد أذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء أجر معين يدفعونه في كل سنة لمتولي الوقف . وفي سجلات المحكمة الشرعية بالقدس هناك سجل [1] وقعه قاضي الشرع ، وقد جاء فيه أن ممثل الطائفة اليهودية انقد أصحاب الوقف بحضوره (أي بحضور القاضي) مئتي دينار ذهباً ، لقاء استعمال الطائفة أرض الوقف لدفن موتاها . وذلك عن سنتي 968 و 969 للهجرة (أي 1560 و 1561 م) .

وتمتد هذه المقبرة من وادي قدرون حتى رأس العمود والسفح القبلي جبل الزيتون . وفيها أربعة قبور ضخمة ، يقصدها اليهود في أيام معينة . هي :

1- **قبر أبشالوم :** ويسميه المقادسة (طنطور فرعون) . واقع شرقي المدينة . أقامه ابشالوم لداود الملك ، الذي ثار ضد أبيه وحاول اسقاطه عن عرشه . أقامه قبل موته . إذ لم يكن له ولد ، وقد أراد تخليد ذكره . يعتقد قوندران الكسندر يانوس المكابي مدفون فيه . إنه بناء ضخم ،مربع الشكل ، في كل ركن من اركانه الأربعة أربعة أعمدة . يعلوه افريز يوناني . فوقه قبة هرمية الشكل . علوه سبعة أمتار .

2- **قبر يهوشافاط:** يحمل هذا الاسم لوقوعه في وادي يهوشافاط وهو أحد أسماء وادي قدرون . لم يجزم المؤرخون في معرفة أسماء المدفونين فيه . ويرجع الأستاذ رئيف ميخائيل ساعاتي [2] أن يهوشافاط نفسه دفن مع آبائه في مدينة داود على جبل صهيون .

3- **قبر يعقوب :** مدفن اسرائيلي ضخم ويعتقد المسيحيون أن القديس يعقوب الصغير وهو أحد الإثنى عشر رسولاً قد توارى فيه بعد صلب المسيح . ويزعم بعضهم أنه بعد موته دفن فيه .

---

(1) السجل 44 الصفحة 578 .

(2) مجلة (الراعي الصالح) ج4 ص 72 سنة 1941 .

4- **قبر النبي زكريا :** يشبه ، من بعض النواحي ، قبر يهوشافاط . وينسبه اليهود إلى زكريا بن ياراع . ويقول بعضهم أنه قبر حفيده الذي كان هنا أيام أحاذيا ويهوآش. وقد مات رجماً بالحجارة وبأمر من الملك .

وأما كنسهم [1] فإنها كلها حديثة العهد ، وليس بينها ما يرجع إلى عهد يسبق القرن الثامن عشر . معظمها واقعة في الحي القديم بالبلدة القديمة . وهو الحي الذي يسمى : حارة اليهود وإليك أسماءها :

1- **قدس الأقداس** : مخصص لصلاة الطائفة المسماة بـ : (السكناج) . ويطلقون على أنفسهم (أشكنازيم) . إنه من أكبر الكنس اليهودية الكائنة في القدس . وهو أقدمها . بني عام 1701 للميلاد . ومن أسمائه : (بيت يعقوب) ويسمونه أيضاً : (حوروا) . واقع في وسط الحي القديم وعلى بعد خمسين متراً من مسجد المسلمين إلى الشمال .

2- **طبرت اسرائيل** : إلى الشرق من قدس الأقداس ، وعلى بعد ستين متراً منه .

3- **طابيلا :** إلى الشمال الشرقي من طبرت اسرائيل . ويسميه المقدسيون : (المطبل) .

4- **مدراش بورات يوسف :** في أقصى الحي اليهودي بالبلدة القديمة من الشرق . وهو مطل على حي المغاربة وعلى الحرم .

5- **مزغاب لادخ** : وهذا أيضاً واقع في أقصى الحي من الشرق إلى الجنوب .

6- **الاستانبولي** : كنيس واقع في طريق الساحة .

7- **الياهانافي :** ومن اسمائه : (الخضر) أنه الكنيس المعروف بالاستانبولي .

8- **بوحنان زكاي :** قبلي الاستانبولي والياهانافي .

9- **كنيس المغاربة :** عند الدرج المعروف بـ (درج الطابون) قبالة خان السلطان .

10- **توما توراة :** ملاصق لكنيس المغاربة .

11- **بيت أيل :** في طريق الساحة .

---

(1) جمع (كنيس) وهو المكان الذي يتعبد فيه اليهود . وأما (الكنيسة) فإنها المكان الذي يتعبد فيه المسيحيون . وجمعها كنائس .

12- **بيت الدين** : في جنوب الحي .

13- **كوليل سفاراديم** : أيضاً في جنوب الحي .

14- **واين غارتن** : في غرب الحي .

15- **وهناك كنيس تحت الأرض ، مخصص لصلاة القرائيين** . وهو واقع بين المطبل وطبرت اسرائيل . وفي قول أن عدد الكنس الكائنة في الحي اليهودي بالبلدة القديمة ثلاثة وعشرون . وأن بعضها وهو الذي ذكرناها في السطور المتقدمة كبير والبعض الآخر عبارة عن غرف صغيرة أعدت للصلاة ولكن ليس بينهما ما له قيمة تاريخية أو أثرية .

القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي

في إثر إعلان قيام دولة إسرائيل في 15 أيار / مايو 1948 وانسحاب سلطة الانتداب البريطانية من فلسطين، دارت معارك بين الجيوش العربية والقوات اليهودية في نواح متعددة من فلسطين. وفي فترة لاحقة تم توقيع اتفاقيات وقف إطلاق نار تبعتها اتفاقيات هدنة بين الأطراف المتحاربة في ربيع سنة 1949 [1] بعد أن سبق ذلك تعيين الخط الفاصل بين الجزء الغربي من القدس والجزء الشرقي منها، وذلك بتاريخ 1948/8/22 [2]. وعلى الرغم من أن قرار التقسيم رقم 181 الصادر بتاريخ 1947/11/29 [3] والذي أوصى بتدويل القدس، لم يلغ أو يعدل، فإنه نتيجة الوقائع المادية التي تلته - بما في ذلك رفض الفلسطينيين، ممثلين باللجنة العربية العليا للقرار [4] وقيام إسرائيل على مساحة جغرافية تفوق ما خصص للدولة اليهودية بموجبه، بات واضحاً أن قرار التقسيم لم يعد واقعياً كأساس لحل سياسي للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، لكن فكرة تدويل القدس بقيت قائمة [5].

---

(1) J. Quigley, Palestine and Israel : A Challenge to Justice (Durham: Duke University Press, 1990), P. 89.

(2) Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City (Jerusalem: Isratypeset Ltd., 1976), P.10.

(3) G.A.Res. 181,U.N. GAOR, U.N. Doc, A/519, P. 146(1947) . لقد نص هذا القرار على أن تكون القدس منطقة منفصلة (Corpus Seperatum) تقع بين الدولتين العربية واليهودية وتخضع لنظام دولي خاص وتدار من قبل الأمم المتحدة بواسطة مجلس وصاية يقام لهذا الهدف. وقد حدد القرار المذكور حدود القدس الخاضعة للتدويل بحيث شملت بلدية القدس والقرى والمدن المحيطة بها، فتكون أبو ديس أقصاها شرقاً وبيت لحم أقصاها جنوباً وعين كارم أقصاها غرباً وشغفاط أقصاها شمالاً .

(4) رفضت اللجنة العربية قبول قرار التقسيم بتاريخ 1947/11/30 . راجع/ Quigley, Ibid., P . 38.

(5) عادت الأمم المتحدة، من خلال قرار الجمعية العام رقم 194 بتاريخ 1948/12/11، لتؤكد مبدأ تدويل القدس، فأوصت بأن تكون للقدس مكانة خاصة منفصلة عن بقية فلسطين، وبأن توضع تحت سلطة الأمم المتحدة الفعلية.



إن احتلال أحد طرفين متحاربين لمنطقة تابعة للطرف الآخر لا يعني، في أي حال من الأحوال، انتقال السيادة على تلك المنطقة - نتيجة الاحتلال- من الطرف المهزوم إلى الطرف المحتل. بل إن حكومة الإقليم المحتل الشرعية تحتفظ بالسيادة عليه، لكن هذه السيادة تكون معلقة، وتنتقل صلاحيات السلطة السابقة من تشريع وتنفيذ وإدارة إلى السلطة المحتلة طوال فترة الاحتلال، إلى أن يتم تقرير مصير الإقليم المحتل [1]. وتخضع الصلاحيات التي تمارسها القوة المحتلة، خلال فترة الاحتلال، لقانون الاحتلال الحربي الممثل بلوائح لاهاي لسنة 1907 وباتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين في زمن الحرب لسنة 1949. وبناء عليه، يجب التفريق بين الإجراءات التي تمارسها القوة المحتلة في الإقليم المحتل وبين ممارستها سيادتها داخل إقليمها الأصلي [2]ولا يجيز القانون الدولي ضم منطقة محتلة إلى البلد المحتل بناء على رغبة الأخير فقط.

كما أن السيادة لا تنتقل نتيجة الاحتلال إلا في حال التوصل إلى اتفاقية بين الفريقين المتحاربين تنص على انتقال المنطقة المحتلة من الفريق المهزوم إلى الفريق المنتصر [3] ويشترط بعض فقهاء القانون الدولي أن يكون انتقال المنطقة المحتلة من الفريق المعتدي إلى الفريق المعتدى عليه [4] (أسامة حلبي (مجلة الدراسات الفلسطينية، 1997/31، ص 97-118).

---

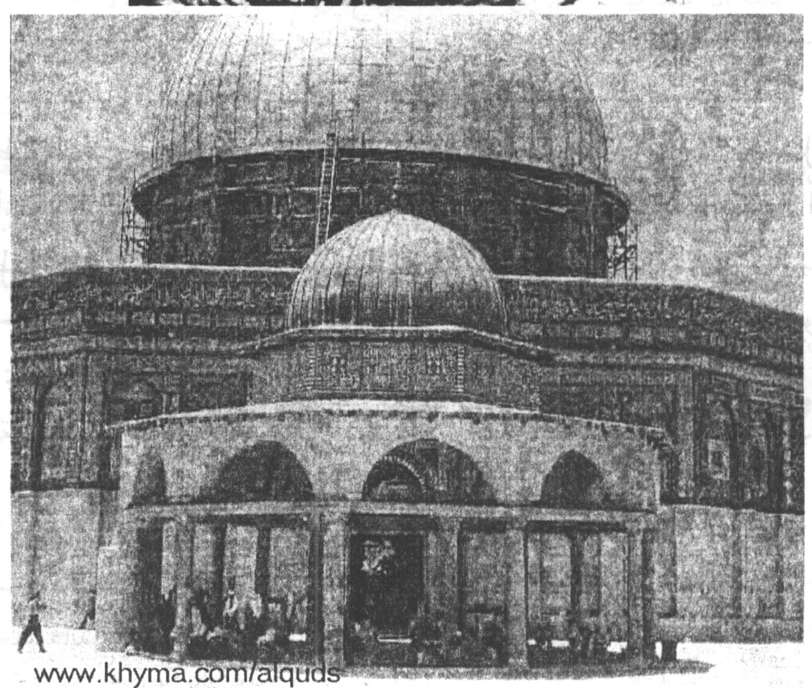
(1) H., Kelsen, Principles of International Law, 3rd ed., P. 139.

(2) G. Schwaezenberger, International Law as applied by international Courts and Tribunal (London: Stevens & Sons, 1968), Vol., 1.pp.164-165.

(3) Ibid., pp. 1970.

(4) يورام دينشتاين، "قوانين الاحتلال الحربي" (تل أبيب، منشورات شوكين، 1983)، ص 65، 211.




www.khyma.com/alquds

الاستيطان في القدس [*]

بات من المعروف جيداً أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أولت مدينة القدس ومنطقتها - منذ احتلالهما سنة 1967- اهتماماً خاصاً في المشاريع الاستيطانية التي تضعها للمناطق الفلسطينية المحتلة. وكانت تلك الحكومات، سواء العمالية منها أو الليكودية ترمي من وراء ذلك إلى إيجاد واقع مادي يجعل من القدس الموحدة والمهودة "عاصمة أبدية لإسرائيل" . وقد جرى استثناء القدس، ومناطق "حيوية" أخرى، من قرار "تجميد" الاستيطان الذي اتخذه حزب العمل سنة 1992. ومع عودة الليكود مجدداً إلى الحكم سنة 1996، تواصلت المسيرة الاستيطانية بعد أن كانت حققت رصيداً كبيراً يتمثل في نحو 15 موقعاً استيطانياً و 170 ألف مستوطن يهودي في القدس الشرقية ذاتها.

غالباً ما كانت الأنشطة الاستيطانية في القدس تتم بهدوء، وبوصفها عملاً من أعمال السيادة الاسرائيلية على المدينة. وإعلان مشروع، سنة 1997، لإقامة مستوطنة هار حوما على جبل أبو غنيم ترافق مع اقتراب الشروع في ما يسمى قضايا التسوية النهائية، بما فيها القدس.

يقع جبل أبو غنيم على بعد كيلومترين تقريباً إلى الشمال من مدينة بيت لحم، عند أقصى الطرف الجنوبي لحدود بلدية القدس، وذلك ضمن أراض يملكها فلسطينيون من بيت لحم وبيت ساحور وأم طوبى وصور باهر وتغطي الجبل غابة من أشجار الصنوبر. وقد واصلت سلطات الاحتلال زراعتها، وأعلنت المنطقة "منطقة خضراء"، الأمر الذي حظر على الفلسطينيين بناء أية منازل سكنية فيها، وفي حزيران / يونيو 1991، أصدر وزير المالية الإسرائيلي آنذاك، يتسحاق موداعي، أمراً بمصادرة 1850 دونماً من أراضي المنطقة لـ "الأغراض العامة"، وهو ما يسمح بإقامة مستوطنة مقطورات لإسكان مهاجرين جدد. وقد أتاح أمر الوزير هذا المجال لبناء الضاحية الاستيطانية الجديدة [1] .

(*) خالد عابد، مجلة الدراسات الفلسطينية، 1997/31 ، ص119-126.

(1) ميخال سيلع" دافار ، 1991/6/20.

لقد صادقت اللجنة الوزارية لشؤون القدس، بالإجماع، على خطة بناء مستوطنة جبل أبو غنيم التي اتخذت مؤخراً اسم بسغات شموئيل. وتشتمل الخطة، المؤلفة من ثلاثة مراحل، على بناء ما مجموعه 6500 وحدة سكنية على أرض مساحتها 1992 دونماً. وبحسب المصادر الاسرائيلية، فإن معظم هذه المساحة - نحو 1800 دونم- أراض مصادرة، منها نحو 400 دونم من مالكيها العرب ونحو 1800 دونم من مالكين يهود. وفي المرحلة الأولى، التي صودق على خطتها التفصيلية، سيتم بناء 2345 وحدة سكنية، بالإضافة إلى مؤسسات عامة على مساحة 266 دونماً، ومناطق أعمال وتجارة تفصيلية في حيز التنفيذ. لكن يخطط للضاحية الاستيطانية الجديدة أن تستوعب ما مجموعه 35 ألف مستوطن تقريباً [(2)].

إن لمستوطنة جبل أبو غنيم أهمية خاصة في الاستراتيجية الاستيطانية الصهيونية الرامية إلى استكمال تهويد القدس. وتتمثل هذه الأهمية في أن إقامة المستوطنة تؤدي إلى "إغلاق الحلقة الخارجية من الأحياء اليهودية التي تم بناؤها في القدس منذ سنة 1967، بحي إضافي بين [الموقعين الاستيطانيين] قصر المندوب وغيلو، خشية أن تمتد بيت لحم إلى هذا الفراغ، وتدخل حدود الولاية القضائية للقدس" [(1)] وهي الأهمية ذاتها التي حدت رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، على القول أنه يريد أن يوضح "بصورة قاطعة أننا سنبني في جميع أجزاء القدس، بما فيها هار حوما، وإننا نرى في ذلك ضرورة حيوية". وأضاف نتنياهو في تفسيره لهذه الضرورة أن بناء المستوطنة، الذي يحل أزمة السكن في العاصمة، هو "جزء لا يتجزأ من حقنا غير القابل للتصرف بوصفنا أصحاب السيادة في القدس.[(2)]

ومن المشاريع الاستيطانية المعدة للقدس:

---

(2) زيف مؤور "هآرتس"، 1997/1/27.

(1) نداف شراغي "حاجز على الطريق إلى الجبل" "هآرتس" ، 1196/12/23.

(2) "هآرتس" ، 1997/2/26.

خطة رأس العمود:

وهي تهدف إلى بناء 132 وحدة سكنية في ضاحية رأس العمود العربية، الواقعة على الطريق الرئيسية بين القدس وأريحا، على أرض مساحتها 14.7 دونماً، وتحول الخطة، في حال تنفيذها، دون إقامة ممر بري ضيق بين منطقة أريحا والحرم القدسي الشريف.

الخطة E-1:

وهي تهدف إلى الوصل بين القدس ومستوطنة معاليه أدوميم، من خلال بناء 1500 وحدة سكنية و 3000 غرفة فندقية على مساحة 10.000 دونم تمتد بين المدينة والمستوطنة. وقد أقر وزير الدفاع، يتسحاق مردخاي، هذه الخطة.

خطة شاعر مزراح:

وتشتمل على إقامة نحو 2000 وحدة سكنية على مساحة 700 دونم تقريباً تقع بين الضاحيتين الاستيطانيتين: التلة الفرنسية وبسغات زئيف. وتهدف الخطة إلى الوصل بين هاتين الضاحيتين، والحيلولة دون وجود بناء عربي يقطع التواصل بينهما.

خطة أبو ديس:

تعد بلدية القدس خطة لبناء أكثر من 200 وحدة سكنية على عشرات الدونمات، "التي اشتراها يهود منذ أوائل القرن". وتهدف الخطة إلى إيجاد ثقل يهودي في أبو ديس يقابل المؤسسات المركزية للسلطة الفلسطينية في هذه القرية التي يمر خط حدود القدس بداخلها.

هار حوما -ب:

وتتضمن مصادرة مئات من الدونما الأخرى، المجاورة لجبل أبو غنيم، بهدف توسيع البناء اليهودي في المنطقة مستقبلاً.

وإن خطة وزارة البناء والإسكان لسنة 1997 تلحظ بناء نحو 900 وحدة سكنية جديدة لليهود في أنحاء متفرقة من بلدية القدس، بالإضافة إلى البناء في جبل أبو غنيم، الأمر الذي يرفع مجموع المنازل التي ستبنى ضمن نطاق البلدية إلى نحو



3250 منزلاً وتلحظ الخطة نفسها بناء ما يزيد على 5800 وحدة سكنية في المستوطنات القائمة في الضفة الغربية، كان لمعاليه أدوميم النصيب الوافر منها. وهذا ما يصل بنا إلى المشاريع الاستيطانية التهويدية خارج حدود بلدية القدس الكبرى، بدءاً بمستوطنة معاليه أدوميم الواقعة خارج حدود البلدية، والمستهدفة أكثر من غيرها بأن تضم ضمن هذه الحدود.

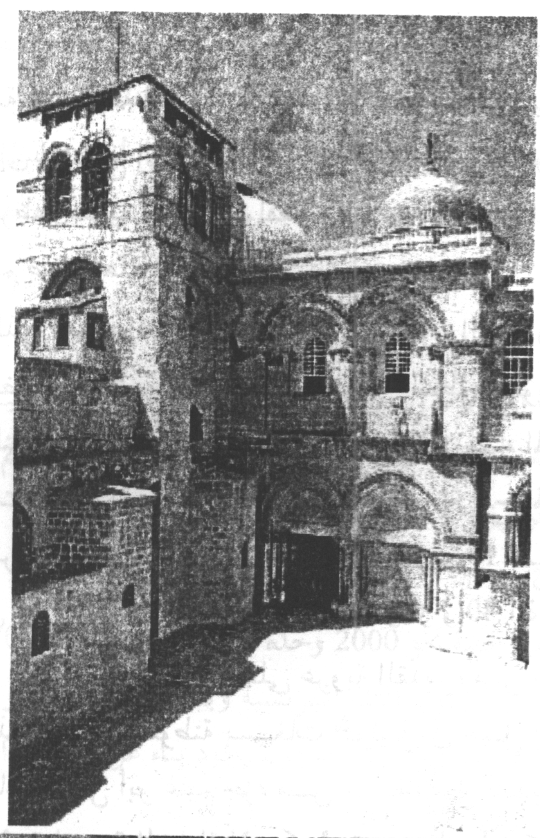
في القرار الذي اتخذته اللجنة الوزارية في 23 كانون الثاني والقاضي بإدراج 84 مستوطنة في الضفة في قائمة المستوطنات المصنفة "مناطق أولوية قومية" أ أوب. وتحظى مثل هذه المناطق عادة بمنح مالية كبيرة في مجالات بناء المساكن والتعليم والعمل والاعفاءات الضريبية والرفاه. فعلى سبيل المثال، تتراوح الهبة التي يحصل المستوطن عليها، من أجل شراء منزل، بين 15 ألف دولار و 18 ألف دولار تقريباً، في حين يتراوح ثمن المنزل نفسه أحياناً بين 30 ألف دولار و 40 ألف دولار.

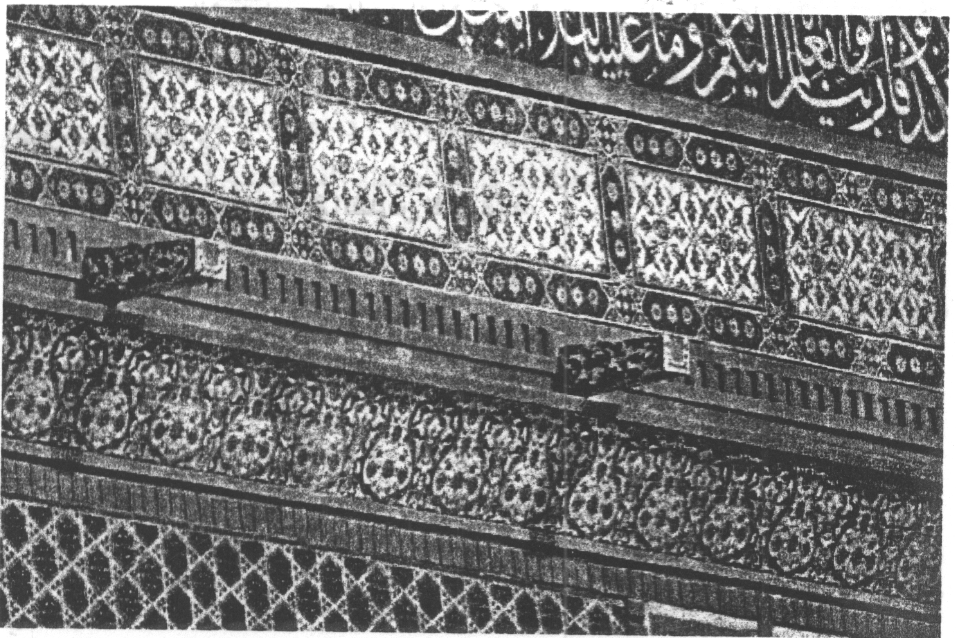
وهكذا، فإن هناك خطورة حقيقية على عروبة القدس، من خلال الاستيطان المتواصل فيها، والذي كانت مستوطنة بسغات شموئيل في جبل أبو غنيم إحدى حلقاته. فخطة البناء في جبل أبو غنيم جزء من خطة أشمل لتهويد القدس، هي بدورها جزء من الاستراتيجية الشاملة لاستكمال تهويد فلسطين كلها، من خلال فرض الوقائع الاستيطانية - كما فعل المشروع الصهيوني منذ بدايته.

الترحيل السري:

إلغاء إقامة الفلسطينيين في القدس الشرقية:

تطبق منذ زمن سياسة ترحيل سري لفلسطينيين مقيمين بالقدس الشرقية. ويتم ذلك بوسائل متعددة تشمل قوانين وتنظيمات وأحكاماً قضائية وتكتيكات إدارية، وقد تسببت هذه السياسة بفقدان المئات، إن لم يكن الآلاف، من الفلسطينيين المقيمين بالقدس الشرقية حقهم في الإقامة بالمدينة. ونتيجة ذلك، طلب من كثيرين من الفلسطينيين ترك منازلهم وعائلاتهم. ونظراً إلى عدم شفافية هذه السياسة، فإن عشرات الآلاف من الفلسطينيين باتوا يعيشون حيرة فيما يتصل بوضعه ومستقبله في المدينة.





تعني السياسة الجديدة لوزارة الداخلية أن كل فلسطيني مقيم بالقدس الشرقية ولا يستطيع أن يبرهن على أنه يسكن حالياً في القدس وأنه عاش فيها في الماضي على نحو متواصل، يفقد حقه في الإقامة بالمدينة التي ولد فيها. وبالتالي، فإن جميع الفلسطينيين الذين عاشوا خارج القدس فترة من الزمن، سواء كان ذلك في بلد أجنبي أو في مكان آخر من الضفة الغربية، أو حتى في ضواحي القدس وعلى بعد أمتار من الحدود البلدية، عرضة لفقدان حقوقهم.

لم يجر مطلقاً تنبيه فلسطيني القدس الشرقية إلى أنهم بتركهم المدينة إنما يعرضون للخطر، بوضعهم كمقيمين بالمدينة أو حقهم في الإقامة بها.

تقوم السياسة الجديدة على افتراض أن فلسطيني القدس الشرقية هم مهاجرون، يعيشون في بيوتهم بموجب إذن إقامة دائمة تمنحه إسرائيل لهم، وبالتالي فإن مكانتهم وحقوقهم رهن بالاعتبارات السياسية والأريحية الإسرائيلية. إن معاملة سكان القدس الشرقية (من الفلسطينيين) كمهاجرين هي "الخطيئة الأصلية" التي ارتكبتها إسرائيل. فهؤلاء، بخلاف المهاجرين الذين اختاروا من تلقاء أنفسهم العيش في إسرائيل ولهم بلد يرجعون إليه، ليس لديهم مساكن أو أوطان أخرى. بل إنهم لم يختاروا العيش في إسرائيل، وإنما إسرائيل هي التي احتلت القدس الشرقية وضمتها إليها.

إن هذه السياسة تميز بصورة صارخة بين المقيمين الفلسطينيين بالقدس الشرقية وبين المواطنين الإسرائيليين. ذلك بأن في وسع المواطنين الإسرائيليين ترك البلد والعيش في الخارج ما حلا لهم ذلك، مع الاحتفاظ بحقهم في العودة. والانتقال إلى العيش في المستوطنات في الأراضي المحتلة لا يمس هذه الحقوق. بل إنه، ونظراً إلى الوضع الخاص للمستوطنات، يمكن حتى للأجانب الحاصلين على الإقامة الدائمة أن ينتقلوا إلى المستوطنات من دون أن يمس ذلك حقوقهم. بيد أن الفلسطينيين بالقدس الشرقية يفقدون وضعيه الإقامة الدائمة إن هم انتقلوا إلى الضفة الغربية.

يشكل الترحيل السري استمراراً مباشراً للسياسة العامة لإسرائيل في القدس الشرقية منذ سنة 1967 ، التي تهدف إلى إيجاد واقع ديموغرافي لا يمكن معه

تحدي سيادة إسرائيل على القدس الشرقية. ولقد اتخذت إسرائيل على مر الأعوام تدابير عدة لحمل فلسطيني القدس الشرقية على مغادرة المدينة. وفعلاً، فإن التقييدات الكثيرة على البناء في القدس الشرقية ورفض الموافقة على جمع البلدية للمدينة. وهم لم يدركوا إلا الآن أنهم فقدوا بذلك نهائياً حقهم في العودة إلى العيش في المدينة التي ولدوا ونشأوا فيها، والتي يعتبرونها موطنهم وبلدهم.

يعيش في القدس الشرقية نحو 170 ألف فلسطيني يحملون بطاقات هوية إسرائيلية. وقد دأبت وزارة الداخلية الإسرائيلية، على إلغاء حق الإقامة للفلسطينيين بالقدس الشرقية الذي عاشوا، في مرحلة من مراحل حياتهم، خارج الحدود البلدية للمدينة. وبناء على ذلك، طلب من الكثيرين من الفلسطينيين ترك بيوتهم وعائلاتهم.

بعد حرب الأيام الستة، ضمت إسرائيل، منتهكة بذلك القانون الدولي، القدس الشرقية التي تبلغ مساحتها 70 كلم^2، وطبقت القانون الإسرائيلي في الأراضي المضمومة. وأجرت بعد الحرب مباشرة إحصاء في القدس الشرقية، ومنحت وضعية الإقامة الدائمة لجميع سكان القدس الشرقية الذين كانوا موجودين فيها لدى إجراء الإحصاء. كذلك أعلنت إسرائيل أن في إمكان سكان القدس الشرقية أن يصبحوا مواطنين إسرائيليين إذا ما تقدموا بطلبات في هذا الشأن. لكن لأسباب سياسية لم يطالب معظم فلسطيني القدس الشرقية بالجنسية الإسرائيلية.

اعتبرت المحكمة العليا الإسرائيلية أن قانون الدخول إلى إسرائيل هو الذي يحدد وضعية سكان القدس الشرقية الفلسطينيين، وأن بطاقة الهوية التي تمنح لهم مشابهة لإذن الإقامة الدائمة الذي يمنح وفقاً لذلك القانون. كذلك اعتبرت المحكمة العليا أن صلاحية إذن الإقامة الدائمة تنتهي عندما يستقر المقيم الدائم خارج إسرائيل.

إن إسرائيل بتطبيقها قانون الدخول إلى إسرائيل على سكان القدس الشرقية، إنما تنظر إلى هؤلاء أنهم مهاجرون، وذلك على الرغم من أن هذه العائلات تعيش في المنطقة منذ عشرات الأعوام، وأن إسرائيل هي التي دخلت إلى المنطقة لا العكس.

وتعتبر القوانين التنظيمية أن من تنطبق عليه صفة الاستقرار خارج إسرائيل هو من يبقى في الخارج لمدة تزيد عن سبع سنوات، أو من يحصل على حق الإقامة الدائمة بدولة أخرى أو على جنسيتها. وقد اعتبرت المحكمة العليا أيضاً إن في الإمكان إلغاء إذن الإقامة الدائمة إذا بينت حقائق أخرى أن الشخص المعني استقر خارج إسرائيل، وإن كانت فترة إقامته بالخارج تقل عن سبع سنوات.

في الماضي، كان فلسطينيو القدس الشرقية الذي يعيشون خارج حدود المدينة يتوجهون بصورة اعتيادية إلى مكتب وزارة الداخلية في القدس لتجديد أذونات إقامتهم، الأمر الذي يتيح لهم تجديد فترة السنوات السبع. ذلك بأن سياسة وزارة الداخلية كانت تعتبر أن خسارة حق الإقامة تنطبق فقط على الإقامة خارج القدس مدة سبع سنوات متواصلة.

بيد أن إسرائيل غيرت من سياستها وبمفعول رجعي، وبات الذين لم يعيشوا داخل حدود بلدية القدس بصورة متواصلة معرضين لخسارة حقهم في الإقامة بالمدينة، حتى لو كانوا عاشوا خارجها لفترة تقل عن سبع سنوات، وحتى لو لم يحصلوا على إذن إقامة دائمة ببلد آخر، أو على جنسية ذلك البلد.

إلى ذلك، يطلب من كل من يحتاج إلى خدمات وزارة الداخلية لأمر من الأمور، كاستبدال بطاقة الهوية أو تسجيل طفل أو الحصول على بطاقة هوية أول مرة في سن السادسة عشرة، أن يأتي بأدلة موثقة على أنه يعيش في القدس. ويتعرض الذين يعجزون عن توفير هذه الوثائق لإبلاغهم أن مدة صلاحية أذونات إقامتهم قد انتهت. وعندئذ يتوجب عليهم إعادة بطاقات هوياتهم ومغادرة إسرائيل في مهلة 15 يوماً. ويطرد أيضاً أفراد العائلة الآخرون (الزوجة والزوج والأطفال) الذين تعتمد أذونات إقامتهم على الشخص المطرود.

وبما أن صلاحية إذن الإقامة تنتهي تلقائياً، فإن إلغاء وضعية الإقامة يتم من دون جلسة استماع أو توضيح أو أي التفات إلى حق الاستئناف، ومن دون أن يبلغ المعني أن السياسة المعتمدة تغيرت.

وتنطبق ضرورة إثبات الإقامة بالقدس على الفلسطينيين المقيمين بالولايات المتحدة، وعلى أولئك الذين يعيشون في الرام الواقعة على بعد كيلومترات قليلة من الحدود البلدية لمدينة القدس، سواء بسواء.

إن الترحيل السري استمرار مباشر لسياسة إسرائيل العامة المطبقة في القدس الشرقية منذ سنة 1967 ، والتي تهدف إلى تقليص عدد الفلسطينيين المقيمين بالمدينة، واستحداث واقع ديموغرافي وجغرافي في القدس الشرقية يحبط أية محاولة لاحقة لتحدي السيادة الاسرائيلية على القدس الشرقية. ولقد تضمنت هذه السياسية تدابير متنوعة جعلت الكثيرين من الفلسطينيين الذين يودون البقاء في القدس لا يملكون أي خيار سوى الرحيل عن المدينة.

تشددت إسرائيل كثيراً في القيود التي فرضتها على تشييد الفلسطينيين للمباني السكنية، الأمر الذي تسبب بازدحام شديد نتيجة النقص الكبير في المساكن.

قبل سنة 1994، كانت إسرائيل ترفض طلبات جمع شمل العائلة التي تتقدم النسوة المقدسيات بها نيابة عن أزواجهن من غير المقدسيين. وكانت السياسة الإسرائيلية تفرض على هؤلاء النسوة مغادرة المدينة للالتحاق بأزواجهن.

وتنطوي خسارة وضعية الإقامة بالقدس على عواقب مهمة؛ فالمقيمون بالقدس الشرقية غير خاضعين للحكم العسكري كغيرهم من المقيمين بباقي أنحاء الأراضي المحتلة. هم وحدهم لا يحتاجون، كما يحتاج أبناء المناطق المحتلة، إلى أذونات خاصة لدخول إسرائيل والعمل فيها.

وبما أن وزارة الداخلية لا تنشر المعايير التي تعتمدها لإلغاء وضعية الإقامة، فإن فلسطيني القدس الشرقية باتوا غير متأكدين من وضعهم القانوني. وبالتالي، فإن كثيرين منهم استغنوا عن الاستفادة من خدمات وزارة الداخلية خشية أن تعيد هذه النظر في إقامتهم بالقدس وتقرر أنه لم يعد لهم حق في حمل بطاقة هوية إسرائيلية.

وتنوي وزارة الداخلية أن تستبدل خلال الأشهر الأربعة المقبلة جميع بطاقات الهوية العائلة لجميع المواطنين الإسرائيليين والمقيمين بإسرائيل. وسيضطر

الفلسطينيون المقيمون بالقدس الشرقية إلى الذهاب إلى وزارة الداخلية، حيث يقرر الموظفون المختصون ما إذا كان يحق لهم الاحتفاظ ببطاقة هوية إسرائيلية وبالتالي فإن عشرات الآلاف من الفلسطينيين المقيمين بالقدس الشرقية معرضون لخسارة وضعية الإقامة. وسيكون لذلك عواقب وخيمة فيما يتصل بقدرة هؤلاء على التمتع بحقوقهم المدنية وبالمنافع الاقتصادية والاجتماعية. (مجلة الدراسات الفلسطينية، 31، 1997).

نشأت النواة الأولى لمدينة القدس على تل أوفل المطل على قرية سلوان، حيث أختير هذه هذا الموقع لأسباب أمنية، وساعدت عين سلوان في توفير المياه للسكان، وهجرت هذه النواة إلى مكان آخر وهو جبل بزيتا ومرتفع موريا الذي أقيمت عليه قبة الصخرة المشرفة. وأحيطت المدينة بالأسوار، ثم بدأت تتقلص حتى بنى السلطان العثماني سليمان القانوني السور الحالي، محدداً حدود القدس القديمة جغرافياً، بعد أن كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل، في مرحلة من المراحل، إلى منطقة المسجد المعروف بمسجد سعد وسعيد في سنة 1863 ، أسست أول بلدية للقدس. وفي منتصف القرن التاسع عشر، بدأت الأحياء اليهودية تظهر طابع هذه الحدود، لتبدأ رسم الحدود السياسية لمدينة القدس. فمن أجل هدف أيديولوجي، أقيم حي يمين موشيه سنة 1850 في منطقة جورة العناب، ليكون نواة لأحياء يهودية تقام خارج الأسوار في اتجاه الجنوب الغربي والشمال الغربي والغرب. ثم أقيم حي منا شعاريم في منطقة المصراراة، وماقور حاييم في المسكوبية سنة 1858.

ونتيجة نشوء الضواحي الاستيطانية في المنطقة العربية، علماً بأن مساحة الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس لم تتجاوز خمسة دونمات، وعدد سكانه لم يتجاوز التسعين أسرة- فإن حكومة الانتداب البريطاني وقادة الصهيونية اتفقوا على رسم البلدية بطريقة ترتبط بالوجود اليهودي، فامتد الخط من الجهة الغربية عدة كيلومترات لتدخل ضمنه أحياء غفعات شاؤول، وشخنات مونتفيوري، وبت هكيرم، وشخنات هبوعليم، وبيت فجان، التي تبعد عن أسوار المدينة سبعة كيلومترات، بينما اقتصر الامتداد من الجهتين الجنوبية والشرقية على بضع مئات من الأمتار،